CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
JOHN M. OLIN LIBRARY
ITHACA, N.Y.

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 059 116 636

LIBRARY ANNEX
DATE DUE
Interlibrary
Loan
GAYLORD
PRINTED IN U.S.A.

١٩٠٧

OLIN
+
PJ
7760
F129
F17
1884

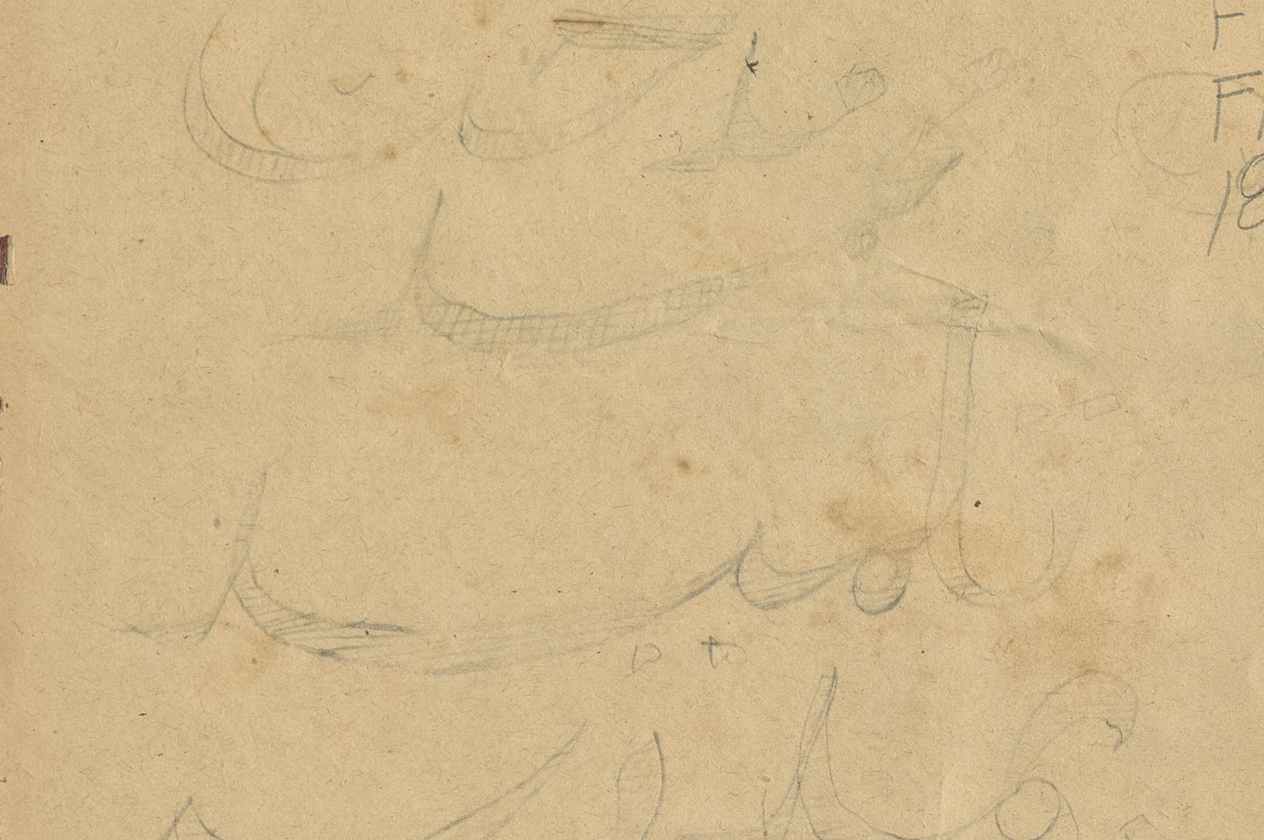

{فهرست فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الاديب والفهامة الاريب}
{الشيخ أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي تغمده الله تعالى برحمته آمين}

صحيفه	
٢	خطبة الكتاب
٥	الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب
٢١	الباب الثانى فى وصايا ملك العجم المتميز على اقرانه بالفضل والحكم
٤٣	الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك
٤٩	الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان
٧٧	الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديمه امير الثعالب وكبير الضباع
١٠٢	الباب السادس فى نوادر التيس المشرقى والكلب الاقرقى
١٣٣	الباب السابع فى ذكر القتال بين ابى الابطال الريبال وابى دغفل سلطان الافيال
١٥٢	الباب الثامن فى حكم الاسد الزاهد وامثال الجمل الشارد
١٦٧	الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب
١٩٣	الباب العاشر فى معاملة الخادم والاحباب والاعداء والاصحاب وبه تمت ابواب الكتاب

{تمت}

٣٠٢ هجريه ٨٨٤ ميلاديه

{فهرست كتاب كليله ودمنه المطرزبه هامش فاكهة الخلفاء}

صحيفه

٧ باب مقدمة الكتاب (ترجمة علي بن الشاه الفارسي)

٢٨ باب بعثة برزويه الى بلاد الهند (اى لانتساخ كتاب كليله ودمنه)

٣٩ باب غرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع

٤٩ باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان

٦٢ باب الاسد والثور وهو اول الكتاب (وهو مثل المتحابين يقطع بينهما الكذوب)

١٠٣ باب الفحص عن امر دمنه (وما كان من معاذيره)

١٢١ باب الحمامة المطوقة (وهو مثل اخوان الصفاء)

١٣٦ باب البوم والغربان (وهو مثل العدو الذى لا ينبغى أن يغتر به)

١٥٨ باب القرد والغيلم (وهو مثل الذى ظفر بالحاجة ثم اضاعها)

١٦٣ باب الناسك وابن عرس (وهو مثل الرجل العجلان فى امره من غير روية ولا نظر فى العواقب)

١٦٦ باب الجرذ والسنور (فيه مثل رجل كثرت اعداؤه)

صحيفه

١٧٣ باب ابن الملك والطائر فنزة (وهو مثل اهل الترات الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض)

١٨٠ باب الاسد وابن آوى (فيه مثل الملك الذى يراجع من اصابته منه عقوبة من غير جرم

١٨٩ باب ايلاذ وبلاذ وايراخت وكباريون الحكيم

٢٠٣ باب اللبوة والاسوار والشعهر (فيه مثل الذى يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر)

٢٠٧ باب الناسك والضيف (فيه مثل الذى يدع صنعه الذى يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه)

٢٠٨ باب السائح والصائغ (فيه مثل الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه)

٢١٣ باب ابن الملك واصحابه (فيه امثال القضاء والقدر)

٢٢٢ باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (وهو مثل من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه)

{تمت}

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة
الاديب والفهامة الاريب الشيخ أحمد
ابن محمد بن عربشاه الحنفي

تغمده الله تعالى برحمته

ولطفه الخفي

آمين

٢

﴿وبهامشه كتاب كليله ودمنه تأليف بيدبا الفيلسوف الهندى وترجمة﴾

﴿عبد الله بن المقفع الكاتب من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) الذى شهدت الكائنات بوجوده وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده ونطقت الجمادات بقدرته وأعربت العجماوات عن حكمته وتخاطبت الحيوانات بلطيف صنعته وتناغت الأطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتفريده كل باذل جهده وان من شئ الا يسبح بحمده بل المكان ومن فيه والزمان وما يحويه من نام وجامد ومشهود وشاهد تشهد بانه اله واحد منزه عن الشريك والمعاند مقدس عن الزوجة والولد والوالد مبرأ عن المعاند والمنادد مسبح بأصناف المحامد (أحمده) حمدا تنطق به الشعور والجوارح وأشكره شكرا يصيد نعمه صيد المصيد بالجوارح (وأشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له رب أودع أسرار ربوبيته فى بريته وأظهر أنوار صمديته فى جوانى بحره وبريته فبعض يعرب بلسان قاله وبعض يعرب بلسان حاله وتسبحه السموات باطيطها والارض بغطيطها والابحر بخريرها والاسد بزئيرها والحمام بهديرها والطير بتغريدها والرياح بهبوبها والبهائم بهبيبها والهوام بكشيشها والقدور بنشيشها والخيل بضبحها والكلاب بنبحها والاقلام بصريرها والنيران بزفيرها والرعود بعجيجها والبغال بشحيجها والانعام برغائها والذباب بطنينها والقسى برنينها والنياق بحنينها كل قد علم صلاته وتسبيحه ولازم فى ذلك غبوقه وصبوحه وعمروا بذلك أجسادهم وأرواحهم ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى من صدقه تم سوله أفضل من بعث بالرسالة وسلمت عليه الغزالة وكلمه الحجر وآمن به المدر وانشق له القمر ولبت دعوته الشجر واستجار به الجمل وشكا اليه شدة العمل وحن اليه الجذع ودر عليه يابس الضرع وسبحت فى كفه الحصباء ونبع من بين أصابعه الماء وصدقه ضب البرية وخاطبته الشاة المصلية صلى الله عليه صلاة تنطق بالاخلاص وتسعى لقائلها بالخلاص وعلى آله أسود المعارك وأصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما ﴿أما بعد﴾ فان الله المقدس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم ووهبه عقلا يتدبر به ما فى السموات والارض من آيات ليسلك بارشاده أوضح المحجات ويمحو بنوره ظلمات الريب والالتباس قائلا سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان المختص بجوامع الكلم فى غاية البيان سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فان أتحف العوارف وألطف المعارف علم يتوصل به الى صدق الفراسة ويستنبط منه حسن السياسة وأحسن ما لاح على صفحات ذلك الوجه وجنه كتاب كليله ودمنه من الكتب التى ترجمت فى صدر الدولة العباسية من اللغة الاعجمية الى اللغة العربية لانه فى ضروب السياسة أكبر آية وفى جوامع الحكم والآداب أبلغ غاية حرى بان يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وحقيق بان يعلق بخيوط النور على نحور الحور ولذلك عكف على الاعتناء به أصناف الناس فترجموه من العربية الى لغاتهم من سائر الاجناس ثم اغتالت نسخه بالعربية أيدى الدهور والاعصار وطار بها من رياح الحوادث اعصار فقيض الله

فى ذاته المنزه عن سمات النقص فى صفاته قد أودع فى كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته ومن الحكم والعبر مالا يدركه البصر ولا تكاد تهتدى اليه الفكر ولا يصل اليه فهم ذوى النظر ولكن بعض ذلك للبصير بالرصد ظاهر يدركه كل أحد قال الله تعالى وجل ثناؤه جلالا وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وقال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وقال عز من قائل فى كلامه الطائل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال الشاعر

فى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها فى وهاد العقول والأكم وترادف ما فيها من العجائب والعبر وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادتها النفوس ولم يكترث بوقوعها القلب الشموس ولم يستفهم عن من وجودها ولم يلتفت الى حدودها فكثر فى ذلك أقوال الحكماء وتكررت مقالات العلماء فلم تصغ الاسماع اليها ولا عولت الافكار عليها فقصد طائفة من الاذكياء وجماعة من حكماء العلماء ممن يعلم طرق المسالك ابراز شئ من ذلك على ألسنة الوحوش وسكان الجبال والعروش وما هو غير مألوف الطباع من البهائم والسباع وأصناف الاطيار وحيتان البحار وسائر الهوام فيسندون اليها الكلام لتميل لسماعه الاسماع وترغب فى مطالعته الطباع لان الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير معتادة لشئ من الحكمة ولا يسند اليها أدب ولا فطنة بل ولا معرفة ولا تعريف ولا قول ولا فعل ولا تكليف لان طبعها الشماس والاذى والافتراس والانساد والنفور والعدوان والشرور والكسر والتفريق والنهش والتمزيق فاذا أسند اليها مكارم الاخلاق وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والوفاق وسلكت وهى مجبولة على الخيانة سبل الوفاء ولازمت وهى مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء أصغت الآذان الى استماع أخبارها ومالت الطباع الى استكشاف آثارها وتلقتها القلوب بالقبول والصدور بالانشراح والبصائر بالاستبصار والارواح بالارتياح لكونها أخبارا منسوجة على منوال عجيب وآثارا أسديت لحمتها فى صنع بديع غريب لاسيما الملوك والامراء وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء وابناء الترفه والنعم وذوو المكارم والكرم اذا قرع مسامعهم قول القائل صار البغل قاضيا والنمر طائعا لا عاصيا والقرد رئيس الممالك والثعلب وزير الذلك والدب مؤرخا أديبا والحمار منجما طبيبا والكلب كريما والجمل نديما والغراب دليلا والعقاب خليلا والحدأة صاحبة الامانة والفأرة كاتمة الخزانة والحية راقية والبومة ساقية وضحك النمر متواضعا وغدا الاسد لارشاد الذئب سامعا ورقص الغزال فى عرس القنفذ وغنى الجدى فطرب الجدجد وتصادق القط والجرذان وصار السرحان راعى الضان وعانق الليث الجمل والذئب الجمل ورفع الباشق الحمامة على رقبته وحمل ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم وانشرحت خواطرهم وسرت سرائرهم وأصغت اليه أسماعهم ومالت اليه طباعهم وأدى طيشهم الى أن طاب عيشهم ولكن أهل السعادة وأرباب السيادة ومن هو متصد لفصل الحكومات والذى رفعه الله الدرجات فانتصب لاغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمتفهمون بتوفيق الله تعالى

صاحب الفتوحات السنيه والهمة العلية العلوية حامى ذمار المسلمين والاسلام ماد سرادق العدل على كافة الانام قاهر الطغاة والجبابرة ومرغم أنوف المتمردة الفاجرة أمير امراء المؤمنين وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين الحاج محمد على باشا لازالت ذباب سيفه مهج العدا تلاشى ولا برحت ألويته بالنصر منشوره وعساكره فى كل وجهة مظفرة منصوره فأعمل فى خدمة الشريعة الغراء وسلوك المحجة الواضحة البيضاء كلا من حد السيف وسنان القلم حتى تخر بمتون الصفائح والصحائف ينابيع النصر والحكم وتصدى لاحياء رميم المكرمات الدوارس وانتدب لاعادة دارس العلوم بانشاء المدارس جامعا بين دانى الشرف وقاصيه حقيقا بما قلت فيه

ماذا أقول وكيف القول فى ملك
قد فاق كل ملوك الاعصر الاول
محمد أنت ان أحمدك مبتهلا
وان طلبت لك العلياء انت على
قد أعجز البلغاء اللسن منقبة
عنا رووا بين صدق القول والعمل
أعلى الممالك ما يبنى على الاسل
والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف فى ممالكها
حتى تقلقل دهرا قبل فى القلل
مثل الملك بغى أمرا فقربه
طول الرماح وأيدى الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل
على الفرات أعاصير وفى حلب
توحش لملقى النصر مقتبل

لدقائق الامور وحقائق ما تجرى به الدهور اذا تأملوا فى لطائف الحكم والفرائد التى أودعت
فى هذه الكلام ثم تفكروا فى نكت العبر وصفات العدل والسير والاخلاق الحسنة
والقضايا المستحسنة المسندة الى ما لا يعقل ولا يفهم وهم من أهل القول الذى يشرف
به الانسان ويكرم يزدادون مع ذلك بصيرة ويسلكون بها الطرق المنيرة فتتوفر مسراتهم
وتتضاعف لذاتهم وربما أدى بهم فكرهم وانتهى بهم فى أنفسهم أمرهم أن مثل هذه
الحيوانات مع كونها عجماوات اذا اتصفت بهذه الصفة وهى غير مكلفة وصدر منها مثل هذه
الامور الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن أولى بذلك فيسلكون تلك المسالك وقد
ضرب الله ذو الجلال فى كلامه العزيز الامثال فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله
أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال
سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه ما أعظم
شانه يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى
ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى وأوحى ربك الى النحل أن
اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل
ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم
يتفكرون وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أسند سبحانه وتعالى الافعال
والاقوال الى الجمادات بعد ما وجه الخطاب اليها وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى
السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم وكل ما جاء فى هذه الطريقة
فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة لانه قادر على كل شئ وسواء عنده الميت والحى ولا فرق
فى كمال قدرته بالنظر الى قدرته ومشيئته وتصور كمال عظمته وهيبته بين الناطق
والصامت والنامى والجامد والشاهد والغائب والآتى والذاهب كما لا فرق فى
هذا الكمال بين الماضى والاستقبال وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض
وقال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض وقال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
وقال فى الهدهد فقال أحطت بما لم تحط به وقال الشاعر

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * وقالت العرب فى أمثالها قال الجدار للوتد لم تشقنى قال
سل من يدقنى قل لمن ورائى يتركنى ورائى وقالوا اكرم من الاسد ومن أشهر أمثالهم قالوا
ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا الى الضب فقالت الارنب يا أبا
الحسين قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكيتما قالت اخرج الينا
قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها منى
الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال حر انتصر
لنفسه قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت هذه الاقوال كلها أمثالا وقالوا تحككت
العقرب بالافعى وقال الشاعر

قام الحمام الى البازى يهدده * واستصرخت بأسود البر أضبعه

تتلو أسنته الكتب التى نفذت
ويجعل الخيل أبدالا من الرسل
يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر
وما أعدوا فلا يلقى سوى نفل
الفاعل الفعل لم يفعل لشدته
والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت عجاجته
ضوء النهار فصار الظهر كالطفل
الجو أضيق ما لاقاه ساطعها
ومقلة الشمس فيه أحير المقل
ينال أبعد منها وهى ناظرة
فما تقابله الا على وجل
قد عرض السيف دون النازلات به
وظاهر الحزم بين النفس والغيل
ووكل الطعن بالاسرار فانكشفت
له ضمائر أهل السهل والجبل
هو الشجاع يعد البخل من جبن
وهو الجواد يعد الجبن من بخل
يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أغذ اليه غير محتفل
ولا يجير عليه الدهر بغيته
ولا تحصن درع مهجة البطل
اذا خلعت على عرض له حللا
وجدتها منه فى أبهى من الحلل
بذى الغباوة من انشادها ضرر
كما تضر رياح الورد بالجعل
لقد رأت كل عين منه مالئها
وجربت خير سيف خيرة الدول
فما تكشفك الاعداء عن ملل
من الحروب ولا الآراء عن زلل
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم
تركت جمعهم أرضا بلا رجل
ما زال طرفك يجرى فى دمائهم
حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
يا من يسير وحكم الناظرين له
فيما يراه وحكم القلب فى الجذل

وهذا أمر مستفيض مشهور معروف بين الانام غير منكور والحصر فى هذا المعنى يتعسر والاستقصاء يتعذر وانما الاوفق التمثيل والتنظير والاستدلال بالقليل على الكثير فيتفكه السامع تارة ويتفكر اخرى ويتنقل فى ذلك من الاخفى الى الاجلى ويتوصل بالتأمل فى معانيه من الادنى الى الاعلى ومن جملة ما صنف فى ذلك واشتهر فيما هنالك وفاق على نظائره بخبره ومنظره وحاز فنون الفطنه كليله ودمنه والمتمثل بحكمة الطباع كتاب سلوان المطاع والمفصم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب معجز الضراغم الصادح والباغم وفى غير لسان العرب ممن يتعاطى فن الادب جماعة رضعوا افاويقه وسلكوا من هذا النمط طريقه لكن تقادم عصرهم واشتهر أمرهم وتكرر ذكرهم وصارت مصنفاتهم مطروقه وعتاق نجائبها فى ميدان التأمل عتيقه فقلت من دهرى فلذه وعملت بموجب لكل جديد لذه وسيرت فارس الافكار فى ميدان هذا المضمار وقصدت من الفائدة ما قصدوه ومن العائدة فى الدارين ما رصدوه وجمعت ما بلغنى عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ورواة الاسفار على لسان شيخ اللطائف ومنبع المعارف وامام الطوائف ومجمع العوارف ذى الفضل والاحسان أبى المحاسن حسان ووضعت هذا الكتاب نزهة لبنى الآداب وعمدة لاولى الالباب من الملوك والنواب والامراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب ومن الله أستمد الصواب وأستغفره من الخطا فى الجواب انه رحيم تواب كريم وهاب {وسميته فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء} شعر

فان يفض بحر علمى تهدمنه على * در يثير عيون العقل فى السدف
البسته من خلاعات النهى خلعا * وربما ازدان عقد الدر بالخزف
والفضل يحتاج فى ترويج سامته * الى الخرافة والمعقول للخرف
فاعبر الى البحر تجن الدر منه ولا * يلهيك عن دره أضحوكة الصدف

{الباب الاول} فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب {الباب الثانى} فى وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم {الباب الثالث} فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك {الباب الرابع} فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان {الباب الخامس} فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع {الباب السادس} فى نوادر التيس المشرقى والكلب الافرقى {الباب السابع} فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال {الباب الثامن} فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد {الباب التاسع} فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب {الباب العاشر} فى معاملة الاعداء والاصحاب وسياسة الرعايا والاحباب ونكت وأخبار وتواريخ أخيار وأشرار

{الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب}

(قال) الشيخ أبو المحاسن بلغنى عن ذى فضل غير آسن انه كان فيما غبر من الزمان قبل من الاقيال غزير الافضال عزيز الامثال وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف وافر السعادة كامل السعادة ذو حكم مطاع وجند وأتباع وممالك واسعة ذات أطراف شاسعه تحت أوامره ملوك عده ذو سطوات ونجده وله من الاولاد الذكور خمسة انفار كل بالسعادة مذكور وبالعلم والحلم والحكم مشهور ومشكور متوشح للسلطنة متول من والده مكانا من الامكنة

ان السعادة فيما أنت فاعله
وفقت مرتحلا أو غير مرتحل
أجر الجياد على ما كنت مجريها
وخذ بنفسك فى أخلاقك الاول
ينظرن من مقل أدمى أحجتها
قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا همت بها الا على ظفر
ولا وصلت بها الا الى أمل

(ومن جملة) ما جعله للدين والدنيا زينة وعيدا ولارباب الحروب والمحاريب موسما سعيدا دار الطباعة التى أنشأها ببولاق حيث لم يكن مثلها فى سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنة وجود نسخة مطبوعة بالعربى فى غير بلاد العرب من كتاب كليله ودمنه وهى التى ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور فى أيام أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية الى العربية واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها بالامعية حيث قال فى ديباجتها اجتمع عندى من كتاب كليله ودمنه نسخ شتى متفقة السياق والانتظام مختلفة العبارة والالفاظ وكان من عددها نسخة قديمة العهد عجيبة الخط غير انه كان يوجد فيها مع جودتها بعض الغلطات وقد ذهب منها أيضا بتصريف الشهور والايام أوراق جعلت عوضا عنها أوراق غيرها جديدة العهد رديئة الخط ليست على هيئة الباقى والنسخة المذكورة هى التى اخترتها

وكان أسعدهم عند أبيه وهو متميز على اخوته وذويه شمسي المنظر ابامى المخبر ذافهم مصيب واسمه في فضله حسيب قد حصل أنواعا من العلوم وأدركها من طريقي المنطوق والمفهوم وكان لهذا الفضل الجسيم يدعى بين الصغير والكبير الحكيم فلما دعا أباهم داعى الرحيل وعكم الى دار البقاء أجمال التحميل استولى على السرير أكبر أولاده وأطاعه اخوته ورؤس أمرائه وأجناده وصار السعد يراقبه والملك بلسان الحال يخاطبه شعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

واستمر اخوته في خدمته مغتنمين أيادي طاعته رافلين في خلع محبته ومودته ومضى على ذلك برهة وهم في أرغد عيش ونزهة ثم انه حصل في خواطر الأخوه ما خطر في خواطر الالداء من الجفوه وقلوب الحساد من الصدوالنبوه فداخلتهم النفاسه وطلبوا لأخيهم الرياسه فقلبوا الاخيهم ظهر المجن وأظهر كل ما أكمن وقال فيه ما أجن وأرادشق العصا وان يشهر عنه انه عصى غير أن أخاهم الحكيم تفكر في هذا الامر الوخيم وأمعن فيه النظر وساورته الوساوس والفكر فانه وان كان أغزرهم ذكاء وأوفرهم وفاء فهو أصغرهم عمرا وأحقرهم قدرا لا طاقة له على الاستبداد ولا أن ينحاز الى أحد من ذوى العناد اذ الانحياز الى أحدهم ترجيح بلا مرجح وتصحيح لاحد التأويلين بلا مصحح فأداه اجتهاده الى الانخذال وتقليد مذهب الاعتزال والقول بوجوب رعاية الأصلح ومن أمكنه العزلة خصوصا في زمن الفتنة فقد أفلح فأخذ يفكر في تعاطى أسباب الخلاص وكيفية التفصى من عهدة هذا الاقتصاص واستنهض الفكرة الحائرة لتظفر به من سور هذه الدائرة وتأخذ به على جهة واحدة الى ان ينجلى غبار هذه المناكدة ثم اتسع الكتاب في مشاورة الاصحاب فاستشار ثقة من أهل المقة وعرض عليه العزلة وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزلة فقال له بعد أن استصوب رايه طريق التوصل الى الانفراد يا ذا الدرايه أن تستأذن في تأليف تصنيف وترصيف تأليف يشتمل على فنون من الحكمة وأنواع من دقائق الادب والفطنة ولطائف التهذيب وأخلاق العباد ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد وتتوفر به مكارم الاخلاق والشيم وعوالي تهذيب النفس وظرائف الفضل والحكم فيظهر بذلك غزارة علمك ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك ولا يقف أحد في طريقك ولا يقدر أحد أن يتصدى لتعويقك ويحصل بذلك فوائد جمه أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمه الى أن ينجلى دجاها وتنجلى شمس الاستقامة وضحاها فاستقر راى الحكيم حسيب على العمل بهذا الرأى المصيب ثم توكل على الله واعتمده وتوجه الى ما قصده ودخل غير مرتبك على الملك وقبل الارض ووقف في مقام العرض وذكر ما عزم عليه أو توجه قصده اليه بعبارة رقيقه وألفاظ رشيقه فتأمل الملك في خطابه وتوقف في جوابه وكان للملك وزير ذو فضل غزير في غاية الحصافه والمعرفة والظرافه ان لطف كان رافه وان كثف كان آفه بعيد الغور ان رفع أبلغ الى الثريا وان وضع أنزل الى الثور بينه وبين الحكيم من سالف العهد القديم عداوة مؤكده وشدة مؤيده وتحاسد الاكفاء غل قل وعداوة النظراء جرح لا يندمل فبلغه ما أنهى الحكيم الى مسامع الملك الكريم فتصدى للمعارضه وتهيأ للمعاكسة والمناقضة وأقبل يرفل في ثوب المكر وقد شد دهاء الختل والختر حتى وقف في مقامه واستطرد الى قضية الحكيم في كلامه فأجرى الملك كلام أخيه واستشار الوزير فيه فاغتنم الفرصة وأراد القاءه في غصة بايراد مثل قصد به ايذاءه وقصه ثم قال أما ما قصده

حتى تكون هي الاصل المعتمد عليه عند طبع هذا الكتاب غير انني كلما عثرت فيها على غلطة أو ما اشتبه على القارئ فهمه قابلتها بما عندي من النسخ غيرها وأثبت ما رأيت لفظه أفصح ومعناه أوضح انتهى كلامه * ثم ان تلك النسخة المطبوعة عرضت هي وغيرها على شيخ مشايخ الاسلام وقدوة عمد الانام مولانا الشيخ حسن العطار أدام الله عموم فضله ما دام الليل والنهار فقال يصح أن لا يوجد لها في الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الاقوال وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعول في طبع ذلك الكتاب عليها ومنتهى اختلاف النسخ ووفاقها اليها فبادرت اشارة الامر بصريح الامتثال وسرحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة وأوضحها اشارة وأصحها معنى وأحكمها مبنى غير ان فيها الفيظات حادت عن سنن العربية وبعض معان مالت به الركاكة عن أن يفهم بطريقة مرضية فقربت أضياف المعاني بأى لفظ تشتهيه أوصاحب البيت أدرى بالذى فيه خصوصا مع وجود المواد التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله مستعينا على ذلك بما لدى من النسخ التي يخط القلم معولا على عناية من علم الانسان ما لم يعلم حتى أثمرت اشاعة ذلك الكتاب مع غاية التحرير حديقة تلك المطبعة المشرقة بطوالع التنوير

الحكيم من العزلة فهو رأى قويم وفكر مستقيم لان الاعداء اذا انفرقوا تشققوا ومتى قلوا ذلوا وقد قيل

وما بكثير الف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

واذا نقص من أعداء الملك واحد سيما مثل اللئيم حسيب الحكيم فهى نعمة طائله وسعادة واصله ودولة مستصحبه وكما قيل نعمة غير مترقبة ويتوصل من ذلك الى تشتيت أمرهم الحالك وتصادم أقوالهم وتخالف أحوالهم واضطراب رأيهم وأفعالهم وقد قيل

وتشتت الاعداء فى آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وأما قصده وضع الكتاب فانه خطأ الاصواب وتعبيره بان فيه فوائد وحكما وأقوال العلماء والحكما وأن يرفع به للعلم علما فانه مكر وخديعه من سوء السريرة وخبث الطبيعه يريد أن يستر جهله وأن يظهر على فضل الملك فضله ويشتمل بذلك الوسواس على قلوب الناس فتنصرف الوجوه اليه وتقبل الرعايا عليه ولكن يامولانا الملك لاتمنع ذلك المنهمك وأجبه الى ماسأل وطالبه بما بذل وألزمه بالانفراد ودعه وما أراد فان عدم اجتماعه بالناس لنافيه أمن من الباس فيشتغل حينئذ بنفسه ويتقلب فى طرده وعكسه وأسأل مولانا السلطان ذا الايادى والاحسان قبل الاذن له وشروعه فى المسئله أن يجمع بينى وبينه لابين شينه وزينه وأظهر لمولانا السلطان زوره ومينه فيتحقق دسائسه ومابنى عليه وساوسه وادى اليه فكره ووصل اليه خداعه ومكره فعند ذلك يصدر أمره الشريف بما يقتضيه رأيه المنيف فأجابه الى سؤاله وأمر طائفة من رجاله فسيرهم الى الآفاق بمراسيم جمعها الاتفاق الى رؤساء مملكته وكبراء دولته فاستدعى العلماء وذوى الفضل والحكماء وأولى الآراء والصلحاء ومن يشار اليه بالفضائل ويتسم بسمة من الفواضل وكل أديب أريب من بعيد أو قريب وقاطن وغريب وبين لهم مكانا يجتمعون اليه وزمانا لايتأخرون عنه ولايتقدمون عليه فاجتمع القوم فى ذلك اليوم حسب مابرز المرسوم فى المكان المعلوم وجلس الملك فى مجلس عام وحضره الخاص والعام واستدعى أخاه الحكيم وقابله بالاحترام والتكريم وأنواع الاحسان والتعظيم ثم قال أيها الاخ الكريم والفاضل الحكيم كان تقدم منك الالتماس بالاذن فى تصنيف كتاب ينفع الناس مشتمل على الفوائد وفنون الحكم والفرائد يكسب الثواب الجزيل ويخلد الذكر الجميل فأحببت أن يكون ذلك بحضرة العلماء ومجمع الاكابر والفضلاء واتفاق آراء الحكماء وأرباب الدولة والمناصب وذوى الوظائف والمراتب وأهل الحل والعقد المتصرفين فى الحكم والامثال والنقد ليأخذ كل منهم حظه ويشنف سمعه ويزين لفظه ولحظه فتعم الفائدة وتشمل العائدة ويتحقق كل سامع وقائل مالك من الفضائل والفواضل وتميز على أقرانك ورؤساء زمانك ويبلغ الاطراف وسائر الاكناف مالديك للناس من اسعاف وماقصدت لهم من احسان والطاف فيتوفر لك الدعاء ويكثر لك الشكر والثناء لعظم فضلك وحسن آدابك فى نقلك وقد أذنا لك فى الكلام وسلمنا الى يد تصريفك فيه الزمام لعلمنا أنك فارس ميدانه وفى بيان معانيك بديع بيانه ولسان فصاحتك يدحرج كرة البلاغة كيف شاء بصولجانه فقل مابدا لك أحسن الله حالك فنهض الحكيم من مكانه وحسر طرف لثامه وبادر الى الارض بالتثامه وقال حيث أذن مولانا السلطان وتصدق بالاذن فى حسن البيان فلابد من اتمام الاحسان وذلك بالاصغاء وحسن الرعاية والارعاء فان حسن الاستماع هو طريق الانتفاع وهو الدرجة الثانية وهى مرتبة سامية فان حسن الادا هى المرتبة الاولى وتليها أيها الملك المطاع مرتبة حسن الاستماع ثم تليها فى الزيادة

على يد مصحح مابها من الكتب العربية المستمد من مولاه الاعانة والمعية راجى من للفضل يؤتى عبد الرحمن الصفتى غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

﴿باب مقدمة الكتاب﴾

قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلى بن الشاه الفارسى ذكر فيها السبب الذى من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذى سماه كليله ودمنه وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها اذ هى للفيلسوف مندوحة ولخاطره مفتوحة ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر السبب الذى من أجله انفذ كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس الاطباء الى بلاد الهند لاجل كتاب كليله ودمنه وما كان من تلطف برزويه عند دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذى استنسخه له سرا من خزانة الملك ليلا مع ماوجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذى كان من بعثة برزويه الى مملكة الهند لاجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها ما يلزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرا وقد

مرتبة الاستفادة والمرتبة الرابعة وهى الجامعة النافعة درجة العمل وبها الفضل اكتمل وأما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخره فهى الاخلاص فى العمل وطلب الآخره واتباع رضا المولى بترك السمعة والريا ثم لفظ العلوم الوضيعة أن النصيحة من حيث هى نصيحة تمج القلوب غ مظاعمنها وتنفر النفس عنها لان النفس مائلة الى الفساد والنصيحة داعية الى الرشاد والنصيحة محض خير وبر والنفس مطبوعة على الاذى والشر فبينهما تنافر من أصل الخلقة وتباين من نفس الفطرة والنفس تميل الى ما جبلت عليه والنصيحة تجذب الى ما تدعو اليه قال العزيز الجبار حكاية عن الكفار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار فالسعيد من تأمل فى معانى الحكم وسلك السبيل الاقوم وتدبر فى عواقب الامور بالافتكار وتلقى الاشياء من طرق الاعتبار وقد قيل

اذا لم يعن قول النصيح بقبول * فان معاريض الكلام فضول

ثم عش واسلم وتيقن واعلم يا ملك الزمان أن أفضل شئ حل فى وجود الانسان واحسن جوهرة تزين بها عقد تركيبه العقل الداعى الى كيفية تهذيبه فى اساليبه وأفضل درة ترصع بها تاج العقل فى تزيينه وترتيبه الخلق الحسن الذى فضل الله به خير خلقه فى تعليمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر فى الدارين ولا يضع الله الخلق الحسن الا فيمن اصطفاه من الثقلين وأفضل جنس الانسان بعد الرسول الرفيع الشان الملك الذى يحيى أحكام شريعته ويمشى على سنته وطريقته واذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو فى الدرجة العليا من الكمال قال الرسول النجيب صاحب التاج والقضيب محمد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم صلاة يتمسك باذيالها الطيب ويتروح نسمات قبولها الغصن الرطيب ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى أن ذلك السيد السديد الكامل المكمل الرشيد أتى برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فانى لست بملك ولا جبار أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ومن جملة حسن الخلق العدل والشفقة على الرعية والفضل واذا حسن خلق الملوك العلية صلحت بالضرورة الرعية طائعة أو كارهة وسعت فى ميدان الطاعة فارهة فان الناس على دين ملوكهم وسالكون طرائق سلوكهم وارذل عادة الملوك الطيش والخفة وأن يكون ميزان عقله خالى الكفة وان عدم الثبات والوقار من عادة الاطفال والصغار والرجل الخفيف القليل الحيله لا يقدر على تدبير الامور الجليلة ولا باب يوجد له ولا طاقة للدخول فى الاشغال الشاقه ولا يستطيع أن يتحمل ثقل الرياسه ويتعاطى الايالة والسياسه ولا قدرة له على فصل الحكومات المشكله والقضايا العريضة المعضلة ولا الوصول الى اثبات السيادة ولا الدخول فى أبواب السعادة فان تدبير الممالك وسلوك هذه المسالك يحتاج الى رجل كالجبل فى السكون والوقار أوان الثبات وكالبحر الهائج والسيل الهامر أوان الحركات واعلم ياذا العلا والمالك المال والدما أنه يجب على الملك الكبير اجتناب الاسراف والتبذير فانه حافظ دماء الناس وأموالهم مراقب مصالحهم فى حالتى حالهم ومآلهم والمال الذى فى خزائنه قد اجتمع من وجوه مكامنه ومن خراج مملكته ومن اعدائه ومعادنه اغناه والرعيه ليذهب عنهم البليه ويصرفه فى مصالحهم وما يحدث من حوائجهم وجوائحهم فهو فى يده امانة وصرفه فى غير وجهه خيانة فكما لا ينبغى أن يتصرف فى مال

ذكر السبب الذى من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه المتطبب وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وآن مولده الى أن بلغ التأدب وأحب الحكمة واعتبر فى أقسامها وجعله قبل باب الاسد والثور الذى هو أول الكتاب (قال) على بن الشاه الفارسى كان السبب الذى من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليله ودمنه ان الاسكندر ذا القرنين الرومى لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب صار يريد ملوك المشرق من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب على من حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا خرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ فى طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعته والدخول فى ملته وولايته وكان على الهند فى ذلك الزمان ملك ذو سطوة وباس وقوة ومراس يقال له (فور) فلما بلغه اقبال ذى القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم اليه اطرافه وجد فى التألب عليه وجمع له العدة فى أسرع مدة من الفيلة المعدة للحروب والسباع المضراة بالوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع فلما قرب ذو القرنين من فور الهند وبلغه ما قد أعد له من الخيل التى كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا فى

نفسه بالتبذير كذلك لا يتصرف في أموالهم بالاسراف والتقتير ومصداق هذا المقال قول ذي الجلال جل كلاما وعز مقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فينبغي للملك بل يجب ان لا يستتر عن الرعية ولا يحتجب وان لا يبادر برسوم الابعد تحقيق المعلوم ولا يبرز مرسومه مالم يتحقق فيه معلومه وذلك بعد التأمل والتدبر وستر عورة القضية والتفكر وهذا الان مرسوم السلطان على فم أبناء الزمان وهو بمنزلة القضاء النازل من السماء واذا نزل القضاء وفتحت له أبواب السماء فلا يرد ولا يصد ولا يعوقه عن مضيه عدد ولا عدد ولا حيلة في منعه لاحد وأمر أولي الامر على زيد وعمرو كالسهم الخارج من الوتر بل شبه القضاء والقدر تعجز عن ادراك سره قوى البشر فكما انه اذا نفذ سهم القضاء والقدر لا يمنعه ترس حيلة ولا يصده درع حذر فكذلك أمر السلطان لا يثبت لرده حيوان ولا يمكن تلقيه الا بالامضاء والاذعان فاذا لم يتدبر قبل ابرازه في عواقب ماله واعجازه ربما أدى الى الندم والتأسف حيث زلت القدم ولا يفيد التلافي بعد التلاف ولا يرد السهم الى القوس وقد خرق الشغاف وكما أن الملك سلطان الانام كذلك كلامه سلطان الكلام وكل ما ينسب اليه فهو سلطان جنسه فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه

(وحسبك يا ملك الزمان لطيفة للملك أنوشروان) فبرزت المراسيم الشريفة ببيان تلك اللطيفة فقال الحكيم ذكر أهل السير ونقلة الاثر أن الملك أنوشروان كان راكبا في السيران فجمح به فرسه وقوي عليه نفسه فاستخف شانه وجذب عنانه فهمزه ولكزه وضربه ووخزه فزاد جوحا ومادجوحا فتجاذبا العنان فانقطع وكاد أنوشروان أن يقع فلاطف الفرس فاستكان وتباعدان كاد يدخل في خبر كان فلما وصل الى محل ولايته واستقر راجف قلبه من مخافته دعا بسائس المركوب فأبى دعوته وهو مرعوب فلعنه وشتمه وأراد أن يقطع يده وقدمه وقال تلجم هذه الداهيه بلجام سيوره واهيه فانقطعت في عيني وكاد الفحل يرميني ثم دعا بالمقارع وبالجلاد ليقطع منه الاكارع فقال السائس المسكين أيها الملك المكين وصاحب العدل والتمكين أسألك بالله الذي رفعك الى هذا المقام أن تسمع لي هذا الكلام فقال قل ولا تطل قال كأن هذا العنان يقول وكلامه فصل لا فضول ومقوله قريب من العقول الملك أنوشروان سلطان الانس وفرسه سلطان هذا الجنس وقد تجاذبني قوة سلطانين فأين لي طاقة هذا الثبات لهما ومن أين لا جرم ذهب مني الحيل فتمزقت بين سلطان الانس وملك الخيل فأعجب أنوشروان من السائس هذا البيان فانعم عليه وأطلقه ومن رق عقابه وعذابه اعتقه وانما أوردت هذا البيان ليتحقق مولانا السلطان ان حركاته مالكة الحركات وصفاته سلطانة الصفات وكلامه ملك الكلام فلا يصرفه في كل مقام وليصنه بالتأمل قبل القول وليحتط لبروزه ويحفظه بالصدق والطول واذا أمر بأمر فلا يرجع فيه بل يستمر على ما أمر به لئلا يقال سفيه ثم اعلم يا ملك الرقاب أن لكل من الثواب والعقاب له حد معلوم ومقدار مفهوم ينبغي للملك ان لا يتعدى لذلك حدا وعلى الملك أن يصغي للنصيحة ممن مودته صحيحة وقد جرب منه الصدق وعلم منه الاخلاص في النطق لاسيما اذا كان ذا عقل صحيح وود صريح ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها فبرودة الخاطر وسلامة القلب حرقة حرارتها فان الناصح المشفق كالطبيب الحاذق فان المريض الكئيب اذا شكا الى الطبيب شدة ألمه من مرارة فيه يصف له دواء مرا فيزيد حرارته حرا فلا يجد بدا من شربه وان كان في الحال ينهض بكربه لعلمه بصدق الطبيب وانه في الرأي

الاقاليم فتخوف ذو القرنين من تقصير يقع به أن عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى أعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لامره وكيف ينبغي له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه فاشتغلوا بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف فانبعثت له همته ودلته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلا من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكر تجري اذا دفعت مرت سراعا وأمر اذا فرغوا منها ان تحشى اجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف في القلب ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ولت هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها فجدوا في ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسله الى فور بما يدعوه اليه من طاعته والاذعان لدولته فأجاب جواب مصر على مخالفته مقيم على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار اليه بأهبته وقدم (فور) الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك

مصيب وماقصد بالدراء المر زيادة الضر وانما قصد بألمه عود الحلاوة الى فمه ولا يستحقر النصيحة ان كانت صادقة صحيحة ولا الناصح خصوصا الرجل الصالح فان سليمان وهو من أجل الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وأحد من ملك الدنيا وحكم على الجن الانس والطير والوحش والهوام استشارة نملة حقيرة فنجح فى أمره وخالف وزيره آصف بن برخيا فابتلى بفقره وسلب من جميع ماملك وصار كما قيل أحير الصياد السمك ثم قال الحكيم حسيب أيها الملك الحسيب وأنا لما رأيت أمور المملكة قد اختلت ومباشرى مصالح الرعية قلوبهم اعتلت واعبوا بالثقيل والخفيف واستطال القوى منهم على الضعيف ومدوا أيديهم الى الاموال بالباطل واظهروا الحالى فى حلية العاطل وخرجوا عن دائرة العدل واطرحوا أهل العلم والدين والفضل وتولى المناصب غير أهلها ونزلت المراتب الى غير محلها وحرم المستحقون وأبطل المحققون الى أن وقع الاختلال وعم الفساد والضلال وقويت أعضاد الظلمة على العباد وسائر القرى والبلاد وهذا لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله ولا يجوز فى شرع المروأة ان يكون الظلم طراز عدله اذ قدره العلى وأصله الزكى أعظم مقاما من ذلك ولا يحسن أن ينتشر الاصيت رأفته فى الممالك وعلى الخير مضى سلفه الكرام وانطوى على مآثرهم صحائف الايام وقد قيل

فان الظلم من كل قبيح * واقبح مايكون من النبيه

وقيل ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

ماوسعنى الا الانحياز الى العزلة والتعلق بذيل الانفراد والوحدة وما أمكننى ان اعمل شيأ ولا اقطع دون العرض على الاراء الشريفة وامتثال ماتبرزه مراسيما المنيفة فقد قال الناصح فى بعض النصائح لاتخاطب الملوك فيما لم يسألوك ولا تقدم على مالم يأمروك فلما أذن فى الكلام فى هذا المقام فقلت قطرة من بحور وذرة من طيور ورأيت ذلك واجبا علىّ ونفعه عائد الىّ وذكرت بعض ماوجب على سائر الناصحين ولزم ذكره جميع المسلمين من طريق واحدة ولزمنى انا من طرق متعددة ادناها طريق المروة واعلاها بل اغلاها وثيق الاخوة التى هى اقوى الاسباب واعظم الوصلات فى هذا الباب فان لحمة القرابة هى السبب الذى لايقطعه سيف الحدثان والبنيان الذى لايهدمه معول الزمان واساس الاخوة عنوان الفتوة قال الله تعالى وعز جلالا وتقدس كمالا سنشد عضدك باخيك وقال القائل أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

(وناهيك يازين الملاك بقصة الوهمى مع الضحاك) قال أخبرنا أيها الحكيم بذلك الحديث القديم قال الحكيم بلغنا عن التاريخ البادخ الشماريخ أن الضحاك كان من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة قد فاق الناس فضلا وبلغ ذكره الآفاق عدلا فتزيا له ابليس فى صورة الدهاء والتلبيس فزعم ذلك الطماخ انه طباخ وصار كل يوم يهيئ له من أطيب الاطعمة ولذيذ الاغذية مايعجز به غيره ولا يقدر أحد أن يسير سيره ولم يأخذ على ذلك جراية فبلغت مرتبته عنده النهاية واستمر على ذلك مدة مديده وأياما عديده والناس تكره أن تخدم بغير اجرة خصوصا فى هذا الزمان رؤساء الاعيان فقال له الامام فى بعض الايام لقد أوجبت علينا يدا وشكرا وما سألتنا على ذلك أجرا فاقترح ماتختار أ كافئك يامهار فقال تمنيت عليك أن أقبل بين كتفيك فأنى لى بذلك أن يقال قبل بدن الضحاك فأعجبه ذلك وأجابه وحسر عن بدنه ثيابه وأدار ظهره اليه فقبل لوحى كتفيه ثم غاب عن عينه ولم

الخيل وتماثيل الفرسان فأقامت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها لما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها وداستهم تحت أرجلها ومضت مهزومة هاربة لاتلوى على شئ ولا تمر بأحد الا وطئته وتقطع (فور) وجمعه وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا فيهم الجراح وصاح الاسكندر ياملك الهند ابرز الينا وابق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروأة أن يرمى الملك بعدته فى المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه فابرز الى ودع الجند فأينا قهر صاحبه فهو الاسعد فلما سمع فور من ذى القرنين ذلك الكلام دعته نفسه لملاقاته طمعا فيه وظن ذلك فرصة فبرز اليه الاسكندر فتجاولا على ظهرى فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولم يزالا يتعاركان فلما أعيا الاسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين فى عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فور عندما سمع الزعقة وظنها مكيدة فى عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة امالته عن سرجه وتبعه بأخرى فوقع الى الارض فلما رأت الهند مانزل بهم وماصار اليه ملكهم حملوا على الاسكندر رفقا تلوه فقة لا أحد وامعه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان ومنحه الله اكتنافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوثق له ما أراد من أمرهم واتفاق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف

يقف على أثره ولا عينه فبمجرد ما لثمه ومس فمه جسمه أخذته حكة وشكه وموضع لثمه شكه ثم خرج من موضع فمه ساعة تلذعه شر لذعة وتلسعه أعواسعة ثم صارا حيتين أشبهتا كيتين فصار يستغيث ولا مغيث فطلب الاطباء فاعياهم هذا الداء ثم لم يقر له قرار ولم يأخذه سكون ولا اصطبار الا دماغ الانسان دون سائر الحيوان فزيد الفتك ولاجل الادمغة استعمل السفك فضجر الناس لهذا الباس وصاحوا وناحوا وغدوا مستغيثين وراحوا فوقع الاتفاق بعد الشقاق على الاقتراع لدفع النزاع فمن خرجت قرعته كسرت قرعته وأخذ دماغه وحصل لغيره فراغه فعالجوا به الكيتين وغذوا به الحيتين فيبرد الالم ويخف السقم ففي بعض الادوار خرجت القرعة على ثلاثة أنفار فربطوا بالاغلال ودفعوا الى الشكال ليجري عليهم ماجرى على الامثال فبينما هم في الحبس بين طالع نحس وطرد وعكس وقف للضحاك امرأة وضيه واستغاثت به في هذه القضيه فادناها وسأل مادهاها فقالت ثلاثة أنفار من دار لاصبر لي عنهم ولا قرار وحاشى عدل السلطان أن يرضى بهذا العدوان ولدي كبدي وأخي عضدي وزوجي معتمدي وكل مسجون يسقى كاس المنون فرق لها الضحاك وقال لا يعمهم الهلاك فاذهبي بامغاثة واختاري واحدا من الثلاثة وجهزها الى الحبس ليقع اختيارها على من يدفع اللبس فتصدى لها الزوج ورجى الخلاص من ذلك البوج فتذكرت مامضى من عيشها معه وانقضى واستحضرت طيب اللذات والاوقات المستلذات فأنت اليه ومالت عليه فتحركت الانفس الانسانية والشهوة الحيوانية فهمت بطلبه وتعلقت بسببه فوقع بصرها على ولدها فلذة كبدها فرأت صباحة خده ورشاقة قده فتذكرت طفوليته وصباه وتربيتها اياه وحمله وارضاعه وتناغيه وأوضاعه فعطفت عليه جوارحها ومالت اليه جوانحها فقصدت أن تختاره وتريح أفكاره فلمحت أخاها باكيا مطرقا عانيا قد أيس من نفسه وتيقن الاقامة بحبسه لانه يعلم انها لاتترك زوجها وابنها ولا تختاره عليهما ولا تميل الا اليهما فافكرت طويلا واستعملت الرأي الصائب دليلا ثم أداها الفكر الدقيق وأرشدها التوفيق وقالت أختار أخي الشقيق فبلغ الضحاك ماكان من أمرها واختيارها لاخيها بفكرها فدعاها وسألها عن سبب اختيارها أخاها وقال ان أتيت بجواب صواب وهبتها اياهم مع زيادة الثواب وان لم تأت بفائدة قاطعة وعائدة في الجواب نافعة كانت في قتلهم الرابعة فقالت اعلم واسلم أني ذكرت زوجي وطيب عشرته وأوقات معانقته ولذته وما مضى معه من حسن العيش وانقضى من خفة الاحلام والطيش فملت اليه وعولت في الطلب عليه ثم أبصرت ابني فتذكرت مقامه في بطني ومامضى لي عليه من عاطفه وشفقة عامة في الايام السالفة فهيمني حبه القديم وشكله القويم فملت الى اختياره وخلاصه من بواره ثم لمحت أخي المتقدم عليهما فقسمت مقامه بالنظر اليهما فقلت اني امرأة مرغوبة قينة عاقلة مطلوبة ان راح زوجي فمنه بدل وان حصل الزوج وجد الولد وحصل فتم الغرض ووجد عنهما العوض وأما الاخ الشقيق فما عنه عوض في التحقيق لان أبوينا ماتا وفاتا وصار تحت الارض رفاتا فهذا الذي أدى اليه افتكاري ووقع عليه اختياري وأنشده لسان الحال فيما قال (شعر)

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

قال فاستحسن الضحاك هذا الكلام ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام (قال الحكيم) وانما أوردت هذا المثل لمولانا الملك الاجل وعرضته على الحضار ومسامع النظار ليعلم أن لي

ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ما قصد له فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة ان يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فانه لايزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا يملكون عليهم رجلا من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الاسكندر فلما استوثق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ماهو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر امرهم واساء السيرة فيهم وكان لايرتقي حاله الا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع في الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وماهو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلامذته وقال أتعلمون ما اريد ان اشاوركم فيه اعلموا اني أطلت الفكرة في دبشليم وماهو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية ونحن ما نروض انفسنا لمثل هذه الامور اذا ظهرت من الملوك الا لنردهم الى فعل الخير ولزوم العدل

عن كل شئ بدلا وأما عن مولانا السلطان فلا كما قال من أجاد فى المقال

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وليس لى عوض الا فى بقاء ذاتك المحروسة ودوام حياتك العزيزة المأنوسة ثم انى أخاف والعياذ بالله تعالى أن هذه الفتن التى قد أقبلت والحركات الداهية التى وجوه الخلاص منها قد أشكلت تستأصل شأفة اسلافنا الكرام وتقرض شرف اجدادنا الملوك العظام فاخترت العزلة لذلك فانه أسلم الطرق والمسالك (قال الملك) لقد صدقت اذ نطقت وتحريت الصواب فى الخطاب وأنا اتحقق حسن نيتك وخلوص طويتك وحسن وفائك وين آرائك فانك اخ شفيق وصدوق صديق ولكن تعلم ان هذا الوزير رجل خطير ورأيه مستنير وفضله غزير وهو من اصل كبير وله علينا حق كثير واريد ان يقع ما عزمت عليه وفوضت فكرك المصيب اليه مع محاورته ومناظرته ومشاورته فان كلا منكما ناصح مشفق وحكيم مدقق وعالم محقق وفى مثل هذه الاشياء اذا اتفقت الآراء وطال النفس تكاشف نور القبس وسعد البخت وتمكن التخت وصح الحق ووضح الصدق لاسيما اذا كان الكلام بين عالمين والسؤال والجواب من فاضلين كاملين (قال الحكيم) ايها الملك العظيم اذا قام الانسان فى صدد المعارضة وتصدى فى البحث الى المعاكسة والمناقضة لاسيما ان كان من أهل الفصاحة واللسن وساعده فى ذلك الادراك الحسن لا يعجز ان يقابل الايجاب بالسلب والاستقامة بالقلب والعكس بالطرد والقبول بالرد ويكفى فى جواب المتكلم اذا اورد مسئلة لا نسلم وقد قيل فى الاقاويل لا تنفع الشفاعة بالالحاح ولا النصيحة بالاحتجاج اما انا فقد بذلت جهدى واديت فى النصيحة ما عندى وكشفت عن مخدرات التحقيق استار السبك وكررت على محك التصديق آثار الحك فان وعيتم كلامى بسمع حى فقد تبين الرشد من الغى وان اعرضتم عن عين اليقين فلا اكراه فى الدين فتصدى الوزير للكلام وحسر عن ثغر بيانه اللثام وبرز فى ملابس الملاينة والخداع وسلك بخبث الطباع طرق الملاطفة والاصطناع ودس السم فى الشهد ونزل من اليفاع الى الوهد وقال الحمد لله الكريم الذى من على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم الفاضل الحليم الكامل العليم الناظر فى العواقب ذى الرأى المصيب والفكر الثاقب فلقد بالغ فى النصيحة بعباراته الصحيحة واشاراته المليحة وكل شئ ابداه الى المسامع وانهاه هو الذى يرتضيه العقل ويرضيه العدل ويقبله الطبع القويم اذ هو المنهج المستقيم يترتب عليه الذكر الجميل ويحصل به الثواب الجزيل لكن الذى نعرفه فى حفظ الرياسة واقامة ناموس السياسة هو الذى عليه القوم فى هذا اليوم وجرت عليه عادات الاكابر وانخرط فى سلكه الاصاغر فان الزمان فسد والفضل فيه كسد وزاد فيه الحقد والحسد وتشرب المكر والاذى الروح والجسد وكل فى الروغان ثعلب وفى العدوان أسد وصار هذا مقتضى الحال والمحمود من الخصال والمطلوب من الرجال والناس يدورون بزمانهم بقدر مكانهم وامكانهم وقد قيل الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم وبعض السياسات عند أهل الرياسات يقتضى العقوبة بالتغريم وأخذ المال بالترسيم ولولا عفو الملك عن المجرم ما طمع كل مؤذ ومجرم ومن الحماقة والبله معاقبة من لا ذنب له فان وضع الاشياء فى محلها وذمام الامور والمناصب فى يد أهلها هو أحد قوانين الشرع والسياسة ومقتضى العقل والكياسة والعدل والرياسة والعقل والفراسة والعضل والنفاسة وناهيك أيها الحكيم الفاضل قول القائل

ومتى اغفلنا ذلك واهملناه لزم وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات الينا اذا كنا فى انفس الجهال اجهل منهم وفى العيون عندهم اقل منهم وليس الرأى عندى الجلو عن الوطن ولا يسعنا فى حكمتنا ابقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مجاهدته بغير استقنا ولو ذهبنا الى أن نستعين بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته وان احس منا بمخالفته وانكارنا سوء سيرته لكان فى ذلك بوارنا وقد تعلمون ان مجاورة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغرر بالنفس وان الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر هو ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسه موارد المهلكات ومصادر المخوفات عد من الحمير التى لا نفس لها لان الحيوانات البهيمية قد خصت فى طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى به المكروه وذلك اننا لم نرها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها وانها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها التى ركبت فيها شحا بأنفسها وصيانة لها الى النفور والتباعد عنه وقد جمعتكم لهذا الامر لانكم أسرتى ومكان سرى وموضع معرفتى وبكم أعتضد وعليكم اعتمد فان الوحيد فى نفسه والمنفرد

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات الملك أتابك اردشير بن بابك رب اراقة دم تمنع من اراقة دم وفى أمثال العرب القتل انفى للقتل وقيل

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة ﴿وناهيك باذا القدر الخطير قصة قابوس بن وشمكير﴾ قال الحكيم للوزير اخبرنى أيها الدستور الكبير بكيفية ما أنت اليه مشير قال الوزير ذكر ان قابوس بن وشمكير ذلك الاسد المبير قبض عليه جماعة كانوا جبذوا أيديهم من الطاعه من اركان دولته وشبان صولته ثم قيدوه وحبسوه وأقاموا ولده مقامه وأجلسوه ثم انهم لم يأمنوا غوائله وأفكاره الصائله فتآمروا أن يسفكوه ويعمدوا الى دمه فيسفكوه فأرسلوا اليه قاتلا فوثب اليه سائلا وقال له ما سبب قتلى وما بالهم من أجلى مع كثرة احسانى اليهم واسبال ذيل اكرامى وانعامى عليهم وتربيتى اياهم كالاولاد وفلذ الاكباد وصونى اياهم عمن آذاهم فقال كثرة اراقة الدماء هاجت عليك الغرماء واكثرت لك الخصماء لما تغيرت خواطرهم عليك خافوا وقبل أن تحيف عليهم حافوا فقال قابوس والله ما سبب هذا النكد والبوس واثارة هؤلاء الخصماء الا قلة اراقتى للدماء يعنى لو أراق دماء القائمين عليه لما وصل هذا المكروه اليه فلما أبقى عليهم افنوه وحين ترك اذاهم آذوه وانما أوردت هذا التنظير ليقف خاطرك الخطير ان امور الرياسه وقواعد السياسه كانت تقتضى السفك واحرى بالعفو والترك واما الآن فذلك الحكم قد انفسخ والفساد فى قلوب العباد رسخ وقد قيل

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب

ومزاج الزمان قد تغير والمعروف منه قد تنكر وقد اعرضوا عن طاعة السلطان واتبعوا مخادعة الشيطان وكل منهم قد شرخ وباض الشيطان فى دماغه وفرخ وتصور خيالاته الفاسده ومحالاته الكاسده انه بما يكيد يبلغ ما يريد وهيهات وشتان

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما شعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى وألبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا وجعلهم بأموره قائمين وبعين عنايته ملحوظين وكما ان الرسل والانبياء والسادة الاعلام الاصفياء هم صفوة الله من خليقته ومختاروه من خير بريته من غير كد ولا جهد ولا سعى منهم ولا جد ما برطلوا على النبوة والرسالة ولا ارشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة انما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته والله اعلم حيث يجعل رسالاته كذلك الملوك والسلاطين والقائمون باقامة شعائر الدين هم ممن اختاره الله على خلقه وأجرى على يديهم بحار كرمه ورزقه والسلطان ظل الله فى ارضه يجرى من عباده شريعة نفله وفرضه قال من له الخلق والامر اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر وقد غفل اهل هذه الممالك عن السلوك فى هذه المسالك وعن درك هذه الحقائق واعرضوا عن الدخول فى احسن الطرائق وهى طريق المجاملة والصفح والمكارمة وعدوا المكر من احسن الرياسة والعقل والكياسة والتحيل لاكل أموال الناس من الذكاء ومظالم العباد من خلال الصدق والوفاء وتملقهم للملوك والسلاطين

برأيه حيث كان فيه وضائع ولا ناصر له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود * والمثل فى ذلك ان قنبرة اتخذت أدحية وباضت فيها على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها فلما نظرت مساءها علمت ان الذى نالها من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على راسه باكية ثم قالت ايها الملك لم هشمت بيضى وقتلت فراخى وانا فى جوارك أفعلت هذا استصغارا منك لامرى واحتقارا لشأنى قال هو الذى حملنى على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى ان نبلغ منه ونحن طيور فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن ان تسرن معى اليه فتفقؤا عينيه فانى احتال له بعد ذلك بحيلة أخرى فأجابوها الى ذلك وذهبوا الى الفيل فلم يزالوا ينقروا عينيه حتى ذهبوا بهما وبقى لا يهتدى الى طريق مطعمه ومشربه الا ما يقممه من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما حيلتنا نحن فى عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن أن تسرن معى الى وهدة قريبة منه فتنقوا فيها وتضجوا فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك فى الماء فيهوى فيها فأجابوها الى ذلك واجتمعوا فى الوهدة فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش

من أسباب الوصول الى الاغراض مع تحسين الظواهر وفى البواطن أمراض فظواهرهم ظواهر الانس تشتمل على المودة والانس ومافيهم تحت الثياب الاكلاب وذئاب ولاجل هذا اسلطنا الله عليهم ومد يد بطشنا اليهم نعاملهم بالفراسة ونعمل بما تقتضيه الكياسة وتصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة قال الحكيم حسيب بعدما أدرك مافى هذا الكلام من فكر غير مصيب اعلم أيها الوزير النافع الناصح والدستور الشفيق المصالح أن الرعية بمنزلة السرج والملك بمنزلة الشمس فى البرج واذا تلألأ على صفحات الاكوان وأنار فى وجه الزمان والمكان أشعة نور الشمس الوهاج فأى شعاع ووجود يبقى للسراج وان أنوار قلوب الرعايا ومايحصل لها من اشراق ومزايا انما هى من فيض أشعة ملوكهم وان الرعية تتبع الملوك فى سلوكهم فاذا صفت مرآة قلب السلطان أشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان بل الزمان والمكان تابعان لما يضمره وينويه السلطان وقد قيل اذا تغير السلطان تغير الزمان (وهل أتاك أيها الدستور واقعة الرئيس مع بهرام جور) قال الوزير أخبرنا ياباقعة كيف كانت تلك الواقعة قال الحكيم أخبرنى شيخ عليم بالفضل مشهور أن بهرام جور وكان ذا أيد عزم على الصيد فخرج فى عسكر جرار واستوى فى الصحارى والقفار وبينماهم قد تفرقوا فيها شعر الا وقد حركت يد الشمال غربال المطر ثم تراكم من السحاب على وجه عروس السماء النقاب وانهل الغمام المدرار وصارت الدنيا جنات تجرى من تحتها الانهار وأقبلت سوابق السيول تجرى فى مضمارها الخيول فتشتت العساكر وتشوشت الخواطر فقصد بهرام جور كفرا من الكفور وطلب القرى من تلك القرى منفردا عن عسكره مخفيا من خبره فنزل بيت الرئيس وهو رجل خسيس فلم يقم من حقه بالواجب لانه لم يعلم ذلك الراكب فتشوش خاطره وتكدرت ضمائره وتغيرت عليهم نيته وان لم تتغير بشريته فلما أقبل الليل جاء الراعى وهو يدعو بالويل ويشكو كثرة المحن من قلة اللبن وذكر أن المواشى لم تدر ضرعا مع أن رعيتها كانت أحسن مرعى ولا وقف لذلك على سبب ولادرى كيف حال حالها وانقلب وكان للرئيس بنت تخجل الاقمار بخدها وتقصف الاغصان على قدها فلما سمعت كلام الراعى قالت والله أنا أعرف السبب والداعى وهو أن السلطان الذى نيته حفظ أوطاننا تغيرت نيته علينا وتقدم ضميره بالسوء الينا فظهر النقص فى ماشيتنا وسيتعدى ذلك الى أنفسنا وحاشيتنا وقد قيل اذا هم الحاكم بالجور على الرعايا أدخل الله النقص فى أموالهم حتى الزروع والضروع قال أبوها فاذا كان الامر كذلك فلا مقام لنا فى هذه الممالك فالاولى ان نتحول عن هذا المكان الى مقام لا يضمر فيه سوأ لرعيته السلطان ونستريح فى ظل حاكمه ونرعى فى مسارح مكارمه كل هذا وبهرام يصغى الى هذا الكلام فقالت البنت ان كان ولابد من الانتقال واقتعاد مطية الارتحال فما نصنع بهذه الاثقال والازواد الثقال نقدم لهذا الضيف منها يحصل التخفيف عنا ويقع بذلك فائدتان احداهما حسن المضيف وثانيتهما التخفيف فامتثل أبوها أمر بنته ونقل الى الضيف ما حواه بيته من طعام وشراب ونقل وكباب وبسط بساط النشاط وأخذ فى دواعى الانبساط وانتقلا من المحاشمة الى المكالمة والمنادمة وعمل بموجب ماقيل

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فلما هجم جيش السكر وهزم جند العقل والفكر تذكر بهرام مجالسته ومؤانسته فيها ومحادثته ومافيها من مغازلة الغزلان وأصوات الاغانى والقيان فأبانت حشمة السلطنة

فأقبل حتى وقع فى الوهدة فانحطم فيها وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغى المغتر بقوته المحتقر لامرى كيف رأيت عظم حيلتى مع صغر جثتى عند عظم جثتك وصغر همتك فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأى قالوا باجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير أننا نعلم أن السباحة فى الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه لمن دخل عليه فى موضعه والذى يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب للحية ومن دخل على الاسد فى غابته لم يأمن وثبته وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته وانا نخاف عليك من سورته ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير مايحب فقال الحكيم بيدبا لعمرى لقد قلتم فأحسنتم لكن ذا الرأى الحازم لايدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه فى المنزلة والرأى الفرد لايكتفى به فى الخاصة ولاينتفع به فى العامة وقد صحت عزيمتى على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبين لى نصيحتكم والاشفاق على وعليكم غير أنى قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثى عند الملك ومجاوبتى اياه فاذا اتصل بكم خروجى من عنده فاجتمعوا الى وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة (ثم) ان بيدبا اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت ألقى

عن مضمرها وتفوه بشئ لم يوح بخبرها وشاقت نفسه الى معتادها فأعرب شطحها عن مرادها وقال للرئيس أيها النديم الكيس لو كان لنا من يطربنا بصوته ويبهجنا بصورته ولو أنها وصيفة أو ذو صورة لطيفة ولا نطلب زيادة عن النظر وحسن المفاكهة والسمر والمنادمة الى السحر لزالت وحشة الاغتراب ودهشة حدة الشراب فانه قيل الشراب بغير نغم غم وبغير دسم سم وان مذهبنا ما قيل

أتأذنون لصب في زيارتكم * فانكم في محل السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فنهض الرئيس وترك مذهبه الخسيس واستعمل المروة وسلك سبيل الفتوة وأنشد يقول

وكل قيادة لأخ وخل * بلا جعل فتلك من المروءة

وأخطر البال ما نظمه الشاعر وقال

يا ناظم الشعر في مقام فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا
ألف هذا حروفه سمعت * همة هذا فألف الحرفا

ومن مذهب المجوس اباحة فرج العروس فدخل في بيته وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لابنته وقال أي ربيبة الحسن والاحسان أظن أن ضيفنا من أكابر الاعيان ومقره في حضر السلطان وقد التمس مني ما يزيد سروره ويفيد حضوره حبوره ويلهيه بمفاكهته وحسن منادمته وما عندنا من يصلح لذلك أي مادة السرور سواك وأنا أعرف بعفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومفاكهتك وصيانة رأيك ورزانة عقلك وذكائك فان رأيت أن تمتعيه بالنظر الى جمالك وتفتنيه بغنجك ودلالك ولو بلحظة أو بلفظة ثم تعودي الى كناسك بين أهلك وناسك فقالت الامر منك واليك وما أريد أن أشق عليك وليس في ذلك عار ولا في خدمة الضيف واكرامه شنار فأجابت أباها وكان ذلك عن رضاها بل جل قصدها ومناها فأقبلت الى خدمة الضيف ولعبت معه من لحاظها وقدها بالرمح والسيف الى ان صادته بلحظها المكسور فأمسى قلبه وهو في يدها مأسور وكان قد خرج للصيد فصيد وصار مع سلطانه لها من جملة العبيد ثم انه أنشد يقول

أرى ماء وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ثم قرر في ضميره انه اذا وصل الى سريره يطلب هذا الرئيس ويصاهره ويقطعه هذه القرية ويباشره ويجعل بنته خونده ويسلم الى أبيها جنده فاستتم هذا الخاطر الخطير حتى جاءهم الراعي المستجير وقال ان الغنم التي ما بضت بقطرة ولا درت درة قد امتلأت ضروعها القاحلة فها هي دارة حافلة قد صارت كالسيول على السابلة فلم يبق وعاء الا امتلأ وقد روي من الجيران الملأ وها هي تشخب وتسيل وفاضت فأروت الحقير والجليل وأغنت الجيران وكأنها غدران فقالت بنت الرئيس لله الحمد والتقديس الذي أصلح نية سلطاننا حتى استقررنا في أوطاننا وعاد علينا ما سلبناه ورجع الينا ما طلبناه فعجب بهرام جور من هذه الامور ولما أصبح الصباح وركب فرسه وراح استقر في ولايته الزاهرة وأمضى ما كان نواه من المصاهرة وأسبل عليه ذيل الانعام وزاده من الاكرام ما انتظم به أمره واستقام وانما أوردت هذا الخبر لتعلموا أن الزمان في المجيء والممر مطيع لما أضمر السلطان وما اظهر وما أحلاه في امر رعيته وما امر وقد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان واذا لم يكن الملك برعيته شفيقا ولا بارا ولا رفيقا ولم يتجاوز عن مسيئهم مثله فالدعاء لهم

عليه مسوحه وهي لباس البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب اذنه وارشد اليه وسلم عليه واعلمه وقال له اني رجل قصدت الملك في نصيحة فدخل الآذن على الملك في وقته وقال بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر ان معه للملك نصيحة فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت وفكر دبشليم في سكوته وقال ان هذا لم يقصدنا الا لأمرين اما ان يلتمس منا شيئا يصلح به حاله أو لامر لحقه فلم يكن له به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل في مملكتها فان للحكماء فضلا في حكمتها أعظم لان الحكماء اغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء الفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه ومن لم يستح من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن مواقف المهانة وينزههم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك فقلت ان الذي أسكته هيبة سورتنا أو حيرة ادركته وتأملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا ان يطرقنا على غير عادة الا لأمر حركه لذلك فانه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فان

مشغوفا بحبهم محسنا لمحسنهم قائما بحفظ ما منهم فالاولى بهم ان يهاجروا عن مملكته ويخرجوا عن اقاليم ولايته قال رب العالمين لنبيه وحبيبه سيد المرسلين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فينبغي للحاكم ان لا يؤاخذ احدا بجريرة أحد أبدا قال الله جل ذكرا ولا تزر وازرة وزر أخرى ولو طالب أحد بجريرة أحد ولحق البرىء بسبب المذنب عقوبة ونكد لفسدت المملكة وانتشرت المهلكة واضطربت الرعية وانخرمت القواعد العلية ولو فعل ذلك المتقدم من الملوك لهلك الصعلوك وانسد الطريق المسلوك وانخرمت القاعدة على الممالك والمملوك ولم يبق للتاجر شيء ولا على وجه الارض حي ويجب على من باشر عند الملوك أمرا من الامور او حكما على الجمهور ان يكون في دينه متينا وعلى الناس امينا سديد الفكر قويم النظر صدوق النطق ظاهر الصدق دائرا مع الحق يقظان مراقبا في خواتيم امره والعواقب عادلا بين الاخصام شفيقا على الخاص والعام ثابتا في النوازل معدودا في البوازل مشغولا بتهذيب نفسه متذكرا يومه في غده وامسه مميزا بالشمائل المرضية على ابناء جنسه واضعا الاشياء في محالها متفحصا بنفسه عن جلها وقلها مقيما كل احد في مقام لا يتعداه ومنصب معلوم لا يتخطاه حتى تستقيم بذلك امور المملكة وتصان من الوقوع في مهاوي التهلكة ويطمئن خاطر مخدومه ويركن اليه في منطوق قوله ومفهومه فيقبل قوله وفعله ويعرف فضله وفضله وكذلك يجب ان يكون الملك كريم الاعراق لطيف الاخلاق شريف الاعلاق وأن يكون في جميع احواله متمسكا بذيل افضاله مراعيا سيرة اجداده من الملوك سالكا طريقة الملوك من حسن السلوك لان من لا يشيد اركان اسلافه ولا يقوي بنيان اشرافه يصيبه مثل ما اصاب الذيب مع الجدي المغني المصيب فسأل الملك من اخيه ان يذكر ذلك المثل ويفهمه ❊ فقال بلغني يا مليك الارض انه كان في بعض الغياض لذئب وجار واهل وجار فخرج يوما لطلب الصيد ونصب لذلك شباك الكيد وصار يجول ويصول ولا يقع على محصول فأثر فيه الجوع واللغوب وآذنت الشمس بالغروب فصادف بعض الرعيان يسوق قطيعين من الضان وفيهما بعض جديان فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم ثم أدركه من خوف الراعي الوجوم لانه كان متيقظا وعلى ماشيته متحفظا فجعل يراقبه من بعيد والحرص والشره يزيد والراعي سائق والذئب عائق فتخلف جدي غبي غفل عنه الراعي الذكي فأدركه الذئب النشيط واقتطعه بأمل بسيط وبشر نفسه بالظفر وطار بالفرح واستبشر فلما رأى الجدي الذيب علم انه اصيب بيوم عصيب وظفر منه باوفر نصيب فتدارك نفسه بنفسه واستحضر حيلة جاشه وحدسه ومكره بما اضمره في نفسه وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا مغيث الخداع والحيلة واذكر الخاطر ما قال الشاعر

ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا ❊ به الخطب الا وهو بالقصد يبصر

فتقدم بجاش صليب وقبل الارض بين يدي الذيب وقال مخدومك الراعي لجنابك داعي يسلم عليك وقد ارسلني اليك يشكر صداقتك وشفقتك وحشمتك ومرافقتك ويقول قد تركت بحسن آدابك عادة اجدادك وآبائك فلم تتعرض لمواشيه وحفظت بنظرك حواشيه وقد حصل لضعافها الشبع وامست بجوارك آمنة من الجوع والفزع وحصل لها الامن من الجزع فالله يجعل جوارك وغياضك احسن مجتمع لان عجاف ماشيته شبعت ورويت واستنعشت وقويت فأراد مكافأتك وتطلب مصافاتك ومصادقتك فأرسلني اليك

يكن من ضيم ناله كنت اولى من أخذ بيده وسارع في تشريفه وتقدم في البلوغ الى مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من اعراض الدنيا أمرت بارضائه من ذلك فيما أحب وان يكن من أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك ان يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا اليه نظرت في قدر عقوبته على ان مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه في باب مسئلة الملوك وان كان شيأ من أمور الرعية يقصد فيه اني اصرف عنايتي اليهم نظرت ما هو فان الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وأنا قد فسحت لك في الكلام فلما سمع بيدبا ذلك من الملك افرخ عنه روعه وسري عنه ما كان وقع في نفسه من خوفه وكفر له وسجد ثم قام بين يديه وقال أول ما أقول أسأل الله تعالى بقاء الملك على الابد ودوام ملكه على الامد لانه قد منحني الملك في مقامي هذا محلا جعله شرفا لي على جميع من بعدي من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بداله منه وقال قد عطف الملك على بكرمه واحسانه والامر الذي دعاني الى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة لكلامه والاقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك اني لم اقصر عن غاية فيما يجب للولي على الحكماء فان فسح في كلامي ووعاه عني فهو حقيق بذلك وبما يراه وان هو ألقاه فقد بلغت ما يلزمني وخرجت من لوم يلحقني قال الملك يا بيدبا تكلم مهما شئت

لتأ كلنى وأوصانى أن أطربك بما أغنى فانى حسن الصوت فى الغناء وصوتى يزيد فى شهوة الغذاء فان اقتضى رأيك الاسعد غنيتك غناء ينسى أبا اسحق ومعبد وهو شئ لم يظفر به آباؤك ولا أجدادك ولا يناله أعقابك وأولادك يقوى كرمك وشهوتك وقرمك ويطيب مأكلك ويسنى مأملك وان صوتى للذيذ ألذ للجائع من جدى حنيذ بخبز سميذ وللعطشان من قدح نبيذ ورأيك أعلى وامتثالك أولى فقال الذئب لا بأس قد أجبت سؤالك فغن ما بدالك فرفع الجدى عقيرته ورأى فى الصياح خيرته وملأ الدنيا عياطا واعقبه ضراطا وانشد

وعصفور الهوى يهوى جراده * كما عشق الحروف أبا جعاده

فاهتز الذئب طربا وتمايل عجبا وقال أحسنت يا زين الغنم ولكن هذا الصوت من البم فارفع صوتك فى الزير فقد أخجلت البلابل والزرازير وزدنى يا مغنى قولى

أقر هذا الزمان عينى * بالجمع بين المنى وبينى

ولكن يا سيدى المغنى هذا من أوج الحسينى فاغتنم الجدى الفرصه وأزاح بعياطه الغصه وصرخ صرخة أخرى اذكره الطامة الكبرى ورفع الصوت كمن عاين الموت وخرج من دائرة الحجاز الى العراق وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق وقال

قفوا ثم انظروا حالى * أبو مذقة اكالى

فسمعه الراعى يشدو فأقبل بالمطراق يعدو فلم يشعر الذئب الذاهل وهو لحسن السماع غافل الا والراعى بالعصا على قفاه نازل فرأى الغنيمة فى النجاه وأخذ فى طريق النجاه وترك الجدى وأفلت ونجا من سيف الموت المصلت وصعد الى تل يتلفت بعد اذ تفلت فأقعى يأكل يديه ندامة ويخاطب نفسه بالملامة وقال أيها الغافل الذاهل والاحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان الغناء والاوزان وأى جدلك فانى وأب مفسد جانى كان لا يأكل الا بالاغانى وعلى صوت المثالث والمثانى فلولا انك ماعدلت عن طريقة آبائك مافاتك لذيذ غذائك ولا أمسيت جائعا تتلوى وبجمر فوات الفرصة تتكوى وبات يحرك ضرسه ونابه ويخاطب نفسه لما نابه ويقول

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

وانما أوردت هذا النظير لمولانا الملك والوزير ليعلم أن العدول عن طرائق الاصول ليس الا داعية الفضول ولا يساعده معقول ولا منقول وأموره ذميمة وعاقبته وخيمة وناهيك ماهو كالعلم ومن يشابه أبه فما ظلم ويؤخذ من مفهوم هذه الحكم أن من لم يشابه أبه فقد ظلم خصوصا الملوك والسلاطين الذين اختارهم رب العالمين وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكه من حركات الاختلال والاختلاف حركة ولله يا ذا الاحسان ماقيل فى شأن الملك أنوشروان

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل

نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبر والتأمل فى العواقب والتذكر ومن ترك التأمل والافتكار أصابه ما أصاب ابن آوى مع الحمار فقال الملك أفدنا أيها المختار كيفية هذه الاخبار (قال الحكيم) كان فى جوار بستان مأوى لابن آوى وكان ذلك البستان كأنه قطعة من الجنان غفل عنها رضوان كثير الفواكه والرطب خصوصا التين والعنب وكان ابن آوى يدخل البستان من مجرى الماء ويأكل الثمار كيفما أحب واختار وينصرف ذلك الخبيث ويأخذ فى الفساد ويعيث كأنه ذميم ترك الذمام أو لئيم من بنى اللئام فتضرر البستانى من اضرار

فانتى مصغ اليك ومقبل عليك وسامع منك حتى أستفرغ ما عندك الى آخره واجازيك على ذلك بما انت أهله قال بيدبا انى وجدت الامور التى اختص بها الانسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء وهى جماع ما فى العالم وهى الحكمة والعفة والعقل والعدل والعلم والادب والرؤية داخلة فى باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة فى باب العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة فى باب العفة والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة فى باب العدل وهذه هى المحاسن واضدادها هى المساوى فمتى كملت هذه فى واحد لم تخرجه الزيادة فى نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى نقص ولم يتأسف على مالم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما تجرى به المقادير فى ملكه ولم يدهش عند مكروه فالحكمة كنز لا يفنى على انفاق وذخيرة لا يضرب لها بالاملاق وحلة لا تخلق جدتها ولذة لا تصرم مدتها ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك امسكت عن ابتدائه بالكلام فان ذلك لم يكن منى الا لهيبته والاجلال له ولعمرى ان الملوك لاهل أن يهابوا لاسيما من هو فى المنزلة التى جل فيها الملك عن منازل الملوك قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامة وحكى أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للادب فقال أحدهم أفضل

ذلك الجاني وعجز عن صيده ودفع كيده فراقب دخوله ليختله ويغوله الى أن رآه يوما
دخل وفي البستان حصل وبأكل العنب اشتغل فبادر الى نقرة الماء فسدها وسد الطرق
التي أعدها ودخل الى الباغي وحصل ذلك الطاغي وحصره وأوهنه وضربه الى أن
أثخنه فذهبت قواه وشلت يداه ورجلاه فتصور أنه مات لما سكنت عنه الحركات
فاشحطه بذنبه ورماه وعلى العظام الرفات ألقاه فاستمر لا يفيق ملقى على الطريق الى أن
تراجعت اليه نفسه وقوي جاشه وحسه فتحرك وهو هشيم وتنفس وهو سقيم ثم تدحرج
الى منزله وقد أحاط به سوء عمله الى ان صح فهمه وقوي جسمه فافتكر فيما جرى من الجار
القديم عليه من العذاب الاليم فقال اذا كان جار العمر وقرين الدهر قصد دماري ولم
يرع لي حق جواري لاجل قوت فضل عن أقواته وأثبت أجره في ديوان حسناته وشد حتفي
على حلقي مسد الطنب ولم يعمل بقوله تعالى والجار الجنب بل لو رمق في بدني أدنى رمق
أو أقل حركة لما تركه فلا خير لي في جواره ولا قرب داره فان سلمت هذه المرة فما كل مرة
تسلم الجرة والاليق بالحال الترحال وطلب الرزق بالتوكل والرفق والذي شق الاشداق
تكفل لها بالارزاق وان اله الخلق لم يعذب بقطع الرزق ثم انه افتكر في جهة السفر
وأين يكون المستقر وكان لابيه الذميم ذئب وهو صاحب قديم ساكن في بعض الغياض
المجاورة للدوح والرياض فتوجه اليه وترامى عليه وتوسل بصحابة أبيه لديه وقال صداقة في
الآباء قرابة في الابناء وذكر له حاله وما جرى له وأن جاره خانه ولم يرع حقه ومكانه
فقصد أن يكون تحت ظله نازلا في محله ليفوز بمجالسته ويحظى بمؤانسته ويقضي باقي
عمره في خدمته ولا يفارق وفاءه حتى يحصل في حفرته فتلقاه بالقبول والاقبال والفضل
والافضال والبشر والبشاشه واليسر والهشاشه وبسط له فراشه وأزال قبضه وانكماشه
ودهشته واستيحاشه وألبسه رياشه وتذكر والده وجدد معاهده واسدى اليه من
احسانه ما أنساه ذكر أوطانه خصوصا جوار جاره وبستانه وأنشده بديها

فأهلا بمحبوب قديم وداده * ومهلا بابن قد كان والده أبي
تحكم على مالي وروحي ومسكني * وأهلي وأولادي وجاهي ومنصبي

ولم يكن عند الذئب ما يطعمه ضيفه ويشبع جوفه فاستعد للكياد وعزم على الاصطياد
فقال ابن آوى أين تريد وتتركني وأنا وحيد فقال أمنت خوفك فأريد ان اشبع جوفك
ومن المعلوم ان عدم الضيافة لوم فقال لا تتعب فأنا أذهب فلي صاحب حمار كأنه تيس
مستعار يصغي الى قولي ويعتمد على قوتي وحولي فاني اخدعه والى دارك أشيعه فأوثقه
حبالك وافعل معه ما بدا لك فصيره لنا طعاما فانه يكفينا أياما فاستصوب الذيب رأي
ذلك المريب وتوجه ذلك الغدار ليأتيه بالحمار وصعد تلا ينظره ويرتقب ما يكون خبره ولما
توجه ابن آوى لطلب الزبون انتهى في سيره الى طاحون واذا بحمار قد اوثقوه حبلا واوسعوه
ذلا وعلى ظهره حمل قد قصم ظهره وادمى دبره فطرحوا حمله واصلحوا جله وتركوه يسعى
وفي المرج يرعى فتقدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه واظهر له المحبة والوداد
وسأله عن اهله والاولاد فقال له اي اهل وولد وانا في هذا البوس والنكد ما بين حمل
ثقيل وجوع طويل وركوب وسخر ومصائب اخر هذا يركب وهذا يضرب وهذا يسحب
وهذا يحمل حمله وهذا ينخس بالمسله وهذا يحبس على الجوع والذله وهذا يقود بحبله وهذا
يردد بثقله وهذا يجود ولكن بكلام ثقيل فكأني في مشاقي كما قيل

خلة العلم السكوت وقال الثاني ان
من انفع الاشياء للانسان ان يعرف
قدر منزلته من عقله وقال الثالث
انفع الاشياء للانسان ان لا يتكلم
بما لا يعنيه وقال الرابع أروح الامور
على الانسان التسليم للقادر واجتمع
في بعض الزمان ملوك الاقاليم
من الصين والهند وفارس والروم
وقالوا ينبغي ان يتكلم كل واحد
منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر
قال ملك الصين أنا على ما لم أقل
أقدر مني على رد ما قلت قال ملك
الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة
فان كانت له لم تنفعه وان كانت
عليه أوبقته قال ملك فارس أنا
اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا
لم أتكلم بها ملكتها قال ملك الروم
ما ندمت على ما لم أتكلم به قط ولقد
ندمت على ما تكلمت به كثيرا
والسكوت عند الملوك أحسن من
الهذر الذي لا يرجع منه الى نفع
وأفضل ما استظل به الانسان
لسانه غير ان الملك أطال الله مدته
لما فسح لي في الكلام وأوسع لي فيه
كان أولى ما ابدأ به من الامور التي
هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له
دوني وان أختصه بالفائدة قبلي
على ان العقبى هي ما أقصد في كلامي
له وانما نفعه وشرفه راجع اليه
وأكون أنا قد قضيت فرضا وجب
علي فأقول أيها الملك انك في منازل
آبائك واجدادك من الجبابرة
الذين اسسوا الملك قبلك وشيدوه
دونك وبنوا القلاع والحصون
ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش
واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة
واستكثروا من السلاح والكراع

ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * واذا يشج فلا يرثى له احد

فتفجع ابن آوى وتوجع وحواق واسترجع والتهب واضطرم واظهر التحرق لما رآه من الالم واخذ يلومه على صحابة بنى آدم والمصابرة على ما الجئه الى الندم من ايذائهم وجفائهم وتحمل بلائهم وعدم وفائهم وقال له حتام هذا الذل والتطوق بهذا الغل وتحمل انواع الهوان من البعض والكل والام هذا العطش والجوع وعدم القرار والهجوع وارض الله واسعة الفضاء شاسعة الارجاء وحتام تذوب من اللغوب تحت هذا الحمل الثقيل والجور العريض الطويل فقال لو وجدت ملجأ او مسرح اومدخلا او مطرح اومغارات او منحج لوليت اليه وانا اجمح وتخلصت من هذا البلاء العظيم والشقاء الجسيم ولو رايت احدا شفيقا او مصافيا صديقا يهدى الى الخلاص طريقا لاستغنيت بآرائه ولاستشفيت الدائى بدوائه قال ابن آوى يا اكمه انى اعرف بالقرب اجمه ازهارها فائحه وانوارها لائحه وانهارها بالصفاء غادية وروائحه غياضها ناضرة ورياضها خضرة ورباها حصينة وذراها أمينة وانا ساكن فيها آمن فى ضواحيها ونواحيها فان اقتضى رأيك ذهبت بك اليها لتقف عليها فان اعجبتك سكنتها ووقيت النوائب وأمنتها فانها بمعزل عن السباع الجواسر والضباع الكواسر والجوارح النواسر لا يطرقها انسان ولا يدخلها حيوان وسترى من خير جار وحسن الجوار وستحمد عاقبة مقالى وما تراه من افعالى وتخلص من جفاء بنى آدم وتبقى فى نعيم منعم وتعيش معنا فى عيش رغيد وعمر هنىء سعيد وتحصل المؤانسة وعين المعاشرة والمجالسة واما انا فلا اجد رفيقا مثلك وليس لى الى صديق غيرك مسلك فلما سمع الحمار هذا الحوار رغب فى الخلاص من الاقتناص والبلاء الذى هو فيه والشقاء الذى يؤلمه ويؤذيه فسلم قياده الى ابن آوى وقال سرع بنا الى ما ذكرت من ماوى قبلا يرانا رصد او يشعر بنا احد ثم اعجلا فى السير واشبها فى سيرهما الطير فتقدم الحمار سابقا واعيا ابن آوى لاحقا فخدع وغالط وخلط وبالط ونادى الحمار الى ان كنت تعبت فاركب على فقال الحمار بل انت اركب ولا تتعب فطفر ابن آوى على الحمار وصار لا يقر له قرار وابن آوى يهديه الطريق وهو فى نهيق وشهيق فلما قربا من الاجمه فتح عينه ذلك الاكمه ورفع آذانه وبصره فرأى الذئب قاعدا منتظره فعرف ان تلك مكيده نصبها ابن آوى لصيده فقال

تأتى الخطوب وانت عنها نائم * ثم استحضر عقله المفقود واستعمل عقله الموجود وعرف انه غفل عن نفسه وقد سعى برجليه الى رمسه وانتقل من المرض الذى هرب منه الى نكسه ومن خموله وذله الى تعسه ونكسه فتردد متفكرا وانام متحيرا متحيرا فقال له ابن آوى ما لك اسرع فقد احسن الله حالك وامن فكرك وانعش بالك وجعل الى عاقبة الخير مآلك لئلا يدركنا احد او يلحقنا ضرر ونكد فقال الحمار يا أخى شاهدت قدود اغصان رشيقه ونشقت روائح ريحان عبقه وسمعت خرير الانهار واصوات البلابل والهزار فندمت حيث لم اقطع علائقى واودع جارى ومرافقى وابت ما لى من التعلقات واجىء وما ورائى التفات وانا ان ولجت هذه الغيضه ورعيت مروج هذه الروضه ورايت ما فيها من المنتزهات الهتنى عما لى من تعلقات فتضيع اذ ذاك مصلحتى وتذهب عند جيرانى ودائعى وذخيرتى ولا اقدر على مفارقة هذا المقام النزه ومجاورة مثلك ايها الجار الفكه وقد عزمت على الرجوع لاصحب ما لى من مال واثاث مجموع واجىء وقلبى مطمئن وخاطرى عن الالتفات مستكن قال ابن آوى

وعاشوا الدهر فى الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر ولا قطعهم عن ارتكاب الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة الاقتدار وانك ايها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التى كانت عدتهم ووقفت فيها خوات من الملك وورثت من الاموال والجنود فلم تقم فى ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية واسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان الاولى والاشبه بك ان تسلك سبيل اسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما ابقوه لك وتقلع عما عاره لازم لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذى يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون ذلك ابقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فان الجاهل المغتر من استعمل فى أموره البطر والامنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق فانظر ايها الملك ما القيت اليك ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازينى به ولا التماس معروف تكافينى فيه ولكنى أتيتك ناصحا مشفقا عليك فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته ارعب قلب الملك فاغلظ له فى الجواب استصغارا لامره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت اظن ان احدا من أهل

اترك مالك ولا تؤخروا وقت السرور وساعات الفراغ والحبور وما خلفته فهو لك وتلافيه أمر مستدرك ولا بأس ان تدخل هذا المكان وتدور في هذا البستان وتتعاهده ولو مره وتشاهده ولو نظره ثم تعود وتفعل ما تريد وبالجملة فتأخير أوقات السرور غير محمود ولا مشكور فقال الحمار الامر كذلك وقاك الله شر المهالك ولكن أقوى الدواعي في هذه القضية والحامل على الرجوع وان كان بليه وصية من أبي كانت عندي خفيه كنت أعمل بها وأمشي في دربها ولا أفارقها في نومي ولا يقظتي وكنت جعلتها حرزا أعلقه في رقبتي واذا لم تكن معي في مسيري ومضجعي لا يقر لي قرار ولا يأخذني اصطبار ويعتريني شبه الاوهام وأرى خيالات فاسده في المنام وتغلب على دماغي فنون السوداء ولا أجد منها دواء لذلك الداء وفيها وصايا نفيسة لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسه فاذا حصلت على تلك الوصية المعينه فقضية ما سواها هينه ثم أولى راجعا لا سامعا لابن آوى ولا طائعا فافتكر ابن آوى انه اذا ترك الحمار وحده فوته قصده وخيب الله كده وأبطل حيله وجهده فرأى لنفسه المنفعه أن يرجع معه فربما ينجع سعيه ويسلب من الحمار وعيه فقال يا أخي شوقتني بهذه القضيه الى الاطلاع على تلك الوصية لاستفيد منها وآخذ حظي من الفضل عنها فلا بد من مصاحبتك والذهاب معك ومرافقتك فقال الحمار لا دافع ولا مشاقق ولا مانع أن تكون لي مرافق فقال ابن آوى فهل في حفظك منها شئ فان كان فألقه الي لنتذاكر في الطريق ولا يؤثر فينا التعب والضيق فقال نصيحة واحدة هي بصدقي شاهده وهي كلمة مجملة فوائدها فيها مجملة وهي ان أبي قال لي اياك ان تفارق هذه الوصيه فان فارقتها وقعت في بليه وسأخبرك بسائرها في المسير اذا تذكرت أيها البصير ثم سار قليلا وأفكر طويلا وقال وهذه أخرى منها ذكري وارتضاها فكري وهي اذا وقعت في شدة ورمت الخلاص منها عده فتصور أصعب منها يحصل لك التفصي عنها وتهن عليك وتعدها نعمة اسديت اليك فتشتغل بشكرها وتستأنس بذكرها فقال ابن آوى احسنت يا حمار وهذا مقام الاخيار والصالحين الابرار ثم سار سيرة رائثه وقال والله هذه نصيحة ثالثه فقال قل واسلم وطل فقال لا تحسب أن الصديق الجاهل خير من العدو العاقل فان علم العدو العاقل خير لك من جهل الصديق الجاهل فقال ابن آوى ما احلى كلامك واعلى في اللطف مقامك وانزه منادمتك وافكه مكالمتك بالله شنف المسامع فاني لك بقلبي وجوارحي سامع فقال مهلا حتى اتذكرها واتصورها كما ينبغي واتفكرها وانتهى امر ابن آوى على تعبه وساقه القضاء الى رمسه فوصل الى الضيعه وقد وقع ابن آوى في ضيعه فالح على الحمار فقال اخبرني فما بقي لي اصطبار فقال قال لي أبي بكلام فصيح عربي لا تجعل مقامك ومقيلك بمكان يكون فيه ابن آوى دليلك والذئب فيه جارك وخليلك وان جعلت لك في مثل هذا المكان ساحه فانوي يكون لك فيه من الراحه وان اردت ان تخلص من هذا المكان فانصب الآذان وارفع ذكر الله بالاذان فانه ينجيك من الضيق ثم رفع عقيرته بالنهيق فسمعه معارفه من الكلاب فسارت اليه مستبشرة بحسن الاياب وسارعت اليه واجتمعت حواليه فاستشعر ابن آوى الاوهام وتورط في البلوى فطفر للهرب فادركه من الكلاب الطلب فاحتوشته وانتوشته واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا اثرا وذهب دمه في تدبيره هدرا وانما اوردت هذا المثال وعرضته على الرأي العال ليعلم ان الاغترار بالكلام محال والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من

مما لكني يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شأنك وضعف متنك وعجز قوتك ولقد أكثرت اعجابي من اقدامك علي وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك وما أجد شيأ في تأديب غيرك ابلغ من التنكيل بك فذلك عبرة وموعظة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك اذا أوسعوا لهم في مجالسهم ثم أمر به ان يقتل ويصلب فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما أمر به فاحجم عنه ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حبس أنفذ في طلب تلامذته ومن كان يجتمع اليه فهربوا في البلاد واعتصموا بجزائر البحار فمكث بيدبا في محبسه اياما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالي سهر الملك سهرا شديدا فطال سهره ومد الى الفلك بصره وتفكر في تفلك الفلك وحركات الكواكب فأغرق الفكر فيه فسلك به الى استنباط شئ عرض له من أمور الفلك والمسئلة عنه فذكر عند ذلك بيدبا وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء بصاحبه مقتا والبخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده والكذب فانه ليس لاحد أن يجاوره وعدم الرفق في المحاورة فان السفه ليس من شأنها واني

الفاظها الى معانيها وتأمل فى مآل مقاصدها وغاويها والاعتماد على القضايا المزخرفة والركون الى الامور المستفسفة لايفيد سوى الندم وزلة القدم والاصل فى الولايات والمناصب التفكر فى الخواتيم والتأمل فى العواقب والافليس فى ذلك سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك وقلت شعرا

وأسعد من يكسى الولاية من اذا * نضا ثوبها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام الى هذا المقام ورأى الوزير برأيه المنير ما فى هذه الفصول من الفضل دون الفضول اعترف للملك حسيب بالفضل الحسيب والرأى المصيب وحسن النصيحة والبيان وصحة الدليل والبرهان فأذعن للحق وأناب الى الصدق وقال لقد أتيت النصيحة من بابها وأوصلتها الى طلابها وكل كلام قررته وبيان حررته انماه وشكر أحرزته وطريق سداد بينتها وسبيل رشاد أوضحتها وباب صواب فتحته وميزان احسان ارجحته وعلى كل عاقل ومستمع وناقل أن يقتدى بهذه النصائح ويوصلها الى السائح والسابح ويغنم فوائدها وعوائدها وموائدها ويعمل بموجبها ولا يخرج عن مذهبها ثم ان الملك لما أصغى الى هذا الفصل وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل أفرغ على أخيه وأهله وذويه لباس الانعام ووفاه مزيد الاكرام وقال لقد دققت أيها الاخ الشقيق فى تدقيق النصح بالتحقيق وحللت المشكل وجلوت الطريق وأديت حق الفتوة وواجب المروأة وشرائط الاخوة والآن قد حكمناك فى ولايتنا ووليناك على حكامنا وقضاتنا وبسطنا يدك فى الاقاليم وأطلقنا لسانك فى التعليم فتحكم فى الرؤس والاطراف واحكم فى الآفاق والاكناف واشرع فيما أنت بصدده ولا تتقيد بالمخالف ولدده وكن منشرح الصدر قوى الظهر قرير العين مبسوط اليدين مبارك الطلعة حسن السيرة صبيح الوجه طيب القلب والسريره طويل العضد والساعد محمودا عند الغائب والشاهد خلى البال هنى الحال فانك من بطن كريم وتخذ على الطاعة مستقيم وفى الفضائل ذو قدم وصدق وفى الصناعة ذو صنع وحذق فلا تتوان فيما عزمت عليه وقصدت اليه من النصائح الملوكيه والفصول العلمية والعمليه وأتحفنا بتلك الحكم السنية والخصال البهية والشمائل المرضية فانها لذة الاشباح وغذاء الارواح والطراز المذهب على خلع المساء والصباح فنهض الحكيم من مجثمه وقبل ثغر الارض بثغر جبينه وفمه وامتثل المراسيم الشريفه واشتغل بتأليف هذه الحكم الظريفه وترتيبها بالعبارات اللطيفه واستطرد فى تأليف هذه الحكم من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله على كرمه الاتم واحسانه الاعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى﴾

﴿فى وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم﴾

﴿وقال الراوى﴾ حسان معدن الظرافة والاحسان فتوجه الحكيم حسيب الاديب الاريب الى ايراد الاخبار عن الهداة الاخيار فحكى أن ملكا من ملوك الامصار وسلاطين العجم يدعى شهريار كان من العجم وكان فى الحكم والجود واللطف والكرم أمة من الامم ملكه عظيم وفضله جسيم ولايته فى أحسن اقليم حسن السياسه وافر الكياسه ثناؤه عاطر وعطاؤه ماطر ووابل الحشمة من سحائب هيبته قاطر وله من الاولاد وفلذ الاكباد ستة

آتى الى رجل نصح لى ولم يكن بلاغا فعاملته بضد ما يستحق وكافأته بخلاف ما يوجب وما كان هذا جزاءه منى بل كان الواجب ان اسمع كلامه وأنقاد لما يشير به ثم أنفذ فى ساعته من يأتيه به فلما مثل بين يديه قال له يا بيدبا ألست الذى قصدت الى تقصير همتى وعجزت رأيى فى سيرتى بما تكلمت به آنفا قال له بيدبا أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما أتيتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك قال له الملك يا بيدبا أعد على كلامك كله ولا تدع منه حرفا الا جئت به فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما سمع منه شيئا ينكت الارض بشئ كان فى يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له يا بيدبا انى قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبى وأنا ناظر فى الذى اشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول فقال بيدبا يا أيها الملك ان فى دون ما كلمتك به نهاية لمثلك قال صدقت ايها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسى هذا الى جميع أقاصى مملكتى فقال له ايها الملك اعفنى عن هذا الامر فانى غير مضطلع بتقويمه الا بك فأعفاه عن ذلك فلما انصرف علم ان الذى فعله ليس برأى فبعث فرده وقال انى فكرت فى اعفائك فيما عرضته عليك فوجدته لا يقوم الا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفنى فيه فأجابه

رجال الى المجد والكرم مجال وكل له فى الفضل والافضال أوسع مجال مشهور بالزعامة مخبور بالشهامة كفه سخى وكنفه أريحى ذو شجاعة باسله وبراعة كامله وحشمة وافره وهيبة زاجره وهمة أبحرها بالمكارم زاخره مع رفق ولين للصعلوك المسكين وصلابة فى الدين وكان الاكبر سنا منهم متميزا فى هذه الشيم عنهم وأعطرهم طيبا وأوفرهم نصيبا فكانه فى شأنه قيل

هذا الذى دانت الدنيا لطلعته * والدين والملك والايام والامم

فلما دنت شمس عمر أبيهم للافول وقارب غصن عيشه الذبول وعزم فراش الاجل على طى بساط حياته وأورد بريد الفناء منشور تسليمه الى متولى وفاته أحضر بنيه وأكابر ذويه وقال اعلموا يا بنى انى استوفيت نصيبى من الدنيا وارتقيت من لذاتها الى الدرجة العليا وذقت حلوها ومرها وعاينت حرها وقرها وعرفت خيرها وشرها ومع ارتقائى فيها الى المنازل الفاخره عملت بمقتضى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة فتزودت بما وصلت اليه اليد وما أخرت عمل اليوم الى الغد ولم تلهنى الغفله ولا ارخاء المهله عن الاستحضار لساعة الرحله بل لم أزل للرحيل مستوفزا وللتحول والانتقال متجهزا وأنا اليوم عنكم راحل وسفينة عمرى أرست بالساحل وهذا سفر لا رجعة فيه ولا عودة لمسافركم اليكم تثنيه وهذا أمر محتوم وقدر معلوم وقضاء قدره فى الازل رب لا يزال ولم يزل سلطان ملكه لا يبيد وكل الملوك تحت أمره عبيد لا راد لما قضاه ولا مانع لما أمضاه ولا هادم لما بناه ولا ضاد لما سواه حكم بالموت على مخلوقاته وساقه لا باب قوة فى رده ولا طاقة وقد خفف من وجدى أن لى مثلكم بجادى وانكم خلفى ومحيو سلفى وفيكم من يقوم مقامى ولا يمحو أيامى ولا يدرس آثارى ولا يطفئ نار أنوارى وها أنا أعهد اليكم وأستخلف الله عليكم وان كنتم الى الوصية غير محتاجين ولكن الذكرى تنفع المؤمنين واعلموا أن أزكى زهر تتنور به بصائر النقل فى رياض العبودية ورد الشكر وأزكى عطر تتعطر به مجامر العقل فى غياض الحرية ورد الفكر وأن الشكر قيد النعم وسبب لازدياد الفضل والكرم قال الله تعالى وجل جلاله لئن شكرتم لأزيدنكم وقد قيل من شكر القليل استحق الجزيل وان الفكر يعلى المقامات ويعطى الكرامات واحتملوا الاذى تأمنوا ولا تهنوا النائبة ولا تحزنوا ولا تظنوا الجود والكرم فى التبذير والبخل والتقتير من جملة التدبير فقد نصب للاعلام أعلاما من قال عز مقاما وكلاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال جل مخبرا وخبيرا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وأتبعوا الاقوال الافعال فلا خير فى قول ليس بفعال ولا تشوهوا محاسن شيمكم بزخارف الكذب فان الصدق أول ما ينبغى وأعظم ما يجب وو بمسخ كلمة واحدة بالكذب ناطقه لا ينفعه ألف كلمة صادقه ومن تعود الكذب فى نطقه لا يعتمد على صدقه وداروا الاعداء مداراة الاوداء يزد صديقكم ويكثر فريقكم ويجل ودودكم ويقل عدوكم وحسودكم وعليكم بملازمة الاخيار واياكم وصحبة الاشرار ولا تطلبوا للرغبة فى صحبة الاشرار سبيلا ولا تقيموا على ذلك أبدا دليلا فمن غالط نفسه فى مجالسة الاشرار وطلب وفاء من جبل على طبيعة الفجار فقد أوجع نفسه بأقوى كيه وأصابه ما أصاب الفلاح مع الحيه فسأل الاولاد والدهم المالك عن كيفية ذلك فقال ذكروا ان واحدا من الاكياس طلب العزلة عن الناس ولازم انقطاعه وانقطع عن الجمعة والجماعه واشتغل لاقامة أوده بالزراعه وانعزل فى ذيل جبل وصاحب حية كانت تأنس اليه بكلامه وتأكل من فضلات طعامه فترقت

بيدبا الى ذلك وكان عادة ذلك الزمان اذا استكتبوا وزيرا ان يعقدوا على راسه تاجا ويركب فى اهل المملكة ويطاف به فى المدينة فأمر الملك ان يفعل بيدبا ذلك فوضع التاج على راسه وركب فى المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل والانصاف يأخذ للدنى من الشريف ويساوى بين القوى والضعيف ورد المظالم ووضع سنن العدل واكثر من العطاء والبذل واتصل الخبر بتلامذته فجاؤه من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأى الملك فى بيدبا وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا فى ازالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند ثم ان بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدبشليم تفرغ لوضع كتب السياسه ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على مارسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية فرغبت اليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته واهل مملكته * ثم ان بيدبا جمع تلامذته فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست اشك انه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك ان قلتم ان بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى فقد علمتم نتيجة رأيى وصحة فكرى وانى لم آته جهلا به لانى كنت اسمع من الحكماء قبلى تقول ان الملوك

بينهما المعاهدة الى أن بلغت الى المعاقدة بأن تكون صادقة خالصة عن المماذقة ولا تكون كصحبة ابناء الزمان تكرع من الغدر فى غدران ولا مشوبة بنفاق ولا مدخولة برياء وشقاق وان تنعقد بينهما المودة والاخاء فى حالتى الشدة والرخاء فراعى هذا مدة وكل حافظ عهده مراع صحبته ووده وكان الرجل اذا عنت له قضية عرضها على الحية واستشارها وأخذ أخبارها وتخرج هى اليه وتترامى على رجليه ففى بعض الايام وعام من الاعوام وقع برد شديد وثلج وجليد فرأى الحية وقد سقطت قواها وخمدت أعضاها ووقعت فى شر حال وبرد ووبال فحملته الشفقة والصداقه والعهد الذى أحكماه وثاقه على أن آواها وحملها فى مخلاة حماره وأدناها ووضع المخلاة فى رأس البهيم وتوجه لضرورة ذلك الفهيم فحست الحية بنفس أبى زياد وتحرك عرق العدوان القديم وعاد وفعل خبثها خاصيته المألوفه ولعب بها سميته المعروفه متعاهدته حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من الدنيا حتى تسىء لمن أحسن اليها فعضت الحية شفة الحمار الرقيقه عضة محب لاقى فى خلوة عشيقه وبرده مكانه من حوها وهربت الحية الى جحرها وانما أوردت هذا المثال لتعلموا ياذوى الافضال أن من صحب الاشرار ورغب فى مودة الفجار لا يأمن العثار ولا يسلم من الانكاد والبوار وقد قيل ان صحبة الاخيار كجرة النضار بطيئة الانكسار سريعة الانجبار وصحبة الاشرار كجرة الفخار سريعة الانكسار بطيئة الانجبار وبالجملة فما فى صحبة الناس فائدة ولا فى مخالطة الناس كبير عائدة وقد قيل

ولم تر من بنى الدنيا سلاما * فان تره فأبلغه سلامى

وينبغى أن تكون غيبتكم وحضوركم وأحوالكم وأموركم واجتماعكم وفراقكم وصلحكم وشقاقكم فى حالتى السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحدة وهى الخالية عن الاغراض الفاسدة أعنى اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا واجهتم فللحق ولا تبطروا فى حالة النعم ولا تضجروا فى حالة النقم وعلى كل حال فلا يقع بينكم اختلال وذلك بتفرق الكلمة واختلافها وتصادمها وعدم ائتلافها فانه قيل

ان الذليل الذى ليست له عضد * مثل الوحيد بلا مال ولا عدد

(وقيل أيضا) كونوا جميعا يابنى اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا أجنادا

تأبى القداح اذا جمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولا تثقوا بأحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار فى الشدة والضعف والرفق والعنف والبؤس والرخاء والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب أحدا ولا على الموثوق بهم من لا جربتموه أبدا وقد قيل فى المثل المشهور النحس المعروف خير من الجيد المنكور وقيل أيضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب قديمها وأسسوا قواعد أخراكم فى دنياكم واغتنموا السعادة الباقية من الدار الفانية وعاملوا تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من أول يومكم أحوال غدكم ومن أوائل عمركم أواخر دهركم ومن ليلة الهلال سرار شهركم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن زمان شبابه حالة الهرم كما فعل التاجر المراقب وما آل اليه فى العواقب فقبل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان أعظم من أفاد لو تصدق على عبيده الطائعة ببيان تلك الواقعة (قال الملك) ذكر الحكماء وذووا الفضل من العلماء أنه كان فى بعض الامصار تاجر من أعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل ونعمة وافرة وحشم وخدم متكاثرة من جملتهم غلام مخايل

لها سكر وكذلك الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء والواجب على الملوك ان يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم كالطبيب الذى يجب عليه فى صناعته حفظ الاجساد على صحتها أو ردها الى الصحة فكرهت ان يموت او اموت وما يبقى على الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف فى زمان دبشليم الطاغى فلم يرده عما كان عليه فان قال قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قالوا كان الهرب منه ومن جواره اولى به والانزعاج عن الوطن شديد فرأيت ان اجود بحياتى فأكون قد أتيت فيما بينى وبين الحكماء بعدى عذرا فحملتها على التغرير والظفر بما اريده وكان من ذلك ما انتم معاينوه فانه يقال فى بعض الامثال انه لم يبلغ أحد مرتبة الا باحدى ثلاث اما بمشقة تناله فى نفسه واما بوضيعة فى ماله او وكس فى دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لسانى فى ان اضع كتابا فيه ضروب الحكمة فليضع كل واحد منكم فى اى فن شاء وليعرضه على لانظر مقدار عقله واين بلغ من الحكمة فهما قالوا أيها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل

السعادة من جبينه لائحة وروائح النجابة من أذيال شمائله فائحة قد أفنى عمره فى خدمة مولاه ولم يقصر لحظة فى طلب رضاه فقال له سيده فى بعض الايام لك على حق يا غلام وأنا أريد مكافاتك وأطلب موافاتك فتوجه هذه المرة فى هذه السفرة فهما ربحت فهو لك بعد أن أعتقك من قيد رق أشغالك ثم أوثق مركبا وفسح له فى السير شرقا ومغربا ووصاه بأشياء امتثل مرسومها والتزم منطوقها ومفهومها فقال له مولاه سأرفعك على أضرابك وأغنيك عن أمثالك وأصحابك واجعلك أكبر من فى الدنيا وجميع رفقتك بمنزلة المولى ثم أخذ فى تعبية البضائع وأوسق مركبه المتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد أن توكل على رب السماء فسار بعض أيام وهو فى أهنى مرام وأطيب عيش ومقام الماء رائق والهواء موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كأنه نوح وخضره الملاح وموسى وفتاه حافظا الالواح وبينما السفينة من نسف العواصف أمينة تجارى السهم والطير وتبارى الدهم فى السير فاذا بالرياح هاجت والامواج ماجت وأشباح البحر تصادمت وأطواد الامواج على الغرقاء تلاطمت فعجز ذلك الملاح والحافظ ونشر مذهب ابنه أبو الجاحظ وترك سمة الوقار والسكينه ورقم نقش الحروف فى ألواح السفينه فشاهدوا من ذلك الهواء الاهوال وغدا قاع البحر كالجبال وصار ذلك الغراب بمن فيه من الاصحاب كأحوال الدنيا بين صعود وهبوط وقيام وسقوط طورا يستأمنون الافلاك ويناجون الاملاك ويبثون أخبار ظلمات صاحب الحوت الى السماك وطورا يهبطون الغور وينظرون قرن الثور وربما رقوا منه من تحت الزور فلم يزالوا عاجزين حيارى سكارى وما هم بسكارى يتناشدون

وفلك ركبناه والبحر ذو * هواء فثار وجار ومارا
فطورا علونا السماء وطورا * رمتنا الراضيه منها انحدارا

وآخر الامر نسفت السفينة الرياح والقى كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح وأوعر الله سهلها وخرقها فاغرقها وأهلها وذهب البحر بأموالها وأرواحها وتعلق الغلام بلوح من ألواحها واستمرت تقذفه الامواج وتصدم به أثباج البحر الهياج الى ان وصل الى ساحل فخرج وهو كئيب ناحل وصعد الى جزيرة فواكهها غزيرة ووصفها عجيب ليس بها داع ولا مجيب فجعل يمشى فى جنباتها الى أن أداه التوفيق الى فم طريق فسار فى تلك الجاده وهداية الله له ماده فانتهى به المسير الى أن تراءى له سواد كبير وبلغ مملكة عظيمه وولاية جسيمه ورأى على بعد مدينة مسورة حصينة فعمد الى ذلك البلد وتوجه نحوها وقصد فاستقبله طائفة من الرجال نساء ورجال يتبعهم جنود مجنده وطوائف محشده مع طبول تضرب وفوارس تلعب وزمور تزعق وألسنة بالثناء تنطق حتى اذا وصلوا اليه ترامو عليه وأكبوا بين يديه يقبلون يديه ورجليه مستبشرين برؤيته متبركين بطلعته ثم ألبسوه الخلع السنية وقدموا له فرسا عليه بكنبوش ذهب وسرج مغرق ووضعوا له التاج على المفرق ومشوا فى الخدمة بين يديه والجنائب فى الموكب تجر لديه ينادون حاشاك والبك سلطان الناس قادم عليك حتى وصلوا الى المدينة ودخلوا قلعتها الحصينة ففرشوا شقق الحرير ونثروا النثار الكثير واجلسوه على السرير وأطلقوا مجامر الند والعبير ووقف فى خدمته الصغير والكبير والمأمور والامير والدستور والوزير وانشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده * وامرك فينا صاعد كصعوده

وقالوا اعلم يا مولانا انك صرت لنا سلطانا ونحن كلنا عبيدك وتابع مرادك ومريدك فافعل

والذى وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط وأنت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعشنا ولكن سنجهد أنفسنا فيما أمرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به ثم ان الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر فى أمور الاعداء بما قد كفاه ذلك بيدبا صرف همته الى النظر فى الكتب التى وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده فوقع فى نفسه ان يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه تذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم انه لا يقوم بذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها وانى فكرت ونظرت فى خزائن الحكمة التى كانت للملوك قبلى فلم أر فيهم أحدا الا وقد وضع له كتاب يذكر فيه أيامه وسيرته وينبئ عن أدبه وأهل مملكته فمنه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك لفضل حكمة فيها ومنه ما وضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقنى ما لحق أولئك مما لا حيلة لى فيه ولا يوجد فى خزائنى كتاب أذكر به بعدى وانسب اليه كما ذكر من كان قبلى بكتبهم وقد أحببت ان تضع لى كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عنى وعنهم كثير مما نحتاج اليه فى معاناة الملك واريد ان يبقى لى هذا الكتاب بعدى ذكرا

ماتختار وتحكم فى الكبار مناوالصغار وأمرما لك من مرسوم فامتثاله علينا محتوم ومامنا
الا له مقام معلوم فجعل يتفكر فى أمره ومبداه ويتأمل ماصار اليه ويتدبر فى منتهاه
فقال ان هذا الامر لابد له من سبب ولابد له من آخر ومنقلب فانه لم يصدر فى عالم الكون
سدى وان لهذا اليوم من غير شك غدا وان الصانع القديم القادر الحكيم السميع
العليم البصير الحى المريد الكريم لم يقدر هذه الافعال على سبيل الاهمال ولم يحدث
حدثا لعبا ولاعبثا وجعل يلازم هذه الافكار آناء الليل وأطراف النهار وهو مع
ذلك قائم بشكر النعمه ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمه واضع الاشياء فى محلها والمناصب
فى يد أهلها ملتفت الى أحوال الرعية عامل بينهم بالعدل والسويه متعهد أمور الكبار والصغار
بانواع الاحسان واصناف المسار مؤسس قواعد المملكة والسلطنه على أركان العقل
والعدل مهما أمكنه متفحص عن مصالح المملكة سالك مع كل من أرباب الوظائف
مايقتضى مسلكه ثم وقع اختياره من بين أوائك الجماعه على شاب جليل البراعة له
فى سوق الفضل والوفاء أوفر بضاعه متصف بأنواع الكمال متحل بزينة الادب والجمال
فاتخذه وزيرا وفى أموره ناصحا ومشيرا فجعل يلاطفه ويرضيه ويكرمه ويدنيه ويفيض
عليه من ملابس الانعام وخلع الافضال والاكرام ماملك به حبة قلبه واستصفى خالص
وده ولبه وسكن فى سويدائه وتمكن به من ضمير أحشائه الى أن اختلى به وتلطف فى
خطابه واستنصحه فى جوابه وسأله عن أمر امرته وموجب رفعته وسلطنته من غير معرفة
الرفاق ولا أهلية ولا استحقاق ولاهو من بيت الملك ولافى بحر السلطنة له فلك ولاممه
مال ولاخيل يهديها ولارجال ولامعرفة يدلى بها ولاشجاعة وفضيلة يهتدى بها
فقال ذلك الشاب فى الجواب اعلم أيها الملك الاعظم أن هذه البلدة وعساكر اقليمها
وجنده قد اخترعوا أمرا واصطلحوا على عادة أخرى سألوا الرحمن أن يقيض لهم فى كل
أوان شخصا من جنس الانسان يكون عليهم ذا سلطان فأجابهم الى ذلك فسلكوا فى أمره
هذه المسالك وذلك أنهم فى اليوم الذى قدمت عليهم يرسل الله تعالى رجلا من عالم الغيب
اليهم فيستقبلونه كما استقبلوك ويسلكون معه طريقة الملوك من غير نقص ولازياده وقد
صارت هذه لهم عادة فيستمر عليهم سنة فى هذه المرتبة الحسنه فاذا انقضى الاجل المعدود
وجاء ذلك اليوم الموعود عمدوا الى ذلك السلطان وقد صار فيهم ذا امكان ومكان وعلقة
ونشب واخاء ونسب وثبتت له أوتاد وصار له أهل وأولاد وجروه برجله من التخت
وسلبوه ثوب العزة والرخت وألبسوه ثوب الذل والنكال وأوثقوه بالسلاسل والاغلال
وحملوه الاهل والاقارب وأتوا به الى بحر قريب فوضعوه فى قارب وسلموه الى موكلين ليوصلوه
الى ذلك الجانب فيوصلونه الى ذلك البر وهو قفر أغبر ليس به أنيس ولارفيق ولاجليس
ولاصديق ولازاد ولاماء ولانشو ولانماء ولامغيث ولامعين ولاقريب ولاقرين ولاقدرة
ولاامكان على الوصول الى العمران ولاظل ولاظليل ولاالى الخلاص سبيل ولاالى
طريق النجاة دليل فيستمر هنالك عريانا وحيدا فريدا طريدا الى ان يهلك عطشا وجوعا
لايملك اقامة ولايستطيع رجوعا ثم يستأنف أهل هذه البلاد ماهم من فعل معتاد
فيخرجون بالاهبة الكامله الى تلك الطريق السابله فيقيض الله تعالى لهم رجلا فيفعلون
معه مثل مافعلوا مع غيره قولا وعملا وهذا دأبهم وديدنهم وقد ظهر لك ظاهرهم وباطنهم فقال
ذلك الغلام الاملح لذلك الوزير المصلح فهل اطلع أحد ممن تقدم على عاقبة هذا المأتم قال

على غابر الدهور فلما سمع بيدبا
كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال
أيها الملك السعيد جده علا نجمك
وغاب نحسك ودامت ايامك ان
الذى قد طبع عليه الملك من جودة
القريحة ووفور العقل حركه لعالى
الامور وسمت به نفسه وهمته الى
اشرف المراتب منزلة وابعدها
غاية وادام الله سعادة الملك واعانه
على ما [illegible] من ذلك واعاننى على
بلوغ مراده فلما أمر الملك بما شاء من
ذلك فانى صائر الى غرضه مجتهد فيه
برأيى قال له الملك يابيدبا لم تزل
موصوفا بحسن الرأى وطاعة
الملوك فى امورهم وقد اختبرت
منك ذلك واخترت أن تضع هذا
الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد
فيه نفسك بغاية ما تجد اليه السبيل
وليكن مشتملا على الجد والهزل
واللهو والحكمة والفلسفة فكفر
له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك
ادام الله ايامه الى ما أمرنى به وجعلت
بينى وبينه أجلا قال وكم هو الاجل
قال سنة قال قد أجلتك وأمر له
بجائزة سنية تعينه على عمل الكتاب
فبقى بيدبا مفكرا فى الاخذ فيه وفى
اى صورة يبتدئ بها فيه وفى وضعه
ثم ان بيدبا جمع تلامذته وقال لهم
ان الملك قد ندبنى لامر فيه فخرى
وفخركم وفخر بلادكم وقد جمعتكم
لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك
من أمر الكتاب والغرض الذى
قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما
لم يجد عندهم ما يريده فكر بفضل
حكمته وعلم أن ذلك أمر انما يتم
باستفراغ العقل واعمال الفكر
وقال أرى السفينة لاتجرى فى البحر

قد عرف ذلك وتحقق انه عن قريب هالك ولكن غرور السلطنة يلهيه وسرور التحكم
والتسلط يطغيه وحضورا للذة الحاصلة لسوء العاقبة ينسيه ولا يفيق من غفلته ويستيقظ
من رقدته الا وعامه قد مضى والاجل المضروب قد انقضى وقد أحاطت به نوازل البلاء
وهجم عليه نوازل القضاء فيستغيث ولا مغيث وينادي بالخلاص ولات حين مناص فلما
سمع الغلام هذا الكلام أطرق مفكرا وبقي متحيرا وعلم انه لابد للايام ان تمضى وهذا
الاجل المضروب ينقضى وانه ان لم يتدارك أمره ويتلاف خيره وشره ويتدبر حاله ومصيره
وما له هلك هلاك الابد ولم يشعر به أحد فأخذ يفكر في هذا الخلاص والتفصى من
شرك الاقتناص ثم قال للوزير الناصح الخبير أيها الرفيق الشفيق والنصوح الصديق
جزاك الله خيرا وكفاك ضيما وضيرا انى قد فكرت في شئ ينفع نفسي ويحييها ويدفع شر
هذه البلية التي وقعت فيها وأريد معاونتك وأطلب مساعدتك فانى رأيتك في الفضل
متميزا بين اقرانك فائقا في محاسن الشيم على أصحابك واخوانك فقال افعل ياذا الزعامة
وحبالك وكرامه قال اعلم أيها الصاحب الاعظم ان الرجوع الى هذا المكان الذى كنت
فيه خارج عن الامكان والاقامة في هذا الملك المعهود انما هي الى أجل معدود ووقت
محدود وانقضاؤه على البتات وكل ما هو آت آت وكيفية الخروج قد عرفت وطريقها
تقررت ووصفت ولهذا قيل ياذا الفضل الجزيل دخلنا مضطرين وأقمنا متحيرين
وخرجنا مكرهين ولم يتجه مخلص من هذا المقنص الا طريق واحد وسبيل غير متعاهد
وهو ان تأخذ طائفة من البنائين وجماعة من المهندسين والنجارين وتذهب بهم أيها الوزير
الى مكان اليه نصير فتأمرهم ان يبنوا لنا هناك مدينة ويشيدوا لنا فيها اماكن مكينة
ومخازن وحواصل وتملؤها من الزاد المتواصل من المآكل الطيبة والاطعمة والاشربة
اللذيذة المستعذبة ولا تغفل عن الارسال ولا تختر الامهال والاهمال في الظهيرة والاسحار
والغدو والآصال اذ أوقاتنا محدوده وأنفاسنا معدوده وساعة تمضى منها غير مردوده واذا
فات شئ من ذلك الوقت فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت فننقل هناك ما يكفينا على حسب
طاقتنا ومقدار قدرتنا واستطاعتنا فاذا تزودنا منها لم نرحل عنها بحيث اذا انقلنا من هذه
الديار وطرحنا في تلك المهامه والقفار وجفانا الاصحاب وتخلى الاخلاء عنا والاحباب
وانكرنا المعارف والاوداء واحتوشنا في تلك البيداء فنون الداء نجد ما نستعين به على اقامة
الاود مدة اقامتنا في ذلك البلد فأجاب بالسمع والطاعه واختار من المعمارية جماعه واحضر
المراكب وقطع البحر الى ذلك الجانب وجعل الملك يمدهم بالآلات والادوات على عدد
الانفاس ومدى الساعات الى ان انهى المعمارية العمارة واكملوا حواصل الملك وداره واجروا
فيها الانهار وغرسوا فيها الاشجار فصارت تأوى اليها الطيور بالليل والنهار ويترنم فيها
البلبل والهزار بانواع التسبيح والاذكار وغدت من احسن الامصار وبنوا حواليها الضياع
والقرى وزرعوا منها الوهاد والثرى ثم أرسل اليها ما كان عنده من الخزائن ونفائس
الجواهر والمعادن وأرسل من ظريف التحف اليها ومن حاجاته المعول عليها بحيث لو أقام
بها سنين قامت بكفايته وفضلت خزائنها عن حاجته وأكثر من ارسال ما يلزم من الادوات
والاشربة والمطعومات وجهز الخدم والحشم وصنوف الاستعدادات من النعم فلما انقضت
مدة ملكه ودنت أوقات هلكه الا ونفسه الى مدينته تاقت وروحه الى مشاهدتها اشتاقت
وهو مستوفز للرحيل ورابض للنهوض والتحويل فلما تكامل له في الملك العام لم يشعر الا

وقد

الا بالملاحين لانهم يعدلونها وانما
تسلك اللجة بتدبيرها الذى تنفرد
بامرتها ومتى شحنت بالركاب
الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن
عليها من الغرق ولم يزل يفكر فيما
يعمله في باب الكتاب حتى وضعه
على الانفراد بنفسه مع رجل من
تلامذته كان يثق به فخلا به منفردا
معه بعد ان اعد من الورق الذى كانت
تكتب فيه الهند شيأ ومن القوت
ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا
في مقصورة وردا عليهما الباب ثم
بدأ في نظم الكتاب وتصنيفه ولم
يزل هو يملي وتلميذه يكتب ويرجع
هو فيه حتى استقر الكتاب على
غاية الاتقان والاحكام ورتب فيه
اربعة عشر بابا كل باب منها قائم
بنفسه وفي كل باب مسئلة والجواب
عنها ليكون لمن نظر فيه حظ وضمن
تلك الابواب كتابا واحدا وسماه
كتاب كليله ودمنه ثم جعل كلامه
على ألسن البهائم والسباع والطير
ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام
وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه
ايضا ما يحتاج اليه الانسان من
سياسة نفسه واهله وخاصته وجميع
ما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه
وآخرته واولاه ويحضه على حسن
طاعته للملوك ويجنبه ما تكون
مجانبته خيرا له ثم جعل له باطنا
وظاهرا كرسم سائر الكتب التى
برسم الحكمة فصار الحيوان لهوا
وما ينطق به حكما وادبا فلما ابتدأ
بيدبا بذلك جعل اول الكتاب
وصف الصديق وكيف يكون
الصديقان وكيف تقطع المودة الثابتة
بينهما بحيلة ذي النميمة وامر تلميذه

وقد أحاط به الخاص والعام ممن كان يفديه بروحه من خادمه ونصوحه ومن كان سامعا لكلمته من أعيان خدمه وحشمته وقد تجردوا الجذبه من السرير ونزع ما عليه من لباس الحرير ومشوا على عادتهم القديمة وسلبوه الحشمة الجسيمه ومملكته العظيمه وزالت الحشمة والكلمة والحرمة وشدوا وثاقه وذهبوا به الى الحراقه ووضعوه وقد ربطوه فى المركب الذى هيئوه وأوصلوه الى ذلك البر من البحر فاوصل اليه الا وقد أقبلت خدمه عليه وتمثلت طوائف الحشم والناس لديه ودقت البشائر لقدمه وحل فى سروره المقيم ونعمه واستمر فى أتم سرور واستقر فى أوفر حبور ثم قال الملك للاولاد وفلذ الاكباد وانما أوردت هذا المقال على سبيل المثال فاصغوا الى حسن التنظير حتى أبين لكم النظير وعوا ما أقول باذان القبول وتأملوا رموز المعانى من هذه الالفاظ التى أخجلت المثانى ثم تفكروا وتبصروا وبعد التذكر والتبصر تدبروا أما ذلك العام المعهود فانه الولد فى أول الوجود وأما المركب الذى أودعه فهو بطن أمه الذى استودعه وانكسار السفينه هو انشقاق المشيه والجزيرة التى خرج اليها فهى الدنيا التى دخل عليها والناس الذين استقبلوه فأقاربه وذووه وأهلوه يربونه بالملاطفة والدلال ويعاملونه بالاكرام والافضال وذلك الشاب الذى هو وزيره فهو عقله ومن ايمانه نوره والسنة المضروبة أجله المحتوم وعمره المعدود المعلوم ونزوله عن سريره عبارة عن آخرته ومصيره وخروجه من الدنيا بالاكراه وشروعه فى دخوله الى أخراه والبحر الثانى الذى طرح فيه هو أحوال ما يعاينه عند الموت ويلاقيه والبر القفر اللحد والقبر فالسعيد يتفكر فى كيفية أموره وأحواله ومبدأ أمره وماآله ثم يتدبر فى قل هذا وجله ويستعد لما خلق من أجله ويتحقق ان الاقامة فى الدنيا يسيره وهى بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيره وانه اذا جاء وقته المحتم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم فيأخذ فى الازدياد ويتهيأ ما أمكن ليوم المعاد ويعد نفسه كالمسافر الذى أتى بعض الحاضر فلا يقيم أكثر من يوم وقد رحل عن القوم كما قيل

ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو بالصبح راحل

الى سفر طويل زاده قليل قفاره يابسه وطرقه دامسه لا أنيس فيه ولا رفيق ولا مصاحب ولا صديق ولا دليل ولا خليل ولا مغيث ولا مقيل ولا ماء ولا معين ولا صاحب ولا معين فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ما قدر من الزاد والما والمركب والكلا ونور الطريق والمسافر والرفيق والخادم والانيس والمنادم والجليس ويمهد المضجع للمبيت والمقيل ويهيئ الموضع فى النزول والرحيل وبالجملة لا يترك من أفعال الخير شيأ الا فعله ولا مجملا الا فصله ولا متأخرا الا قدمه ولا تعاملا فى مبايعة الا أسلفه وأسلمه وليعلم أن كل ذلك محتاج اليه ومصروف لديه اذا انتقل الى دار البقاء وأقبل عليه فاذا جاء وقت الرحيل ونادى منادى الانتقال والتحويل وجد ما كان فى عمله حاضرا وكل ما قدمه الى رياض الخير زاهرا ناضرا كما قال ذو الجلال واخبر به الصادق فى الوعد والمقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون معنى ان لا تخافوا لا خوف عليكم مما هو أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم فاذا دخل فى قبره وجده روضة من رياض الجنة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وأما الشقى الغافل الغبى الذى أهمل أمره ونسى الله وذكره وأهمل ما خلق لاجله وتاه فى بيداء الضلال وسبله فقد اغتر بهذه اللذة اليسيرة فى تلك المدة القصيرة واستمر سكران فى ميدان العصيان من خمرة

ان يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه فى ان جعله لهوا وحكمة فذكر بيدبا ان الحكمة متى دخلها كلام الغفلة افسدها واستجهل حكمتها فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق لهما العقل ان يكون كلامهما على لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فأصغت الحكماء الى حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا انها السبب فى الذى وضع لهم ومالت اليه الجهال عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكوا فى ذلك واتخذوه لهوا وتركوا معنى الكلام ان يفهموه ولم يعلموا الغرض الذى وضع له لان الفيلسوف انما كان غرضه فى الباب الاول ان يخبر عن تواصل الاخوان كيف تتأكد المودة بينهم على التحفظ من اهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجرى بذلك نفعا الى نفسه فلم يزل بيدبا وتلميذه فى المقصورة حتى استتم عمل الكتاب فى مدة سنة فلما تم الحول انفذ اليه الملك ان قد جاء الوعد فماذا صنعت فانفذ اليه بيدبا انى على ما وعدت الملك فليأمرنى بحمله بعد ان يجمع اهل المملكة لتكون قراءتى هذا الكتاب بحضرتهم فلما رجع الرسول الى الملك سر بذلك ووعده يوما يجمع فيه اهل المملكة ثم نادى فى اقاصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم امر الملك ان ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسى لابناء الملوك والعلماء وانفذ فاحضره فلما جاءه

الطغيان وتردى لباس الردى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانهدمت عمارتهم وما ربحت تجارتهم حتى اذا جاءه الوقت المعلوم ونزل به الاجل المحتوم ونظر امام وتراءت له الاعلام فأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم نزل من دار الغرور الى دار الشرور فندم ولا ينفعه الندم وقد زلت به القدم نخاب مآبا وقال ياليتنى كنت ترابا فانظروا يا أولادى وعدتى وعتادى حال الفريقين وتأملوا ما للطائفتين فقد بذلت فى النصيحة جهدى وأستخلف الله عليكم من بعدى فقال أكبر ولده وهو اسلك محاسنهم واسطة عقدهم جزى الله مولانا عن شفقته خيرا وأولاه على حسن النصيحة أجرا وذخرا فلقد احييت قلوبا بزواهر حكمك وشنفت أسماعا بجواهر كلمك ولكن اخوتى وان كانوا من أولى العلم وأرباب النباهة والحلم والعقل الغزير والفضل الجم الكثير والرأى المصيب المنير غير أن حدة الشباب عليهم غالبه ودواعى النفس بشهواتها مطالبه لاسيما ان حصلوا على ملك عريض وكرعوا من البانه المحض والمخيض فان اتفق مع ذلك موافق منافق أو صاحب ممارق أو صديق خدوع أو مباطن مكار هلوع أضلهم عن سواء السبيل وصار الى طريق المخالفة أوضح دليل فتحول صداقتنا عداوه وتتبدل فيها بالمرارة الحلاوه فينتزع الرخاء ويتنزع الاخاء ويبغى بعضنا على بعض وتعود الاخوة على موضوعها بالنقض ويتولد من ذلك الفتن ويظهر من العداوة ما بطن فالرأى عندى أنه ما دام زمام التصرف فى يد الامكان يتصرف مولانا السلطان على مقدار جهده فى مصلحة عبده بحيث لا أكون مضغة للماضغ ومشغلة لكل قلب فارغ ولا يسلمنى لاسباب الحوادث ومخاليب الدهر الكوارث فانه بذلك يكفينى من نوائب الزمان ما يدهينى والعياذ بالله المنان من مفارقة مولانا السلطان جعلنى الله تعالى فداءه ولا أرانى فيه يوما أساءه فليأخذ بيدى من هذه الورطة وليرحنى من شر هذه الخطة فانه قد قيل من لا يقيل المستقيل ولا يغيث المستغيث ولا ينتقيد بمعنى هذا الحديث ولا يدفع غصة هذه القصه ويفوت عند الامكان الفرصه يصيبه من حوادث الزمان ما أصاب بعض الجرذان الذى لم يخلص الغزاله الواقعة فى شرك الحباله قال السلطان قل لى كيف كانت قصته وما كانت قضيته (فقال) ذكر أن بعض الصيادين المحتالين الكيادين نصب حباله ليصيد غزاله فعلق بها مهاة من المها وطلبت مجالا واضطربت يمينا وشمالا فوقعت عينها على جرذ من الجرذان عتيد يتفرج عليها من بعيد فنادته بلسان ذلق وأثنت عليه بلسان طلق وقالت يا فارس ميدان المروة والنجدة والفتوة والموصوف بالشطارة والقوة هذا وقت الكرم وأوان استعمال مكارم الشيم وفعل المعروف واغاثة الملهوف وصرف الهمه الى كشف الغمه نعم وان كانت طرائق الصداقة بيننا معدومة ونقوش التنافر على صحف خواطرنا مرقومه ونقود المعرفة والاخاء فى جنب التباين غير مبذوله ومرآة التوافق فيما بيننا غير مصقولة لكن فى الشدائد يعرف الاخاء والاخوان كثيرون فى الرخاء كما قيل دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان وقد قصدتك فى الخلاص وقرض شرك الاقتناص ونجاتى من سكين القناص فاقرض هذه الشبكة باسنانك الحداد وافتح بينى وبينك باب الوداد فانى أصلح لك صديقا وأنا أكون لك عتيقا وأعرف لك الجميلة فأصير عبدا لك الى الممات وادركنى قبل الوفاة والفوات ومع هذا يا ذا الجاه لا يكن عملك الا لله فقد قيل

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

الرسول قام فلبس الثياب التى كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهى المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرا فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك فان هذا يوم هناء وفرح وسرور وامره الملك ان يجلس فحين جلس لقراءة الكتاب سأله الملك عن معنى كل باب من ابواب الكتاب والى اى شئ قصد فيه فاخبره بغرضه فيه وفى كل باب فازداد الملك منه تعجبا وسرورا وقال له يا بيدبا ما عدوت الذى فى نفسى وهذا الذى كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكم فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجد وقال ايها الملك أما المال فلا حاجة لى فيه وأما الكسوة فلا أختار على لباسى هذا شيأ ولست اخلى الملك من حاجة قال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا مقضية قال يأمر الملك ان يدون كتابى هذا كما دون آباؤه واجداده كتبهم ويأمر بالمحافظة عليه فانى اخاف ان يخرج من بلاد الهند فيتناوله اهل فارس اذا علموا به فالملك يأمر ان لا يخرج من بيت الحكمة ثم دعا الملك بتلامذته واحسن لهم الجوائز * ثم انه لما ملك كسرى انوشروان وكان مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر فى اخبار الاوائل وقع له خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى اخرجه من بلاد الهند فأقره فى خزائن فارس

(باب بعثة برزويه الى بلاد الهند)

فقهقه الجرذ وقهقر ولعب بادطه وتبختر وترغ يمينا وشمالا وتقصف طربا ودلالا وسخر بالغزالة وكلامها وبادر الى عذلها وملامها وتبرد بحرارتها وتحلى بمرارتها وقال شهوتك الرديه وحرص نفسك الشقيه رمياك فى هذا البليه وتحركت سجيته الذميمة وطبيعته اللئيمة واضطرب بها ورقرق وطفر وصفق وقال عصب الرأس الصحيح من الجهل الصريح والتعرض لموارد الفناء من دلائل البلاهة والعناء ولو تعرضت لشبكة الصياد حكمت على عقلى بالفساد وحاشى فكرى المصيب ورأيى النجيح النجيب أن اجلب لنفسى مرضا واصيرها سهما للصياد وغرضا ولو فعلت ذلك لتصديت للمهالك وتصدى لى الصياد فعادانى وتوصل الى آذانى وحفر بالمعول وكرى وأوقد النيران فى مجرى فسلبنى قرارى وبغيتى ومسارى وأقل الاقسام أن يجلينى عن ديارى ان خلصت من الموت بسلام ولا استطيع بعدها المقام وقد قيل لاتسلك غير طريقك ولاتصاحب سوى رفيقك وأما انا فالى بصداقتك حاجه فدعى عنك الطمع واللجاجه ثم هز عطفيه ونظر الى كتفيه وتبختر فى مشيته وتمايل فى مشيته وولى فى تيهه وكبره يريد الدخول فى جحره وقد ترك الظبى آيسا فى حبائل فكره وضره وحبائل شدائده وشره فقيض الله له حداه خطفته ونأت به فى الهواء نأه وأما الظبى فلما أيس من الجرذ واعانته توجه الى الرحمن بكليته وقطع آماله عن كل أحد ورفع ضرورته الى الواحد الصمد وأخلص نيته الصادقه وقطع من الخلائق علائقه ثم جاء الصياد فأوثقه وقصد به البلد فصادفه شخص فاشتراه منه واعتقه ولم أورد هذه اللطيفه الى المسامع الشريفة الا ليعلم ان التوانى عن فك العانى واغاثة الملهوف أمر مخوف لا يرغب فيه ذو عقل واغاثة الملهوف وأخذ يد الجار ورد النقل ولابد من تأمل اعقاب القضايا قبل نزولها وطلب طريقة رفعها قبل حلولها والخلاص من ورطتها قبل بغتتها وأسأل من صدقات مولانا الذى بالاحسان أولانا الارشاد الى عمل طريقة لطيفة نظيفة نقية خفيفه تكون عدتى فى شدتى مبقية للودبينى وبين اخوتى (قال الملك) نعم ماقلت وحيث فى ميدان الصواب جلت فاعلم أن فى مملكتى ملوكا كبراء وأساطين امراء ورجالا وجنودا وأبطالا وأسودا أنا انشأتهم ولنصرة مثلك اعددتهم كل منهم ذو وفاء ومودة وصفاء وباطنه خال من المكر والجفاء يقومون معك بأدنى اشاره ويحفظون جانبك من النهب والغاره وخصوصا فلان أمير ممالك خراسان فانه أفصحهم خطابا وأمنعهم جنابا وأوسعهم فى العقل رحابا وأشدهم محبه وأقربهم مودة وقربه وأوفاهم عهدا واصفاهم ودا سيجدك فى حال اضطرارك اليه فلا يكون اعتمادك بعد الله الا عليه مع انى سأعلمهم بجمعهم وآمرهم بايصال نفعهم وأوكد عليهم فى ذلك فلا يخطر شئ من النكد ببالك فقبل ولده الارض ووقف فى مقام العرض وقال أيها الملك المجاب ان محبة غالب الأصحاب وصداقة أكثر الاحباب ومن يدعى خلوص المودة ويبذل ظاهرا فى ذلك جهده انما هى لاغراض وناشئة عن اعراض وأمراض فاذا حصل ذلك الغرض وزال العرض والمرض بردت عن المحبة قلوبهم وفرغت من نقد المودة جيوبهم وظهر بالجفاء وعدم الوفاء عيوبهم ومن جملة ذلك الحسد الذى لم يخل منه جسد على نيل مرتبه أو البلوغ الى منقبه وتمنى زوال نعمة المحسود وعدم الرضا بقضاء المعبود فاذا لم يحصل المراد تبدل القرب بالبعاد والمحبة بالبغضه والصحة بالمرضه كما جرى لنديم الملك الظاهر مع صديقه المسافر قال الملك لولده أخبرنى بكيفية فكده وما تولد من قضية حسده (قال الولد) اخبرنى المملوك

(أما بعد) فان الله تعالى خالق الخلق برحمته ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم مايقدرون به على اصلاح معاشهم فى الدنيا ويدركون به استنقاذ أرواحهم من العذاب فى الآخرة وأفضل مارزقهم الله تعالى ومن به عليهم العقل الذى هو الدعامة لجميع الاشياء فلا يقدر أحد فى الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضرر الا به وكذلك طالب الآخرة المجتهد فى العمل المنجى به روحه لايقدر على اتمام عمله واكماله الا بالعقل الذى هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة فليس لاحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة فى الانسان كامنة كالنار فى الحجر لاتظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهرت طبيعتها وكذلك العقل كامن فى الانسان لايظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومن به عليه وأعين على صدق قريحته بالادب حرص على طلب سعد جده وادرك فى الدنيا أمله وحاز فى الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ومن العلم اجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها وسدده من الافعال اسدها ومن البحث عن الاصول والفروع أنفعه وبلغه من فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة مالم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند علم انه أصل كل

انه كان عند بعض الملوك جماعة من العلماء وطائفة كثيرة من الندماء كل منهم لطيف
المحاوره نظيف المعاشره خفيف المكاثره ظريف الحركه كثير البركه وبينهم شخص
قد ساواهم بهذه الصفات وفاتهم فى علو الدرجات أظرفهم لهجه والطفهم بهجه وأشرفهم
نهجه عذب المكالمه حلو المنادمه تقبل الفصاحة ثغر ألفاظه فى خطابه ويتمايل محيا
البلاغة لاشراق جواهر جوابه اسمه رشيق وهو لكل عشيق وللملك أكرم نديم وأقدر
خديم وصديق قديم يقبل عليه ويميل دون الكل اليه ففى بعض الايام قدم على الرشيق
بعض الاعجام وكان من بغداد من ذوى الفسق منهم والفساد رجل من الشطار عيار مكار
خوان غدار مستحق الرجم ليس فى السماء له نجم غير انه متظاهر بجميل الخصال وانه
خدم أهل الفضل والافضال فعلق بطبعه من شمائلهم وتلبس ظاهرا بفضائلهم فتلقاه
الرشيق بما يقتضيه كرمه ويليق وبالغ فى اكرامه وتقدم فى احترامه وأكرم نزله وأفاض
عليه نعما جزله ومال اليه بكليته وجعله من خواص جماعته فصار كل يوم يبدى فضلا
ويفتح بابا من الكلام وفصلا الى أن غلب على ذلك الزنديق حسد النديم المسمى برشيق
لكونه من خواص الحضرة السلطانيه وخواص الخدمة الملكية وكبير الندماء وخطير
القدماء فالتمس من النديم ذلك الوغد الذميم أن يوصله الى الحضرة الشريفه ويسبل
عليه ظلال نعمه الوريفه فأفكر الرشيق الفكر الدقيق فى عقبى هذه القضية وما يحدث
عنها من البليه فانه قد كان أدرك من ذلك الشيطان سوء أفعاله من أقواله ووخيم عزماته
من شمائل حركاته وشؤم سكناته وتحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته وكل شئ تزرعه
يفعلك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك ومن أكرم ذا حسد ورأى من أمره عكسه فلا يلومن الا
نفسه فصار يسوف به ويدافعه ويمانعه ويصانعه ويدارى الوقت خوفا من المقت الى
أن أيس منه وقطع الرجاء عنه فالتهب قيظ غضبه واشتعل شواظ لهبه فما رأى ابرود هذه
الغصة الا كتابة قصه يعرضها ذلك المنهمك على آراء الملك يضع فيها الشدة حسده من
الرشيق وفت من عضده ويفترى ذلك المجترى عليه ما هو عنه برى فراقب الفرصه وكتب
القصه يذكر له مساويا فيها ومن جملة مساويها أن يجد الرشيق من الداء العتيق ما أعجز
الاطباء وأعيا الحكماء الالباء وان ذلك الداء يتعدى وفعل الالزام يتعدى فيردى وان
كثيرا من الناس الاخيار ممن اطلع على دائه ومعضل بلائه يتحامون صحبته ويجتنبون قربه
ومؤاكلته وان هذه نصيحة عرضها وعلى نفسه فرضها اذ القيام بأدائها واجب عليه
وانهاؤها الى المسامع الشريفة مندوب اليه فلما وقف الملك على مضمون ما أنهاه ذلك
الخبيث فيما ادعاه تذكر ما قاله لبيد للنعمان عن وزيره العبسى فيما مضى من الزمان وهو

نحن بنو ام البنين الاربعه * ونحن خير عامر من صعصعه
الملك جاوزنا بلادا مسبعه * نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه * يدخلها حتى يوارى اشجعه
* كأنما يطلب شيأ ضيعه *

فاشمأزت من الرشيق نفسه وزوى فى رياض مصاحبته غرسه فأمر الحجاب والبوابين أن
يكونوا الدخوله على الملك آبين فلما أن جاء الرشيق وقصد الدخول بجأش وثيق منعوه من
الدخول فرجع خائبا خاسرا وبقى حائرا بائرا ولم يشك أن هذا الضرب سهم غرب لانه

أدب ورأس كل علم والدليل على كل
منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها
ومعرفة النجاة من هولها فأمر
الملك وزيره بزرجمهران يبحث له
عن رجل أديب عاقل من
أهل مملكته بصير بلسان الفارسية
ماهر فى كلام الهند ويكون بليغا
باللسانين جميعا حريصا على طلب
العلم مجتهدا فى استعمال الادب
مبادرا فى طلب العلم والبحث عن
كتب الفلسفة فأتاه برجل أديب
كامل العقل والادب معروف
بصناعة الطب ماهر فى الفارسية
والهندية يقال له برزويه فلما دخل
عليه كفر له وسجد بين يديه فقال له
الملك يا برزويه انى قد اخترتك لما
بلغنى من فضلك وعلمك وعقلك
وحرصك على طلب العلم حيث كان
وقد بلغنى عن كتاب بالهند مخزون
فى خزائنهم وقص عليه ما بلغه عنه
وقال له تجهز فانى مرحلك الى أرض
الهند فتلطف بعقلك وحسن
أدبك ونافذ رأيك لاستخراج هذا
الكتاب من خزائنهم ومن قبل
علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا
وما قدرت عليه من كتب الهند مما
ليس فى خزائننا منه شئ فاحمله معك
وخذ معك من المال ما تحتاج
اليه وعجل ذلك ولا تقصر فى طلب
العلوم وان أكثرت فيه النفقة
فان جميع ما فى خزائنى مبذول
لك فى طلب العلوم وأمر باحضار
المنجمين فاختاروا له يوما يسير فيه
وساعة صالحة يخرج فيها وحمل
معه من المال عشرين جرابا كل
جراب فيه عشرة آلاف دينار
فلما قدم برزويه بلاد الهند طاف

لم يعلم السبب فقضى من الزمان العجب فشرع يتفحص عن سبب البعاد ويتردد بين اغوار وانجاد ويذهب رائد فكره كل مذهب ويعزم على توابعه ليقفوا على موانع المطالب الى ان وقف على السبب المضرم وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم وظهر لذلك البحر الابر من قوله الاحسان الى اللئيم سلف فى الشر فاجتمع بجماعة من أصحابه وطائفة من خلص أحبابه وعرض عليهم قصته واستدفع بآرائهم غصته ثم تعرى من لباسه عند الخواص من أناسه لينظروا الى جسده وباسه فرأوا بدنا كسبائك الفضة وأطرافا ناعمة غضة وأعضاء تحسبها من الحور وغوانيها مسلمة لاشية فيها فأجمعوا على سلامتها وذكروا للملك محاسنها وعلامتها وشهدوا بحسن صفائها ورونق بهائها وأنها سليمة عن الادواء بريئة من كل داء وكأنه فى شأنه قيل

وأعجب ما شاهدت فى وصله وقد * نزعنا غلالات وثوب حياء
تلالؤ نور فى ترقرق مائه * وصورة روح فى مثال هواء

وانما الشدة الحسد عاب ذلك الجسد فقال الملك صدقتم وبالحق نطقتم ولكن كيف وقد قيل

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما احتيالك فى شئ وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته المنتظمين فى سلك طاعته الذى يدور فى معلومى ويبرز به مرسومى أن لا يدخل الرشيق على ولا يصوب نظره الى فانى اذا نظرته تذكرت ما قيل واستحضرته فتشمئز النفس والخاطر ويتكدر الباطن والظاهر ويتشوه وجه العيش الناضر ثم أمر له بمال جزيل واقطاع عظيم جليل ومنعه من المثول بين يديه والدخول عليه وانما أوردت هذه الحكاية المتضمنة لهذه النكاية لتحيط العلوم الشريفة والآراء المنيفة أن بعض المدعين للصداقة واحكامها أحكام الوثاقة لا يعتمد على دعواهم ولا يركن الى مضمون فحواهم فربما تكون صداقتهم من هذا القبيل فتؤدى الى داء ثقيل وغم عريض طويل فلا يمكن علاجه ولا يسلك منهاجه وأعظم ما فى ذلك ما يؤدى الى المهالك وهو عداوة الاقرباء من الابناء والآباء وذوى نصائح الاخاء فان ذلك غل قمل وجرح لا يندمل ومرض لا يبرا ويفضى بصاحبه الى توسد الثرى وان عداوة الاجانب أسهل من محاسنة القرائب وان القرائب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم الاعداء فقد أعضل الداء (ومن شواهدها) أيها الملك الفاضل ما جرى لابن سلطان بابل مع عمه الظالم الخاتل الخائن القاتل فقال الملك الكبير أظهرنا على صورة ذلك أيها الخبير (قال) ذكر أهل التاريخ أيها العالى الشماريخ أنه كان فى ممالك بابل ملك عظيم فاضل كريم الشمائل عدله مذكور وفضله مشهور همته عاليه ونحور ممالكه بعقود فواضله حاليه وأفواه مسالكه كثغور الغوانى بشنب العدل والامان زاهيه وله ولد صاحب حسن وجمال وفضل وافضال وملاحة ودلال وصباحة وكمال غير أنه صغير السن لم تعركه التجارب ولم يبل أحوال الاباعد والاقارب لا مارس الانام ولا ساير الايام ولا سبر العدو والصديق ولا خبر الحريق والرحيق ولا فرق بين المرافق والمنافق والمصادم والمصادق والمصارم والملاصق فلما دفت وفاة أبيه جمع أخصاءه وذويه وأراد أن يعهد الى ولده ويرقيه الى سنده ومستنده ثم دبر فى أموره وأحواله وتفكر فى مصيره ومآله وخشى أنه ربما أخل بشئ من القواعد فأبعد الادنى وأدنى الاباعد أو وضع شيأ فى غير محله أو ولى منصبا غير أهله وذلك لعدم تدبر أو فساد تصور أو نشوز رفيق أو فقد مرشد وشفيق أو لغرض فاسد من كاشح أو حاسد فيختل نظامه ويعوج قوامه ويفسد أمره فيخونه زيده وعمره وكان للملك أخ بل انه فخ يدعى الملقه ويظهر انه ثقه وله حنو وشفقه

بباب الملك ومجالس السوقة وسأل عن خواص الملك والاشراف والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم فى منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بانه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلوم والادب وانه محتاج الى معاونتهم فى ذلك فلم يزل كذلك زمانا طويلا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيأ وهو فيما بين ذلك يستر بغيته وحاجته واتخذ فى تلك الحالة لطول مقامه أصدقاء كثيرة من الاشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا قد اتخذه لسره وما يحب مشاورته فيه للذى ظهر له من فضله وأدبه واستبان له من صحة اخائه وكان يشاوره فى الامور ويرتاح اليه فى جميع ما أهمه الا أنه كان يكتم منه الامر الذى قدم من أجله لكى يبلوه ويخبره وينظر هل هو اهل ان يطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخى ما أريد ان اكتمك من أمرى فوق الذى كتمتك فاعلم انى لامر قدمت وهو غير الذى يظهر منى والعاقل يكتفى من الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما ينطوى قلبه عليه قال له الهندى انى وان لم أكن بدأتك واخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر غيره فما خفى على ذلك منك ولكنى لرغبتى فى اخائك كرهت ان أواجهك به وانه قد استبان ما تخفيه منى فأما اذ قد اظهرت ذلك وافصحت به وبالكلام فيه فانى مخبرك عن

فعهد اليه واعتمد عليه وسلمه ولده وجعله وصيه ومستنده واجلسه مكانه واشهد عليه من
رؤساء المملكه أركانه انه اذا توشح ولده بالولايه وآنس منه رشده بالرعية والرعايه يجلسه
على السرير ويسلمه الكبير من جنده والصغير ويكون هوله أحسن وزير وأعين مشير ونظام
ملكه ورأس فلكه وعضد ساعده وساعد مساعده وأتابك عساكره وعماد الامره
وأوامره فان نفس ولده في سن جهلها تكون عونا من أعوان رعونة الصبا في حزنها وسهلها
ويؤدى اليه ملكه بمقتضى قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فقبل أخوه
ذلك منه بقبول حسن وتكفل له انه يأسو جراح الملك على وجه مستحسن واظهر الود والترفق
والتملق والترقرق والتلهف والتأرق والتأسف والتحرق وبكى وتأوه وشكا وتذلل
وتمسكن حتى تمكن فلما قضى الملك نحبه وأجاب ربه صعد على السرير وتمكن من الجليل
والحقير وتشربت أضلاعه وعمرت بحب الحكومة والقساط في دور طمعه رباعه وابن أخيه
في كفالته والممالك في ايالته واستمر الصغير تحت نظره لا يفارقه في سفره ولا حضره يكتسب
كل يوم مخايل السعاده ويطرح من حركاته شمائل السياده ويظهر على أعطافه الملوكية يوما
فيوما آثار الحسنى وزياده الى ان ارتفع قدرا وصار في الكمال هلالا وبدرا فشم عمه من رياض
همته عرف الطلب وقوى في ذلك ما كان تقدم من سبب وعرف انه لابد له في ذلك من
تسريحه فلو منعه لقام كل الخلق باستهجانه وتقبيحه فحل عقوده وتقل جنوده ويحتل عن
عسكره بنوده وتفنى صورته وسيرته وينقض من حبل عمره مريرته فلا يحصل من الملك الا
على الهلك فاعمل الكيد وخرج الى الصيد فتفرقت العساكر وانفرد الملك الماكر ومعه ابن
أخيه فاختلى به في تيه فوثب عليه وخنقه بكريمته والقاه في البريه الى مخالب المنيه
وتركه وحيدا أعمى لا يجد دليلا ولا يهتدى سبيلا ولا يعرف مقرا ولا مقيلا ثم اجتمع بعسكره
ظانا انه فاز بظفره مخبرا بوفاته وتعمية خبره ففرغ باله وأصلح رجاله واطمأن خاطره
واستقرت أموره واستقامت جبوره فلما هجم جيش الليل أقبلت السباع من الوادى كانها
السيل وقصدت الوحوش والهوام ما لها من مأوى ومقام وعوت الذئاب وزأرت الاسود
وهمرت النمور والنسور والفهود فساورت ابن الملك الهموم وأورثته أصناف الغموم
واحتوشته المخاوف والوجوم فلجأ الى جناب الحى القيوم جناب لا يخيب قاصده ولا يصدر
الا بنيل الامل وارده وصار يحسس بيديه ويصغى الى الحيوان بأذنيه ويمشى الى كل جانب
ويهوى بيديه الى الاطراف والجوانب ويتعلق بحبال الهواء كالغريق الغاطس فى الماء
فوقعت يده على شجره فعلق فيها يديه وظفره وصعد عليها وأوى اليها وتوجه بقلبه الى خالقه
وموجده ورازقه وقطع عما سواه أسباب علائقه واشتغل بالذكر والتسبيح وفوض أمره
الى الله سبحانه وتعالى بامل فسيح واستمر في هذا الويل برهة من الليل وكان طائفة من الجان
المهره كل ليلة تأوى الى هذه الشجرة فيتذاكرون ما جرى فى العالم وما صدر فى عالم الكون
والفساد من أعمال بنى آدم ويقيمون أفراحهم ويتعاطون انشراحهم فلما اجتمعوا تلك
الليله ذكر كل قوله وما جرى من الحوادث ومن المفرحات والكربات وما وقع من
العجائب واتفق من واقعات الغرائب فقال واحد من القوم ومن العجب ما وقع اليوم من
الامر الكريه ما فعله ملك بابل بابن اخيه وذكر لهم القضيه وما تضمنته من بليله وجعل
يتأرق ويتحرق ويتبرم ويتضرم ويحرق الارم ويتعجب من عدم وفاء بنى آدم فقال رئيس
الجان وهذا غير بديع من طبع الانسان فانه مجبول على الغدر مطبوع على الدهاء والمكر

نفسك ومظهر لك سريرتك ومعاملك
بحالك التى قدمت لها فانك قدمت
بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة
فتذهب بها الى بلادك وتسر بها
ملكك وكان قدومك بالمكر
والخديعة ولكنى لما رأيت صبرك
ومواظبتك على طلب حاجتك
والتحفظ من ان يسقط منك الكلام
مع طول مكثك عندنا بشئ يستدل
به على سريرتك وامورك ازددت
رغبة فى اخائك وثقة بعقلك وأحببت
مودتك فانى لم ار فى الرجال رجلا
هو أرصن منك عقلا ولا احسن
ادبا ولا اصبر على طلب العلم ولا أكتم
لسره منك ولا سيما فى بلاد غربة
ومملكة غير مملكتك وعند قوم
لا تعرف سنتهم وان عقل الرجل
ليبين فى ثمان خصال الاولى منها
الرفق والثانية ان يعرف الرجل نفسه
فيحفظها والثالثة طاعة الملوك
والتحرى لما يرضيهم والرابعة معرفة
الرجل موضع سره وكيف ينبغى ان
يطلع عليه صديقه والخامسة ان
يكون على ابواب الملوك اديبا
ملق اللسان والسادسة ان يكون
لسره وسر غيره حافظا والسابعة ان
يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم
الا بما يأمن تبعته والثامنة ان كان
بالمحفل لا يتكلم الا بما يسئل عنه
فمن اجتمعت فيه هذه الخصال
كان هو الداعى الخير الى نفسه وهذه
الخصال كلها قد اجتمعت فيك
وبانت لى منك فالله تعالى يحفظك
ويعينك على ما قدمت له فصادقتك
اباى وان كانت لتسلبنى كنوزى

الم

الم تسمع قول قائلهم في وصف فضائلهم وقبيح شمائلهم مما انخرط في سلك الفضل بدون منع ولا حجز اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز ثم قال الرئيس اعلم يا نفيس انى اعلم ما يزيل هذا الالم ويطفئ هذا الضرم ويشفى هذا السقم وهو أن هذه الشجرة النجيبه لها خاصية عجيبه اسمها شجرة النور وفضلها فى ذلك مشهور اذا أخذ من عصارة ورقها ووضعها الاعمى على حدقها انجلى عماها بقدرة رب براها وخالقها فاسوها ورد اليها بصرها وزاد نظرها ثم ان الخرابة الفلانيه فيها جرحية بذيه وهى تابعة ملك بابل الفاعل هذا الفعل السافل وحياته متعلقة بحياتها وموته موقوف على مماتها لان طالعه على طالعها وطبعه الاثيم مطبوع على طباعها فبمجرد ما تموت الحية يموت وينتقل من درج الملك الى درج الملكوت كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول فلجأ الى ذى القوة والحول حتى من عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول وجعل ينادى ويبتهل ويقول متى جبين الصبح يهل وينشد

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

فلما أصبح الصباح ونادى مؤذن السعد حى على الفلاح تيمم ابن الملك وصلى وحمد الله على النهار اذ تجلى ورض بين حجرين من ورق الشجرة واكتحل بمائه فرد الله عليه بصره ثم وجه ذهابه الى تلك الخرابه ورصد خروج تلك الحية اللاطئة وضربها ضربة غير خاطئه فأحاط بها نازل الهلك وفى الحال خر الملك ميتا على سرير الملك وبينما العزاء عليه قائم واذا بصاحب السير يرعابهم قادم وقد قصد ملك أبيه وتمكن من ملكه وذويه وتصرف فيه كما شاء وألبسه خلعة الملك من يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وانما أوردت هذه التمثيل خوفا أن يكون صاحب مولانا الملك الجليل الذى بخراسان من هذا القبيل فتبدل المحبة بالبغض وترجع على موضوعها بالنقض ثم ان بعض الاصحاب والاخوان يفعل ما يفعله من الخير والاحسان على سبيل المكافاه لا على طريق المروءة والمصافاه فاذا كافأ بالاحسان عاد الى ما كان عليه من العدوان فاسأل الحضرة الشريفه والمراحم المنيفه ذات الفضل المشهور والاحسان المأثور التأمل فى عواقب هذه الامور لئلا يصيبنا ما أصاب المسافر ضيف الحداد المنافر من العفريت الملقى فى المحافر قال أخبرنى أيها الولد النجيب عن ذلك الامر العجيب وقاك الله شر الوحيب (قال) بلغنى من رواة الاخبار ان شخصا من الاخيار لازم الاسفار وقطع القفار وجاب مشارق الارض ومغاربها وبلغ أكنافها وجوانبها وشاهد عجائبها وغرائبها وقاسى حر الزمان وقره وذاق حلوه ومره وعانى خيره وشره فأداه بعض المسير الى بلد كبير فرأى فى بعض نواحيه وطرف من بعض ضواحيه طائفة من الصبيان قد اجتمعوا فى مكان فوصل اليهم ذلك الفقير فوجدهم واقفين على حفير يرمون فيه بالاحجار وهم يستغيثون بالستار من العدو المكار والخبيث الغدار والحسود القديم والكافر الذميم والشيطان الرجيم فسألهم ما هذه المعضله فقالوا عفريت وقع فى هذه البئر المعطله وهو عدو قديم نريد أن نقتله فقال افسحوا حتى أنظر اليه واساعدكم عليه ففسحوا عن ذلك الطوى فنظر فى قعر الركى فرأى فى جانب منها عفريتا منزويا وقد شجوه وكسروه وحطموه وكاد يهلك مما رجموه فعندما نظر اليه رق له وعطف عليه وقال أفضل المعروف اغاثة الملهوف وان لم يكن بيننا سابقة صداقه ولا وشيجة محبة ولا علاقه بل عداوة وتناجيه ومباينة أزليه لكن فعل الخير لا يبور ولله عاقبة الامور واذا قصد الانسان فعل الخير فلا عليه ان فعله مع أهله أو الغير وقد قيل للتمثيل

ونخرى وعلمى فأنك أهل لان تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك وتعطى سؤلك فقال له برزويه انى قد كنت هيأت كلاما كثيرا وشعبت له شعوبا وأنشأت له أصولا وطرفا فلما انتهيت الى ما بدأتنى به من اطلاعك على أمرى والذى قدمت له وألقيته على من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكبير من أمورى بالصغير من الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياى بحاجتى ما دلنى على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقى الى الفيلسوف والسر اذا استودع الى اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشئ النفيس فى القلاع الحصينة قال له الهندى لا شئ أفضل من المودة ومن خلصت مودته كان أهلا أن يخالطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان حفظ السر رأس الادب فاذا كان السر عند الامين الكتوم فقد احترز من التضييع مع انه خليق أن لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضاه فاذا تكلم بالسر اثنان فلابد من ثالث من جهة أحدهما أو من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع حتى لا يستطيع صاحبه ان يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان منقطعا فى السماء فقال قائل هذا غيم منقطع لا يقدر أحد على تكذيبه وأنا فقد يداخلنى من مودتك وخلطتك سرور لا يعدله شئ وهذا الامر الذى

أيها الانسان قدعداك الذم افعل الخير وألقه فى اليم ثم منع عنه الكبير والصغير وساعده على الخروج من البير واستنقذه من أيديهم وأطلقه فكان كمن اشتراه واعتقه فلما رأى العفريت هذا الاحسان من ذلك الانسان من غير سابقة ولا عرفان قبل يده ورجله وشكر له هذه الفعله وقال انى عاجز عن مكافأتك يا انسان فى هذا الاوان وأنا اسمى فلان فان وقعت فى ضيق أوضللت فى طريق فنادنى باسمى أحضر اليك بجسمى وانفعك فى ضيقك وأرشدك الى طريقك وأكافئك أيها اللوذعى بما فعلته معى ثم ودع كل صاحبه وخالف فى السير جانبه فوصل السياح الى بلد من البلاد له فيها صديق حداد فنزل عنده فأكرمه ورحب به وخدمه وكان لتلك البلدة عادة حسنه انهم فى يوم معين فى كل سنه يقربون من يقدم عليهم فيه ولا يسألون أخامل هو أم نبيه فان لم يقدم عليهم غريب فى ذلك اليوم اقترع فيما بينهم القوم فمن خرجت قرعته سحبوه وكسروا قرعته وقربوه فوافق ذلك اليوم قدوم السائح ولم يرد سواه من غاد ورائح ولا شعر به أحد من أهل تلك البلد فأخذوا فى القرعة بالاجتهاد فطرقت القرعة قرعة الحداد فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه فقال عندى غريب لم يكن أحد يدرى به فلم يدر السائح الا وقد أحاطت به الشوائح فهجموا عليه وربطوا عنقه ويديه ثم سحبوه وحبسوه وفى أضيق مكان أجلسوه وأشهروا النداء انه حصل للحداد الفداء فعلم السائح القضيه وتحقق أنه تورط فى بليه فذكر اسم العفريت وقد علقه الهم علوق النار بالكبريت فحضر لساعته ووقته فرأى السائح فى هوله ومقته واطلع على جملة الشان فقال لاتخش ياذا الاحسان اعلم ان أمير هذه البلد له ولد هو واحد أبويه وانى الآن أصرعه بين يديه ثم أنادى فى النادى ان رمتم شفاء هذا العليل فهو بدعاء ذلك الرجل الجليل السيد الصالح الزاهد السائح ضيف الحداد الذى بسببه حصلت هذه الانكاد فأطلقوه والتمسوا دعاءه فان فيه لعليلكم شفاءه ولا تطلبوا من غيره دواءه فاذا طلبوك وأغزوك وارغبوك وأكرموك واحترموك فادع بما يرفع نكدهم فانى اذ ذاك أترك ولدهم فاذا رأوا منك هذه الكرامه بالغوا وسلموك الزعامه وخيروك بين الرحيل والاقامة وأقل ما يفعل معك السلامه ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه وحل فى اعضائه وربطه فتخبط الصبى وتخبل وتكسل وتخبل وكادت روحه تخرج ويدرج مع من يدرج فاشتغلوا بشانهم عن أمر قربانهم فطلبوا الاطباء فاعياهم علاج هذا الداء ولم يقدروا على علاجه وتعديل مزاجه وتقويم اعوجاجه واشتغلت الخواطر وتنكد البادى والحاضر فعند ذلك نادى العفريت من ذلك البيت يسمعون كلامه ولا ينظرون مقامه ان زوال هذا العارض ومنع هذا الداء المعارض عند رجل قدوه مستجاب الدعوه رجل صالح زاهد سائح عالم عامل كامل فاضل هو بركة البلاد والعباد مادة الصلاح وقاطع الفساد وهو ضيف الحداد الذى فرط منكم فى حقه سوء الادب فأدركوه بالطلب وأسرعوا نحوه والتمسوا منه دعوه والا فولدكم هالك عنوه وبادروا باللحوق لئلا يخرج السهم من فوق فان سهم هذا المصاب بسبب ذلك أصاب فركب الملك بنفسه وسارع الى باب حبسه ودخل عليه وأكب على رجليه وطلب دعاءه ورام لولده شفاءه فتوضأ وصلى وأعرض عنهم وتولى وتوجه ودعا فحصل للولد الشفا ونهض فى الحال كأنما نشط من عقال ثم ان العفريت الجائى أتى الرجل السائح وقال لاتحسب انى اذا كافيتك صادقتك أو صافيتك كيف وعداوتنا قديمة مغروزه وغروس

تطلبه منى اعلم انه من الاسرار التى لاتكتم فلابد أن يفشو ويظهر حتى يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت فى هلاكى هلاكا لا اقدر على الفداء منه بالمال وان كثر لان ملكنا فظ غليظ يعاقب على الذنب الصغير اشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم واذا حملتنى المودة التى بينى وبينك فاسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عنى شئ قال برزويه ان العلماء قد مدحت الصديق اذا كتم سر صديقه واعانه على الفوز وهذا الامر الذى قدمت له لملك ذخرته وبك ارجو بلوغه وانا واثق بكرم طباعك ووفور عقلك واعلم انك لاتخشى منى ولا تخاف ان ابديه بل تخشى اهل بيتك الطائفين بك وبالملك ان يسعوا بك وانا ارجو ان لايشيع شئ من هذا الامر لانى انا ظاعن وانت مقيم وما أقمت فلا ثالث بيننا فتعاهدا على هذا جميعا فأجابه الهندى الى ذلك الكتاب والى غيره من الكتب فاكب على تفسيره ونقله من اللسان الهندى الى الى اللسان الفارسى واتعب نفسه وانصب بدنه ليلا ونهارا وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على نفسه من ان يذكر الملك الكتاب فى وقت ولا يصادفه فى فى خزانته فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب الى انوشروان يعلمه بذلك فلما وصل اليه الكتاب سر بذلك سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص عليه فرحه فكتب الى برزويه يامره

التباغض فى حدائق ذواتنا مركوزه أنا من نار وأنت من تراب شيمتك الترابية وشيمتى الاحراق والخراب ومتى استقام أعوج مع قوام أووجد بين المتباينين التئام وانما كان هذا الوفاء لئلا ينسب الى الجفاء ونحن على الكدر دون الصفاء وعلى ما نحن عليه من العدوان وان لم يصر بيننا معرفة ولا كان ثم صار شعلة لهب وترك السائح وذهب (ثم قال ابن الملك) ومن أنواع المحبة والصداقه ومايتأكد فيها من العلاقه نوع محبة تتوفر فيه لرغبة ينشأ من فرط الشهوه ويركب من صاحبه على الصهوه وتميل اليه النفس والطبيعه ولكن تكون استحالته سريعه فيزول بأدنى سبب ويشبه شواظ اللهب يتلهب ساعة وقد ذهب وربما ادى الى الهلاك والعطب كما فعل بالبطة الثعلب حيث كانت محبتها غير صادقة ومودتها بالشهوة مماذقه وشتان ما بين المحبة الخالصة والمحبة المنافقه لاجرم أدت الى عكسها وازهاق نفسها قال الملك أخبرني أيها الخبير كيف هو هذا النظير (قال ابن الملك) ذكر أن زوجا من البط كان له مأوى على شط جار بين رياض ومروج وغياض أزاهيرها عطره ورياحينها نضره وقريب من وكر البطتين مأوى لابى الحصين فحصل لذلك الثعلب المرض المسمى بداء الثعلب فسقط وبره وتمعط صوفه وشعره وذاب جسمه وتهرى لحمه وقارب التلف واللحاق بمن سلف وصار كما قيل

أصبح فى أمراضه يعذب * كخرقة بال عليها الثعلب

فلما أنحله السقم وأضناه قالت له سلحفاه لما زاد به المرض واشتط دواء دائك كبد البط فان أكلت كبد بطه نصلت من هذا البلاء البته فقال ومن لى بهذا الدواء اذ ليس لى حراك والبط فى الهواء فشفاء هذا الداء العضال من باب التعليق بالمحال وكأن الشاعر يعنينى اذ سمع أنيني ورأى سكونى تحت احمال شجونى بقوله

فقال قم قلت رجلى لاتطاوعنى * فقال خذ قلت كفى لاتواتينى

ثم استنهض همته واستنخى نهمته وصمم عزيمته واستعمل فكره واستورى مكره وقال لنفسه لا ينجيك من هذه الانكال الا التشبث بذيل المحال لعل الله واهب العطية يظفرنى بهذه الامنية ثم توجه وهو يتشحط الى صوب البط وصار يتلظى فى جنبات الشط الى ان لاح له بعد الاين أنثى هاتين البطتين فتخفى الى ان قاربها ثم واثبها فساعدته القوه فهوى فى هوه فاوسعه الا أن غالط وأظهر المودة وخالط وعبرت عيناه وبالط وأرى من نفسه ان تلك الوثبه انما هى من داعية المحبه ونهضة الاشتياق الى الاحبه ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحه ومن نعوتها سلك العفة فائحه وأخلاقها غادية بنشر الخير رائحه المخدرة المحجبه الحبيبة النجيبه حماك الله من قرينة رضيه جميلة الاوصاف بهيه فما أكثر احسانك وفضائلك وأوفر امتنانك وفواضلك لقد عممت باحسانك جميع معارفك وجيرانك وأطعت زوجك وحلالك وتحقق كل أحد لحسن الشيم حلالك ومازال ينفق عليها من حواصل هذه الخزعبلات ودفع أردان عقلها من معادن هذه التمويهات حتى سكنت بعض السكون وركنت اليه أدنى ركون ثم أخذ فى الايناس وتمهيد قواعد الاساس حتى اطمأنت واستكانت واستكنت ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ترين ما رأى فيك زوجك من الخلل ولاح له من عيب حتى فعل ما فعل قالت وما فعل ذلك الجعل قال لولا ان الغيبة ريبه والنميمة مشؤمه ونقل المجالس القبيحه وان كانت وقائعها صحيحه أمر مذموم وهذا معلوم لكنت أفصحت وأشبعت القول ونصحت ولكن الصبر على الضرائر

بتعجيل القدوم فسار برزويه متوجها نحو كسرى فلما رأى الملك ما قد مسه من الشحوب والتعب والنصب قال له ايها العبد الناصح الذى يأكل ثمرة ما قد غرس ابشر وقر عينا فانى مشرفك ومبلغك افضل درجة وامره ان يريح بدنه سبعة أيام فلما كان اليوم السابع امر الملك ان يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما اجتمعوا امر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من حضر من اهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه واثنوا عليه وامر الملك ان تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وامره ان يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة وقال يا برزويه انى قد امرت ان تجلس على مثل سريرى هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال اكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة واحسن عنى ثوابه وجزاءه فانى بحمد الله مستغن عن المال بما رزقنى الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لى بالمال لكن لما كلفنى ذلك وعلمت انه يسره ان امضى الى الخزائن فآخذ منها طلبا لمرضاته وامتثالا لامره ثم قصد خزانة الثياب فأخذ منها تختا من طرائف خراسان من ملابس الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال اكرم الله الملك ومد فى عمره ابد الآبدين الانسان اذا اكرم وجب

فعل الحرائر والورد لا يخلو عن شوك ولا الشباب عن نوع نوك فلما سمعت هذه الفجره حملتها المحبة الممزوجة بالشهوه ان ألحت عليه وسألت ايضاح ما لديه وأقسمت عليه بحق الجوار الا ما أطلعها على هذه الاسرار فقال لولا أن الجوار ذمه لما فهت بكلمه خصوصا وقد ألحت بالقسم وتشفعت بالجوار والذمم وأيضا لولا وفور الشفقه وعظم المحبة والمقه واعتمادى عليك انك ثقه وان صدرك مخزن الاسرار وانك سيدة الاحرار ما أطلعتك على شئ مما كان وصار اعلمى ان زوجك المشتط قد خطب بنت ملك البط وله فى هذه المكيده مدة مديده آخرها اليوم كان قد أرسل الى القوم الماشطة والخطابه أن يهيؤا اسبابه فلما سمعت هذا الكلام ساورها من الغيرة الضرام ولم تشك فى انه صادق وذهلت عن التمييز فى خبر الفاسق وجميع الاخبار عن الازواج يتوقف فيها النساء الا خبر الزواج ثم انها تماسكت وأرت تجلدا وتمالكت وقالت أحل الله له من الازواج ما طاب له لا حيلة الا الانقياد وترك المراد وموافقة السنة والجماعه والدخول تحت الامر بالسمع والطاعه وماذا يفيد التدله والحيره ان الحلال جدع أنف الغيره قال والامر كما ذكرت وما احسن ما افتكرت وصبرت وما يمكن الطعن فى الحلال ولكن هذا دليل الملال وكل من ادعى هواك وتخالل فى طريق سواك ولو بخلال من سواك فلا شك أنه قلاك وبنار الهجر والجفاء سلاك وليس هذا ساعة وتمضى ولا حادثة تقع ثم تنقضى انما هو أمر دائم ونزاع أبد الدهر قائم وأنا ما أخشى الا عليك مما يصل من النكد اليك فان حقك ثابت على وضررك عائد الى فانك جارة قديمه معروفة بحسن الشيمه لم أر منك الا الاحسان وعدم التعرض الى ايذاء الجيران وكل منا قد اعتاد بالآخر وباهى بصحبته وجواره وفاخر وأخاف ان يتجدد لى فى الجوار من يتصدى لى بالاضرار ويؤذى ولا يعرف حق الجار لا يعرفنى ولا أعرفه ولا ينصفنى ولا أنصفه فيتكدر لى الوقت ولا أخلو من نكد ومقت لاسيما وأنا ضعيف مبتلى نحيف فلا يستقيم الحال ولا أقدر على الارتحال ولا ازال يسدد المضارب ويفتل منها فى الذروة والغارب حتى أترك فيها اسمه وينفذ فى سويدائها من مكره سهمه فاسترشدته الى وجه الحيله فى هذه النازله الوبيله فقال الرأى السديد والفكر الرشيد أنه اذا أوصل قوله بفعله وأتبع فى اداء فرضه بنفله واختار غيرك عليك طلقيه وألف زوج لديك وأرض الله واسعه وهو المعتدى فى المقاطعه وأنا أكون السفير فى زوج يخجل البدر المنير يعمر دارك ويعرف مقدارك ويخدم كلبك وحمارك ويعلا وكرك خيرا ويطنك طيرا ودارك شعيرا وبرا مع كونه وافر الحشمه مسموع الكلمه قد جمع بين طرفى الاصالة والحرمه فقالت هذا الذى تقول أمر معقول والى الآن ما وقع وعلى تقدير ان يقع ان حصل الشقاق والنفاق وترجيح الانذال المستجدة على الكرام العتاق فيكون بيننا هذا الاتفاق وان وقعت بيننا المعادله ولم يحصل فى حقى منه مساهله ولا للضرة على مفاضله كيف أشاققه وعلى فعل مباح أضايقه فضلا عن أنى أفارقه وكيف أخرب دارى وأضر بحبى وجارى وأشمت بى الاعداء ويحتاط بى من كل جهة البلاء ولكن الرأى المحمود عندى يا ودود الصبر فى كل حال على الدهر النكود وتجرع الغصص لئلا يشمت الحسود كما قيل فى التمثيل ما بى دخول جهنم ولكن بى شماتة اليهود فلما رأى الخبيث انه لم يفده هذا الحديث ولم تتم له الحيله وافكاره الوبيله قال اقول الحق الذى حصحص ولا عنه محيد ولا مخلص ان زوجك قد نقل اليه انك اخترت غيره عليه وانك عاشقه وصحبتك له مخادعة ومماذقه وثبت ذلك لديه وعقد اعتقاده عليه وعزمه على

عليه الشكر وان كان قد استوجبه تعبا ومشقة فقد كان فيهما رضاء الملك واما انا فما لقيته من عناء وتعب ومشقة لما اعلم ان لكم فيه الشرف يا اهل هذا البيت فانى لم ازل الى هذا اليوم تابعا رضاكم ارى العسير فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما اعلم ان لكم فيه رضا وقربة عندكم ولكنى اسألك ايها الملك حاجة تسعفنى بها وتعطينى فيها سؤلى فان حاجتى يسيرة وفى قضائها فائدة كثيرة قال انوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا فى ملكنا لفعلنا ولم نرد طلبتك فكيف ما سوى ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه أيها الملك لا تنظر الى عنائى فى رضاك وانكماشى فى طاعتك فانما انا عبدك يلزمنى بذل مهجتى فى رضاك ولو لم تجزنى لم يكن ذلك عندى عظيما ولا واجبا على الملك ولكن الكرمه وشرف منصبه عمدا الى مجازاتى وخصنى واهل بيتى بعلو المرتبة ورفع الدرجة حتى لو قدر ان يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا افضل الجزاء قال انوشروان اذكر حاجتك فعلى ما يسرك فقال برزويه حاجتى ان يأمر الملك اعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر ابن البختكان ويقسم عليه ان يعمل فكره ويجمع رايه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه فى نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر فيه امرى ويصف حالى ولا يدع من المبالغة فى ذلك اقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا

الزواج انما هو تعلل واحتياج لفتح باب الشر وتعاطي اسباب النكد والضر وقد ثبت عندي ان ذاك الافاك الاثيم السفاك يريدان يجرعك كاس الهلاك فتيقظي لنفسك وتداركي غدك في امسك قبل حلولك في رمسك واستقيمي قبل عكسك وأنا منذ سمعت هذه الاخبار لم يقرلي قرار وذلك لوفور الشفقة وحسن الجوار وقد زدت ضعفا على ضعف وكدت لهذا الغم أسقى كاس حتفي وأنت يا غرض الحاسد تعلمين ان ليس لي غرض فاسد وهذا بديهي التصور لا يحتاج الى تدبر ولا تفكر ولقد غرت عليك والامر في هذا كله منك واليك فتكدر خاطرها وتشوشت ضمائرها وضاقت بها الحيل وتاه منها العلم والعمل ومن يسمع يخل وصالت أفكارها وجالت وبدر منها ان قالت والله لو أمكنني لقتلته ولو وجدت فرصة لاغتلته واسترحت من نكد الدهر المغبر وهذا العيش الوحش المكدر فالتقط الثعلب هذه الكلمة من فيها وعلم ان سهم ختله نفذ فيها لان عقود المحبة انحلت وصورة المودة القديمة زالت واضمحلت وتلاشت الصداقة بالكلية وانمحت شهواتها بادني جزئيه فقال لا تهتمي لذلك يا ضرة هند فعندي عقار من عقاقير الهند أحلى في المذاق من ساعة التلاق وامضى من السيف في حكم الفراق اسمها كسير الموت وتدبير الفوت وسم ساعه وتفريق الجماعه لو أكل منه ذرة أو شم منه نشره لقتل في الحال وفرق الاوصال من غير امهال فان اقتضى رأيك الاسد ان تخاصي من هذا النكد ناولتك منه شذره تكفيك ذرة منه أمره فان شئت اطعمته وان شئت اشممته ولولا انك عزيزة علي لم أفه لك من هذه الامور بشي ولقد فضلتك على روحي فاكتمي هذا السر ولا تبوحي فتحملت منه جميلته وعرفت قدرته وفضيلته وطلبت منه الدوا لتذهب به عن قلبها الجوا وتقتل زوجها المسكين وتسلم من نكده وتستكين وزالت تلك المحبة القديمه ونسيت الصحبة والصداقة القويمه ووعدها الثعلب أن يأتيها بالعقار وفارقها على هذا القرار ثم انها انتظرته ليفي بوعدها واحترق صبرها من نار سمها ووقدها وتقاعد الثعلب عنها ينتظر ما يأتي منها فحملها مشير الوجد اليه وساقها الاجل المحتوم الى ان قدمت عليه فدخلت وكره وقبلت يده وصدره فتمكن منها ذلك الغادر ومزقها كما يريد فصارت كالامس الغابر وانما أوردت هذا التمثيل لئلا يكون أصحاب مولانا السلطان من هذا القبيل فيكون المعتمد عليهم والمستند اليهم كالنائم على تيار الانهار والمؤسس بنيانه على شفا جرف هار قال الملك معاذ الله يا ولدي وقرة عيني وكبدي أن يكون صاحبي ومعتمدي من هذا النمط وشبيها بالعفريت والثعلب والبط بل كل من أصحابي وسائر أوليائي وأحبابي ما منهم الا الصديق المهذب والرفيق المؤدب والشفيق المدرب والعتيق المجرب وقد جربته في المودة والاخاء والشدة والرخاء والمروأة والسخاء كما جرى ذلك للتاجر المجرب صديقه في الشدة والارتخاء قال الولد نعم مولانا الامام بتقرير هذا الكلام (قال الملك) بلغني أن بعض التجار الاكرمين الاخيار والكرماء الابرار كان له مال جزيل وولد صالح جليل سعيد الطالع سديد المطالع عالي الهمه متوالي الحشمه ميمون الحركات جميل الصفات حسن الصوره مشكور السيره طاهر السريره وكان أبوه قد تخيل فيه مخايل السعاده وتفرس فيه آثار النجابة والاجاده فكان لا يصبر عن تأديبه وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه وتربيته بمكارم الاخلاق وترتيبه فقال له يا بني " ان الانسان يحتاج الى كل شي وأعظم ما يحتاج اليه ويعول في التحصيل عليه الصاحب الصافي والصديق المصافي والرفيق

استتم أن يجعله أول الابواب التي تقرا قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل ذلك فقد بلغ بي وباهلي غاية الشرف واعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقيا على الابد حيثما قرئ هذا الكتاب فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته وما سمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر واستحسنوا طلبته واختياره قال كسرى حبا وكرامة لك يا برزويه انك لاهل أن تسعف بحاجتك فما أقل ما قنعت به وايسره عندنا وان كان خطره عندك عظيما ثم أقبل أنوشروان على وزيره بزرجمهر فقال له قد عرفت مناصحة برزويه لنا وتجشمه المخاوف والمهالك فيما يقربه منا واتعابه بدنه فيما يسرنا وما أتى به الينا من المعروف وما أفادنا الله على يده من الحكمة والادب الباقي لنا فخره وما عرضنا عليه من خزائننا ليجزيه بذلك على ما كان منه فلم تمل نفسه الى شي من ذلك وكان بغيته وطلبته منا أمرا يسيرا رآه هو الثواب منا له والكرامة الجليلة عنده فاني أحب ان تتكلم في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته واعلم ان ذلك مما يسرني ولا تدع شيأ من الاجتهاد والمبالغة الا بلغته وان نالتك فيه مشقة وهو ان تكتب بابا مضارعا لتلك الابواب التي في الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه وكيف كان ابتداء أمره وشأنه وتنسبه اليه والى حسبه وصناعته وتذكر فيه بعثته الى بلاد الهند في حاجتنا وما أفادنا على يديه من هنالك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا وكيف كان حال برزويه وقدومه

المساعد فى وقت الشدائد فان المال ميال والذهب ذاهب والفضة منفضه والملبوس
بوس والمأكل متأكل والخيل خيال والفواضل شواغل والدهر قاصى والعصر
عاصى والاقارب عقارب والوالد معاند والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال خبال
والدنيا وما عليها لا تركنن اليها وما ثم الا رفيق ذو وفاء مجبول على الصدق والصفاء ان
غبت ذكرك وان حضرت شكرك مأمون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك فى حالك
وما لك ان غاب صانك وان حضر زانك فهو أفضل موجود يقتنى وأحسن مودود
يصطفى فان ظفرت به فتشبث بسببه ثم قال له يا بنى قد أقمت فى الحضر وانقضى لك فيه
ماذقت مما حلا ومر فلا بأس أن تحيط علما باحوال السفر فان السفر محك الرجال ومجلبة
الاموال ومكسبة التجارب ومرآة العجائب والغرائب فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه
واصحب معك فيه ما تحتاج اليه ثم أفاض عليه المال وأضاف اليه صالحى الرجال وحين
ودعه ووصاه واستودعه قال يا بنى لا تجعل دابك وطلبك واكتسابك الا اجتلاب
الصاحب النافع دون سائر المنافع فانه أوفر بضاعة وأربح تجاره وليس على الصديق
الصدوق أبدا خساره واجعله فى سفرك نصب عينك واشتره بنفسك ومالك ونقدك
ودينك وقد قيل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق واعلم أن الاخ الصلبى ربما يضرك وأما الصديق الصالح فانه أبدا يسرك
والصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق وقد قيل رب أخ لم تلده أمك فقبل الشاب
وصية أبيه ثم توجه فى حشمه وذويه بقصد جميل ومال جزيل فمكث غير بعيد ثم عاد
وهو سعيد فقال له أبوه حييت وحبيت ما أسرع ما جئت قل لى أين ذهبت وماذا كسبت
فقال يا أبت امتثالا مرسومك الكريم واكتسبت بالمال كل ولى حميم وقد جئت بهم
زمرا وعدتهم خمسون نفرا كل منهم صديق صادق ورفيق موافق فى الفضل بارع والى
الخير مسارع وفى الرخاء صادق الاخاء وفى الشدة أوفى عدة قال أبوه يا بنى كيف
تصفهم بهذه الصفه وتعرفهم بهذه المعرفه ولم تجربهم فى قضيه ولا واقعة صعبة أو رخيه
وقد قيل

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

وقد قيل أيضا

اذا رمت ان تصفى لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تصفى له الود أغضبه
فان كان فى وقت التغاضب راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(وقيل أيضا) الناس أكيس من ان يحمدوا رجلا * ما لم يروا عنده آثار احسان

واعلم يا ذا اللطائف انى خائف ان يكون أصحابك واصدقاؤك وأحبابك مثل أصحاب
الرئيس المدبر الخامل النفيس الذين رعوه فى روض وفره وتركوه فى قفر فقره قال
ابنه يا أبت كيف ورد ذلك وثبت قال التاجر ذكر رواة الاخبار أنه كان فى بعض الامصار
رجل رئيس كبير نفيس له أموال وافره وجهات متكاثره وأماكن عامره وضياع ومزدرعات
وبساتين واقطاعات وعقار له ارتفاعات فكان ولده يمد يده الى كل معصية ومفسده
ويجترى ذلك السفيه على كل ما يلوح له من جهات أبيه والتف عليه جماعه من عبيد
البطن والمجاعه كأنهم طير قرلى ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تعلى ومديد الاسراف
فى التبذير والاتلاف وصار أبوه ينصحه ويردعه عن جوعه ويبكته وقال له يا بنى استعمل
الاتفاق فى الانفاق واستخلص من الرفاق ذوى الاشفاق واعلم أن هذا المال هو لك مدخر
ولتصرفك فيه منتظر وانما أنا لك خازن والله تعالى مجازى على فعالى من مساو ومحاسن ويتقن

من بلاد الهند فقال ما تقدر عليه
من التقريظ والاطناب فى مدحه
وبالغ فى ذلك أفضل المبالغة واجتهد
فى ذلك اجتهادا يسر برزويه وأهل
المملكة وان برزويه أهل لذلك منى
ومن جميع أهل المملكة ومنك
أيضا لمحبتك للعلوم واجتهد ان يكون
غرض هذا الكتاب الذى ينسب
الى برزويه أفضل من أغراض تلك
الابواب عند الخاص والعام وأشد
مشاكلة بحال هذا العلم فانك أسعد
الناس كلهم بذلك لانفرادك بهذا
الكتاب واجعله أول الابواب فاذا
أنت عملته ووضعته فى موضعه
أعلمنى لاجمع أهل المملكة
وتقرأه عليهم فيظهر فضلك
واجتهادك فى محبتنا فيكون لك
بذلك فخر فلما سمع بزرجمهر مقالة
الملك خر له ساجدا وقال ادام الله
لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل
منازل الصالحين فى الآخرة والاولى
لقد شرفتنى بذلك شرفا باقيا الى الابد
ثم خرج بزرجمهر من عند الملك
فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه
الى المعلم ومضيه الى بلاد الهند فى
طلب العقاقير والادوية وكيف
تعلم خطوطهم ولغتهم والى أن بعثه
أنوشروان الى الهند فى طلب الكتاب
ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته
وخلائقه ومذهبه أمرا الا ونسقه
وأتى به باجود ما يكون من الشرح
ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع
أنوشروان أشراف قومه وأهل
مملكته وادخلهم اليه وامر بزرجمهر
بقراءة الكتاب وبرزويه قائم
الى جانب بزرجمهر وابتدأ بوصف
برزويه حتى انتهى الى آخره ففرح

أن المال هو عزك فى الدنيا وزادك الى الاخرى وان له وجوها ومصارف وعوارف ومعارف فاذا صرف فى غير محله ودفع الى غير أهله كان اثما ووبالا وفى الآخرة عذابا ونكالا واحق الناس المستحق لنزول الباس من اكتسب المال حلالا وبذره فى الفساد عيناوشمالا وادخر به اثما وخبالا فصرفه الى من لا يحمده وعليه حسابه ونكده وأنت اذا صرفت مالك ووزعته وفى غير مواضعه زرعته وانفقته على من لا يعرف فضائلك ولا يحمل جمائلك ولا يشكر صنعك ولا يقصد نفعك ولا يجاب لك خيرا ولا يكشف عنك ضيرا خرجت من عز الدنيا وفوت زاد الأخرى وهؤلاء الذين قلت مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ثمرة صحبتهم الندامه وعاقبة أمرهم الخيبة والملامه والبعد عنهم غنيمة وسلامه واذا كان الامر كذلك فاياك ياولدى ثم اياك من صحبة هؤلاء الاحداث والتلوث بقربهم فانهم اخباث واحتفظ بصون مالك ولا تنفقه الا على نفسك وعيالك وفيما يبقى ماء وجهك فى حالك ومآلك ولازال أبوه قابض عنانه بقدر طاقته وامكانه يذكره هذه الوصيه بكرة وعشيه حتى أدركته المنيه وخلف ذلك المال العريض لذلك الولد المريض فديده كما كان الى كل مفسده ونسى يومه وغده وشرح فى مناه متن اللهو وقرر حديث من كتاب فقه الزهو باب الانجاس ومعبود السهو واجتمع عليه قرناء السوء وحضروا وخلا له ولهم الجو فباضوا فى الفساد وصفروا وغابوا عن الرشاد وما حضروا وصاروا يعظمونه ويكرمونه ويحترمونه فاذا كذب صدقوه واذا ضرط شمتوه وشمتوه واذا نهق طربوا واذا اخطأ صوبوا واذا قعد قاموا واذا قام ناموا يفدونه بالمهج والارواح ويلازمون خدمته فى المساء والصباح وكان له أم مدبره عاقلة مفكره فقالت له يابنى لا تكن صبى وتذكر وصايا أبيك واياك ومن يليك وتأمل مالديك واحفظ مالك وما عليك ودبر معاشك وصن ماء وجهك ورياشك واعلم ان أصحابك وعشراءك وأحبابك وندماءك ورفقاءك وأخصاءك وأصدقاءك كلهم عبيد البطن ولو رقأت بذى شيق أوحصن لا خير عندهم ولا مير وجميعهم كسير وعوير فاياك اياك وصحبة من لا يتولاك لا تركن الى صداقتهم ولا تعتمد على موافقتهم فانهم فى الرخاء يأكلونك وفى البلاء يتركونك والى مخالب القضاء يسلمونك رأس مال محبتهم ما فى يديك وأساس بنيان مودتهم ما يرونه من النعماء عليك فان قل والعياذ بالله فلوا وخلوك فى عقد النوائب مربوطا وانحلوا وأقل الاقسام ياذا الاصل السام ان تجرب أصحابك وتختبر من يلازم بابك ويقبل بشفاه المودة أعتابك فى شئ نابك أعجز عن حمله نابك من حوادث القضاء أوفى حالة من أحوال الغضب والرضاء أو السعة والضيق أو التكذيب والتصديق فمن وجدته ناصحا صادقا أو مطاوعا مصادقا وفى كل الاحوال موافقا وفى الرخاء والشدة مرافقا يوثق به فى الغيبة والحضور وحالتى السرور والشرور يؤدى الامانه ويجتنب الخيانه ويغار على دينك وعرضك ويساعدك على اداء سنتك وفرضك فاركن اليه واعتمد فى امورك عليه ومن وجدته منافقا وفى اخلاصه مماذقا ينسج شقة الوداد بوجهين ويتكلم كنغائص المداد بلسانين فلا تقربه ولا تصحبه فان بعده غنيمه والخلاص منه نعمة جسيمه وانظر بعين الثبات ما فى هذه الابيات من حسن الصفات فمن كان بها متصفا فتمسك باذياله فانه من أهل الصفا وهى هذه

وقد قيل قول المرء يكشف عقله * ويبدى مخاباه وما كان يكتم
فهذا كلامى مظهرما أكنه * وأكثر هذا الخلق عن عيبهم عموا

الملك بما أتى به برزجمهر من الحكمة والعلم ثم اثنى الملك وجميع من حضره على برزجمهر وشكروه ومدحوه وامر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلى وأوان فلم يقبل من ذلك شيأ غير كسوة كانت من ثياب الملوك ثم شكر له ذلك برزويه وقبل راسه ويده وأقبل برزويه على الملك وقال أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بى وبأهلى غاية الشرف بما أمرت برزجمهر من صنعة الكتاب فى أمرى وابقاء ذكرى

﴿باب غرض الكتاب﴾
﴿ترجمة عبد الله بن المقفع﴾

هذا كتاب كليله ودمنه وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التى ألهموا ان يدخلوا فيها ابلغ ما وجدوا من القول فى النحو الذى أرادوا ولم تزل العلماء من اهل كل ملة يلتمسون ان يعقل عنهم ويحتالون فى ذلك بصنوف الحيل ويبتغون اخراج ما عندهم من العلل حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على افواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال أما هم فوجدوا متصرفا فى القول وشعوبا يأخذون منها وأما الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه والمتعلم من الاحداث ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولا يدرى ما هو بل عرف انه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان كالرجل الذى لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمله من أمر معيشته

فمن شيمتي اني مطيع لصاحبي * وأصلح عن خصمي وان كنت أخصم
وأرضى لنفسي دون ما هو حقها * وألزمها للخل ما ليس يلزم
اذا قال أصغي للمقال وانني * لأعلم منه بالمقال وأفهم
ولم أشك من خل لشلائي * ومن لي بخل لا يمل ويسأم
وأقطع في بحثي وان كنت غالبا * واسكت حتى قيل ذا ليس يعلم
لا بقي ودادالناس لي لأضيعه * ومن لايداري الناس يرمى ويرغم
وفي كل ذا تقوى الاله شعائري * ولا بد من لا يتقي الله يندم
ولا نقص في عقلي وأسباب نعمتي * وأني واني بالكمال مكرّم
ولي همة يسمو الى الاوج قدرها * ولكن خمول المرء للدين أسلم
ووجه اعتقادي مثل عرضي أبيض * وديني متين واعتمادي مقوّم
وحسبي من دنياي قوت وخرقة * يبلغني آثار من قد تقدموا
فهذي غريزات لديّ وانني * لأدعو الى هذي الخصال وأعزم

فأثر هذا الكلام فيه وتأمل ما تضمنته فحاويه ثم أراد ان يجرب ملازميه ومن بروحه وجسده يفديه فقال يوما من الايام وقد اجتمعوا على منادمة المدام اتفق أمر عجيب وشأن غريب وهو أنه كان عندنا هاون في زوايه مخزون زنته ربع قنطار أتى البارحة عليه الفار فقرضه وأكله وعمه بالاكل وشمله فلم يدرك من ذلك النحاس في مكانه الا ما فضل من برادة أضراسه وأسنانه فترشفت ثغور آذانهم منطقه واستحلى كؤسها كل منهم وصدقه وقالوا هذا وقع بغير شك لان الهاون كان فيه ودك والفار أسنانه باضعه وأضراسه لجن حوافيش بغداد قاطعه فلما راى انهم وافقوه وصوبوا كلامه وصدقوه ازدادت فيهم محبته وقويت اليهم رغبته حيث رفعوا رتبته وستروا في جيب مكنونهم عيبه وحققوا محاله وصدقوا مقاله فاسرع الى أمه مسرورا فرحا محبورا منشرحا وقال يا أماه انظري كلام أصحابي واخبري مقام أحبابي ذكرت لهم كلاما باطلا ومن حلية الصدق والامكان عاطلا فحققوه بلا مريه وأثبتوا حقيقته من غير فريه وصاغوا له من جواهر التوجيه أبهى حليه وذكر ما جرى لهم وله من الجنون والخباط والوله فقالت له أمه يا ولدي ومهجة كبدي هذا أمر يضحك منه الجاهل ويبكي على حالك الحالك منه العاقل كما قيل

أمور تضحك السفهاء منها * ويخشى من عواقبها اللبيب

اعلم أيها الذاهل الغافل انك لست من أصحابك على طائل وهؤلاء أعداء في صورة أوداء وهم في التمثيل كما قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وتيقن ان هؤلاء في النعمة خداعون وفي النقمة لذاعون وأنت شاب غرير وباعقاب الامور لست ببصير لا مارست الخلق ولا فرقت بين الصادق من ذوي الملق لا خبرتهم ولا سبرتهم ولا دخلت مداخلهم ولا ميزت خارجهم وداخلهم ان الصديق الصادق والرفيق الفائق من بصرك عيوبك وغفرلك بعد نصيحتك ذنوبك وأطلعك على حقائق الاشيا ونبهك على ما خفي من أمور الدنيا وأرشدك الى ما يزينك ويصلح به دنياك ودينك وأبكاك اذا نصحك لا من اضحكك وفضحك وأما الذي يدلس ويلبس ويوسوس ويهوس ويروج الباطل ويحلي العاطل فذاك ليس بصديق على التحقيق وانما هو عدو فلا يمكن لك معه

فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها من وجوه الادب وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له والى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه الى البهائم وأضافه الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التي جعلها امثالا فان قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما اريد بتلك المعاني ولاي ثمرة يجتني منها ولاي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب وانه وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة ما يقرأ منه لم يعد عليه شئ يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيما يقرؤه كان خليقا أن لا يصيبه الا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شئ من عين وورق فقال في نفسه ان أنا أخذت في نقل هذا المال قليلا قليلا طال عليّ وقطعني الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما اصبت منه ولكن سأستأجر أقواما يحملونه الى منزلي واكون انا آخرهم ولا يكون بقي وراءي شئ يشغل فكري بنقله واكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني عن الكد بيسير اجرة اعطيها لهم ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز به حتى اذا لم يبق من الكنز شئ انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيأ لا قليلا ولا كثيرا واذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه

قرار ولا هدو فلم يلتفت الشاب الى هذا الخطاب حيث كان مصادما لغرضه غير شاف لعلته ومرضه وقال صدق من نطق وفاه بالكلام الحق من قال افشاء السر الى النساء فعل الاحمق ثم تركهما وغدو واستمر هو مع اقرانه يلهو ودام على تلك الحال حتى اذا دنت لنفادها الاموال وبيع الرخيص والغال فما استفاق من سكرته واستيقظ من رقدته الا والاموال قد ذهبت والديون قد ركبت وهو ينشد والى مذهبه يرشد

ايذهبوا في ملامي اينما ذهبوا * في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

الى ان ذهبت السكره وجاءت الفكره ونفقت البيضاء والصفراء في الحمراء والخضراء واصبح ملقى على الارض السوداء واتعس من فوق الغبراء وافلس من تحت الزرقاء وتراجع عنه الاصحاب وعاداه الاصدقاء والاحباب ورجعوا عنه بعدما سئموا منه وصار ناديه يناديه

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

وصارت محبتهم له تكلفا ورؤيتهم اياه تعسفا فاتفق له في بعض الايام ان قال في اثناء الكلام لذلك الجمع بعينه الذين كانوا اجمعوا على صدق مينه الفار الغدار اكل لنا في الدار البارحة رغيفا كاملا فاتى على اكله شاملا فما ابقى منه لبابه ولا غادر من غدير وجوده صبابه فتنادوا للعال بالمحال والكذب في الاقوال الفار الضعيف كيف يأكل كل الرغيف وهو عاجز نحيف وتناولوه بالطعن وتناوشوه بألسنة السب واللعن وزيفوا اقواله وسفهوا افعاله وانما ذكرت هذا الكلام يا ابن غلام واحسن من البدر التمام لتعلم ان اكثر من يدعى صدق الصحابة من ذوى المعارف والقرابه انما دعواه كذابه كسحاب صيف لا يديم انسكابه وان الشخص مع الناس الاوغاد والاكياس بمنزلة كوز الفقاع ان رأوا فيه حلاوة الانتفاع استلموه وبالايدي رفعوه وقبلوه ورشفوه واذا مصوا محصوله وفرغوه رموه وتركوه وتحت الاقدام طرحوه ثم قال التاجر لولده راحة روحه وجسده وان كان من صحبتهم وفي سفرك اكتسبتهم مثل هؤلاء الاصحاب فاياك ان تفتح لهم الباب وترفع بينك وبينهم الحجاب (فقال الولد) معاذ الله الواحد الاحد يا ابت عندي ثبت انهم بدور كرام وصدور عظام يقومون لقيامي وينصتون لكلامي ويجيبون ندائي ويؤمنون على دعائي وهم اخلاء في السراء والضراء (فقال ابوه) اعلم يا ابني وقرة عيني اني عمرت سبعين سنة وعاينت من الامور السيئة والحسنه وبلوت الاصحاب وتلوت الاعداء والاحباب ورأيت الدنيا واهلها وقلبت وعرها وسهلها ولم اترك من جنس بني آدم في اكناف الآفاق واطراف العالم من امم العرب والعجم نوعا لم اخبره وصنفا لم اسبره فلم يصف لي على التحقيق غير صديق ونصف صديق فانت يا ابني العزيز الغالي كيف قدرت بالتوالي في هذه المدة اليسيره على جمع هذه الطائفة الكثيره وها انا بالامام اريك مصداق هذا الكلام واطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام ثم عمد الى شاة فذبحها وبدمها في ثياب طرحها ثم دبجها وفي كفن ادرجها وقال لابنه قم يا ذا الارتقاء ارني هؤلاء الاصدقاء واحدا بعد واحد لتحقق غيب غيبهم بالشاهد وتعرف طرائقهم وتقبيز حقائقهم ثم وضع الشاة في عدل واخفى كل هذا الفعل وحمل العدل على ظهر غلام وخرج ليلا والناس نيام وقصد احد الاصحاب وطرق عليه الباب فخرج مسرعا اليه وترامى متواضعا بين يديه واظهر البشر والسرور والابتهاج والحبور وبالغ في الاحتشام والاكرام والاحترام وشكر مساعي الاقدام ثم بادر الى دعوته للدخول وتعاطى انجاح ما له من سؤل ومأمول فقال

ولم يكن له من ذلك الا العناء والتعب لانه لم يفكر في آخر امره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا او باطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو ان رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به الا ان يكسره وكان ايضا كالرجل الذى طلب علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فاعلمه حاجته الى علم الفصيح فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم في محفل من اهل العلم والادب فأخذ في محاورتهم فجرت له كلمة اخطأ فيها فقال له بعض الجماعة انك قد اخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف اخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي فكانت مقالته لهم اوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل وبعدا من الادب * ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له ان يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذى زعموا ان سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله لاسكتن حتى انظر ماذا يصنع ولا اذعره ولا اعلمه انى قد علمت به فاذا بلغ مراده قمت اليه فنغصت ذلك عليه ثم انه امسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما

له الشاب يا زين الاصحاب وعين الاحباب دع الكلام لضيق المقام فقد دهتني دهيه
وعرتني بليه واعظم بها من قضيه وبالها من رزيه فقال ماهي وتيت الدواهي فقال
كان بيني وبين واحد من اهل الشقاوة خصومه قديمة واسباب عداوه اسمه معروف
وذكره موصوف لشخص مفقود لم يكن له حقيقة في الوجود وهو من اكابر الزمان
واحد الرؤساء والاعيان فتلاقينا في خلوه وتداعينا ما بيننا من جفوه وتنابشنا الاسباب
وتناوشنا باللعن والسباب وتناولنا في الشقاق شق الاعراق وتأذت القلوب من
الاغراض بالامراض وتنقلنا من المكالمه الى المشاتمه ومن المواصمه للالكمه وترقينا
من الكفاح الى الجراح فثارت النفس المشؤمه الى ايقاع حركة ذميمه فضربته فجرحته
وقتيلا طرحته ولم يشعر بنا أحد من أهل البادية والبلد وندمت غاية الندم واني بعيد
وقد زلت القدم وجرى قلم القضاء بما حكم ثم افتكرت بمن استعين على هذا الامر اللعين
وادرت في خاطري كل مساعد ومعين فلم يعل القلب الا اليك ولا استقر الخاطر في ركونه
الا عليك وقد قصدت جنابك وعمت بابك اذ انت اعز مخدوم والسر عندك مكتوم
وها هو مقتولا أتيتك به محمولا فاحفر لهذه الجثة حفيره واخفي عندك أياما يسيره الى
أن تطفأ هذه النائرة وتسكن الفتنة الثائره وهذا وقت المروه وزمان الفتوه والقيام بحق
الصداقة والاخوه فلما سمع الصاحب اللبق هذا الكلام القلق تضجر وتضرر وتنكد
وتضور وقال يا أخي بيتي عتيق مع انه حجر مضيق لا يسع أولادي ولا زادي وعتادي واذا
ضاق عن الاحياء فكيف بالاموات وهذه بلية من أوحش البليات وأظنها لا تخفى على
الناس ويدركها أولو الفراسة والاغبياء فضلا عن الاكياس لان قضايا كم قبل اليوم
مشهوره وبلغني ان عداوتكم قديمة مذكوره وفي التواريخ وصدور الكتب مسطوره ولكم
وقعات ونوازل وله أيتام كأنهم زغب الحواصل وأما انا فلا يمكنني الدخول فيها ولا تعاطيها
بوجه من الوجوه ولا تلاقيها فاكفني شر ضيرها واندبني الى غيرها واني اكتم سرها فلا
تخف من جهتي شرها فألح عليه فما أفاد ورده غير ظافر بما أراد فلما أيس منه تركه وانتقل
عنه ودار على سائر أصحابه وذكر لهم مثل الاول وخطابه فكان جواب الجميع مثل
جوابه الى ان اتى على الجميع واستوفى شريفهم والوضيع ورأى ما هم عليه من طبع
بديع كأنهم كانوا متواردين على شرب هذا الصنيع فعاد الى داره ورجع الى صحة بيان
التنبيه فقال له بعد ذلك أحققت صدق ما قلت لك وتبينت ماهية أصدقائك
وحقيقة أوليائك وانهم نقش حيطان ورقش غيطان وغمام بلا مطر واكمام بلا زهر
واجام بلا ثمر (ثم قال) قم يا زين الاحباب أريك ما قلت لك من حقيقة الاصحاب ثم دخلا
الطريق وقصدا نصف الصديق وطرقا الباب فخرج وتلقاهما بالترحاب فقال له ذلك
المقال وقصد اعونته اخلاص من ذلك العقال فقال حبا وكرامه حلتما بمنزل
السلامه انا بكم نشيط واحلكم بي بسيط غير اني اعلمكم ان منزلي غير فسيح حتى ادفن فيه
هذا الذبيح وليس لي مخباة ولا مخدع ولا سكن في مطاويه ولا مصنع واخاف ان امركم
لا يختفي وبهذا المقدار في امركم لا اكتفي ويدي لا تملك غيره وقد وقعت بهذا السبب
في حيره وبالجملة والتفصيل انا اكفيكما شر هذا القتيل فقالا لا نقنع بذلك ولكن سد
عنا المسالك فقال توجها حيث شئتما فلا انا سمعت ولا انتما قلتما فتوجها الى الصديق
الكامل وذكرا له الامر الحامل وقصدا بتلاقيه كرمه الشامل فقال لهما أوشئ غير ذلك

وفاكما

اراد وامكنه الذهاب واستيقظ
الرجل فوجد اللص قد اخذ المتاع
وفاز به فأقبل على نفسه يلومها
وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص اذ لم
يستعمل في امره ما يجب وقد يقال
ان العلم لا يتم الا بالعمل وان العلم
كالشجرة والعمل به كالثمرة وانما
صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به
وان لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى
عالما ولو ان رجلا كان عالما بطريق
مخوف ثم سلكه على علم به سمى
جاهلا ولعله ان يكون قد حاسب
نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت
بها فيما هو اعرف بضررها فيه
واذاها من ذلك السالك في الطريق
المخوف الذي قد عرفه ومن ركب
هواه ورفض ما ينبغي ان يعمل بما
جربه هو أو أعلمه به غيره كان
كالمريض العالم بردىء الطعام
والشراب وجيده وخفيفه وثقيله
ثم يحمله الشره على اكل رديئه وترك
ما هو اقرب الى النجاة والتخلص من
علته واقل الناس عذرا في اجتناب
محمود الافعال وارتكاب مذمومها
من ابصر ذلك وميزه وعرف فضل
بعضه على بعض كما أنه لو ان رجلين
أحدهما بصير والآخر اعمى ساقهما
الاجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا
صارا في قعرها بمنزلة واحدة غير
ان البصير اقل عذرا عند الناس
من الضرير اذ كانت له عينان يبصر
بهما وذاك بما صار اليه جاهل غير
عارف وعلى العالم أن يبدأ بنفسه
ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته
اقتناءه العلم لمعاونة غيره ويكون
كالعين التي يشرب الناس ماءها
وليس لها في ذلك شئ من المنفعة

وقاكما الله شر المهالك فقال لا الا دفن هذا المقتول واخفاء هذا الامر المهول وأن نكون تحت أذيال الستاره حتى تسكن هذه الفتنة الثائره فان أهله يطلبونا فان وجدونا يسلبونا ولا يرضون الا بالدمار وخراب الديار ولا يقنعون بالمال والعقار وهذه قضية عظيمه وداهية جسيمه فان كنت تنهض باطفائها وحمل أعبائها وتسعى فى أخفائها فقد قصدناك ودون الاصحاب أردناك فان عجزت عن سدها فلا عتب عليك فى ردها ولا تتكلف فوق طاقتك ولا تتجشم لاجلنا غير استطاعتك فقال سبحان الله واسوأتاه هذا يوم المروأه والوفاء وتذكر وسائل اخوان الصفاء فلكم الفضل اذ قصدتمونى والجميلة التامة حيث أردتمونى أما والله لو كان ألف قتيل لواريته وكل ما كان من أمر غيره جاريته وداريته لا يسمع أبدا خبره ولا ترى عينه ولا أثره وأما أنتما فأفديكما بروحى وأولادى وطريفى وتلادى وعندى ديار أنزه من جنان الابرار وأفيح من كل دار فادخلوها بسلام آمنين فانها تشرح كل قلب حزين ولو أقمتم بها سنين ما شعر بكم أحد من العالمين فيها أرغب نديم وأقرب خديم وأحسن جليس وأمن أنيس فلن تملوا مقامها ولا تعدموا اكرامها فأنتم عندى من لا عل أبدا نزيله ولكم فى ذلك الفضل والجميله قال التاجر شكر الله سعيك وحفظ على أصحابك مودتك ورعيك ثم ودعه وانصرف وقد عرف الولد من حقيقة الامر ما عرف (ثم) قال لولده يابنى وأعز عندى من كل شى ان اتخذت الصديق فليكن صديقك على هذا الطريق والا فالانفراد أحسن والعزلة أوفق ان أمكن كما قيل

فاق حى كل الملاح كمالا * هكذا هكذا والا فلالا

ولقد أرشد من أنشد حيث قال هذا المقال

مافى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ثم ان الملك) قال لاولاده ياذوى الافضال ان غالب أصحابى من الامراء والرؤساء الكبراء خصوصا فلان أمير ممالك خراسان هم من هذا القبيل وأنا عودتهم هذا الجميل فكونوا فى الحقيقة متمسكين باسباب هذه الطريقة (فلما) أكمل وصيته أولاده هيأ اسفره عتاده وذكر الله وزاده ثم ودعهم من دار الشرور وانتقل الى دار الحبور والسرور وقد عهد الى أكبر أولاده واستودعهم الله وهو القاهر فوق عباده من لا تضيع الودائع لديه ولا يخيب من توكل عليه فسمعوا الوصية وأطاعوا وتعلقوا باذيال أهدابها فاضاعوا واستمروا تحت أمر أخيهم كما كانوا فى حياة أبيهم كأن أباهم ما مات ولم يقع بينهم شتات فدام لهم السرور وانحسمت عنهم مواد الشرور وأشرقت بهم ممالكهم وأملاكهم ودارت بالسعود أفلاكهم (ثم) ان الحكيم حسيب انتقل من كلامه العجيب بعد فراغه من حكم ملك الاعجام الى فوائد ملك الاتراك الهمام فشنف المسامع وشرف كل راء وسامع وشرع فى القال والقيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك)

(قال) الشيخ أبو المحاسن حسان صاحب الحسن والمحاسن والاحسان ثم نهض الحكيم حسيب الاديب الاريب ووقف فى مقام خدمه وقبل موطئ اخمصه بشفاه خده وقال لقد بلغنى أيها السلطان ان فى قديم الزمان كان فى الترك ملك يسمى خاقان من الملوك العادلين

وكدودة القز التى تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغى لمن طلب العلم ان يبدا بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك ان يقبسه فان خلالا ينبغى لصاحب الدنيا ان يقتنيها ويقبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف وليس للعالم ان يعيب امرا بشئ فيه مثله ويكون كالاعمى الذى يعير الاعمى بعماه وينبغى لمن طلب امرا ان يكون له فيه غاية ونهاية ويعمل بها او يقف عندها ولا يتمادى فى الطلب فانه يقال من سار الى غير غاية فيوشك ان تنقطع به مطيته وانه كان حقيقا ان لا يعنى نفسه على طلب ما لا حد له وما لم ينله احد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون لدنياه مؤثرا على آخرته فان من لم يعلق قلبه بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها وقد يقال فى امرين انهما يجملان بكل احد احدهما النسك والآخر المال وقد يقال فى امرين انهما لا يجملان بكل احد الملك ان يشارك فى ملكه والرجل ان يشارك فى زوجته فالخلتان الاوليان مثلهما مثل النار التى تحرق كل حطب يقذف فيها والخلتان الاخريان كالماء والنار اللذين لا يمكن اجتماعهما وليس ينبغى للعاقل ان يغبط احدا ساق الله اليه صنعا وقد كان مرتقبا منه غير ذلك (ومن امثال هذا) ان رجلا كان به فاقة وجوع وعرى فالجأه ذلك الى ان سأل اقاربه واصدقاءه فلم يكن عند احد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة فى منزله اذ بصر بسارق فى منزله فقال والله ما فى منزلى شئ اخاف

والسلاطين الفاضلين برسم العدل معروف وبقصم الجور موصوف كسرالا كاسره وقصر
الاقاصره ونحر الجبابره وثغر فم الدعار النباله الفاغره ملك بلاد الختن والخطا واستولى
على ممالك المغل والحنا واطاع أوامره الترك والتتار واستسلم لرأيه سكان الدست والقفار
وكان يأجوج من جملة خدمه ومأجوج من بعض عبيده وحشمه كانه وارث لذرية يافث
قوى فى أخذ الملك من ممالك الصين وأخذ الى اطراف الشمال باليمين ولم يكن له من البنين
والبنات مع كثرة السرارى والزوجات سوى بنت واحده لطلعتها الاقمار شاهده

شمس ولا كالشمس عند زوالها * بدر ولا كالبدر فى نقصانه

بل بهرت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت ملاح الدنيا شمائل وخصالا وهى عزيزة فى قلب
أبيها كريمة على خواصها وذويها فصارت ملوك الاطراف يخطبونها ومن أبيها يطلبونها
فكان أبوها يفوض الامر اليها ويعتمد فى تزويجها عليها وهى لا ترغب فى طالب ولا تصغى
لخطبة خاطب الى ان عنست وخطابها أيست وكان أبوها كاذ كر ذا فطنة بالغه وهيبة
دامغه نخشى حوادث الزمان واختلى بها فى مكان وقال أعلمى يا معدن اللطائف ان البنت
فى منزل أبيها كالماء الواقف ان مكث يأسن وان لم يستعمل انتن ولا أقول ذلك مللا ولا
عجزا ولا استقلالا بل لابد للمرأة من زوج يلمها فيسترها ويصونها ونعم الختن القبر واحلى من
البنت الصبر فان رأيت الرغبة فى الزواج طلبت لك كفؤا من الازواج وكان ذلك استر لعرضك
وأدنى لاقامة سنتك وفرضك وافرغ لخاطر أبيك واشرح لخدمك وذويك فقالت أحسن
الله الرحمن الى مولانا الخاقان وكفاه كل جان من الانس والجان ان البنين من جملة
النعم والبنات من اعداد النقم ونعم الدنيا عليها الحساب ونقمها سبب الاجر والثواب
قال رب الارباب فيما أنزله من الخطاب فى محكم الكتاب المال والبنون زينة الحياة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقد جاء فى بعض التفاسير ان الباقيات
الصالحات هى البنات فمولانا الملك بعد وجودى نقمة عليه من معبودى واسأل الصدقات
الملوكيه والمراحم الوالديه ان لا يعجل فى أمر تزويجى وان لا يبادر كيفما اتفق الى تزويجى
فان التأمل فى ذلك أولى وثناء فى الدنيا وثواب فى الاخرى وذلك لان الكفاءه فى الزواج
معتبره وقد قرر ذلك الفقهاء البرره وان لم يكن الزوج للمرأة كفؤا فزواجها به يقع مخربه
وهزؤا ولا يفيد سوى الغرامه والفضيحة والندامه فقال الملك لا ازوجك الا بكفء كريم
يكون لك ادنى خديم وفى الناس اعلى مقام عظيم قالت يا مولانا الملك وقاك الله شر المنهمك
لا تحمل اعتراضى على الاساءه وانما اسأل عن كيفية الكفاءه فان كانت بالملك والمال فان
ذلك فى معرض الزوال وان كانت بانشاب الانساب فان ذلك خطأ الاصواب قال منزل
الكتاب العزيز الوهاب فاذا نفخ فى الصور فلا انساب وقال من لا يجوز عليه كذبه من ابطأ
به عمله لم يسرع به نسبه وانما الفقهاء حكموا بالظاهر والله يتولى السرائر ونحن فى قيد
الانقياد ولا يسعنا الا ما امر به الشرع واراد واما انا فيكفينى الكريم انما هو الكامل الحليم
الفاضل الرحيم قال الملك بارك الله فى رأيك وعقلك انا لا ازوجك الا بملك مثلك او ابن ملك
مثل ابيك يرعاك ويكرم خدمك وذويك يعدل بالسويه ويحكم على سائر الرعيه قالت ايها
الملك الكبير صاحب التاج والسرير انا ما اعرف الملك الا من يعرف يملك الحكم على نفسه فى
سيره ويكون متحكما متمكنا من الحكم على غيره فيحق ان يقال فى مالكه ذى الجلال خلد
الله سلطانه وشيد اركان مالكه وبنيانه قال الملك ومن هو ذاك بارك الله فيك وهداك قالت

عليه فليجهد السارق جهده فبينما
السارق يجول اذ وقعت يده على
خابية فيها حنطة فقال السارق
والله ما احب ان يكون عنائى الليلة
باطلا وانى لا أصل الى موضع آخر
ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط
قميصه ليصب عليه الحنطة
فقال الرجل ايذهب هذا
بالحنطة وليس ورائى سواها فيجتمع
على مع العرى ذهاب ما كنت
اقتات به وما يجتمعان والله هاتان
الخلتان على احد الا اهلكتاه ثم
صاح بالسارق واخذ هراوة كانت
عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة
الا الهرب منه وترك قميصه ونجا
بنفسه وغدا الرجل به كاسيا وليس
ينبغى ان يركن الى مثل هذا ويدع
ما يجب عليه من الحذر والعمل
فى مثل هذا اصلاح معاشه ولا ينظر
الى من تواتيه المقادير وتساعده على
غير التماس منه لان اولئك فى
الناس قليل والجمهور منهم من اتعب
نفسه فى الكد والسعى فيما يصلح امره
وينال به ما اراد وينبغى ان يكون
حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه
ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء
والشقاء فيكون كالحمامة التى تفرخ
الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك
ان تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها
فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح
وقد يقال ان الله تعالى قد جعل
لكل شئ حدا يوقف عليه ومن
تجاوز فى الاشياء حدها اوشك ان
يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال

اما

أما الحاكم على نفسه فهو المالك لزمام جوارحه وحسه قد جعل خزائن القلب والسمع معدنا لجواهر العقل والشرع فهما اقتضاه العقل امضاه وعمل بمقتضاه وما ارتضاه الشرع وقضاه كان فيه انقياده ورضاه قد تحلى بعقود مكارم الاخلاق ولو كان في أسمال أخلاق وشغل نفسه بتهذيبها واجتهد في خلاصها من شرك عيوبها واهتم بعيوبه عن بعيده وقريبه وبغيضه وحبيبه فذلك الحاكم على نفسه المميز على أبناء جنسه وأما حكمه على غيره فهو أن يكون في سلوكه وسيره منعزلا عن الناس في زوايا الياس لا يسال عن أحوالهم وعيوبهم ولا ينظر الى ما تحت أيديهم وجيوبهم مالكا لزمان العزله متنعما بهذه النعمة الجزله قد اتخذ التقوى والقناعه أحسن حرفة واربح بضاعه قد سلم الناس من يده ولسانه لا يدري بشانهم ولا يدرون بشانه فذلك الحاكم على غيره الفائز من ملك الدارين بخيره فهو الذي خلد ملكه وسلطانه واتضح للعالمين برهانه فان وجد بهذه الصفات موافق فانه لي كفؤ مكافي وانه كالبدر جلي نقي الصدر لله ولي فاذا انعم الزمان بمثل هذا منالا فنعم نعم والا فلا لا بخعل ملك الختن يتطلب مثل هذا الختن وأرسل القصاد الى أطراف البلاد يسألون سكان الاكناف وقطان الاطراف عن موصوف بهذه الاوصاف واستمروا على ذلك مده كل باذل جهده حتى ارشدوا بعد زمان أن المكان الفلاني فيه فلان رجل اعرض عن العرض فلم يكن له في الدنيا غرض وهو بمحسن الصفات موصوف وفي كرخ العبادة والاجتهاد معروف جامع لهذه الصفات ليس له الى الدنيا وأهلها التفات مشغول باكتساب الآخره وطالب نعمتها الفاخره وهو من نسل الملوك وقد ترك وراءهم السلوك وسلك في العلم والعمل السبيل الاقوم حتى كأنه محمد بن الحسن أو ابراهيم بن أدهم ولشدة ما هو لنفسه مجاهد سماه الناس الملك الزاهد فأجمع الخاقان على مصاهرته وجعل التقرب اليه قربة لآخرته فأخبر ابنته به وكان جل مطلوبها ومطلوبه وعقد بينهما النكاح وحصل الفلاح والصلاح فوافق شن طبقه وصار لعين مرامها كالحدقه ومضى على ذلك برهه وهما في طيب عيش ونزهه فاشتاق الخاقان في بعض الازمان الى رؤية ابنته وسرور مهجته فقام لدارها بقصد مزارها لينظر حالها وما عليها ومالها فوجدها في عيش هني وأمر سني فسألها عن أحوال زوجها الزاهد وكيف صبرها على حالها الجاهد فأثنت خيرا وكفت ضررا وضيرا وقالت جميع ما يبرز ويأتيه على حسب ما أريده وأرتضيه وارتفاعات أحوال الناس عادة مولانا في دفاتر الامن منضبطه وعقود حياتنا بيمين صدقاته في نحور الرفاهية غير منفرطه غير ان بيتنا واحد وبسبب ذلك يتضرر هذا العابد فيه نبيت وفيه نقيل وبجوانبه مالنا من خفيف وثقيل وقوت ونقود وخادم ومولود فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده لانها تستدعي عزلة العابد وانفراده وتخليه لمناجاة معبوده ليظفر من حلاوة الطاعة بمقصوده فأسأل مولانا الخاقان ذا الفضل والاحسان بيتا يتخلى فيه للعباده ومكانا يضع فيه خرثي البيت وعتاده فقال حبا وكرامه وقربى وسلامه (ثم) اجتمع الملك بصهره الذي به فاخر وذكر له انه أعطاه بيتا آخر أحدهما يكون لخلوته وعبادته والآخر يضع فيه ما يحتاجه من عتاده وقوته فقال الزاهد أيها الملك الماجد فعلت ذلك لتقسم خاطري وتوزع فكري وسرائري ولا طاقة لي أن أتعلق بمكانين وما جعل الله لرجل من قلبين وانما الزاهد من همه في الدنيا واحد فانه على عدد التعلقات يتوزع القلب الشتات واذا تعددت الاماكن يحتاج كل منها الى

من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ويقال في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا اصلاحها وبذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التواني ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر ورب مخبر بشيء عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه وينبغي للعاقل ان يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى في الخطا اذا التبس عليه أمره حتى يتبين له الصواب وتستوضح له الحقيقة ولا يكون كالرجل الذي يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد في السير الا جهدا وعن القصد الا بعدا وكالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سببا لذهابها ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم ويحب للناس ما يحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فانه من فعل ذلك كان خليقا ان يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه (فانه) يقال انه كان رجل تاجر وكان له شريك فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان احدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر في نفسه أن يسرق عدلا من اعدال رفيقه ومكر الحيلة في ذلك وقال ان اتيت ليلا لم آمن ان أحمل عدلا من اعدالي او رزمة من رزمي ولا اعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلا فأخذ رداءه

ساكن أوحافظ أوضابط أوحارس أورابط وأنا الاعتماد لى بحفظ نفسى أيها الولى فكيف يكون لى اقتدار على حفظ الاغيار واذا انقسمت أفكارى وفسد بالى فكيف أقدر على صلاح حالى وأنى يصلح مع فسادى امور معاشى ومعادى ثم انى اذا وزعت نفسى فقد نبهت راقد حرصى والحرص افعى قاتل وأسد صائل يقتلنى بسمه بل بمجرد شمه فقال الملك الكبير لا تهتم لذلك أيها الزاهد الخطير فان لى اماكن عديده وقصورا مشيده وحواصل مصونه وخزائن مكنونه الكل تحت تصرفك واختيارك لا منازع لك فيه ولا مشارك فاجعل لكل جنس من قماشك واثاثك ورياشك ومايقوم باودك ومعاشك مكانا على حده وناحية حفظ منفرده واتخذ لنفسك مقاما خاصا بك لاعاما وأنا اقيم على كل مكان حارسا ان شئت راجلا وان شئت فارسا فعند احتياجك الى شى أتاك هنا ميسرا من غير كد ولاعى وتفرغ أنت لعبادتك واشتغالك بامور آخرتك (قال) الزاهد أيها الملك المجاهد الاغترار بالقصور من جملة القصور والاعتماد على الحصون من دواعى الجنون واذا ورد من الملك الغفور طالب على يد القبور فماذا تجدى الدور والقصور وماذا تنفع الحصون أو يدفع كل مكان مصون واذا آذن بالحلول ذلك الخطب المهول تود النفس لو كانت القصور الممهده والبروج المشيده اذل من أفحوص قطاه وأقل من عش بزاه وقد قيل

قميص من القطن أوحلة * وشرب قماء قراح وقوت
ينال بها المرء ما يرتجى * وهذا كثير على من يموت

واعلم أيها الخاقان ان النفس لها خادمان مطيعان مجيبان ولما تأمر به سميعان وهما الشهوه والحرص الشديد الدعوه أما الشهوة فرائد الاكل الكثير والشرب وأما الحرص فعابد الرعونة والعجب وقد قيل

فهذا يقود الى طبعه * وهذا يسوق الى ربعه

فهما ليلا ونهارا وسرا وجهارا يزينان لها ما طبعا عليه ويجذبانها الى ما جبلا اليه ويتقاضيانها حقهما ويطالبانها مستحقهما ولابد للمخدوم من اقامة أود خادمه واسترضاء أنيسه ومنادمه وقد قال من اتقن المقال

ان اللبيب أخا اللبيب هو الذى * مع تيهه يحنو على عشاقه
وكذا الرئيس وأنت اكبر جنسه * من فاض فى الخدام من ارزاقه
يهتم ان حضروا له بنواله * يغتم ان غابوا على اشواقه
مع ان حشمته وفائض علمه * ترقى بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضا هذين الخادمين غاية لا تدرك وفقد مقصودهما نهاية عميقة المسلك وقد قال سيد الانام عليه الصلاة والسلام يوما وهو بين الاصحاب كالشمس ليس دونها حجاب والبدر لا يحجبه سحاب لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص مهلك والشهوة قاتله وكل منهما فى الدمار والبوار عاملة كامله وناهيك باخبار الحق وغباته اخبار اللصوص الثلاثه فطلب الملك من الزاهد ايضاح هذا الشاهد (فقال) ذكر أهل الوراثه أن لصوصا ثلاثه كانوا على سبيل الاشتراك متعاطين اسباب التحرم والهلاك واستمروا على ذلك مده حتى استولوا من الاموال على عده ففى بعض الليال ظفروا بجملة من الاموال ودخلوا الى مكان داثر خال بنية الاقتسام وكانوا محتاجين الى الطعام فوجدوا فى ذلك المكان الداثر صندوقا مملوا من الجواهر ففرحوا وانشرحوا وتصور

والقاه على العدل الذى اضمر اخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح اعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء صاحبى ولا أحسبه الا قد نسيه وما الرأى ان ادعه ههنا ولكن أحمله على رزمه فلعله يسبقنى الى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فألقاه على عدل من أعدال رفيقه وقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد وطأه على ما عزم عليه وضمن له جعلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار فى الظلمة فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعبا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض اعداله فندم اشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت وفقد العدل فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد استأمننى على ماله وخلفنى فيه ماذا يكون حالى عنده ولست اشك فى تهمته اياى ولكن قد وطنت نفسى على غرامته ثم اتى صاحبه فوجده مغتما فسأله عن حاله فقال انى قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلا من اعدالك ولا اعلم بسببه وانى لا اشك فى تهمتك اياى وانى قد وطنت نفسى على غرامته فقال له يا اخى لا تغتم فان الخيانة شر ما عمله الانسان والمكر والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور ابدا وما عاد وبال البغى الا على صاحبه وأنا احد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك

لاولئك الخاسرين انهم ربحوا فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع كابنا واهلكنا كلب الجوع فالاولى طلب الطعام قبل الاقتسام ولو بأدنى التمام ويسير التقام ثم أرسلوا مع أحدهم الى المدينة ورقهم ليأتيهم بما يسد رمقهم فلما انفصل عن مكانهما وغاب عن أعينهما تحركت نفسه الخبيثه بشهوة أججت تاريثه وقواها الحرص المشوم لشدة الشره الملوم ودعاه داعى الفساد الى الاستيلاء على المال بالانفراد فعزم على ختلهما فوضع فى الطعام سما لقتلهما وأماهما فعلى قتله عزما واستعد الذلك بعد ماجزما ليصير المال بينهما نصفين ويصيرا فى ذلك كالاخوين الالفين ويكون ذلك كانه وراثة لان شر الرفقاء ثلاثة ولم يدعهما الى ذلك غير داعى الشهوه وأكد ذلك داعى الحرص وأبخس بهامن دعوه فلما فصل ذلك بالاكل بادرا اليه بالقتل ثم بعد ما قتلاه عمدا الى الطعام فأكلاه فبردا فى الحال وتركا ذلك المال ولحقا بصاحبهما التالف وسيما تليد المال والطارف وانما أوردت هذه الموعظة لانها على أحوال الدهر موقظه وان كان مولانا الخاقان فى أموره يقظان لكن قد قال رب العالمين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واعلم يامولانا الخاقان كفاك الله مكايد الشيطان وأنجح مقاصدك على ممر الزمان أن الدرجة العليه والمرتبة السنيه لاتنال بقوة ولا عزمه ولا شجاعة ولا همة وانما هى عناية ربانيه وأسرار رحمانية لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزياده وانتظموا فى سلك أهل السعاده فهم أهل الفضل والسياده اسبغ الله عليهم سواطع الانوار وقطعهم عن قواطع الاشرار فهم السادة الاخيار والقادة الابرار قاموا بأداء ما وجب عليهم وتركوا ما خلفهم واستبشروا بما لديهم فأنوارهم ساطعه وأسرارهم لجميع الاوهام قاطعه تركوا زخارف هذه الدار وأرادوا دار القرار وجوار الملك الغفار فهم الهداة الى الله الدالون على الله لايعتريهم كدر الاوهام ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مدى الايام هم العباد المكرمون العباد المقربون قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فى كتابه المكنون ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون واعلم أن اعدى عدوك بين جنبيك وهى نفسك التى قط ماركنت اليك فاعص هواها ولا تعطها مناها فان فى اتباعها الندم عاجلا والحسرة آجلا لابقليل تقنع ولا بكثير تشبع ولا تظن أنها اذا أعطيت مناها شكرت أو اذا ذكرتها من برأها ذكرت بل متى أمنتها كفرت أو آنستها نفرت أو أرخيت عنها بطرت وأشرت وان نالت مطلبا أو تناولت مأربا انتقلت عنه وطلبت أعلى منه فليس لها دوا الا القمع عن دواعى الهوى كما قيل

النفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وكما قيل أيضا

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أهملت تاقت والا تسلت

وكما قيل أيضا

قنع النفس بالقليل والا * طلبت منك فوق ما يرضيها

واياك وطول الامل فانه مفسدة للعلم والعمل قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان وموجب الحرمان فاجهد ما دام لك على النفس ملكه أن تخلص نفسك من هذه الشبكه ولا تهتم للاقوات فكل ما قسم مافيه فوات وكل ما هو آت آت وكل ما رقمه القلم فى القدم واثبته قضاء الله تعالى عليك وأنت فى العدم سواء كان خيرا ام شرا نفعا أم ضرا فأنت ملاقيه وعلى كل حال موافيه فاقطع دواعى الطمع عمن لايضر ولا ينفع لاعمن ان شاء ضر وان شاء نفع ولا تجتمع الا بمثلك فى الجماعات والجمع ولا تتعب لجوع وعرى واكتساء وشبع فقد قيل اذا شبعت فلا تهتم للجوع فكم من شبعان مات قبل أن يجوع ولهذا

فأخبره بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك (قال) زعموا ان تاجرا كان له فى منزله خابيتان احداهما مملوأة حنطة والاخرى مملوأة ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل فاستغفله اللص ودخل المنزل وكمن فى بعض نواحيه فلما هم بأخذ الخابية التى فيها الدنانير اخذ التى فيها الحنطة وظنها التى فيها الذهب ولم يزل فى كد وتعب حتى اتى بها منزله فلما فتحها وعلم ما فيها ندم فقال له الخائن ما ابعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبى وخطئى عليك وعزيز على أن يكون هذا كهذا غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء فقبل الرجل معذرته واضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقديم جهله * وقد ينبغى للناظر فى كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزويقه بل يشرف على ما يتضمن من الامثال حتى يأتى الى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة يعمل فيها رويته ويكون مثل الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه بينهم فأما الاثنان الكبيران فانهما اسرعا فى اتلافه وانفاقه فى غير وجهه وأما الصغير فانه عند ما نظر ما صار اليه أخواه من اسرافهما وتخليهما من المال اقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفسى انما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته

اكتسبت فلاتهتم لمعربه فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطويه واعلم أن طبع الدنيا بالمخالفه كأنها على المخالفة محالفه فاذا ضممت عنها يدك اليك أقبلت عليك وجاءت تهوى تحت قدميك واذا طلبتها هربت منك وكلما ارتمطت اليها انحاشت عنك وقد قيل أيها الملك الجليل

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لاتدركه مستعجلا * واذا وليت عنه تبعك

ثم اعلم أيها الخاقان انك وان كنت ذا التصرف والسلطان وأن هذه الخلائق رعيتك نافذة فيها أمر اسيها منيتك الا انك فى الحقيقة واحد منهم لاتزيد بشئ فى الذات والصفات عنهم ولكن الله القديم العالم الحكيم سلطان السلاطين بل خالق الاولين والآخرين رفعك عليهم وتقدم بأمره أن يطيعوك اليهم فقال من له الخلق والأمر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر فهم قد أذعنوا لك وأطاعوك فراعهم كما هم راعوك واطلب لهم اسنى المراعى وأبهاها وأوردهم أعذب المشارب وأصفاها فان الملك الذى سلمهم اليك سوف يتقدم بالسؤال عنهم اليك وقد قال من أنت خليفته على أمته كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فكن لهم كما تريد أن يكونوا لك ودن لهم كما تحب أن يدينوا لك واعلم أيها الملك الودود أن هذه النقود ان لم تصرف فى مصارفها وترفل فى وجوه الطاعة فى مطارفها فانها جمر يضرم فى نار جهنم كما قال من يقول للشئ كن فيكون يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فاسمع أيها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح ولا تغتر بالدنيا وزهرتها ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها واياك والميل الى نزهتها ونضرتها فانك ان ملت اليها اسرتك أوجبرتها على الركون اليها كسرتك وحسبك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الامور ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (قال) الراوى لهذه الحكم والفتاوى فلما وعى ما قال الختن هذه النصائح أصادقة من الختن أمر بها فسطرت ثم نشرت وشهرت وعلى المنابر قرئت وعلى رؤس الاشهاد ذكرت وأبلغها ابنته وقرر لها مقدار زوجها وحكمته وميله عن الدنيا ورغبته فقالت هذا الذى كنت أردته وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته ثم انها أقبلت على طاعة ربها وبعلها واصلاح أحوالها فى قولها وفعلها وقضيا عمرهما فى أنواع العباده واكتسبا بطاعتهما فى الدارين الحسنى وزياده ثم اقتدى بهما الملك وعسكره حتى انتشر فى آفاق المملكه بالعدل والصلاح خبره الى أن اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل وبقى ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل وقد قيل فى ذلك من أحسن القيل

كانوا نجوما انقضى الدهر طالعهم * وفى طريق المعالى يقتدى بهم
غابت فلولا سناهم كالبدور أضا * من بعدهم تاه أهل الفضل فى الظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابديه والكرامة السرمديه اذا ملكه الله زمام الرعيه يحسن سيره فى الدنيا ويتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى ويشتغل بما يرضى عنه المولى وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (تمت بحمد الله تعالى) نوادر ملوك العرب والعجم والاتراك ويلى ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الآثم الافاك ونسأل الله المسئول أن يحقق لنا من كرمه واحسانه المأمول ويعصمنا بفضله من عثرات الفضول والصلاة والسلام على أعظم نبى وأكرم رسول وعلى آله وأصحابه وأكرم بالصديق والفاروق وذى النورين وزوج البتول واخوانه من الانبياء والمرسلين صلاة وسلاما يشتملان العفو عنا والقبول

فى أعين الناس واستغنائه عما فى أيديهم وصرفه فى وجهه من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على الاخوان فمن كان له مال ولا ينفقه فى حقوقه كان كالذى يعد فقيرا وان كان موسرا وان هو احسن امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التى علمت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة ولكن الرأى ان أمسك هذا المال فانى ارجو ان ينفعنى الله به ويغنى اخوتى على يدى فانما هو مال ابى ومال ابيهما وان اولى الانفاق على صلة الرحم وان بعد فكيف باخوتى فأنفذ فأحضرهما وشاطرهما فى ماله وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب ان يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن ان نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين او محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذى كان فى بعض الخلجان يصيد فيه السمك فى زورق فرأى ذات يوم فى ارض الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا له قيمة وكان قد ألقى شبكته فى البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف نفسه فى الماء ليأخذ الصدفة فلما اخرجها وجدها فارغة لاشئ فيها مما ظن فندم على ترك ما فى يده للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان فى اليوم الثانى تنحى عن ذلك المكان والقى شبكته فأصاب حوتا صغيرا ورأى ايضا

والقبول ويمن بالكرم والفضل على قطوعنا بالوصول آمين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء ينابيع علمه فى مجارى مدن الفضل غير آسن فلما انهى الحكيم حسيب ذو الفضل الفسيب حكاية ماطرزه مما نسجه وحاك وفصله خياط تقديره على قامة المجد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك شكره أخوه الفيل على هذا القيل وأفاض عليه من ذيل نواله جزيل النيل وأدرك من ذلك الاعوج علو عامه وسمو حامه وجميل حكمه وجليل حكمه ثم قال يا أستاذ بلغنى أن بغداذ خرج منها خارج من نار من مارج وهبط الى مدارك الخزى عن المعارج وأصل ذلك المشوم من عفريت خلق من نار السموم وان شخص ذلك الشيطان جبل من سخام الدخان فلهذا ركب وجهه السواد وتركب سائر جسده من الرماد فهو جنى ذميم وشيطان رجيم وقد شرع ذلك الخناس فى الافساد والوسواس وتعاطى ايذاء أكابر الناس وانه فى هذه الايام نبى الى بلاد الشام فلم يوافقه ذلك المقام لانه مهاجر الانبياء الكرام وهذا مجبول على سجايا اللئام وطباع أهل الفساد والاجرام فأقام فيها بالاضطرار والاضطرام مدة أشهر وعدة أعوام وأخذ فى الاضلال والتضليل فاضل خلقا كثيرا عن سواء السبيل وتستر ذلك الجان بجلباب الانتساب الى جنس الانسان ولبس بشق العصا ثوب العصيان فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان واحتمى فى حمى الشقاق والنفاق بشقائق النعمان والحق انه من نسل العفاريت وكان عند الجن مقيله والمبيت ومن ألبانهم له غذاء وتربيت فقال له الملك هديت ووقيت فان يكن عندك من ذلك شئ فشنف من جواهر حكمه أذنى فانك حكيم الجن والانس وكريم النوع والجنس (قال الحكيم) نعم أيها الملك العظيم أنا جهينة الاخبار ومزينة الاخيار وحكم الحكم ولى فى البيان اعلى علم أما هذا الشخص المذكور فانه بالفسق والفساد مشهور ورق شره فى البلاد منشور وكتاب عناده بين العباد مسطور وبيت حسده لنعم الله تعالى على خلص أوليائه بالفجور معمور وله صفات تعيسه وأخلاق خسيسه تانف مردة الشياطين منها وتستنكف العفاريت عنها وكم له من دواهى شرها غير متناهى لا يفى بذكرها هذا الخطاب ولا يسع سردها هذا الكتاب بل ولا يقوم بذلك دفتر ولا حساب ولكن البعرة تدل على البعير فقس من هذا التقدير الكثير على اليسير وقد كان أراد نشر الفساد ببلاد العراق وبغداد فما كسه القدر وأحاد فنفى من تلك البلاد فوصل ارم ذات العماد وتعاطى أسباب ما هو عليه من الزندقة والالحاد فأثار أصناف الفتن وأنواع العناد وابتدع من الشر والبدع ما يخرج عن حصر التعداد وهو على ما هو عليه من المناكدة والمجاحده وقصده الاعوج من تعديل أقوال الرافضة والملاحده وسيوضع لذلك مصنف متسع على حده ولقد بلغنى أيها الملك الهمام أنه حصل له فى ذلك المقام مع عالم من علمائها الاعلام قضايا كبته على خيشومه وأظهر بها ذلك العالم دسائس خبثه وشومه مثل ما اتفق لعالم الانسان مع الشيطان العفريت وجان الجان فى غابر الدهر وماضى الزمان فقال الفيل العظيم أخبرنا بذلك أيها الحسيب الكريم (فقال) ذكر أن فى الازمان الغابره كانت صنوف الجن للانس ظاهره تترائا بأشكال مختلفه وتتزيا بامثال غير مؤتلفه وتظهر لهم الخيالات العجيبه والصور المموهة الغريبة فتضلهم ضلالا مبينا وتأتيهم من بين أيديهم

سفينة فلم يلتفت اليها وساعظه بها فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوى أموالا وكذلك الجاهل على اغفال أمر التفكر والاغترار فى أمر هذا الكتاب وترك الوقوف على أسرار معانيه والاخذ بظاهره دون الاخذ بباطنه ومن صرف همته الى النظر فى أبواب الهزل كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة وأجمل عائدة (وينبغى) للناظر فى هذا الكتاب ان يعلم انه ينقسم على اربعة اغراض احدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لانه الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات (والثانى) اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون انسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا (والغرض الرابع) الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة انقضى باب غرض الكتاب

﴿باب برزويه ترجمة بزرجمهر ابن البختكان﴾

(قال برزويه) رأس أطباء فارس وهو الذى تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند

ومن خلفهم شمالا ويمينا وتخاطبهم مشافهه وتوافيهم مواجهه ففي بعض الايام ظهر
ببلاد الشام مهبط الوحى ومهاجر الانبياء الكرام ومحط رحال الرجال من أهل الفضل
والافضال رجل من العباد وأفراد الزهاد فاق الاقران بالصلاح وساد أهل الزمان بالورع
والفلاح وحاز طرفى العلم والعمل فكمل كثيرا منهم بعد ما كمل واستمر يدعو الخلق الى خالقهم
ويحثهم فى الانابه والتوكل على رازقهم ويرضونه ويرضيهم فى الطاعه واتباع السنة والجماعه
ويقبح الدنيا فى أعينهم ويحذرهم غدراتها فى مكمنها عند مأمنهم وكان لنفسه المبارك نقوش
فى النفوس يجذبها الى ما يريد جذب الحديد المغناطيس ففى مدة يسيره تبعه طوائف
كثيره وانتشر صيته الى الآفاق وصفا للعباد وقت الطاعة وراق وضربت اليه أكباد الابل
وامتلأت به الدنيا من العلم والعمل واضطرب أمر المرده والشياطين العنده وتعطلت
أسواق الفسوق وخرج عرق المعاصى من العروق وتحملت العفاريت وتنكست اعلام
الجن المصالمت وضل سبيل الضلال كل مارد خريت وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم وعطلت
وساوسهم وتشويهاتهم وأهانهم الناس وكسد الوسواس وفسد فعل الخناس فلما
ضل سعيهم وكاد يقع نعيهم اجتمع العفاريت العتاه والشياطين الطغاه والمردة العصاه الى
ابليسهم العنيد وهو شيطان مريد صورته من أقبح الصور له أظلاف كاظلاف البقر ووجه
كالتمساح وشكل كالرماح وخرطوم طويل ورأس كالفيل وعيون مشقوقة بالطول
وأنياب كانياب الغول وشعر كالشيهم وجلد كالارقم وهو يلهث كالكلاب ومن ورائه
عدة ذئاب فشكوا اليه حالهم وأطالوا فى الشكوى قالهم وقالوا يا شيخ التلبيس وابن عم
ابليس لقد عمرت المدارس وبطلت منها الوساوس وتعمرت المساجد بكل راكع وساجد
وقائم وقاعد وقارئ وجاهد فطرد كل شيطان مارد وتمشى سنن الحلال فوقف منا
الاحتيال وأمر بالمعروف فوقعنا على الامر المخوف وكثرت الحجاج فتقطعت منا الاوداج
وأديت الزكوات والحقوق فطرد منا كل عقوق وقام الحق فنام الفسق وعبد الله فى
المغارات والكهوف واستد علينا السبيل فعلى من نطوف ولم يبق لنا على بنى آدم سلطه
وصرنا فى بحارهم أقل من نقطه وعند جهرهم بأذكارهم أذل من ضرطه لا وساوسنا تؤثر فى
أفكارهم ولا بمجالسنا تعطل من أذكارهم ولا تخيلاتنا تتراءا الابصار أسرارهم فان استمر الحال
على هذا المنوال لا يبقى لنا فى الدنيا مقام ولا بين الجن والانس كلام (فلما وعى) العفريت
فحوى هذه الشكوى وتأمل ما فى مطاويها من نازلة احاطت بهم وبلوى اشتعلت نيران
غضبه وتأججت شواظات لهبه ثم قال أمهلونى اتلوى واتركونى أتلوم واتروى وأفتكر
فى هذه البليه وأكشفها عن جليه فان الامور لا تتضح لمعانيها ما لم يتأمل من فراغها فى
جوانبها ونواحيها وتحقيق المسائل انما يوجد من محكميها وحاكميها (وكان) هذا العفريت
العاتى المارد الغير المواتى تحت يده وأمره من مقتبسى تلبيسه ومكره والشياطين المرده
واغوال العفاريت العنده طوائف شتى وامم لا تحصى وممن فاقهم فى المكر والمراء
أربعة أشخاص كبراء وزراء كل منهم فى الشيطنة والمواسه ومعرفة طرق الوسوسه كابى
على بن سينا فى علم الهندسه غاية لا تدرك ونهاية لا تستدرك فاجتمع هذا الغول بوزرائه
ورؤساء أشياعه وكبرائه ثم قال لهم أفتونى فى أمرى وساعدونى على فكرى وسكرى ووجه
الخطاب لكبيرهم الذى علمهم السحر المشار اليه فى الدهاء والمكر وقال له ما رأيك فى هذه
القضية والمواقف الرديه والداهية الدهيه فقال الوزير يا مولانا الامير وصاحب المكر

والتدبير

وقد مضى ذكر ذلك من قبل فيما
مضى ان أبي كان من المقاتلة وكانت
أمى من عظماء بيوت الزمازمة
وكان منشئى فى نعمة كاملة وكنت
أكرم ولد ابوى عليهما وكانا
بى أشد احتفاظا من دون اخوتى
حتى اذا بلغت سبع سنين
اسلمانى الى المؤدب فلما حذقت
فى الكتابة شكرت أبوى ونظرت
فى العلم فكان أول ما ابتدأت به
وحرصت عليه علم الطب لانى كنت
عرفت فضله وكلما ازددت منه علما
ازددت فيه حرصا وله اتباعا فلما
همت نفسى بمداواة المرضى
وعزمت على ذلك أمرت نفسى ثم
خيرتها بين الامور الاربعة التى
يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها
يسعون فقلت أى هذه الخلال ابتغى
فى علمى وأيها احرى بى فأدرك منه
حاجتى المال أم الذكر أم اللذات
أم الآخرة وكنت وجدت فى كتب
الطب ان أفضل الاطباء من واظب
على طبه لا يبتغى الا الآخرة فرأيت
ان أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء
الآخرة لئلا أكون كالتاجر الذى
باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوى شيأ
مع انى قد وجدت فى كتب الاولين
ان الطبيب الذى يبتغى بطبه أجر
الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من
الدنيا وان مثله مثل الزارع الذى
يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء
العشب ثم هى لا محالة نابت فيها
الوان العشب مع يانع الزرع فأقبلت
على مداواة المرضى ابتغاء أجر
الآخرة فلم أدع مريضا أرجو له البرء
وآخر لا أرجو له ذلك الا انى أطمع
ان يخف عنه بعض المرض الا

والتدبير ان العقلاء وذوى التجارب من الحكماء تفرسوا بأمر قاطع من الوقائع القواطع فقالوا اشيا آن لابقاء لهما الروح فى الجسد والسعد فى الطالع وهذا هو الصواب ولكل أجل كتاب ومادام الأجل باقيا والسعد راقيا ومادام السلامة ساقيا وحافظ العوارض واقيا لاينفع الجد ولايدفع الجد ولايرفع الجهد ما أثبت السعد فاذاتم الاجل وبطل من السعد العمل انتكس السعد وانقلب وفارقت الروح بلا سبب واذا كان كذلك فهذا الرجل الناسك سعده عمال وطالعه فى اقبال فكل سهم مكر فوقناه الى نحوحياته يعود علينا وكل رمح نكرصو نا سنانه الى شاكلة بقائه يرجع الينا فالرأى عندى ان نتربص حتى تدور به الدوائر ولانهتم باحتيال محتال ولامكر ماكر الى أن تنقضى مدته ويسقط من سعد طالعه قوته فعند ذلك يفيد سعينا ولايضيع كدنا (فقال) العفريت للوزير الثانى يا أفضل جانى أنت ماذا تقول وكيف تشير أن نصول فى ميدان هذا الامر ونجول فقال رأى مولانا الوزير سديد وكل ما أشار به فهو أمر مجيد ولكن كيف يهمل أمر العدو ويركن مع وجوده الى قرار وهدو واذا كان طالعه فى قوة فاهماله يزيد فى قوته والتهاون فى أمره مساعدة فى معاونته ومعاونة فى مساعدته وهذا من علامات العجز والانكسار ومن أقوى الادلة فى الانحطاط والصغار وان رب الارباب وضع عالم الكون والفساد على الاسباب فلابد من تعاطيها فى هذا الباب وبذل المجهود فى معاملات الاعداء والاحباب ولم يقتصر الشارع على التقدير والطالع اذ فيه حسم مادة الشرائع والتعرض لابطال حكم الصانع فعندى أن نبذل الجهد فى حسم مادتهم وتعاطى كسر شوكتهم وبذل الجهد والجد بما تصل اليه اليد وثبات الاقدام فى اثبات الاقدام كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر فى ثبت الجاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا الشاعر المسمى أخذه من أخينا بشار الاعمى من لنا بوجوده انس وهو شيطان الانس حيث يقول ذلك الغول

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاعزموا على هدم ما يبنون وصدم ما يعنون والاخذ فى تمزيق جلدتهم وتفريق كلمتهم اذ لا اطلاع لنا على مساعدة الطالع ولا حد لبقاء الاجل فضلا عن أن نقول هذا الحد جامع أو مانع وهذا الرأى عندى أولى ورأيك يا رئيس التلبيس أعلى ودونك يا غول هذا القول

اذا كانت الاعداء غلافانهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال يا أبا الاغول

واللص ليس له دليل ساتر * نحو الذى يبغى كنوم الحارس

(والاصل) فى هذا كله حسم مادتهم وردم جادتهم وذلك باهلاك مرشدهم وافساد زاهدهم فان قدرنا على اهلاكه وتمزيق حبائله وأشراكه تشتت شملهم وتبتت جلهم وقلهم (فقال) العفريت للوزير الثالث وكان أنحس عابث قل لى أيها الوزير ما سنح لك من التدبير فى هذا الامر الكبير والخطب الخطير وماذا ترى فيه وتشير فقال لاشك أن الطباع تميل الى ما تسمعه وما يلقى الى النفس لابد أن يؤثر موقعه وما أشار به ودبره الوزيران وهما نعم المشيران فهو لايخلو عن فوائد بل هو متصل بعقود الفرائد وانى لاعلم انه أثر فى الخواطر كما يؤثر فى الرياض السحب المواطر وبالجملة فللكلام تأثير فى النفس كما تظهر آثاره فى الحس ولهذا ترى رقيق الشعر يفعل ما لا يفعله دقيق السحر وجليل العبارة فيه من الاثارة ما يشجع

بالغت فى مداواته ما أمكننى القيام عليه بنفسى ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح واعطيته من الدواء ما يتعالج به ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولامكافأة ولم أغبط أحدا من نظرائى الذين هم دونى فى العلم وفوقى فى الجاه والمال وغيرهما مما لايعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسى الى غشيانهم وتمنت منازلهم أثبت لها الخصومة فقلت لها يا نفس اما تعرفين نفعك من ضرك الا تنتهين عن تمنى ما لاينال احد الاقل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤنة عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه يا نفسى اما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين اليه منها الا تستحين من مشاركة الفجار فى حب هذه العاجلة الفانية التى من كان فى يده شئ منها فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يا نفس انظرى فى امرك وانصرفى عن هذا السفه واقبلى بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكرى ان هذا الجسد موجود لآفات وانه مملوء اخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة والحياة الى نفاد كالصنم المفصلة اعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد يشد بعضه بعضا فاذا اخذ ذلك المسمار تساقطت الاوصال يا نفس لاتغترى بصحبة احبائك واصحابك ولاتحرصى على ذلك كل الحرص فان صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة المؤنة وعاقبة ذلك الفراق ومثلها مثل المغرفة التى تستعمل فى جدتها

الجبان وينشط الكسلان ويسخى البخيل وينجى الذليل ويسحر الارواح ويسخر الاشباح ويعطف القلوب ويؤلف بين المحب والمحبوب ويصير العدو صديقا وغليظ الاحرار رقيقا وتأمل بانتباه ما قيل فى البديه

حدث اذا نادمت دهرى به انقضى * وكف عن الايذا وعاد الى الاخا
اذكره اخلاق مالكه الذى * تعلم منه العلم والحلم والسخا
أنال به مالا ينال بقـــوة * وأرواح أشباح أتت بعد شمخا

وهذه قضيه تحتاج الى اعمال الرويه وامعان النظر وتدقيق الفكر وعندى الرأى السديد والفكر الجيد المجيد ان التعرض الى هذا الرجل الدين الداعى الى طريق الحق المبين ليس بمحمود ولا طالع قاصده بمسعود فانه على الحق متشبث بأذيال الصدق ومن قصد مصادمة الحق اصطدم وفى مهاوى الهلاك ارتدم * وقد كان فى بنى اسرائيل رجل من اهل التبجيل عاملا بالتوراة والانجيل مشغولا بالعبادة باذلا فى اقامة الحق اجتهاده فتعرض له جماعة من اهل الفسق والخلاعه فتعاطوا اهلاكه وفجعوا به نساكه فقتلوه بغير حق فغار له الدين ورق فاخبرنى من لا يتهم بكذبه انه قتل سبعمائة ألف نفس بسببه فذهب بسبب ذلك الصالح من بنى اسرائيل الصالح بالطالح ومن كان مع الحق هاديا الى الصدق فان الله تعالى معه ومن كان الله معه منعه وحرسه وما ضيعه ومن تصدى لضياع ما حفظ الله وعزم على ابتذال من اعزه مولاه وكلاه فقد قصد خراب عمره وعمارته وباع رأس مال تجارته وربحه بخسارته وجنى بيده على نفسه وحفر بيده تدبيره مهواة رمسه * واسمع بانعم العون ما جرى لمؤمن آل فرعون حيث كان على السداد داعيا الى سبيل الرشاد وقصد اهلاكه أهل الفساد فقال وأفوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فغلبوا هنالك وانكسروا ووقاه الله سيئات ما مكروا وأيضا لو قتلنا هذا الرجل وكان على أيدينا له حمام الاجل فلا شك أنه يقوم مقامه من يلم شعثه ويزم زمامه ويحيى بعده أيامه فيقيم شعاره ويكتب ما قدم وآثاره فان تلامذته كثيرة وطوائف جماعاته غزيره فينتظم لهم بعده الامر ولا يضرم لنا من كيدنا الجمر واذا علموا أن ذلك منا واشتهر ذلك الكيد عنا أخذوا منا حذرهم وصبوا الينا عداوتهم ومكرهم ثم عملوا على استئصالنا واستعدوا لقتالنا لانا أهلكنا معتقدهم وهدمنا عمادهم ومعتمدهم ولا يمكننا بعد ذلك طلب المسالمة والملائمه وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيامة مع ان عداوته ناقدحه وبالجملة فعاقبة من عادى أولياء الله وخيمه اذا تقرر هذا القول وثبت بطريق المعقول فاعلم أيها الغول والشيطان المهول أن الرأى الصواب فى هذا المصاب أن نبادر الى هذا الرجل وجماعته بافساد طاعتهم وطاعته وحيث لا يتيسر لنا المواجهه ولا الخطاب والمشافهه ولا الاضلال فى الظاهر بصورة المتجاهر فنزين لهم حب الدنيا وشهواتها والميل الى زينتها ولذاتها والركون اليها والاعتماد عليها ونلقى اليهم طول الامل وبعد الاجل فنثبطهم بذلك عن العمل وندعوهم الى التهاون والكسل ثم بعد ذلك نجلو خدود عرائس الحرص على ابصار أفكارهم وقد ودموائس الشح وحب المال على أعين خيالاتهم وبصائر أسرارهم فاذا ذاقت ألسنة عقولهم حب الدنيا وتمكنت فى أدمغة سويدائهم الرغبة فى الآباء والابنا سلبوا حلاوة الطاعه وتفرقت منهم الجماعه وزاغوا عن الطريق الاقوم وراغوا عن السبيل الأمم فنتوصل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا ونوقعهم كيفما اخترنا فى مصايد مراصدنا لانهم هبطوا من سماء المنازعة الى

اسطوانة المرق فاذا انكسرت صارت وقودا يا نفس لا يحملنك اهلك واقاربك على جمع ما تهلكين فيه ارادة صلاتهم فاذا انت كالدخنة الارجة التى تحترق ويذهب آخرون بريحها يا نفس لا يبعد عليك امر الآخرة فتميلى الى العاجلة فى استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر الذى كان له ملء بيت من الصندل فقال ان بعته وزنا طال على فباعه جزافا بأبخس الثمن وقد وجدت آراء الناس مختلفة واهواءهم متباينة وكل على كل راد وله عدو ومغتاب ولقوله مخالف فلما رأيت ذلك لم اجد الى متابعة احد منهم سبيلا وعرفت انى ان صدقت احدا منهم لا علم لى بحاله كنت فى ذلك كالمصدق المخدوع الذى زعموا فى شأنه ان سارقا علا ظهر بيت رجل من الاغنياء وكان معه جماعة من اصحابه فاستيقظ صاحب المنزل من وطئهم فعرف امرأته ذلك فقال لها رويدا انى لأحسب اللصوص علوا على البيت فأيقظينى بصوت يسمعه اللصوص وقولى الا تخبرنى ايها الرجل عن اموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فألحى على بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما امرها وانصتت اللصوص الى سماع قولهما قال لها الرجل ايتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلى واسكتى ولا تسألى عن امر ان اخبرتك به لم آمن ان يسمعه احد فيكون فى ذلك ما اكره وتكرهين ثم قالت المرأة اخبرنى ايها الرجل

الارض واهلكوا بايديهم انفسهم اذ بغى بعضهم على بعض فتحاسدوا وتحاشدوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجانبوا وتناهبوا وتسالبوا وتلاسبوا وتقابلوا وتقاتلوا وتفرقوا وتمزقوا وتحرقوا وتمرقوا وانحاز كل منهم الى ناحيه واعجب كل برايه فلا تعرف منهم الفرقة الناجيه اذ تفرقت اهواؤهم وتصادمت اراؤهم وجذبتهم أغراضهم الى الانحناء وجلبتهم امراضهم مع الاهواء ومال كل منهم الى صوب وأيس منهم الى الصواب الاوب وتعدد الخلق الذمر ولبس كل لصاحبه جلد النمر ثم بعد ذلك زلوا وأزلوا وضلوا واضلوا فتمكنا فيهم كما نريد وتصرفنا فيهم تصرف السادات فى العبيد وسلطنا عليهم دواعى الغضب والشره ولعبنا بشيوخهم لعب الصبيان بالكره فنصوب لهم اقوالهم ونزخرف لهم أفعالهم كما قال من خلقهم واحوالهم وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا نقصد بذلك الاكبراءهم وفضلاءهم وعلماءهم وزهادهم ورؤساءهم وحكامهم وحكماءهم ولا نفتر عن مكابدتهم ولا نميل عن مكايدتهم ونجرى فى عروقهم ونسكن فى فروقهم ونحركهم فى رعودهم و بروقهم فان تحركوا الى خير سكناهم وان سكنوا عن شر حركناهم وان عزموا على الآخرة صددناهم وان جزموا الى مواطن بر رددناهم وان أموا مفسدة قدناهم أو هموا الى معصية سقناهم ولابد لهذا العمل الكثير من تأثير وليبذق جدفى المسير أن يصير وبالجملة فنبذل فى كل عامة جهدنا وجدنا ولاغضاضة فى ذلك علينا الا انه صنعة أبينا وجدنا وقد اخبر بذلك جدنا اللعين لما خالف رب العالمين كما أخبر فى الكتاب المبين فى قوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين فاذا رآهم الناس وقع بينهم الباس حصل لهم منهم الياس وتراجعوا عنهم وهربوا منهم وفسد اعتقادهم فيهم بل قتلوهم بأيديهم فاذا ظهر فسوقهم وكسد سوقهم فان شئنا أوقفنا حالهم وان رمنا الى الهلاك نسوقهم وأوثق ما نتوصل به اليهم من الاسباب هى حالة الانفراد والاعجاب وحالة الاجتماع للكذاب فان الاعجاب يهوى فى النار والكذب يخرب الديار *وناهيك قضية التاجر مع عبده الكذاب الفاجر فسأل شيخ الجن عن بلية ذلك القن (فقال) وردفى الخبر عن شخص معتبر قال كان بمكان تاجر ذو مال وزوجة ذات جمال كل يهوى صاحبه ويرعى جانبه ويفديه بروحه ويترشف رضابه فى غبوقه وصبوحه كانهما زوج حمام وفى بذمام ففى بعض الايام قال أحدهما لرفيقه وهو يرشف من كاس عقيقه شهد رضابه بخمرة ريقه لو كان لنا عبد يتعاطى مالنا من حاجة ويخلصنا من جملة ما نريد فذهب التاجر الى سوق الرقيق فوجد مع النخاس عبدا اقد رشيق ينادى عليه أبيعه بكذا على ما فيه من أذى فقال وما عيبه قال كذبه لا على الدوام وانما هو مرة فى كل عام فقال عيب هين وشين لين فاشتراه وأتى به الى داره وارتضاه فاستمر فى خدمة حسنه حتى أتى عليه سنه ونسى سيده عيبه وأمن ريبه وجرب بالامانه يده وبالطهارة جيبه فلما مضى عليه عام كان سيده فى الحمام فاتى البيت فى بعض الحوائج فى صورة الجمل الهائج شاهقا ناشرا صائحا ثائرا صارخا واويلاه واسيداه وامولاه فسئل مالك لا أحسن الله حالك ولا أنعش بالك فقال رمح البغل بسيدى فما تمالك أن تهالك وسلم الروح لخالقها وقال لوارثه تسلم مالك فأقيم العزاء والسخام وتركهم وأتى للحمام وهو يبكى وينوح ويصرخ ويصيح فسأله مولاه ما دهاه فقال وقع البيت على كل من أويت ولم يبق فى الدار نافخ نار فهلك الكبير والصغير ونهب ما فيها من جليل وحقير فخرج وهو يستغيث من حديث ذلك الخبيث فوجد اهل البيت سالمين ورأوه من الناجين

فلعمرى ما قربنا احد يسمع كلامنا فقال لها فانى اخبرك انى لم اجمع هذه الاموال الامن السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال ذلك لعلم اصبته فى السرقة وكان الامر على يسيرا وانا آمن من ان يتهمنى احد او يرتاب فى قالت فاذكر لى ذلك قال كنت اذهب فى الليلة المقمرة انا واصحابى حتى اعلو دار بعض الاغنياء مثلنا فأنتهى الى الكوة التى يدخل منها الضوء فارقى بهذه الرقية وهى شولم شولم سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعى احد فلا ادع مالا ولا متاعا الا اخذته ثم أرقى بتلك الرقيه سبع مرات واعتنق الضوء فيجذبنى فأصعد الى اصحابى فنمضى سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال ثم انهم اطالوا المكث حتى ظنوا ان صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى ارض المنزل فوقع على ام راسه منكسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون ابدا وهذه ثمرة رقيتك *فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن أن صدقته ان يوقعنى فى مهلكة عدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم اجد عند احد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم ارفيما كلمونى به شيأ يحق لى فى عقلى أن أصدق به ولا أن أتبعه فقلت لما لم اجد ثقة آخذ منه فالراى ان الزم دين آبائى واجدادى الذى وجدتهم

فعزم على خياطه فذكر له ماسلف من اشتراطه ثم انه استقام ونسى هذا الكلام ومضى عليه عام فاستأنف ذلك الخبيث أمره العبيث وقال لامرأة مولاه ياهنتاه ان كنت نائمة فاستيقظى وخذى حذرك وتيقظى واعلمى أن نية صاحبك أن يلقى حبلك على غاربك لانه قد عشق عليك ونيذ حبل حلك اليك وتعلق قلبه بنت رجل كبير ولا ينبئك مثل خبير وقد حملنى على نصيحتك الشفقة وما أسديت الى من احسان وصدقة فبادرى قبل حلول الباس ونزول الفأس فى الراس فاثر فيها هذا الحديث فاستشارت ماتفعله ذلك الخبيث فقال لو ظفرت بشئ من شعره لكفيتك مؤنة مكره وفكره فان لى صاحبا منجما واستاذا معلما يرقى الشعور ويجعلها فى البخور واذا وجد الى خيشومه مساغه ودخل البخور دماغه صار عبد الك على الدوام وحظيت عنده بالمراد والمرام وارتقيت الى أعلى مقام ولكن ينبغى أن يكون من شعر لحيته النابت على ترقوته قالت وانى لى أصل الى ذلك وقاك الله شر ذلك فقال اذا نام وغرق فى المنام فاحلقى منه بموسى لتكفى الضرر والبوسى وأنا آتيك بموسى يحلق الشعور فافعلى ذلك من غير أن يكون له شعور فاتفقا على ذلك الاتفاق واتاها بموسى حلاق ثم توجه الى مولاه وقد اضمر له مادهاه وقال اشعرت ياذا الفضائل ان زوجتك البديعة الشمائل تغير خاطرها عليك وتقدمت بالاساءة اليك ولولا انك شفيق على وعزيز ومكرم لدى ما أنبأتك من اخبارها بشى فانى اريد ان يكون ما انهيته اليك مكتوما الى ان يصير عندك محققا معلوما وقد ارسل اليها من يخطبها وامالها عنك بما رغبها واتفق معها انها تقتلك وتستريح وتصبح فى فراشك وانت ذبيح وذلك يقوم بديتك وقد ارسل اليها من الجواهر والاموال اضعاف قيمتك فان اردت مصداق هذا الكلام فتناقل عندها فى المنام ليزول الشك باليقين وتحقق انى من الصادقين فأثر هذا الكلام فيه وخاف من مكر النساء ودواهيه فلما اقبل العشاء واحضروا العشاء تناول من ذلك الطعام ونهض الى الفراش لينام واظهر بين القوم انه غرق النوم وغمض عينه وانحط وسال لعابه وغط فنهضت الزوجة اليه وفتحت الموسى ودخلت عليه ومدت يدها الى لحيته ووضعتها على ترقوته ففتح عينيه فراى آلة الموت متوجهة اليه فما تمالك ان وثب عليها وجثم اليها وخرج زمام تفكره عن يد تأمله وتدبره وخطف الموسى من كفها وسقاها كأس حتفها فلما راى فوران الدم ادركه لاحق الندم وقد تبدل الوجود بالعدم ووقع القال والقيل واشتهر امر القتيل وعلق فى شرك الاقتناص وعومل فى صاحبه بالقصاص * وانما اوردت هذا الكلام لتعلم ان ما أهلك الانام واوقعهم فى شرك الآثام والكفر والفسوق والحرام مثل الكذب فى الكلام وهولنا اوثق زمام ولجذبهم الى ماقصدناه من المرام احكم خطام واعظم حزام (فاستحسن) العفريت هذا الراى واستصوبه واعجبه ماتضمنه من معان واستغربه (ثم قال) رايت يا اصحاب من الرأى الصواب ان اجتمع بهذا العالم الزاهد العامل العابد فى محافل غاصه واسأله عن مسائل عامة وخاصه وعن امرار رقيقه اطالبه فيها بمجازها والحقيقه وانا أعرف انه يفهم عن جوابى ويلجم عند اول خطابى فاذا عجز عن جواب المسائل فى تلك الجموع والمحافل تحقق الحاضرون جهله فنبذوه من اول وهله واعترفوا لنا بالفضل الوافر والعلم الغزير المتكاثر فصاروا لنا اوداء والفضل ماشهدت به الاعداء ورجعوا عن اعتقاده ونفضوا ايديهم من محبته ووداده وربما سعوا فى دماره وخراب دياره فيكفونا امره ويريحون عناشره واقل الاقسام ان جماعة ذلك الامام اذا راوا

ما

عليه فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسى فى لزوم دين الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد ان تتفرغ للبحث عن الاديان والمسئلة عنها وللنظر فيها فهجس فى قلبى وخطر على بالى قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم ففكرت فى ذلك وقلت اما أنا فكانى الرجل الذى زعموا انه علق بامرأة ذات بعل وان تلك المرأة حفرت له سربا من بيتها الى الطريق وجعلت باب ذلك السرب عند جب الماء وفعلت ذلك خوفا من بعلها أو غيره ممن تخافه فتكون اذا ارتابت من أحد تخرج الرجل من ذلك السرب فاتفق ذات يوم ان الرجل كان عندها وبلغها أن زوجها بالباب فقالت للرجل على عجل منها وخيفة بادر اخرج من السرب الذى عند جب الماء فانطلق الرجل الى ذلك المكان فلم يجد جب الماء فرجع اليها وقال لها ان الجب الذى ذكرت لى ان السرب عنده ليس هناك فقالت له يا أيها المائق وما تصنع بالجب أنا دللتك به لتعرف السرب حيث قد عرفته فاذهب عاجلا فقال لها لم ذكرت الجب وليس هو هناك فقالت له أيها الاحمق انج ودع عنك الحمق والتردد فقال لها كيف امضى وقد خلطت على وذكرت الجب وليس هناك فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فاخذه وأوجعه ضربا ورفعه الى السلطان (فلما) خفت من التردد والتحول رأيت ان لا أتعرض لما أتخوف منه المكروه وأن اقتصر على عمل تشهد

ما النا في الفضل من تجاره وعلموا أن رأس مال امامهم الخساره التهوا بالسهو وسهوا باللهو وانفضوا عنه وتركوه وهذا ان لم يكونوا سفكوه وسكبوه كما فعل صاحب البستان بالمزرعه من الغدر والتفخيذ مع غرمائه الاربعه فسأل الوزرا عن غدر ذلك الغدر كيف جرى (قال العفريت) كان من تكريت رجل مسكين ينظر البساتين ففي بعض السنين قدم قريه منين وسكن في بستان كانه قطعة من الجنان فاكهة ونخل ورمان ففي بعض الاعوام أقبلت الفواكه بالانعام ونثرت الثمار ملابس الاشجار من الاذيال والاكمام فالجأت الضرورة ذلك الانسان أن خرج من البستان ثم رجع في الحال فرأى فيه أربعة رجال أحدهم جندي والآخر شريف والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف قد اكلوا وسقوا وناموا واتفقوا وتصرفوا في ذاك تصرف الملاك وأفسدوا فسادا فاحشا خادشا ومارشا وناوشاونا كشا فاضر ذلك بحاله ورأى العجز في أفعاله اذ هو وحيد وهم أربعة وكل عتيد فسارع الى التأخيذ وعزم على التفخيذ فابتدأ بالترحيب والبشاشه والاكرام والهشاشه واحضر لهم من أطايب الفاكهه وطايبهم بالمفاكهه وسامح بالممازحه ومازح بالمسامحه الى ان اطمأنوا واستكانوا واستكنوا ودخلوا في اللعب ولاعبوه بما يجب فقال في أثناء الكلام أيها السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف والطرف فأي شئ تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندي وقال الآخر وانا رسول الله جدي وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه فقال والله لست بفقيه ولكن تاجر سفيه وقبيح الشكل كريه أما الجندي فانه مالك رقابنا وحارس حجابنا يحفظنا بصولته ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته ويجعل نفسه لنا وقاية وينكي في اعدائنا أشد نكايه فلو مد يده الى كل مناور زقه فهو بعض استحقاقه ودون حقه وأما الشريف فان جده هدانا ومن النار أنجانا وقد ملكنا اكرامه وحبا لقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقد تشرف به اليوم مكاني وحلت به البركة علي وعلى بستاني وأما سيدنا العالم فهو مرشد العالم وهو سراج ديننا الهادي الى يقيننا فاذا شرفونا باقدامهم ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والمنة الواصلة الينا وأما أنت يا رابعهم وشرجان تابعهم بأي طريق تدخل الى بستاني وتتناول سفرجلي ورماني هل بايعتني بمسامحه وتركت لي المرابحه أولك علي دين أو عاملتني نسيئة دون عين ألك علي جميله وهل بيني وبينك وسيله تقتضي تناول مالي والهجوم على ملكي ومنالي ثم مد يده اليه فلم يعترض من رفقائه أحد عليه لانه أرضاهم بالكلام واعتذر عما يتطرق اليه من ملام فاوثقه وثاقا محكما وتركه مغرما ثم مكث ساعه وهو على الخلاعة مع الجماعه وغامز الجندي والشريف على الفقيه الظريف فقال يا أيها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت مفتي المسلمين وعالم بمنهاج الدين على فتواك مدار الاسلام وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام وبفتواك تستباح الدماء والفروج فمن افتاك بالدخول في هذا والخروج أفتني يا عالم الزمان محمد بن ادريس افتاك بهذا أم النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فسح لك بذلك أما سمعت قول معز العلماء ومجلها ومذل الجهلاء ومجهلها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها واذا ارتكب مثلك هذا المحظور وتعاطى العلماء والمفتون اقبح الامور فلا عتب على الاجناد والاشراف ولا على الجهلاء الاجلاف ثم مد يده الى جلابيبه وأوثقه بتلابيبه فأحكمه وثاقا وآلمه رباطا فاستنجد بصاحبيه الى جانبيه فما أنجداه ولا رفداه.

النفس انه يوافق كل الاديان وكففت فكري عن القتل والضرب وطردت نفسي عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة وأضمرت في نفسي ان لا أبغي على أحد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزايلت الاشرار بقلبي وحاولت الجلوس مع الاخيار بجهدي ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين ووجدت مكسبه اذ وفق الله وأعان يسيرا ووجدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق ووجدته لا ينقص على الانفاق منه بل يزداد جدة وحسنا ووجدته لا خوف عليه من السلطان ان يغصبه ولا من الماء أن يغرقه ولا من النار ان تحرقه ولا من اللصوص ان تسرقه ولا من السباع وجوارح الطير ان تمزقه ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي نعيمه يصيبه ما أصاب التاجر الذي زعموا انه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن ان تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا فقال التاجر دونك والصنج فاسمعنا ضربك به فأخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع والتاجر يشير بيده ورأسه طربا حتى أمسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر أؤمر لي بالاجرة فقال له التاجر وهل عملت

ثم جلس بلاهى الجندى الساهى وغامزه على الشريف ذى النسب الظريف ثم قال أيها السيد الأصيل النجيب الجيد الحسيب لا تعتب على كلامى ولا تستثقل ملامى أما الامير فانه رجل كبير ذو قدر خطير له الجملة التامه والفضيلة اللامه وأنت يا ذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك فى الدخول الى ما لا يحل لك ام جدك الرسول افتاك باستباحة الاموال ام زوج البتول انبأك ان أموال آل البيت حلال واذا كنت يا طاهر الاسلاف لا تتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف ثم وثب اليه وكتف يديه ولم يعطف الجندى عليه ولم يبق الا الجندى وهو وحيد فانتصف منه البستانى كما يريد وأوثقه رباطا وزاد لنفسه احتياطا ثم أوجعهم ضربا واشبعهم لعنا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوذة واصحاب الديوان وحملهم برباطهم وعمائمهم تحت آباطهم الى باب الوالى وأخذ منهم ثمن ما أخذوه من رخيص وغالى * وانما أوردت ما جرى لتعلموا أيها الوزرا أن التفريق بين الاعداء بالتأخير أمر من السهام فى تنفيذ الاحكام وأحكام التنفيذ وهذا قبل تعاطى أسباب البليسه وفتح ابواب الوسوسه فانه يقال فى الامثال عقدة تحل باللسان لا يؤخر حلها الى الاسنان ونعم ما ارشد من أنشد

فكم عقدة أغنى اللسان بحلها * تراخت وقد أعيت نواجذ اسنان

(ثم قال العفريت) للوزير الرابع ماترى فى هذا الامر الواقع فقال حيث تردد الامر بين آراء مختلفه وأقوال متفاوتة غير مؤتلفه وأقيم على كل قيل برهان ودليل فتعدد النقل وتبلد العقل وعميت وجوه الترجيح ودرست طرق التصحيح فلا يمكن القول بأحدها ولا الميل الى مفردها فان ذلك ترجيح بلا مرجح وتصحيح بلا مصحح فربما يتصور الشئ خيرا وتكون عقباه شرا ويتوهم شرا فتظهر قصاراه خيرا وقد قال منزل الفرقان على أشرف جنس الانسان وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم وكم من قضيه يتصورها الفكر صوابا ويذهل عما تتضمنه من خطاما آبا وكذلك النفس تتصور شيأ بصفة وهو بالعكس ولذلك شاهد من وقائع الحس فابس على ذلك معول وشاهده قضيه الضيف مع ولده الاحول فقال العفريت وكيف ذلك أيها النحرير (قال الوزير) أخبرنى شخص فاضل انه كان رجل كامل كريم الشمائل محبوب الخصائل مرغوب الفضائل غزير الثراء يحب الفقراء عذب الموارد مترصد للصادر والوارد لا يسأل الضيف من أين ولا كيف وهو كما قيل للضيف والسيف ورحلة الرجال فى الشتاء والصيف فنزل فى بعض الايام ضيف من اصحابه الكرام فزاد فى اكرامه وأحضر ما طاب من طعامه فلما رفع السماط ووضع للبسط بساط قال لضيفه الصدوق عندنا قارورة من الشراب العتيق كنت ادخرته لنزلك وأعددته لمثلك وما عندى سواها فان رأيت أحضرناها وتعاطينا الراح لطلب الانشراح فانها مادة الافراح كما قيل

وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله وتحمل جميلته ودعاله وأجاب سؤاله فأشار الضيف المفضل الى ولده الاحول وقال اذهب الى المقصوره فان هناك قارورة واياك ان تنكسر فان صدع الزجاج لا ينجبر وما بنا ضيرها ولكن ما عندنا غيرها فتوجه الى ذلك المكان فتراءى له قارورتان فرجع من وقته ونادى لمقته أيها الاب المفيد هناك قارورتان فأيهما تريد فخجل من ضيفه وغضب ائلا ينسب الى اللوم والكذب فقال لابنه يا ابن البظرا اكسر

احداهما

شيأ أستحق به الاجرة فقال له عملت ما أمرتنى به وأنا أجيرك وما استعملتنى عملت ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقى جوهره غير مثقوب فلم أزدد فى الدنيا وشهواتها نظرا الا ازددت فيها زهادة ومنها هربا ووجدت النسك هو الذى عهد للعاد كما عهد الوالد لولده ووجدته هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم ووجدت الناسك قد تدبر فعلته السكينة فشكر وتواضع وقنع فاستغنى ورضى ولم يهتم وخلع الدنيا فنجا من الشرور ورفض الشهوات فصار طاهرا واطرح الحسد فوجبت له المحبة وسخت نفسه بكل شئ واستعمل العقل وابصر العاقبة فأمن الندامة ولم يخف الناس ولم يدب اليهم فسلم منهم فلم ازدد فى أمر النسك نظرا الا ازددت فيه رغبة حتى هممت ان أكون من أهله ثم تخوفت ان لا أصبر على عيش الناسك ولم آمن ان تركت الدنيا وأخذت فى النسك ان أضعف عن ذلك ورفضت أعمالا كنت ارجو عائدتها وقد كنت أعملها فانتفع بها فى الدنيا فيكون مثلى فى ذلك مثل الكلب الذى مر بنهر وفى فيه ضلع فرأى ظله فى الماء فهوى ليأخذه فأتلف ما كان معه ولم يجد فى الماء شيأ فهبت النسك مهابة شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر واردت الثبوت على حالتى التى كنت عليها ثم بدا لى ان أصبر على ما أخاف ان لا أصبر عليه من الاذى والضيق والخشونة فى النسك وما يصيب صاحب الدنيا من البلاء وكان عندى انه ليس شئ من شهوات

احداهما وهات الاخرى فأخذ العصا وعبر وضرب احدهما كان تراءى للبصر فلم يكن غير وعاء واحد وقد انكسر فخرج الى أبيه وهو من الفكر فى تيه وقال امتثلت ما امرت واخذت العصا وضربت فانكسرت احدى القارورتين ولا أدرى الاخرى ذهبت الى اين فقال يا بنى ان الخطأ منك واليك والخطأ فى ذلك كان من نظر عينيك (وانما اوردت) هذا المقول لتعلم أيها الغول المهول ان أقوى طرق العلم العين واذا حصل فى ادراكها الخلل والشين تراءى الصدق بصورة المين والشئ الواحد بشكل اثنين وهذا أمر محسوس لا تنكره النفوس فكيف ترى تكون عين الفكر المصون وهى بأنواع الحجب محجوبه وبتخيلات الوهم وقضاياه مشوبه ومرآتها انما هى المعانى دون المحسوسة المشاهدة المبانى (فعلى هذا) ينبغى التأمل فى عقبى هذه الحوادث والتدبر فى قصارى هذه الامور الكوارث ثم الاخذ فى تعاطيها والشروع فى اسباب تلافيها انما يكون بعد امعان الانظار وانعام التدبر والافكار (ثم اعلم) أيها الرئيس الداهى النفيس شيخ المكر والتلبيس والمباسة والتدليس ان الله القديم القادر الحكيم لم يخلق فى الموجودات ولم يوجد فى المخلوقات أعز جوهرا من الانسان فانه فضله على جنسى الملائك والجان واختصه بدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك فهو مع عدم الحراك يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وفوق الافلاك وشمله بعوائده وعوده بفوائده ولطف به فى مصادره وموارده فهو ارحم به من والدته المشفقة ووالده ووكل بحفظه الكرام الكاتبين وملائكته المقربين ورباه فى حجر نعمته على موائد لطفه وكرمه ورحمته كما تربى الوالدة الشفيقه والظئر الرقيقة الرفيقه وألهمهم العلم الغزير والقدر الخطير والرأى والتدبير واطلعهم على غامض الاسرار ودقائق الافكار وان علمنا بالنسبة الى علمهم وحلمنا فى القياس الى ثباتهم وحلمهم كنسبة علم الفلاح المغتر الى علم الطبيب المعبر بحسن النظر قال العفريت أخبرنى بذلك يا شيخ المصاليت (قال الوزير) أخبرنى شيخ كبير انه رأى فى نومه فلاح كانه خرج من بطنه مفتاح فلما اصبح الصباح جاء الى رجل من اهل الصلاح يعبر المنامات وكان ذا كرامات فقص عليه رؤياه وطلب منه تعبير ما رآه فقال له يا رئيس هذا منام نفيس لا اذكر ما فيه من تعبير الا بدينار كبير فحصل له بشاره فناوله ديناره فقال يولد لك ولد ذكر يكون سببا للفتوح والظفر وكان له زوجة حامل بقى لها ايام قلائل فولدت ابن غلام بعد ثلاثة ايام فاستبشر الفلاح بالظفر والنجاح ثم بعد مده حصل للفلاح شده من مرض آلمه واصاب قدمه فجاء الى معبر المنام وشكا اليه الآلام وقال الم فى قدمى ضاعف همى واضعف همى فقال له الطبيب لا بأس يا حبيب هذا داء هين وعلاجه بين اعطى دينارا ثانيا أصف لك دواء شافيا فاعطاه ما اشتهى واستوصفه الدوا فقال ضمد بمحة بيض كثيرة الابزار وضع عليه عسلا مسخنا على النار ففعل ذلك فبرئت قدمه وزال بالكلية المه فافكر الفلاح فى فعل المعبر الطبيب وقوله المصيب وامره العجيب فانه بادنى عبارة عبر المنام وبادنى اشارة ازال الآلام فرأى الراحه فى ترك الفلاحه والاشتغال بعلم الطب والتعبير فانه امر هين يسير وبادنى امر حقير يحصل المال الكثير فباع آلات الزراعه وعزم على تعاطى ما فى الطب والتعبير من صناعه وجمع كتبا ودفاتر وكراريس مخرمة مناثر ووسع اكمامه ووضع على راسه عمامة كغمامه وجمع عقاقير واوراق وبسط بسطه فى بعض الاسواق واشار على اسان مخبر ان المكان الفلانى فيه طبيب معبر وهو استاذ الزمان وعلامة الاوان وتلامذته

الدنيا ولذاتها الا وهو متحول الى الاذى ومولد للحزن فالدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شاربه شربا الا ازداد عطشا وهى كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه وكالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب فاذا تعبت القت ما معها وكالكوز من العسل الذى فى أسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت ذعاق وكاحلام النائم التى يفرح بها الانسان فى نومه فاذا استيقظ ذهب الفرح فلما افكرت فى هذه الامور رجعت الى طلب النسك وهزنى الاشتياق اليه ثم خاصمت نفسى اذ هى فى شرورها سارحة وقد لا تثبت على أمر تعزم عليه كقاض سمع من خصم واحد فحكم له فلما حضر الخصم الثانى عاد الى الاول وقضى عليه ثم نظرت فى الذى أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت ما اصغر هذه المشقة فى جانب روح الابد وراحته ثم نظرت فيما تشره اليه النفس من لذة الدنيا فقلت ما امر هذا وأوجعه وهو يدفع الى عذاب الابد وأهواله وكيف لا يستحلى الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة وقلت لو ان رجلا عرض عليه ان يعيش مائة سنة لا يأتى عليه يوم واحد الا بضع منه بضعة ثم أعيد عليه من الغد غير انه يشرط له اذا استوفى السنين المائة نجا من كل المؤذى وصار الى الامن والسرور كان حقيقا

فى الطب حكماء اليونان وفى التعبير ابن سيرين وكرمان وتصدر كابى زيد وماسان عاملا بما قاله شيخ البيان وهو

الطب أهون علم يستفاد فطر * بين الانام به طير الزنابير
واجمع لذاك كراريسا منثرة * وجمة من حشيش من عقاقير
وضع على الرأس بقيارا تدوره * كقبة النسر فى وزن القناطير
واجمع معاجين من رب تخلطها * واسحق سفوفا واكحال العواوير
وسم ماشئت من أسماء مغربة * كالسند والهند والسرجاو خنفور
وقل من الهند جا هذا ومن عدن * هذا وهذا أتى من ملك فرفور
وذا من ابهر بحر الصين معدنه * وذا من البربر المدعو ببربور
فان رأيت بالاستسقاء ذا ورم * فقل تورم من لسع الزنابير
ان اقشعر فقل برد عراه وان * يحم قل حرة وهج التناتير
وان أتاك مريض لا تخف وأشر * بما ترى من دواء دونه البورى
فان يعش قل دوائى كان منعشه * وان يمت قل أتاه حكم مقدور
كذلك الرمل والتنجيم خذه على * هذا المثال وخض فى علم تعبير
فان أصبت فقل علمى ومعرفتى * وفى الخلاف قل ضد المقادير
وان رأيت فقيها فر منه ولا * تنطق يخطئك فى فسق وتكفير
وأنت تحتاج فى هذا وذاك الى * ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق أن زمام خليفة الانام رأى فى المنام شيأ هاله وغير حاله فحصل له فى رأسه صداع وفى فؤده وجاع فسمع بهذا الربع الجديد وانه أستاذ مفيد فارسل اليه وعرض ما رآه عليه فقال هذا منام يدل على خير وانعام وبقاء ذكر الزمام على الدهر والاعوام ولكن لا أعبر هذه الاحلام الا بدينار تام فناوله دينارا وأظهر لذلك استبشارا فقال له يولد لك غلام بعد ثلاثة أيام فضحك الزمام من هذا الكلام وقال يا امام أنا رئيس الخدام طواشى بلا شى لا زوجة ولا سريه ولا آلة ولا شهيه فمن أين لى هذه السعاده ولا فرحت بحسن الحسنى فانى تحصل هذه الزياده فلا تسخر منى وكف كلامك عنى وأخبرنى بتعبير هذا المنام ودع عنك الملام فقال حقا أقول وأنا جربت هذا المقول وقد عبرت لك هذا التعبير ولا ينبئك مثل خبير فقال الزمام يا أخى دع هذا المقال فان وجود الولد منى محال وأنا رجل بى وجع وما بقى فى متجع فقال وماذا تشكو وألمك فى أى مكان هو فقال فى فؤادى أوجاع وفى رأسى صداع فقال يا زبن من فاخر اعطنى دينارا آخر أصف لك أيسر دواء يحصل لك منه العافية والشفاء فدفع اليه الدينار وطلب منه دواء الدوار وما بفؤاده من الم أورثه الوهج والضرم فقال يا أبا الفيض خذ درجا لك بمحة بيض مضافا اليها عسل مشتار وليكن ذلك مسخنا بالنار فاستشاط الطواشى غضبا وفار كالنار شواظا ولهبا وعرف انه جاهل وعن طرق العلم غافل فأدبه التأديب البالغ ورده الى ما كان عليه من منادمة السالغ واستمر على كلاحته بعد رجوعه الى فلاحته (وانما أوردت) هذا المثال يا غول الاغوال لتعلم اننا اذا اشتغلنا بمناظرتهم اشتغلنا فى محاورتهم لانه فى دقيق الاسرار وعميق الافكار وتحقيق الانظار لا يقاوم أحد جنس الانسان فكيف يستطيع الجان معارضة من أيده الله تعالى برفيع المعانى وبديع البيان فاذا قابلناهم فى

ان لا يرى تلك السنين ولا شيأ منها وكيف يأبى الصبر على ايام قلائل يعيشها فى النسك واذى تلك الايام قليل يعقب خيرا كثيرا فلنعلم ان الدنيا كلها بلاء وعذاب اوليس الانسان انما يتقلب فى عذاب الدنيا من حيث يكون جنينا الى ان يستوفى ايام حياته فانا نجد فى كتب الطب ان الماء الذى يقدر منه الولد السوى اذا وقع فى رحم المرأة يختلط بدمها ومائها فيثخن ويغلظ ثم تمخض الريح ذلك الماء والدم حتى تتركه كالجبن ثم كالرائب الثخين الغليظ ثم تقسم فيه اعضاء الولد لا بان ولادته فان كانت انثى فوجهها قبل وجه أمها وان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه ويداه على وجنتيه وذقنه على ركبتيه وهو منقبض فى المشيمة كأنما صرة مصرورة وهو يتنفس من متنفس ضيق شاق عليه وليس من عضو الا وهو مقمط بقماط فوقه حر البطن وثقله وتحته ما تحته من الظلمة والضيق وهو منوط بمعى من سرته الى سرة امه ومن تلك المعى يمص ويقتبس الطعام فهو بهذه المنزلة فى الظلمة والضيق الى يوم ولادته واذا كان ابان المخاض والولادة سلطت ريح على رحم المرأة فتهب للجنين قوة يقدر بها على الحركة فيضرب برأسه قبل المخرج من ضيقه وحرجه فاذا وقع الى الارض فأصابته ريح او لمسته يد وجد لذلك من الالم ما يجده الانسان اذا سلخ جلده ثم هو فى انواع العذاب ان جاع فليس به استطعام او عطش فليس به استسقاء او وجع فليس

المباحث بالمعارضه تعود مسئلتنا علينا بالمناقضه فلما رأى العفريت خور ذلك الصفريت وانه نكل عن المقاومه ونكص عن المصادمه خاف أن تكون آراء الوزراء تبعا لرأيه فى عدم لقائه وظنهم مستحسنين لدهائه مستصوبين لآرائه فأرخى عنان الكلام ليقف على ماعندهم من مرام وكان عزمه المباحثه والمعاتبة والمباعثه والتصدى للاقدام والقاء المسائل بحضرة الخاص والعام لكن مشى معه أمام الوزراء ليرى ماهم عليه من الآراء (فقال للوزير) نعم ماقلت أيها الوزير والرأى ماأشرت من الرأى والتدبير فان الله تعالى خلقنا من النار وطبعها الاهلاك والدمار واحراق كل رطب ويابس وبارد وحار والظلم والخسار والافناء والجهل والبوار وطلب الرفعة وعدم القرار وافساد ماتجده من غير فرق بين نفاع وضرار وخلقهم من تراب واليه الاياب وطبعه الحلم والسكون والترابية والركون والعلم والعدل والاحسان والفضل ومع هذا فلو خرجوا عن مادة ماجبلوا عليه وتلبسوا بغير ماندبوا اليه ولوأدفى الخروج وراعوا ما للمارج من مروج لتحكمنا فيهم كما نختار ولعبنا بهم كما يلعب بالكرة الصغار ونحن اذا خرجنا عن دائرة طبعنا وتخلفت أوصاف اصلنا وفرعنا وتقلنا الى دائرة الخير عن جادة الشر اقدام صنعنا لايقع لنا منهم صيد ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد فاذا عجزنا عن الايذاء الظاهر لم يبق الا الاغواء من باطن الضمائر والتعلق باسباب مايصل اليه من الحيل البواطن والظواهر فقد قال الحكماء واهل التجارب ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوائب ومنى من ذلك بالعجائب والغرائب اذا تصدى الانسان وقصد غريمه وعجز عن مقاومته فى الحكومة والخصومه فعليه بهدم ذلك الجبل بمغناطيس الخداع ومعاويل الحيل ويستعين فى ذلك باهل النجده وذوى البطش الشديد والشده فيتوصل بهم الى حسم ذلك الداء ولو كانوا اعداء غير أوداء فتسليط بعض الاعداء على بعض من أعين سنة بل من أحسن فرض ولقد أحسن من قال

تفرقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

ولا يوجد فى هذا الباب لجمع شمل الاعداء أوثق من تفريق الاحباب ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا وماقويت اعضاد الاسلام الا باجتماع كلمة الانصار والالتئام ولهذا قصد من نافقوا لما ترافق الانصار وتوافقوا أن يتشاقوا ويتفارقوا فأنزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا وهذا الفن يحتاج الى فكر عميق ومكر دقيق وعقل كبير وفعل كثير ومصيب رأى وتدبير وسلوك فى طريق اصطناع كما فعلت الفأره من الخداع فقال الوزير نعم مولانا الباقيه بتحقيق هذه الواقعه (فقال) سمعت أن بعض التجار كان له بستان فى دار والى جانبه حاصل فيه المغل المتواصل وفى ذلك الحاصل وكر لشاطر من شطار الفأر له عدة منافذ والى الجهات طرق وما خذ أحدها الى جهة البستان والبستان كأنه جنة رضوان فكانت الفاره ذات الشطارة والمهاره تأخذ من الغلات وأطايب الطعامات مايكفيها غداء وعشاء صيفا وشتاء وفى وقت الصيف تخرج من ذلك المنزل اللطيف الى جهة البستان فتتمشى بين الغدران وتترقى الى اعلى الاغصان وتتمرغ فى المروج والرياض وتتبختر فى ظلال الدوح والغياض ثم تعود الى وكرها وتأرز الى جحرها وكان عيشها هنيا وامرها رضيا ومضى على ذلك دهرها وانقضى فى أرغد عيش عمرها ففى بعض الاحيان خرجت على العادة للتنزه فى البستان فرسكنها الفوان فرأى مكانا مكينا وسكنا حصينا بالاطعمة محفوفا وبطيب الاغذية مكنونا فدخله واستوطنه

به استغاثة مع مايلقى من الوضع والحمل واللف والدهن والمسح ان أنيم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى اصناف العذاب مادام رضيعا فاذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ بعذاب الادب فأذيق منه ألوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاسقام والاوجاع أوفى حظ فاذا أدرك كانت همته فى جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطلب والسعى والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع اعدائه الباطنين اللازمين له وهى الصفراء والسوداء والريح والبلغم والدم والسم المميت والحية اللادغة مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ثم انواع عذاب الهرم لمن يبلغه فلو لم يخف من هذه الامور شيأ وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها الوجب عليه ان يعتبر بالساعة التى يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ويتذكر ماهو نازل به فى تلك الساعة من فراق الاحبة والاهل والاقارب وكل مضنون به من الدنيا والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا ان يعد عاجزا مفرطا محبا للدناءة مستحقا اللوم فمن ذا الذى يعلم ولا يحتال لغد جهده فى الحيلة ويرفض مايشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولاسيما فى هذا الزمان الشبيه بالصافى وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم المقدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوا صدوقا شكورا رحب الذراع مفتقدا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا للعلم

وترك ما سواه من الامكنه فلما رجعت الفارة الى مكانها المألوف وجدت به العدو الظالم العسوف فاحاط بها من الامر المخوف ما يحصل من الذئب اذا عانق الخروف فاسرعت الى أمها وشكت اليها نوائب غمها وما دهمها من نوازل همها فقالت أمها الاشك انك ظلمت أحدا أو وضعت على ما ليس لك يدا او تعديت الحدود أو عاملت مغرما بالصدود فجوزيت باخراجك من وطنك وابعادك عن مقرك وسكنك ومن ظلم ضعيفا عاجزا ساط الله عليه قويا الكزا وقد رأيت يا أنسى فى حديث قدسى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى فلا تطيلى الكلام ولا تتصورى أنك ترجعين الى مالك من مقام ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان فدعى تعب الخاطر واطلبى لك مأوى غير هذا المكان فتوجهت الى ملك الفار والجرذان وشكت ما بها من ذلك الشيطان وقالت أنا فى خدمتك ومعدودة من رعيتك عمرى على ذلك مضى وزمانى فى اخلاص العبودية انقضى وأبى كان فى خدمة أبيك وجدى عبد جدك وذويك لم نزل فى رق الطاعه متمسكين بحبل سنة الولاء مع الجماعه كل ذلك لامر يدهم أو نازلة تقدم فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم ونستكفى هول ذلك النازل بجنابكم والآن لقد وقعت حادثه بالالباب عابثه وبالافكار عائثه والارواح كارثه وذلك أنى خرجت من مسكنى اطلب قوتى ثم رجعت الى بيتى فوجدت ظالما قد استحوذ عليه وغاصبا قد دخل اليه وهو ثعبان مالى به يدان وقد ترامت على جنابك أستدفع هذا البلاء بك فقال ملك الفار يا سائبة الاشفار من ترك ماله سائبا فقد جعله ذاهبا وقال ذوو الاعتبار وأولوا الابصار ينبغى بل يجب على الدزدار وحافظ القلعة والحصار أن تكون رجله ذات عرج وانكسار لئلا يكون ديار وجوده خارج الدار وأنت أيتها الفاره فرطت فى أمرك والمفرط أولى بالخساره وقد خاب منك المسعى لانهم قالوا أظلم من أفعى ومن ظلم الافعوان انه لا يكد نفسه فى حفر مكان وتهيئة مبان ومغان ولكنه حيث وجد مسكنا اتخذه لنفسه مقاما ووطنا وهذا قد عرف مكانك النزه وهو جبار شره فلا يزايله ولا يقابله ومن أين يلتقى مثل هذا المأوى وفى المثل عرف الكلب بيت العميا فالاولى أن ترتادى لك موضعا فتتخذيه مقاما ومرتعا فقالت الفاره وقد تأثرت لهذه العباره يا أيها السلطان وملك الفار والجرذان فما فائدة خدمتى وانقياد أبى وطاعة جدى الكبير الابى واذا كنتم فى الدنيا لا تنفعوننا وفى الآخرة لا تشفعون لنا ولا تدفعون فى الاولى صدمات الدواهى والبلا ولا تحمون الاوداء عن مواطئ اقدام الاعداء ولا تدنون فى الاخرى نوائب الطامة الكبرى ولا تحلوننا بجمالكم من الاستيلا غرف الدرجات العلا فأى فائدة لكم علينا ونعمة منكم تسدى الينا وهل أنتم الا كما قيل فى الاقاويل

اذا لم يكن لى منك عز ولا غنى * ولا عند ما يغتالنى الدهر موئل
فكل التفاتات لى اليك تكرم * وكل سلام لى عليك تفضل

فقال ملك الفار يا قليلة الاستبصار العديمة العقل والافتكار اذا اجتهدنا فى ردك الى مكانك وكنا على الثعبان كجندك وأعوانك فهل تشكين يا مسكينة و بنت مسكين فى أن الافعى تتوجه الى سلطانها وتخبره بشانها وانها أخرجت من مكانها وتستنصر باعوانه وتنتصر على سلطاننا بقوة سلطانه وتستجيش وتستغيث وتغرى علينا ذلك الخبيث كما فعل الرافضى العادى العلقمى البغدادى حين دعا التتار العظام لخراب مدينة السلام ومن بعده الذميم نابذ الامام وقصد دمار ديار الشام ولا طاقة لنا بعساكر الحيات ونحن فى

والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكأن امور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وما كان ضائرا وجوده موجودا وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكأن الفهم اصبح قد زالت سبله وكأن الحق ولى كسيرا واقبل الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه مستطيلا وكأن الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه وما بعد وكان الرضا أصبح مجهولا وكان الاشرار يقصدون السماء صعودا وكان الاخيار يريدون بطن الارض وأصبحت المروأة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل الى أهل النقص وكان الدنيا جذلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات واظهرت السيآت * فلما فكرت فى الدنيا وأمورها وان الانسان هو اشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب الا فى الشرور والهموم عرفت انه ليس انسان ذو عقل الا وقد أغفل هذا ولم يعمل لنفسه ويحتال لنجاتها فعجبت من ذلك كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لا يمنعه من الاحتيال لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله ان يصيب منها الطفيف أو يقتنى منها اليسير فاذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام

أحيائهم كعساكر الاموات فتذهب الاموال والارواح وتتعب القلوب والاشباح ومع هذا الامر المعلوم حصول القصد والظفر موهوم فبالله اتركيني واذهبي واطلبي لك مسكنا غيره ولاتتعبي فقالت هذا منزلي القديم وميراثي عن سلفي الكريم وأين أذهب وفيمن أرغب ان لم تغثني هلكت وانذهلت وانسلبت فقال لاتطيلي القول فلاقوة انا ولاحول فلما أيست الفاره المكارة الغداره تركت سلطانها وذهبت وسلكت طريقها وانقلبت وانشدت فارشدت

أيا من مفتقر اليك نظرتي * غفرتني وقذفتني من حالق

لست الملوم انا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ثم غاصت في بحر الفكر وتشبثت باذيال المكر واستعرضت على مرآة أفكارها وجوه الحيل واستورت من زناد آرائها شرر النظر في الجدل واخذت تطوف في أكناف البستان فعثرت في طوافها على ذلك الافعوان نائما تحت ورده متطوقا في أهنى رقده فرقت غصنا من الاغصان فلاح لها الباغبان قد سقى البستان وهو تعبان متكئا في الرياض على مسكبة ريحان فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه وقربت منه ودارت حواليه ثم وثبت على وجهه وكان نائما فانتهض مرعوبا قائما فذهبت واختفت وبذا القدر اكتفت فرجع ونام وغرق في المنام فدخلت في قميصه ورقصت فاستيقظ متعجبا منزعجا فرآها فهربت ونكصت ثم عادوا تكا بعد ماغضب واتكى فوثبت على وجهه وادخلت ذنبها في أنفه فنهض مستيقظا مجدا فرآها واقفة لاتتعدى فقصدها فهربت ثم رجع فاتت وأنت فنام في مسنده فقربت منه وعضته في يده فانكته وآلمته وأوهجته بما أضرمته فطفر من مرقده وأخذ غصنا بيده وقصدها وقد ذاق نكدها فهربت غير بعيد فرأى وجهها من حديد فتبعها فمشت ثم وقفت وارتعشت تطمعه في صيدها وهو غافل عن كيدها فتبعها وهي قائده حتى انتهت به الى الحية الراقده عندما رأى الثعبان نسي أفعال بنت الجرذان فقتل تلك الافعى ولم يخب للفارة مسعى (وانما أوردت) هذه الحكايه لتقفوا منها على طريق النكايه وليعلم الضعيف اذا كان له أعدا كيف يوقعهم في مصايد الردى واذا استعمل اللبيب العقل المصيب والفكر النجيب وساعده في ذلك قضاء وقدر نال ما أمل وامن ماحذر وأفلح أمره وانجح فكره وهذا اذا كان الضعيف مظلوما والقوى ظالما غشوما كما أنتم عليه مما توجهتم اليه من معاداة شيخ الشام المستحق للتبجيل والاكرام والتعظيم والاحترام فانه على الحق وأنتم ظالمون وقاصد الصدق وأنتم كاذبون يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فهذا أمر مشكل وداء معضل فأنى تصح ابدانكم وقلوبكم مرضى ومن يحبكم وأنتم محسوبون من البغضا وكيف تقتفون وأنتم على الباطل وفي أى ذوق يحلى ما منكم من عاطل وأنا أخاف اى اجلاف أن تسفر هذه القضايا بعد ارتكاب البلايا وتحمل المشاق والتعب باقتحام موارد الهلاك والنصب عما هو اشد وانكى واوجعنكم وابكى كما أصاب مضيف العراق من زوجته زبيدة ذات النطاق حين بدا منها الزنبور على حافة التنور فقال الوزير للعفريت افدنا هذا الصوت ياذا الصيت (قال) نزل في بعض الرستاق من بلاد العراق فقير نحيف على مسكين ضعيف وكان بعض أيام الخريف والبرد الشديد يقطع الحديد فبعد ما طبخوا وتعشوا سجروا النار ليتدفوا فبقي كل من الحضور يتدفأ على جانب التنور فقعد الضيف مقابل زوجة المضيف فظهر من تحت نطاقها وجه ذلك الحر الظريف ولاح من تحت السجيف كانه قرص أو رغيف أو قند عسلي نظيف أو خد جندي نتيف أو القمر شق

لنفسه وطلب النجاة لها فالتمست الانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شئ في طى البئر فاذا حيات أربع قد اخرجن رؤسهن من اجحارهن ثم نظر فاذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا في أصلهما جرذان اسود وابيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لايفتران فبينما هو في النظر لامره والاهتمام لنفسه اذا أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته والهته لذته عن الفكرة في شئ من أمره وان يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر ان رجليه على حيات أربع لايدرى متى يقع عليهن ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك فشبهت البئر بالدنيا المملوأة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة التي في البدن فأنها متى هاجت أو احدها كانت كحمة الافاعي والسم المميت وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذين هما دائبان في افناء الاجل وشبه التنين بالمصير الذى لابد منه وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده * فحينئذ صار أمري الى الرضا بحالي واصلاح

ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي ان أصادف باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما على أمري فأقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب * انقضى باب برزويه المتطبب

{باب الاسد والثور * وهو الاول الكتاب}

(قال دبشليم الملك) لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا المتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا ان يتقاطعا ويتدابرا (ومن امثال ذلك) أنه كان بارض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم اسرعوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعالهم وكان من قوله لهم يا بني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة أشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة واما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من احسن وجه يكون ثم حسن القيام فيما اكتسب منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة فمن ضيع شيأ من هذه الاحوال لم يدرك ما اراد من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان هو كان ذا مال

نصفين أو بدر لاح من تحت ذيل حنين فلما أحس بحرارة النار وظهر على وجهه الاحمرار صار يتلمظ ويتحلى ولسانه من الحر والدفء يتدلى فأمعه الضيف وهو يتثاءب فتمطى قائم رمحه ونحوه قام وتصاوب وقد قيل في الاقاويل عضوان متعاونان وهما اليدان وعضوان مختلفان وهما الرجلان وعضوان متتابعان وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد والفم وعضوان متباغضان وهما الاست والانف وعضوان متوافقان وهما العين والاير وكان الضيف يسارقه النظر ويترشف شفاهه بلسان الفكر ويود في مطالعة جبينه لو أتبع العين بالاثر وجعل يتغنى ويترنم ويهيم بما يتكلم

ليس في العاشقين اقنع مني * انا أرضى بنظرة من بعيد

فتبعه امام هواه الساجد وجعل يقوم ويقع وهو راكع ساجد ويسلم على محرابه أحسن التحيات ويتشهد رافعا اصبعه بالسلام والصلوات ثم غلبته الحيرة فأخذ يجلد عميره فنظر صاحب البيت فرأى الضيف غارقا في ذيت وذيت مشغولا بكيت وكيت متمثلا بمعنى هذا البيت

وعند الملتقى انكشف المغطى * تثاءب كسها أيري تمطى

فاراد أن ينبه ربة البيت على هذا العشار لتستر حالها وتغطي مالها بطريقة لا يؤبه اليها ولا يقف ضيفها عليها فمد يده الى سفود وحركه به النار ذات الوقود فعلق من النار به في الطرف وما شعر بذلك أحد وما عرف ثم لعب ساعة بذلك العود وأوصل في خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود لتتيقظ فتتحفظ فشوطها وأحرقها وأحرق رأس السفود بظرها فالتأمت وانضبطت واحترقت واختبطت وتحركت بزعجة فضرطت فزادت فضيحة العين فضيحة الانف والاذن ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن (وانما أوردت) هذه الحكايات لتتأملوا في الغايات والنهايات فان من لا يراقب ما يأتي في العواقب ما الدهر له بصاحب وهذا الرجل الصالح القيم الراجح ما فاق أقرانه وساد أصحابه واخوانه الا بشيء تقدم به عليهم وتحقق موجب تقدمه لديهم وذلك درجات العلم والعمل فبذلك ساد الرجل وكمل وقال منزل الآيات وخالق البريات يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد برع في أنواع العلوم واطلع على حقيقتها من طريقي المنطوق والمفهوم وأنتم عن طريقه غافلون وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون واعلموا أن طريقه واحدة وهي الحق وطرقكم متعددة وكلها فسق وأتباعه على اتباعه متحالفون وأنتم في طرائقكم القدد متخالفون فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال بعض اهل الفضل وكلامه في بيان الحق فصل ما ناظرت ذا فنون الا غلبته وما ناظرني ذو فن الا غلبني وانما أخشى ان ناظرت هذا الرجل الكامل الفاضل أن لا أحصل منه على طائل ويظهر فضله قصوري فينهدم بنيان قصوري فقال الوزراء بعد أن اتفقت الآراء كلمة واحده متفقة متعاضده نعم ما رأى مولانا الرئيس صاحب التدليس واستاذ التلبيس وانجب أولاد ابليس ونحن أيضا بابا قه نخشى عاقبة هذه الواقعه ولقد جرى مثل هذا المجرى بين بزرجمهر ومخدومه كسرى في قضية فاق فيها الوزير مخدومه الكبير فسأل العفريت وزراءه عن بيان ذلك الشان كيف كان (فقالوا) بلغنا أيها الخناس الملقي الوسواس في صدور الناس أن بزرجمهر الوزير كان ذا علم غزير ورأي وتدبير وبديهة جواب تفهم الكد والتفكير وكان حكيم زمانه وعليم اوانه وممن فاق في الفضل والحكم سائر أترابه واقرانه وكان مقربا عند مخدومه يزيد في كل وقت في تكريمه وتعظيمه

وتوقيره وتفخيمه ويصغى الى نصائحه ويعد قربه من أعظم مناجحه ويصبر على كلامه الصادع ووعظه القارع ونصحه الفادع لما فيه من الفوائد والمنافع والحكم والبدائع وقد قيل من احبك نهاك ومن أبغضك اغواك فكان الوزير يبادر قبل سائر الخدم فى وظائف الخدم ويعجل من الليل والظلم حتى كانه يوافق النجم أو يسابقه فى الرجم ومع ذلك كل يوم يجد مخدومه راقدا فى النوم فيقرعه بالغفله وينقم عليه هذه الفعله ويعلن بالندا وينادى فى الملا فيقول افق يا محجوب وتيقظ حتى تظفر بالمطلوب فمن باكر نجح ومن غاس المطلوب افلح ومن تخلف فى النوم سبقه الى المنزل القوم وفاته المطلوب ولا يدرك المحبوب واترك لذة الكرى فعند الصباح يحمد القوم السرى وكان كسرى يجد لهذا الكلام انواعا من الآلام لانه كان يطيل السهر الى وقت السحر عاكفا على المدام وسماع الانغام ومغازلة الغزلان ومعاقرة الندمان واحياء الليل عمرثان فاذا نام واستراح امتد نومه الى الصباح فلا يوقظه الا عياط الوزير وصراخ ذلك الصائح النذير فلما طال عليه المطال وغلب عليه من ذلك الملال ارصد للوزير فى الطريق من منعه عن التبكير بالتعويق فتصدى له الرصد وأعروا رأسه والجسد وأخذوا قماشه وسلبوا رياشه فرجع الى بيته مكرها ولبس ثيابا غيرها فابطأ فى ذلك اليوم وتخلف فى الخدمه عن القوم ولم يجئ الا وقد استيقظ كسرى من النوم وهو جالس فى صدر الايوان وحواليه مباشر والديوان وسائر الوزراء والاركان وعامة الجند والاعوان كل فى مقامه ضابط زمامه فادى بزرجمهر وظائف الخدمة على عادته ووقف فى مكانه مع جماعته فقال كسرى ما دعا مولانا الوزير فى هذا اليوم المنير الى التخلف والتاخير وترك التبكير وانشاده بالتبكير قول الشاعر الكبير

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال ان الحرامى عارضنى أمامى وقصدنى فى ظلامى فأخذ شاشى وسلبنى قماشى ورياشى فرجعت الى كناسى وجددت زينتى ولباسى فهذا سبب تأخيرى وعدم تبكيرى وموجب تخلفى عن وعظى وتذكيرى فقال كسرى ما أفادك التذكير الا الغرامة فى التبكير ولولاه ما سلب القماش ولا ذهب الرياش ولا قام الحرامى بالمعاش فاين الفلاح فى القيام قبل الصباح فقال بزرجمهر فى الحال وقد أصاب فى الجواب ليس ذلك كذلك يا أمامى وانما بكر قبلى الحرامى ولم أباكر أنا بالنسبة اليه فرجع فائدة تبكيره منى عليه فعجب كسرى من خطابه وسرعة بديهته فى جوابه (وانما أوردت) هذا القول بين يدى امامنا الغول وشيخ المردة المهول ليعلم ان كسرى وان كان عالما وفاضلا وحاكما أذعن لكلام وزيره واتبع رأى مشيره وانصف من نفسه اذ أدرك الوزير بفهمه ما لم يدركه هو بحسه فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه والتخلف عما ندبهم اليه وقال فبأى الحبائل نصيدهم وبماذا نكيدهم فقال أحد الوزراء بالنساء فانهن زمارة المحن وطبل الفتن والطبل لا يضرب تحت الكساء هن أعظم وسائلنا وأحكم وهاقنا وحمائلنا وناهيك ما قاله العزيز العليم الذى جبلهن على غير تقويم وفطرهن على الكيد ان كيدكن عظيم وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن ضعيفا فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال الولى ومن قدره الرفيع على

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من أجاد فى المقال وشنف المسامع بالاقوال حيث قال

واكتساب ثم لم يكن يحسن القيام به أوشك المال ان يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذى لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فنائه وان أنفقه فى غير وجهه ووضعه فى غير موضعه واخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التى تجرى عليه كحبس الماء الذى لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومفاض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغى خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعا * ثم ان بنى الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا ان فيه الخير وعولوا عليه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فأتى فى طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربه والآخر بندبه فوحل شتربه فى ذلك المكان فعالجه الرجل واصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على اخراجه فذهب التاجر وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم به واستوحش فترك الثور والتحق بالتاجر فأخبره ان الثور قد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وان اجتهد فى التوقى من الامور التى يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيأ وربما عاد اجتهاده فى توقيه وحذره وبالا عليه (كالذى

وما جز أعناق الرجال سوى النسا * وأى بلاء جاء لسن له أهلا
فكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وانهن أشراك الاشراك وأوهاق الازهاق وأسواق الفساق ومصايد المصائب ومراصد النوائب وحسبك ياذا الدها ما أوهى ذلك الحكيم حين سها وأذعن لزوجة الرئيس اذ نبهته على ماعندها فسأل العفريت عن تلك الحالة وبيان ما فيها من المقاله (فقال) ذكر أن حكيما من العلماء وعالما من الحكماء أولع بضبط مكر النساء وشرع فى تدوينه صباحا ومساء وصار يجول البلدان ويطالع لذلك كل ديوان ويكتب ما يكون وما كان ويحرر من ذلك الاوزان بالمكيال والميزان فنزل فى بعض الاثناء على حى من الاحياء فصادف ذلك التعيس بنت الرئيس فتلقته امرأة ظريفه ذات شمائل لطيفه وحركات رشيقة خفيفة وقابلته بالترحاب وفتحت للدخول الباب فأقبل عليها وترامى لديها فانزلته فى صدر البيت وأخذت معه فى كيت وكيت كانها معرفة قديمه وحديثه كريمه وكان زوجها غائبا قد قصد جانبا فشرعت فى نزل الضيف لئلا تنسب الى بخل وحيف فاخذ يطالع فى ديوانه ويسرح سوائم طرفه فى ظرف بستانه يشغل أوقاته ويتفكر ما فاته ليتعاطى اثباته فقالت له ضرة الريم ما هذا الكتاب العظيم أيها الفاضل الحكيم فقال شئ صنعته وكتاب ألفته وهو فى الغربة أنيسى وفى الوحدة جليسى فقالت ياذا الحكم والحلم ما فيه من فنون العلم فقال سر مصون وأمر مخزون ودر مكنون لا يجوز ابداؤه ولا يحل افشاؤه فقالت ياذا الشكل الظريف والوصف اللطيف والعلم المنيف هذا التعريف لا يليق بالتصنيف فان فائدة التصنيف الاشتهار وثمرة العلم الانتشار ودونك ما قاله الكئيب فى مخاطبة الحبيب

أذقنى من رضابك ياحبيبى * فما للشهد دون الذوق لذه

وما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا فقال الامر كذلك يازين الامور ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور فقالت ان الله الجليل الذات الجميل الصفات ذكر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وما منع نساء الانصار الخيرات الاطهار أن يسألن المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام على غسل المرأة فى الاحتلام ولا أن يلجن معه المخاضه فى السؤال عن الحائض والمستحاضه فخرج فى ميدان الامتناع وأصر على الممانعة والدفاع وقال ياحصان هذا سر يصان لا سيما عن فى دينه وعقله نقصان فأغراها هذا المقال على الالحاح فى السؤال وزادت فى اللجاج ومارت فى الاحتجاج وترامت لديه وأقسمت بدلالة الدلال عليه فقال هذا علم لم أسبق اليه جمعت فيه مكر النساء ومن أجاد منهن ومن أساء ومن تعاطت لطائف الحيل وخفى الفعل وخفيف العمل ومن دعت بدعاها حتى بلغت مناها ومن وقعت فى الشدائد فاحتالت بدقيق فكرها للمكايد وتخلصت من شرك المصايد فلما سمعت ما قال ووعت صكت وجهها واغربت تقهقها وتمايلت تمايل القضيب وقالت سر غريب وأمر عجيب وضيعة عمر حاصل فيما لا تحته طائل وشغل سر وبال فى جمع أمر محال لقد ركبت المشاق وكلفت نفسك ما لا يطاق ونسفت الرمل بالكربال وغرفت البحر بالغربال ووزنت الطور بالمثقال وتحملت الذر بالاثقال فارجع عن هذا الغلط ولا ترم ذلك الشطط فان مكر ربات الخدور لا يدخل ضبطه بسفر تحت مقدور فقال لها أنت غبيه وعن هذا الكلام غنيه وان كنت

فاضلة

قيل ان رجلا سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوعث تلك الارض وخوفها فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من احد الذئاب واضراها فلما رأى الرجل ان الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف واد فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادى لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد ادركه فألقى نفسه فى الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد أن يغرق الا انه بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لاخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على شط الوادى بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فاستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فاسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت قد بلغنى هذا الحديث * وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل فى مرج مخصب كثير الماء والكلا فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار يطلب البقرات وكان قريبا منه أجمة فيها اسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنو آوى وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه غير آخذ برأى احد من

فاضلة ذكيه اناقد بلغت فى ذلك الغايه وأحطت به بدايه ونهايه ووقعت على مجمله ومفصله فلم يشذ عنى شئ من آخره وأوله فسلمت وما تكلمت وغالطت وما باالطت وسارت وما مارت وفوضت اليه هذا التحقيق وسلكت معه غير هذا الطريق حتى كان هذا الكلام فى هذا المقام شيأ فريا ونسيا منسيا ثم نزلت من برج المنازله وأخذت تلك الغزالة فى المغازله وانتهى بها المقال الى هذا السؤال فقالت أيها اللبيب الماهر مامعنى قول الشاعر

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

فالرمح الواحد قامته والرمح الثانى ماحوته راحته وقل لى ياأبا الحرث ماهو الرمح الثالث فقال ذلك النبيه قيل ماظهر من تثنيه فان هز لين اعطافه وسرعة انعطافه تراه العينان كأنه رمحان وقيل ماظهر من ذلك المهفهف عند هزه الرمح المثقف فانه يتراءى للعين الشكل الواحد اثنين ولهذا نظير فى اليوم المطير وأحسن مثال عند رشق النبال وفى تدوير المحجن وفتل الصولجان عند سرعة الدوران وقيل كان معه رمحان فعده واحدا وهما اثنان وعندى يادمية القصر انه ليس المراد الحصر وانما المراد التكثير ياضرة البدر المنير لان عطفه كلما انهز هزه حصل فى صدر المتيم وخزه ورمح قامته تثنى وتتقصف فتارة يميل وأخرى يتثقف والطعن العشاق يخطرونه فهفهف فالمتيم لايبرح من قده فى طعنات كما لم يزل من سهام جفنه فى محزات ووخزات وهو من المجاز المرسل اذ المراد الطعن من ذلك الأسل وكان قصده أن يسرد الاعداد لا الى غاية ويبلغ بها الى مالانهاية فيقول ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع فلم تسع القافية يامن هى بوصلها شافيه ورضابها عافيه ونظير هذا ياحره ان تستغفر لهم سبعين مره وليس المراد الحصر يارقيقة الخصر وياعين العين فى السبعين حتى لو زاد على هذا العدد لغفر لهم الواحد الصمد بل المراد أنه لايغفر لهم ولو زاد فقالت ياصاحب البيان وربه انما عنى بالرمح الواحد زبه فأفصحت له بالكلام عما لها من مرام كأنها ثالثة بنات همام نغلت عين الرجل واستحت لما أفصحت عن مقصودها وأوضحت فقالت حييت وحييت لاتستح واصنع ماشئت فحركت بهذا الكلام العابث من الشيخ الحكيم الرمح الثالث فدا الهايد الفاجر العائث وذهب لب ذلك الرجل الحازم وراودها مراودة العازم الجازم وصارت تلك اللاعبه بين الاطماع والممانعه تتثنى وتتقصف فتارة تتثقف وأخرى تتخسف وبينما هما فى المجاذبه والمداعبة والمطايبه وهى تنزو وتلين وتصعب وتستكين اذ تراءى لها زوجها من بعيد فقالت جاء زوجى وهو عنيف عنيد فسلب القرار وطلب الفرار ووقع ذلك الحكيم النبيه فى فتنة فيها الحليم سفيه ودهمه ماهو أهم مما هو فيه من دواهى العشق ودواعيه ونسى العشق والعشيق وطلب الخلاص من المضيق وأظهر صورة حاله ماعناه الشاعر فى قاله

سألت مجربا لما علمنا * خبيرا بالوقائع مستعاذا
وقات الشهد أحلى أم رضاب * أم النيك الذى للروح حاذى
فقال وحق ربى النفس أولى * اذا جاء الجزا هذا وهذا

واشتغل الحكيم بنفسه وخاف حلول رمسه وكان فى طرف البيت صندوق مقفل عليه ستر مسبل ففتحت له الصندوق ورعت له باخفائه عن زوجها الحقوق وأمرته بولوجه ليكفى من زوجها شر خروجه فشكر لها صنعها وامتثل وانسل الى ذلك اللحد الضيق ودخل

اصحابه فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره لانه كان مقيما مكانه لايبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليله وللآخر دمنه وكانا ذوى دهاء وعلم وادب فقال دمنه لاخيه كليله ياأخى ماشأن الاسد مقيما مكانه لايبرح ولا ينشط قال له كليله ماشأنك أنت والمسئلة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين مايكره ولسنا من أهل المرتبة التى يتناول أهلها كلام الملوك والنظر فى امورهم فأمسك عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ماليس من شأنه اصابه ما أصاب القرد من النجار قال دمنه وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فأعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ماليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه فى الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه موضعه فاقبل عليه يضربه فكان مالقى من النجار من الضرب اشد مما اصابه من الخشبة (قال دمنه) قد سمعت ماذكرت ولكن اعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت العدو وان من الناس من لامروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذى يصيب عظما يابسا فيفرح به

فأقفلت عليه أغلاقه وأحكمت وثاقه ثم تلقت زوجها بالترحاب ودخلت معه فى الاطمئة من كل باب وقدمت له ما أكل وانسدحت له فركب وركل ثم قالت اخبرك يا حبيب بوقوع أمر غريب وحادث بديع عجيب وهو أنه قدم حكيم فاضل حليم عالم عظيم فأكرمت نزله وبوأت منزله وكان معه كتاب فيه العجب العجاب فسألته عما حوى فقال مكر النسا فقلت له هذا شئ لا يحصى ولا يحصر ولا يجمعه ديوان ولا دفتر فلم يسلم الى ولم يعول على وذكر انه أنهاه ولم يدع من مكر النساء فنا الا أودعه اياه فاوسعنى الانى غازلته وداعبته وهازلته فطمع من لين محاورتى فى حسن مزاورتى وطلب منى ذلك العقوق ما هو أعز من بيض الانوق وبينما نحن فى العيش الرغد واذا بك أقبلت من بعيد كل ذلك والحكيم يسمع قولها وما تخبر به بعلها فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب وزمجر واصطخب وقال وأين هذا الفاسق الفاجر المنافق والله لاذيقنه كأس التلف ولالحقنه بمن سلف فلم يبق فى الحكيم مفصل الا ارتجف فقالت ها هو فى الصندوق مختفى نخذ ثارك منه واشتفى فنهض وصاح هات لى المفتاح فعلم الحكيم أن عمره ذهب وراح وكان سبق من زمان بين الزوجين عقد رهان انه من فتح منهما الصندوق غاب وأقام لصاحبه بما طاب فلما ذكرت له حكاية الحكيم ند عنه عقد الرهن القديم وذهل لشدة الغيره ووفور الحيره وتوجه الى الصندوق فبمجرد ما فتح القفل المغلوق صاحت عليه غلبتك يا معشوق فأد ما ثبت لى عليك من الحقوق فتذكر عقد المراهنه ولم يشك أن كلامها كان مداهنه فضحك بعدما كان عبس وألقى المفتاح من يده وجلس ولعنها ومكرها ولعبها وفكرها ثم اصطلحا وانشرحا وزاد انشاطا ومرحا ثم خرج فى ضروراته وتوجه الى حاجاته فأقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس وأفرجته من الاعتقال وذكرت له هذه المناقلة والانتقال وقالت أيها الحكيم العظيم هل كتبت هذه المناقلة فى كتابك الكريم فقال لا والله الرحمن الرحيم وانى قد سلمت اليك وتبت الى الله على يديك (وانما أوردت) هذا المثال لاعرض على شيخ السعالى وامام الاغوال ان النساء فى هذه الحركه أعظم متشبث وأقوى شبكه وهن لسلب اللب من الرجال أضعاف فتنة المسيخ الدجال خلقهن أعوج وخلقهن أهوج ورأيهن غير سديد والرجال لهن أذل عبيد وان كن ناقصات عقل ودين فهن الكاملات فى سلب العقل المتين والفكر الرزين وأذهب للب الرجل الحازم والعقل السديد الجازم وهل أخرج آدم من جنة المأوى الا قصة صدمته من قبل حوا وما قتل هابيل قابيل الا بفتنة الزوجة كما قيل وكذلك قصة من أوتى الآيات فانسلخ منها وقد عرف كل ذلك ابداء وانها وغالب من عصى الله واساء انما كان سبب كفره واخزائه النساء فلا تعترضوا على هذا الرأى المتين ولا تتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين ولا تقصدوا لمعارضته وسؤاله فربما يكون مجالكم أضيق من مجاله وانا لا نقدر على مناقشته ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته فقال سائر الوزراء هذا الرأى أصوب الآراء فانا الى الآن ما بارزناهم بالمخاشنه وانما كنا نأتيهم بالمخادعة والمحاسنه فنزين لهم الباطل ونحلى لهم العاطل ونشوه وجه الحق ونسود طلعة الصدق الى ان ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك فوقف فى طريقنا وأراهم الدرب السالك وعلا شانه ووضح برهانه ونحن على ما نحن عليه من الاغواء والقائهم فى مهاوى الاهواء والحرب بيننا وبينهم سجال فلو كاشفناهم بسوء الفعال انكشف لهم زيف نقدنا وبطل ما كنا نسق له بجهدنا فاذا ظهر الحق من الباطل

وغير

وأما أهل الفضل والمروأة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون ان تسمو به نفوسهم الى ما هم اهل له وهو أيضا لهم اهل كالاسد الذى يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير ألا ترى ان الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق له فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال على اهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان فى عيشه ضيق وقلة وامساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيا منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ما سوى ذلك عد من البهائم (قال كليله) قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم ان لكل انسان منزلة وقدرا فان كان فى منزلته التى هو فيها متماسكا كان حقيقا ان يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التى نحن عليها (قال دمنه) ان المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروأة فالمرء ترفعه مروأته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ومن لا مروأة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق عسر ووضعه الى الارض هين فنحن احق ان نروم ما فوقنا من المنازل وان نلتمس ذلك بمروأتنا كيف نقنع بها ونحن نستطيع التحويل عنها (قال كليله) فما الذى اجتمع عليه رايك (قال دمنه) اريد ان اتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد ضعيف

وتميز الحالى من العاطل أخذوا حذرهم وضبطوا أمرهم وداروا بالعداوه ومروا بالملوحة بعد الحلاوه ثم ظفرنا بهم موهوم ونصرنا عليهم غير معلوم فما ظفرا الا بالندامه ونرضى أذاك بغنيمة السلامه ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيامه وقد قيل

لا تسع فى الامر حتى تستعد له * سعى بلا عدة قوس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا وطار شرر الهذا الاشتعال ولهبا وقال لقد عظمتم من شأن الانسان وأوهنتم بل أهنتم جانب اخوانكم الجان وضيعتم حقوق الاخوان وأبطلتم حكايه السعالى والغيلان ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على ممر الزمان ونحن أدق حيله وأجل جماعة وقبيله وأوسع ذكرا وأسرع مكرا وأقدم وجودا وأعظم جنودا وأغزر علما وادراكا وفهما ولا أرى لكم همة صادقه ولا عزيمة موافقه وأنا ما قلت لكم ما تقدم من القول الا لاختبر ما فى فرائض علمكم من الرد والعول فلا أقوالكم سديده ولا أفعالكم رشيده ولقد حل بكم الصغار وسطا بكم من الانس الصغار وأما أنا فلا بد لى من المباحثه والمناقشة والمنابثه والالقاء للمسائل والابحاث فى الرسائل من غير وسائط ولا وسائل ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حى عن بينه فاعلموا ذلك وتحققوه ثم أمعنوا النظر فيه ودققوه وهذا هو الرأى الذى صممت عليه فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه ويقل فى ذلك غثه وسمينه ويلق هجان قوله وهجينه ولا يدخر شيأ من آرائه فلا بد لى من القائه واعلموا أن الوادى انحرار الذى هو الى جهة جار لو اتفقت الآراء على صرف جريانه الى جهة أخرى وأن يسد عن هذه الجهة المجرى فانهم لو قصدوا ذلك من أسفل الوادى أسخرهم الحاضر والبادى ولا يتم ما أفاعله ما يتمناه حتى يسد طريق الماء من أعلاه وأنتم ان قصدتم معالى الامور واهلاك رؤس الجمهور ثم تعمدتم الاراذل وتبدلتم الاكابر بالاوغاد والاسافل فانكم اذا اغمار وقد ضيعتم فى غير حاصل الاعمار وقد قيل

اذا كنت لا بد مستتربا * فمن أعظم التل فاستترب

وما اللعين كالرصاص والجروح قصاص ولا يكافأ اللريس الا بالرئيس ولا يقابل النفيس بالخسيس وأى فخر للملوك اذا نازلوا السوقة والصعلوك وقد قيل

ألم تر أن السيف يزرى بقدره * اذا قلت هذا السيف أمضى من العصا

وما اكتفى صناديد قريش يوم بدر بدون أكفائهم فى النسب والقدر وماذا تفيد بسالتكم وتحدى شيطنتكم ووسوستكم وأنتم أولو الزعاره وذوو الشطارة والدعاره اذا قهرتم من الانس وعلاكم أضعف جنس وهم أقصر أعمارا ونحن أطول أطوارا لم نزل نصادم الجبال ونقتحم الاهوال ونظهر كما شئنا فى باب الخيال ومن قبل جدنا اللعين جادل رب العالمين فقال فى حق جدهم أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقال لاغوينهم أجمعين وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن أقوى منهم وأجرا وأعرف بطريق الخبث والمكر وأدرى وبالجملة الحكم على الشئ فرع عن تصوره والشخص لا يحكم على شئ الا بعد تصوره وتقرره وهذا الانسان الى الآن لا سبرناه ولا خبرناه ولا عرفناه ولا عرفناه فكيف نقطعون له بالغلبه وتفضلون علينا مسيره ومنقلبه وان لم تفصحوا بالعباره فقد دللتم على ذلك بالاشاره وكنيتم عنه بالتلميح والكناية ابلغ من التصريح هذا ونحن كم قد أضللنا من حكيم واذللنا من عليم وافسدنا من عقائد وعقدنا من فسائد ونصبنا لهم من مصايد

الراى واعلى على هذه الحال ادنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة (قال) كليله وما يدريك ان الاسد قد التبس عليه امره (قال دمنه) بالحس والراى اعلم ذلك منه فان الرجل ذا الراى يعرف حال صاحبه وباطن امره بما يظهر له من دله وشكله (قال كليله) فكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين (قال دمنه) الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وان لم تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا يستقل به وان كان ذلك من صناعته (قال كليله) فان السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الادنى ومن قرب منه ويقال ان مثل السلطان فى ذلك مثل شجر الكرم الذى لا يعلق الا بأكرم الشجر وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست تدنو منه (قال دمنه) قد فهمت كلامك جميعه وما ذكرت وانت صادق لكن اعلم ان الذى هو قريب من السلطان ولا ذلك موضعه ولا تلك منزلته ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حق وحرمة وانا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدى وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الانفة ويحمل الاذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس فاذا وصل الى ذلك فقد بلغ مراده (قال كليله) هبك وصلت الى الاسد فما توفيقك عنده الذى ترجو ان تنال به المنزلة عنده والحظوة لديه (قال دمنه) لو دنوت منه وعرفت اخلاقه فرفقت فى متابعته وقلة الخلاف له واذا اراد امرا هو فى نفسه صواب زينته له وصبرته عليه

وأرصدنا عليهم من مراصد وأبطلنا من طاعات وعطلنا من خيرات وأخللنا من صلوات واحبطنا من زكوات ومنعنا من حجات وصدقات وضيعنا من ميراث ونفقات واسقطنا من اعمال صالحات وكم لنا في الشر من سوق ومن سوق الى فسوق والقاء في حرام وتسربل بمظالم وآثام وكم لنا من احكام احكام على القضاة والحكام يستحلون بها السحت والحرام ويأكلون بها أموال الايتام ويستبيحون بها الدماء والفروج وكم دخلنا فيهم فأخرجناهم من الاسلام اخفى خروج وكم لنا فيهم من مصائب لمصائب وحواصب مناصب وكتائب نوائب وعجائب نواهب وغرائب نوادب نسلبهم بها دينهم ونمنعهم اعتقادهم الحق ويقينهم وكم لنا في سكونهم الى الطاعات من حركات وفي ركونهم الى الخيرات من سقطات وكم لهم الى الطاعات من همم فبردتها وساوسنا فحصل منها في احشائهم الضرم وفي وجود خيرهم العدم وفي صحة اعيانهم السقم وفي شباب صدقهم الهرم وفي سكون امانهم الضربان والالم وفي دائرة حلالهم الحرام والحرم وكم وكم وكم وكم ونحن الآن على ما كنا عليه وهو الذي طبعنا عليه وندبنا اليه دأبنا عن الحق اضلالهم وعن الصراط المستقيم ازلالهم والى الباطل دلالتهم وادلالهم نزين لملوكهم الاجترا ولكبرائهم الافتراء ولرؤسائهم الازدراء ولعلمائهم المراء ولزهادهم الرياء ولتجارهم الربا ولامرائهم سفك الدما ولفسائهم السلاطة والزنا ولخواصهم الغيبة والنميمه ولعوامهم الخوض في كل جريمه وللمشايخ قول الزور ولنسائهم الوقاحة والفجور وهذا دأبنا ودأبهم ولم تزل أوهاقنا ورقابهم فان قطعنا صلتهم هذا الواصل فان هذا تحصيل الحاصل وان قلنا نستأنف عملا جديدا فانا لم نترك في ذلك ما يبقى مزيدا وقد بلغنا في ذلك كله الغايه وها نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهايه ولم يبق الا المقاتله في المقاتله والمباشره بالمكاثره والمفاتحه في المقابحه والمكالحه في المناكحه فلما سمع الوزراء هذا الكلام عرفوا أن أسباب دولتهم آذنت بانصرام غير أنهم لم يقدروا على المخالفه فما وسعهم الا المطاوعة والمؤالفه لئلا ينسبهم الى غرض فيصيبهم منه عرض أو مرض فحسنوا له رأى المصادمه ومباحثة العالم والمقاومه واتفقت الآراء أن يرسلوا للعالم أولا وانتخبوا من يصلح أن يكون مرسلا فيحمله العفريت في الرساله ما تتضمنه من الحماسة والبساله حسبما يراه رأيه التعيس وفكره المدبر الخسيس وكان في شياطينه المرده وغيلانه العتاة العنده عفريت من الجن مارد مسن اسمه صن بن مصن قد أضل عقائد وازل قواعد وأشرب بغض بني آدم وغمس طائفة منهم في نار جهنم بعد ما غطسهم من المعاصي في يم لا يمنعه وجوم عن الهجوم ولا يخاف الرجوم من النجوم طالما أطال البوائق في المغارب والمشارق وأضرم نيران الافساد بين الخلائق وملأ ما بين الخافقين من مواقع الصواعق وفوح نتانة الوساوس وفساء الظربان في المجالس وانقض للشر والفتن على كل قائم وجالس فكم له توفيق بين الحرامين وتفريق بين الحلالين وسفك دماء بين الاخوين والقاء للمغضة بين المحبين والعداوة بين الالفين والعربدة بين السكارى والحروب بين المسلمين والنصارى وبالجملة فقد أوتي من الوسوسة والتلبيس صنوفا كثيرة فاق بها على ذرية ابليس فانتدبه العفريت الملم الى هذا الامر المهم وأمهلاه الى أن انسلخ اهاب الضوء ثم طارا في عنان الجو حتى وصلا الى سفح الجبل متعبد ذلك العالم البطل الذي ملأ الدنيا بالعلم والعمل ثم كمن العفريت في مغاره وأرسل رسوله بالسفاره يقول أبلغ عالم الانس صاحب الكرامات والانس ومقرب حظيرة القدس عن شيخ

وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا واذا اراد امرا يخاف عليه ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين وأوقفته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما أجد اليه السبيل وانا أرجو ان ازداد بذلك عند الاسد مكانة ويرى مني ما لا يراه من غيري فان الرجل الاديب الرفيق لو شاء ان يبطل حقا ويحق باطلا لفعل كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة واخرى كأنها داخلة وليست بداخلة (قال كليله) اما ان قلت هذا وقلت هذا فاني أخاف عليك من السلطان فان صحبته خطرة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا القليل وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (قال دمنه) صدقت فيما ذكرت غير انه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل ان خصالا ثلاثة لن يستطيعها أحد الا بمعونة من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد انه لا يرى

العفاريت الطغاة المصاليت أنى من قديم الزمان وبعيد الحدثان أضللت كثيرا من الناس بالمكر والخداع والوسواس وفى أمثالى نزلت قل أعوذ برب الناس وابن عمى هو الوسواس الخناس وكان من جنس بنى آدم كذا كذا ألف عالم خدامى ومى وجندى وتبعى منهم رؤس الزهاد وعلماء العباد وعلى محبتى مضوا وباتباع أوامرى قضوا فأنا فتنة العالم وأعدى أعداء بنى آدم الشيطان الرجيم وابليس الذميم اسم ذاتى ووصف صفاتى أنا مقتدى الشياطين ورأس العفاريت المتمردين ومحل غضب رب العالمين خلقت من مارج من نار وطبعت على الفساد البوار والدمار رجوم النجوم انما اعدت لاجلى وعتاة الغواة لاتصل رؤسها الى مواطئ رجلى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب آية منعتى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم طراز خلعتى أأسجد لمن خلقت طينا مقام مقالى لاحتنكن ذريته الاقليلا مجال جدالى لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشورى القديم بعدهم وعنهم ومابعدهم الشيطان الاغرور امر سومى الكريم الشياطين تستمد من زواخر مكرى والاعور اللعين يقتبس من ضمائر فكرى لم تتم قضية فى الزمان الغابر الا ولى الشركة فيها ولا حدثت محنة الا بى ولاولى الا وأنا متعاطيها جدى ابليس نهض لجدى التعيس والى نحو آدم هوى فعصى ربه فغوى وأنا قضيت بالتسويل حتى قتل قابيل هابيل وحلت بقوم نوح عن النصوح وأرشدت المجوس الى عبادة النار ووضعت الناقوس وأضللت عادا وثمود وشدادا ونمرود وبعثت على عبادة الاصنام فى البيت الحرام وعلى كيفية القاء ابراهيم فى نار الجحيم وهديت قوم لوط الى الخوض فى اللوط ومحافر القلوط وسولت لاولاد يعقوب وحاولت فى قضية أيوب وتصديت لام اسمعيل وعارضت ابنها وهو مع الخليل وأنسيت يوشع قصة الحوت وساعدت على صاحب الحوت وجلست بالعصيان على تخت سليمان وحضرت وقعة طالوت وساعدت عليه جالوت وأنا كنت العون لهامان وفرعون وبحسن ضبطى قتل موسى القبطى وأنا فتنت داود وأغويت قارون واليهود وسلطتهم على الوالدة والمولود ودللت على نشر زكريا وذبح يحيى وجرأت على قتل الانبياء والاوليا وتوصلت بتزيين الوسواس لقاتلى الذين يأمرون بالقسط من الناس ودعوت الى عبادة العجل قوم موسى وساعدت فى التفريق والاضلال بين امة عيسى وكم أغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان وقد بلغنى من جميع مسترقى السمع وطن على اذنى ووعاه خاطرى ووقر فى ذهنى وأنا أشارف التخوم وأسارق النجوم وأسابق الرجوم ان لى اسماء تذكر فى السماء منها الغليظ الرقبه وشيخ نجد وازب العقبه والمقيم فى الدست البيضه والغوى على نقض عهد بنى قريظه والمحرض على أحد وبدر من الصناديد كل جليل القدر والمشهور فى أحد بالنداء والملقى العرب بالردة الى الردى وأنا المتسبب فى قتل عمر وعثمان واهلاك على أمير الشجعان والغوى فى وقعتى الجمل وصفين والملقى الفتن بين جنود المسلمين وانشرى سرى الى يزيد وفاض للحجاج والوليد وبى تكثر البدع بين الجماعات والجمع ويظهر من الفتن مابطن ويغلب من التتار وأهل البوار والخسار أنواع الشرور والجدال الى حين يظهر الدجال وتستمر الى هذه الامور الى يوم البعث والنشور وبالجملة والتفصيل أنا شيخ التكفير والتضليل وتلك صنعتى من الابتداء وحرفتى الى الانتهاء ثم انك نبعت فى هذا الزمان وظهرت فى هذا المكان تريد أن تهدم مابنيته وتعوج بصلاحك ما بفسادى سويته وترد كلامى وتعاكسنى فى مرامى وأنا كنت فى قديم الزمان من قبل ان توجد أنت فى هذا المكان

الا فى مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا كالفيل انما جماله وبهاؤه فى مكانين اما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك (قال كليله) خار الله لك فيما عزمت عليه * ثم ان دمنة انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال الاسد لبعض جلسائه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت اعرف اباه ثم سأله اين تكون قال لم ازل مرابطا لباب الملك رجاء ان يحضر امر فأعين الملك فيه بنفسى ورأيى فان ابواب الملوك تكثر فيها الامور التى ربما يحتاج فيها الى الذى لا يؤبه به وليس أحد يصغر امره الا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العود الملقى فى الارض ربما نفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد قول دمنة أعجبه وظن ان عنده نصيحة ورأيا فاقبل على من حضر فقال ان الرجل ذا العلم والمروأة يكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى منزلته الا ان تشب وترتفع كالشعلة من النار يضرمها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا فلما عرف دمنة ان الاسد قد عجب منه قال ان رعية الملك تحضر باب الملك رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر وقد يقال ان الفضل فى امرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم وان كثرة الاعوان اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل فان العمل ليس رجاؤه بكثرة الاعوان ولكن بصالحى الاعوان ومثل ذلك مثل الرجل الذى يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه ولا يجد

نادبت بينهم وشهرت فى ذويه قولى

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا * وهيا اسرقوا سرا وخوضوا الدما جهرا
ولا تتركوا شيأ من الفسق مهملا * مصيركم عندى الى الجنة الحمرا

وكانوا قد سمعوا وأجابوا واطاعوا وأنابوا وشملى بهم منتظم وأمرى بتفريق كلمتهم ملتئم وأسهم مرامى المشومه نافذة فى المشارق والمغارب وسيوف مناشرى المسمومه قاطعة فى الاعاجم والاعارب كم لى فى الاطراف والآفاق والاكناف من قاض ونائب ومانع من الخير حاجب وأمير وصاحب ووزير وكاتب ومشير وحاسب وجليس ونديم وتابع وخديم وناظر وعامل وناقص وكامل وكم لى من جانى منوط بتفريق قلوبهم وجمع سويدائها الى بابى وكم لى فى المدارس ذو وساوس وفى الجوامع والبيع والصوامع من مذكر وواعظ وامام وحافظ ومقرئ وعابد وشيخ وزاهد وكم لى فى الزوايا من خبايا وفى اصحاب الروايات من درايات وفقيه فى النادى فاق الحاضر والبادى يعلم لى فى الشيطنة أولادى وفى السلسلة حفدتى وأجنادى وأما سائر الفساق فى الآفاق وسكان الاسواق وقطان الجبال والرستاق ورجال الصحارى والارواق فكلهم لى عشاق والى دينى مشتاق وسل عنى أرباب الحانات وسكان الخانات وبالجملة غالب الطوائف وأرباب الوظائف على باب خدمتى واقف وعلى طاعة مراسيمى ليلا ونهارا عاكف مناى مناهم ورضاى رضاهم وان خالف بعض مرى نجواهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وأنت الآن جئت برايتك وسالوسك وطامتك وناموسك تبدد عنى عساكرى وتشرد من بنى الانس عشائرى وتشتت جموعى وتخلى من الفسق والفساق ربوعى من غير أن تشاورنى ولا تخبرنى ولا تحاورنى ولا تبحث معى ولا تناظرنى وها أنا قد جئت اليك ونزلت كالقضاء المبرم عليك أريد أن أناظرك فى أنواع من العلوم واسألك عن حقائقها من طريق المنطوق والمفهوم بحضرة من الجن والانس وسائر نوع الحيوان والجنس فيظهر اذ ذاك جهلك فينبذك قومك وأهلك ويتركك معتقدوك ويتراجع عنك مريدوك وأفسد بين العالم صيتك وأتلفه فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه * فلما وصل رسول العفريت الكافر الصفريت الى الشيخ العابد والعالم الزاهد الجاهد المجاهد فعندما وقع نظر الشيخ عليه ووصلت سهام لحظاته اليه كاد أن يذوب كالملح وأن لا يقوم الفساد للصلح فبهت الذى كفر وأخذته الدهشة والخور وغلب عليه الانبهار وكاد يحترق من الانوار واستولى عليه الرجيف وسقط من الرجيف فأبدى ولا أعاد ولا قام للصلاح ذلك الفساد فقال له الشيخ مالك وما حالك وغير حالك وما موجب دخولك على وأنت غير منسوب الى فقال كف عنى أنوارك واطو عنى أسرارك حتى أقول فانى رسول فالى طاقة برؤيتك ولا سواغ وما على الرسول الا البلاغ فقال رسول اى طعين وشيطان لعين فقال أنا رسول محبك العفريت المشقوق الحوافر الواسع المناخر المسلوب المفاخر أبى السعالى الكافر العالى قد أقبل اليك فى جمع كثير وعدد من الجن غزير ومعه رؤس العفاريت والعتاة المصاليت والطغاة المفاليت وقد حملنى اليك رساله تتضمن من الخبث شجاعة وبساله ان شئت أديتها وان أبيت رددتها فقال قل ما تريد وأبلغ ما معك عن ذلك العنيد وأوجز ما تقول ولعن الله المرسل والرسول فأبلغ الرسالة وأداها وأسال فى أودية أمواه مؤداها فقال الزاهد وكان بالاحوال خبيرا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله مالكم شيء فى

لهم ثمنا والرجل الذى يحتاج الى المنوع لا يجزئه القصب وان كثر فأنت الآن ايها الملك حقيق ان لا تحقر مروأة وانت تجدها عند رجل صغير المنزلة فان الصغير ربما عظم كالعصب يؤخذ من الميتة فاذا عمل منه القوس اكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج اليه فى البأس واللهو واحب دمنه ان يرى القوم ان ما ناله من كرامة الملك انما هو لرأيه ومروأته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك ان ذلك لمعرفته اياه فقال ان السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينبغى ان ينظر الى كل رجل بما عنده لانه لا شئ اقرب الى الرجل من جسده ومن جسده ما يدرى حتى تؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذى يأتيه من بعد فلما فرغ دمنه من مقالته هذه أعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد فى كرامته ثم قال لجلسائه ينبغى للسلطان ان لا يلج فى تضييع حق ذوى الحقوق والناس فى ذلك رجلان رجل طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا ان يغره ذلك منها فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل أصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذى اذا افرط فى حكه صار حارا مؤذيا ثم ان دمنه استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما ارى الملك قد اقام فى مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك فبينما هما فى هذا الحديث اذ خار شتربه خوارا شديدا فهيج الاسد وكره ان يخبر دمنه بما ناله وعلم دمنه ان ذلك الصوت قد

هذا المكيد الا الحمار في الوحل والحمام في شبكة الصيد قل لمرسلك أرى قدمك أراق دمك وهواك أهواك وأفعالك أفعى لك وسؤالك أسوألك وخيالك اخبى لك فأولى لك أولى لك ولعن الله أولى لك لا شك أن الله تعالى اراد دماركم وان عفو آثاركم ويخلى دياركم فتستريح البلاد من فسادكم والعباد من عنادكم أما أنا فأذل الخلق وأحقر الداعين الى الحق ولكن بعون الله وقدرته والهامه وقوته لى من العلم والفضل ما أحييه ويقتله من خوفه به وجبيه وسيظهر في الجمع على رؤس الاشهاد عويله ونحيبه وسيبين الله في سنن الخلق فروضه ويكشف صحيح الحق ومريضه واذا ادعى بدعاوى طويلة عريضه فان الله تعالى قتل غروذ العاتي ببعوضه يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أما سمع ذلك الملعون وعلم الشقي المغبون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فتى أراد يحضر ويسبر نفسه وخصمه ويخبر ويصحب معه من يريد من كل جني عنيد وشيطان مريد فان الحق يحق فيبطل الباطل ويتميز في حلبة السباق الحالي من العاطل فرده هذا الجواب الرسول وكشف عن حقيقة المقول ثم ان العفريت المخذول سأل الرسول عن اوضاع الشيخ الزاهد واحواله في المساجد والمشاهد وما شاهده من أموره وحكاياته وحركاته وسكناته وأخلاقه ومعاملاته وكيفية هيئته وصورته وما شاع عنه في قومه من سيرته فقال رأيت رجلا سعيد الحركات كامل البركات صورته جميله واوصافه نبيله وهيئته جليله بدنه نحيل وفضله عريض طويل وكلامه الصادع في اعشارنا ثقيل قاطع فقذف الله في قلبه الفزع وأخذته نوافض الرعب والهلع فقال أما والله ان هذه الاوصاف لصفة الاعراق والاعراف وستطرحنا وراء جبل قاف وانها لسمة الصلاح وعلامة الفوز والنجاح وانهم لهم المنصورون وحزب الله الغالبون ولقد ندمت على مراسلته وكان الاولى سلوك طريق مجاملته ولكن الشروع ملزم ولابد أن أتم ما عليه أعزم فواعده الى وقت معلوم ثم انه حضر واحضر معه من جنده كل جني ظلوم وعفريت غشوم ومتمرد مشوم ومخلوق من قبل من نار السموم واجتمع من بني آدم عند الشيخ تلامذته وأصحابه الصالحون وجماعته وكانوا الجم الغفير والجمع الغزير واشترطوا بعد ما خبطوا واختبطوا وحلوا وارتبطوا أنه ان اجاب الشيخ سؤالات العفريت وسرى في نارهم سريان النار في الكبريت لا يظهر بعد ذلك اليوم لبني آدم أحد من أولئك القوم بل يكونون عن الابصار مختفين وتحت الارض في الجزائر والخرائب كزنادقة بغداد منتفين وان عجز الشيخ عن جواب سؤاله يملكه العفريت مع خيله ورجاله ثم شرع العفريت في الرسائل والقاء المسائل فقال العالم على كم قسم بالعرض والجسم وهل للعالم موجد وهل هو واحد أو متعدد فقال الزاهد الامام العالم على ثلاثة أقسام (الاول) مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء وتسمى الاستقصات وأصول الكائنات والمركبات من هذه الاجزاء المفرده لا تستمر على حالة واحده ولا تخلو من حركة وانتقال ودأبها التغير من حال الى حال (الثاني) الاجرام العلويه كالسموات وكواكبها المضيئه وهي متحركة بالبروج ولحركتها دائرة ما لها من مركزها خروج فهي متحركة من بعض الجهات ساكنة كالفصوص في المرصعات وتوصف في حركتها بالصعود والهبوط والارتفاع والسقوط والرجوع والاقبال واستقامة الحال والاحتراق والانصراف والانحطاط الى الحضيض والاشراف ويحكم عليها بالافتراق والاقتران والتربيع والتثليث والتسديس في السيران

دخل على الاسد ريبة وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال لم يربني شئ سوى ذلك (قال دمنه) ليس الملك بحقيق ان يدع مكانه لأجل صوت فقد قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك (قال دمنه) زعموا ان ثعلبا اتى اجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لاجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه اجوف لا شئ فيه قال لا ادري لعل افشل الاشياء اجهرها صوتا واعظمها جثة واغا ضربت لك هذا المثل لتعلم ان هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في انفسنا فان شاء الملك بعثني واقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت فوافق الاسد قوله فأذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنه الى المكان الذي فيه شتربه فلما فصل دمنه من عند الاسد فكر الاسد في امره وندم على ارسال دمنه حيث ارسله وقال في نفسه ما اصبت في ائتماني دمنه وقد كان ببابي مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد اطالت حقوقه من غير جرم كان منه اوكان مبغيا عليه عند سلطانه اوكان عنده معروفا بالشره والحرص او كان قد اصابه ضر وضيق فلم ينعشه أوكان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه اوكان يرجو شيأ يضر الملك وله منه نفع اويخاف من شئ

والمقابلة فى الرجعه وبطء السير والسرعه وينسب اليها ما يحدث فى العالم السفلى من جزئى الوقائع والكلى ومن نحوسة وسعاده ونقص وزياده وخير وشر ونفع وضر وتأثر وتأثير وقليل وكثير وانحراف واعتدال وحدوث وزوال وصحة وسقم وسكون وألم ووجود وعدم فبعض من لم يعرف الطريقه يسند هذه الاشياء على الحقيقة وذلك لقصور فهمه وقلة العقل كقول الجاهل أنبت الربيع البقل وبعض من لم يكن له ادراك يزعم أن هذا اشراك ولا يسند هذه الحوادث اليها ولا يعول فى ذلك أبدا عليها لا بالحقيقة ولا بالمجاز ولا يسلم فى ذلك الى طريقة المجاز والمحققون من العلماء والراسخون فى العلم من حكماء الفقهاء يسندون هذه الحوادث والتأثير الى قدرة اللطيف الخبير الصانع القدير الفاعل المختار الذى يخلق ما يشاء ويختار فاذا نسبوا هذه الافعال الى غير ذى الجلال فانما يجعلونها فى ذلك الباب كالآلات والاسباب كتأثير الخبز فى الاشباع والنار فى الاحراق والايجاع وكفعل الماء فى الارواء والدواء فى الادواء وانما ذلك كله بتقدير صانعها وما أودعه فيهما من خواص بدائعها وصفات ودائعها كخاصية الاسهال المودعة فى السقمونيا وخواص التصبير وغيره الكامنة فى الموميا والاسكار فى الخمر والاحراق فى الجمر وقد رأينا القوة النامية عقيب الامطار الهامية والشمس حامية تهيج وتنمو وتموج وتزكو وهذا الصنيع البديع اذا حلت الشمس فى برج الحمل وقت الربيع واذا نقلت الى برج الاسد احترق ذلك الجسد وعند نقلها الى الميزان ينقلب هذا الزمان وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدى فكأنه بلغ الى محل الهدى فتموت اذ ذاك قوة الزمان ويضعف لذلك غالب الحيوان وهذا كله مشاهد محسوس لا يمكن أن تنكره النفوس خواص وضعها خالق الكون يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون وبعضها لا يدرك ما أودع فيه الا بارشاد خالقه ومنشيه هكذا جرت سنة العزيز الوهاب أن الاحكام والوقائع تناط بالاسباب وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر وانها مقهورة تحت الامر ومقسورة قسر العقل مع الخمر ولولا أن ذلك من سر جسيم لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم ولما ولدت مريم عيسى ولا أغرق البحر القبط وأنجى بنى اسرائيل وموسى وكم من آكل وهو جيعان وشارب وهو عطشان ومتدثر يتدفأ بالنار وهو بردان والفلك الاعظم محيط بهذه الاجرام ونسبتها اليه كنقطة للبحر الطام متأثرة بتأثيره دائرة بتدويره يتصرف فيها على حسب ما شاءه باريها وصرفه فيها منشيها فاطر السموات والأرض جامع الخلائق ليوم العرض وكما هى محاطة بالدائرة الفوقانيه كذلك هى محيطة بالكرة التحتانية (القسم الثالث) العقول والنفوس الملكية وهى أشرف من الاجرام العلوية ومقام هذه العقول فى مقام عزيز الوصول يسمى أعلى عليين وجواهرها لا توصف بتحريك ولا تسكين ولا بهذه البساطة والتركيب وأمرها بديع وشأنها عجيب وأما العرض فلا يقوم بذاته وهو فى العالم كالالوان والطعوم وأصواته والروائح والقدر وارادته وأما الجسم فالمركب من جوهرين فاكثر وما قام بنفسه يسمى الجوهر (وأما) الموجد للعالم فهو واحد لا يثنى وأحد لا يتجزا ولو لم يكن للعالم صانع لكان العالم أضيع ضائع وهل رأيت مصنوعا بلا صانع وسقفا مرفوعا بلا رافع وهل نفى الصانع الا مكابره وما يجحده الا النفوس الكافره فقال العفريت فما الدليل على وجود الصانع العقل والنقل أم أحدهما متبوع والآخر تابع فقال العالم الزاهد قد أطبقت العقلاء وأجمعت الحكماء أن العقل دليل على وجود الصانع

مما ينفعه ضرا وكان لعدو الملك مسالما ولمسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق ان يعجل بالاسترسال الى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم فان دمنه داهيه اديب وقد كان ببابى مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل على بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتى واعانة عدوى ونقصى عنده ولعله صادف صاحب الصوت الاقوى سلطانا منى فرغب فيه عنى وعيل معه على ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنه مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنه على الاسد فقال له ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب الخوار والصوت الذى سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لى شيأ قال الاسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان الريح الشديد لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر (قال دمنه) لا تهابن أيها الملك منه شيأ ولا يكبرن عليك أمره فانا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك فانطلق دمنه الى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث ان الاسد أرسلنى اليك لآتيه بك وأمرنى ان أنت عجلت اليه طائعا ان أؤمنك على ما سلف من ذنبك فى التأخر عنه وتركك لقاءه وان أنت تأخرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة اليه فأخبره قال له شتربه ومن هو هذا الاسد الذى أرسلك الى وأين هو وما حاله (قال دمنه) هو ملك السباع

وبه الدلالة والشرع له تابع وكاه والدليل على وجود الذات كذلك هو الدليل المستقل اثبات الصفات وهى صفات الكمال ونعوت الجلال فقال العفريت فما الدليل على وحدانيته فقال الزاهد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته قال العفريت فما المراد من عالم الكون والفساد فقال العالم معرفة أمور المبدا والمعاد قال العفريت فما أفضل العقل أم النقل فقال العالم كل منهما حجة الله قد أسنده لمن عباده من براه وذلك ان الله لما أرشدنا الى الدين القويم وثبت أقدام توحيدنا على الصراط المستقيم نبهنا الى أن المقصود من الدخول فى دائرة الوجود معرفته وحدنا المعبود كما قال من يقول للشئ كن فيكون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ثم طلب مراضيه بما تبرز به اوامره وتقتضيه وذلك هو الرشاد بازاء المكر والعناد الى المعارف الالهية ومابه نظام المعاش ونجاة المعاد وليس لنا دليل فى العلم والتعريف سوى طريقتين مرشدتين الى التوقيف على أمور المبدا والمعاد ومابينهما فى دار التكليف احداهما ماجعلنا عليه وما اكتسبناه من العقل وثانيتهما مابلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل فالعقل لا يدخل فى اثبات المعارف الالهية ولا فى هذا الباب المقدم من الامور المعاشية والمعادية وهو حجة الله القاطعة البالغة واصل براهينه الساطعة الدامغة وبواسطته استعبد عباده المكلفة والى من خصه به أرسل رسله ثم العقل جوز ارسال الرسل ولا يرد ما تقوى به لتوضيح السبل والنقل لا يأتى بما يناقض العقل وانما يرد بما يزكى قضاياه ويصقل مرائى أحكامه أحسن صقل ونظير ماحصل للعقل بالشرع من الاستئناس ماحصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول لاشبه فرعا يوجد ماله من أصول اذا اقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول سامعة لما يرد منها مطيعة لما يصدر عنها فتارة يظهر للعقل ما للاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم وتارة يعجز عن الاطلاع على ماتضمنته الاحكام النقلية من الحكم فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك آثره وأكده واستمسك به فى تصرفاته أقوى استمساك وان لم يكن له فى ادراكه مدخل نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل والحاصل أن سلطان العقول فى ممالك خليفة الشرع وولايته معزول ومن جملة ماورد على لسان السمع على لسان عدوك صاحب الشرع الصادق فى المقال مما ليس للعقل فيه مجال أحوال المعاد ومبدؤها يطرأ على العباد فى حد هذا الكون من الفساد فقال العفريت أخبرنى يا ذا الانسان مخلوق مماذا وما الادمية والنفس الانسانية وهل هى واحدة أو متعددة وما لها الى أين بعد وقوع البين فقال العالم الانسان مخلوق بما صفته من هذه العناصر الاربعة التى مر ذكرها وتبين أمرها التراب والماء والنار والهواء فاذا تمازجت واعتدلت اذا تزاوجت حصل لها من التركيب امزجة ثمانية لا على الترتيب والادمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح والفاسد والصحيح والحق والباطل والحالى والعاطل والخير والشر والدفع والضر والمميزة لهذه الاشياء الفارقة يقال لها النفس الناطقة وهى ثلاثة أنواع بالخارج الطباع أحدها الروح الطبيعية القائمة بالكبد وهى من الاغذية تستمد الثانية الروح الحيوانية ومقامها القلب أى كان وللابدان منها حراك واستمدادها من حركات الافلاك الثالثة الروح النفسانية ومقامها فى الدماغ ومنها الحركات الذهنية والقوة النامة القوية تطلب غذاءها من الروح

وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه فرعب شتربه من ذكر الاسد والسباع وقال ان أنت جعلت لى الامان على نفسى أقبلت معك اليه فاعطاه دمنه من الامان ماوثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فاحسن الاسد الى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها فقص شتربه عليه قصته فقال له الاسد اصحبنى والزمنى فانى مكرمك فدعا له الثور وأثنى عليه ثم ان الاسد قرب شتربه واكرمه وأنس به وائتمنه على اسراره وشاوره فى أمره ولم تزده الايام الا عجبا به ورغبة فيه وتقريبا منه حتى صار أخص اصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنه أن الثور قد اختص بالاسد دونه ودون أصحابه وانه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا اعظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك الى أخيه كليله وقال له ألا تعجب يا أخى من عجز رأيى وصنعى بنفسى ونظرى فيما ينفع الاسد وأغفلت نفع نفسى حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبنى على منزلتى (قال كليله) قد اصابك ما أصاب الناسك قال دمنه وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع فى الثياب فأتى الناسك وقال له انى أريد أن أصحبك فأتعلم منك وآخذ عنك فاذن له الناسك فى صحبته فصحبه متشبها به ورفق له فى خدمته حتى اذا ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها فلما افتقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه قد أخذها

الطبيعيه والقوة المميزة تطلب ما يسعدها فى الدارين من الروح النفسانيه ويبعدها فى المقامين عن الاسباب الشقيه واستمدادها وقوتها من الاجرام العلويه وأعلى مقامات هذه النفس الحكميه والحكمة أوفى منحة وأوفر نعمه وقد قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب ومصير هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب وقيل حقيقة نفس الانسان أيها المارد الشيطان لطيفة روحانيه ودقيقة ربانيه لها تعلق ربانى بقلبه وقالبه الجسمانى وهى المدركة العالمه العارفة الفاهمه بها يتكلم الانسان وتبصر العينان وتسمع الاذنان وتبطش اليدان وتمشى الرجلان وهى المخاطبة والمعاتبة والمثابة والمعاقبة والمطلوبة والطالبه ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح أخرى ويقال لها النفس مرة ولفظ العقل أيضا وابن آدم هو المخصوص بهذه الكرامات وبهذه النفس دون سائر الحيوانات وان كان يطلق على الجميع ان لها نفسا بالاشتراك لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك واختلف أيضا وتحيرت الالباب فى صنع رب الارباب وتاهت الافكار والفطن فى كيفية تعلقها بالبدن ولا يحصل لاحد على هذا وقف الا بطريق الولاية والكشف وهذه النفس لما كثرت صفاتها وتضادت نعوتها تخالفت أوصافها وازداد فى صفاتها اختلافها حتى قسموها فقالوا أنواعها ثلاثة ناطقة وشهوانيه وغضبية رضيه فالناطقة مسكنها الدماغ ولها فيه مساغ والكبد مسكن الشهوانيه والقلب مسكن الغضبية الرضيه فأية نفس غلبت أختيها جذبت أحوالهما وصفاتهما اليها وهذه يا أتعس زوبعه كالعناصر الاربعه فانها اذا فسد مزاجها وعدل عن الاعتدال ازدواجها عسر علاجها واستحال الى المطلوب الطالب وعجز عن المعالجة الطابب فسد البنيان وانهدمت الاركان وقيل هما روح ونفس يا عبرابس وهما ضدان بل ندان لا يجتمعان ولا يرتفعان وطبع النفس يا أشيم طبعك طبع الشيطان الرجيم كالنار فى جوهرها وخاصة عنصرها تنسب اليها الصفات الذميه والخلال غير المستقيمه كالجهل والغضب والحدة والعجب واللؤم والسفه والطيش والشره والحمية والشهوة والقسوة والجفوه والحسد واللجاج والحقد والاحتجاج والحرص والبخل والتوانى والكسل والحمق والخيانه والفجور وعدم الامانه والترفع والرياء والمخاصمة والمراء وسائر الاخلاق الذميمه والاوصاف المشؤمة الملومه والملكات الخبيثة الرديه والحركات الشيطانيه فهى كالنار فى احراقها وحدتها واستشاطتها وشدتها ودخانها ولهيبها واهلاكها وتعذيبها واقدامها فى اعدامها وأكل ما تجده وما تصل اليه تفسده وطلب العلو والغليان والغلو وطبع الروح يا أنحس مجروح طبع الماء فى النشو والنماء ينسب اليه كل خلق كريم وطبع سليم صافى الجوهر ما لامسه تطهر شيمته الحياء والعلم والصدق والحلم والتفويض والتوكل والتسليم والتحمل والاحتمال الاناة والصبر والموافاة والتردد والاسداء والسكون والاعطاء والركون والبذل والرضا والفضل والحياء والعدل والتواضع والعفه وعدم الترفع والخفه والسلاسة والسهولة وسرعة الانقياد واللين والوداد والرقة والصفاء والكرم وعدم الجفاء الى سائر الاخلاق المحموده والاوصاف المطلوبة المودوده وايتهما قويت غلبت وجذبت الاخرى اليها وسلبت وسيرتها على طبعها واستخدمتها على ربعها فكم من شيطان يرى فى صورة انسان ومن انسان غلبت عليه اخلاق الجان ومن جان فى صور انسان ونظير هذا الروح والبدن يدركه ذو العقل

والفطن

فتوجه فى طلبه نحو مدينة من المدن فرفى طريقه بوعلين يتناطحان حتى قد سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ فى تلك الدماء فبينما هو فى ولوغه فى تلك الدماء اذا أقبل عليه الوعلان بنطاحهما فقتلاه ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة فلم يجد فيها قرى الا بيت امرأة فنزل بها واستضاف عندها وكانت للمرأة جارية تؤاجرها وكانت الجارية قد علقت رجلا وهى له مريدة وقد أضر ذلك بمولاتها فاحتالت لقتل الرجل فى تلك الليلة التى استضاف بها الناسك ثم ان الرجل وافى فأسقته من الخمرة حتى سكر ونام ونامت الجارية الى جانبه فلما استثقلا نوما عمدت الى سم كانت قد اعدته فى قصبة لتنفخه فى دبر الرجل فلما أرادت ذلك بدرت من دبر الرجل ريح فعكست السم الى حلق المرأة فوقعت ميتة وكل ذلك بعين الناسك ومسمعه فلما رأى ذلك خرج يبتغى منزلا غيره فاستضاف عند رجل اسكاف فأتى به امرأته وقال لها انظرى الى هذا الناسك وأكرمى مثواه وقومى بخدمته فقد دعانى بعض أصدقائى للشرب عنده ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة خليل والسفير بينهما امرأة حجام فأرسلت امرأة الاسكاف الى امرأة الحجام تأمرها بالمسير اليها وتعرف خليلها خلو وجهها وقالت ان زوجى قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه وان يعود الا سكران فقولى له يسرع البكرة ثم ان خليل المرأة جاء فقعد على الباب ينتظر الاذن وجاء الاسكاف سكران فرأى الرجل وارتاب به ودخل مغضبا الى امرأته

والفطن فان الروح من عالم نورانى لطيف سماوى والبدن من عالم ظلمانى كثيف أرضى فأيهما غاب على صاحبه جذبه الى مركزه فى جانبه قال الله تعالى وعز كمالا وجل جلالا ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وقال جل عليا ورفعناه مكانا عليا وقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت أجسادهم أرواحا والكفار مثلك صارت أنفسهم ظلمانية أشباحا وقيل يازوبعه الانفس أربعه امارة وهى أنفس مثلك الكفار الطغاه ولوامة وهى أنفس العصاه وملهمة وهى أنفس الخاصين ومطمئنة وهى أنفس الانبياء والمقربين والحق بإجاحده ماهى الانفس واحده لكن اذا تجلت فى ملابس الصفات وتكثرت لها الاخلاق والسمات نوعوها وبقتضى التنويع فرعوها تنزيلا للتنويع بالصفات منزلة التنويع فى الذات فيقال كانت نفس هذا شيطانيه فتاب فصارت رحمانيه وكانت نفس ذاك أبيه فصارت دنيه قال من براها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قال العفريت أخبرنى أيها الباصر كيف تركيب هذه العناصر فقال الزاهد بحسب الخفة واللطافه والثقل والكثافه ولما كان عنصر التراب أثقل كان أركد من غيره وأنزل ومن فوقه عنصر الماء وفوق الماء عنصر الهواء ومن فوق هذه الثلاثة عناصر عنصر النار وهو بها محيط دائر وكذلك كل عنصر محيط بما تحته وقد حققت هذا وعلمته قال العفريت أخبرنى عن أقرب الاشياء اليك قال العالم الاجل أقرب الاشياء الاجل قال أخبرنى عن أبعد الاشياء عنك قال العالم الاكبر مالم يقسم ولم يقدر قال أخبرنى عن الشئ الممكن عوده قال الدولة ان زالت وتغيرت واستحالت يمكن ردها ولا يستحيل عودها قال اخبرنى عن الشئ المستحيل عوده قال الشباب بغير شك ولا ارتياب قال اخبرنى عما لا يمكن بالاكتساب ولا ينال الا بتوفيق الوهاب قال العقل الغريزى فانه وهبى عزيزى قال أخبرنى عما لا يمكن ضبطه ولا ينضبط ربطه قال الدهر اذا ولى والسعد اذا تجلى قال أخبرنى ياذا الجد عن الهزل الذى يراد به الجد قال ابراز حكم الامثال والآيات على لسان الحيوانات والجمادات قال أخبرنى عما لا يمكن الاحاطة به ولا الوقوف على معرفة كنهه قال عظمة صانع الكائنات وخالق الموجودات تعالى ان يحاط به علما وتقدس أن تدرك عظمته معرفة ووهما ولهذا قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سبحانك ماعرفناك حق معرفتك وهذا مصداق قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره * فلما طالت المقاوله وانتهت الى هذا الكلام المجادله أقبل الليل وحل بالعفريت وجنده الويل وتصدع المجلس وقام العفريت وهو مبلس وتواعدوا الى الصباح عند قول حى على الفلاح أن تجتمع الوجوه الصباح لرد جواب الشياطين القباح فتفرقوا وقد أحاط بالعفريت الوهم ونفذ فى أحشائه من سهام الذل أقطع سهم وبات لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار وساوره الافتكار وثاوره الهم والدمار والغم والبوار

الى ان أضاء الصبح كالحق مقبلا * وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فاجتمع من كان بالامس حاضرا ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا من جموع الانس والجن وطوائف الجن والبن وأخذ كل مقامه وابتدأ العفريت كلامه وقال ما منبع الصفات الحميده والشمائل السعيده المار ذكرها القار أمرها وهى ياهذا نتيجة ماذا فقال العالم

فاوجعها ضربا ثم أوثقها فى اسطوانة فى المنزل وذهب فنام لا يعقل وجاءت امرأة الحجام تعلمها ان الرجل قد أطال الجلوس فماذا تأمرين فقالت لها ان شئت فأحسنت الى وحللتينى وربطتك مكانى حتى انطلق الى خليلى وأعجل العودة فأجابتها امرأة الحجام الى ذلك وحلتها وانطلقت الى خليلها واوثقت هى نفسها مكانها فاستيقظ الاسكاف قبل ان تعود زوجته فناداها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة ان ينكر صوتها ثم دعاها ثانية فلم تجبه فامتلأ غيظا وحنقا وقام نحوها بالشفرة فجدع انفها وقال خذى هذا فأتحفى به صديقك وهو لا يشك فى انها امرأته ثم جاءت امرأة الاسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة الانف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذى ظلمها ثم رفعت صوتها ونادت زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعك بى وصنع الله بى كيف رحمنى وردأنفى صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح ونظر فاذا انف زوجته صحيح فاستغفر اليها وتاب من ذنبه واستغفر الى ربه وأما امرأة الحجام فانها لما وصلت الى منزلها تفكرت فى طلب العذر عند زوجها واهلها فى جدع انفها ورفع الالتباس فلما كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتى متاعى كله فانى اريد المضى الى بعض الاشراف فأتته بالموسى فقال لها هات الآلة جميعها فلم تأته الا بالموسى فغضب حين

المحقق العامل المدقق هى ثمرة العقل القويم الهادى الى الصراط المستقيم ويكفى العقل الشريف انه مناط التكليف له الله يخاطب وبه يثيب ويعاقب وبه يأخذ وبه يعطى وتابعه يصيب ولا يخطى وكلما كان العقل أتم كانت محاسن الاخلاق أعم وكلما كان رأى العاقل أصوب كان فى اقتنائه مكارم الاخلاق أرغب قال العفريت فهل هو نوع متحد أو طريقه متعدد قال الشيخ العقل نوعان وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان أحدهما العقل الغريزى اللطيف وهو مناط التكليف يحدثه الرحمن ويتدرج الى بلوغ الانسان فيكمل اما بالسن أو الاحتلام ويجرى عليه اذ ذاك قلم الاحكام ويدخل فى حيز المخاطبين من ذوى الاحلام ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام والثانى يحصل بالاكتساب والتجربة فى كل باب ولهذا يقال ان الشيوخ أكمل عقلا من الشباب وقيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وارضعه الدهر من وقائع الايام اخلاف ذريته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره واقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبى فى أمته قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل وقال

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(قال) العفريت ما فائدة العقل (قال العالم) فائدته الارشاد فى بيداء الجهالة الى جادة الرشاد والاعانة فى الشدائد والوقوع فى مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص واجابة الاغاثة عند الاستعانة والاستغاثة ومد المعونه اذا انكسرت من الجهل السفينه فى بحر الملامه والخلاص الى بر السلامه والاغناء من كنز السعاده والصبر عند استقلاء نوائب الفقر قال فمن العاقل فى العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بنى آدم قال العالم العاقل من يحتمل اذا ضيم ومن هو فى الغضب حليم فاذا أعطى شكر واذا منع صبر ويعفو اذا قدر ويستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن أمور الأخرى (قال العفريت) ما الفائدة فى حب الدنيا والرغبة الى ما فيها من الاشيا ولاى معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها (قال العالم) لاجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الاقوم وبقائه المطلوب الى الاجل المضروب الذى قدره موجده القديم الذى أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والامل لبطل العلم والعمل فانهما حجاب العقلة غشاء أعين البصائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل فى العواقب واشتغلت بالتهائها عما يجب عليها ان تراقب ولولا طول الامل لما رجى العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم فى أحوال غد ولا ارتفعت المعاملات وما داين أحد أحد ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا اخضر يابس ولانقرض اذ ذاك نظم العالم وبانقراضه تنقرض أمور بنى آدم (قال العفريت) أخبرنى عن أصل الانسان ومم جوهره وجوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السموات والارض ولذلك لا يصدر من الملائكه الا الشيم المباركه من الطاعات لمولاهم والانقياد لاوامر من أنشاهم وامتثال ما أمر من أمر وروم وما منا الا له مقام معلوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصلك يا أخس شيطان فمن الاخلاق الذميمه والصفات المشؤمه فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبلسه والشيطنة والوسوسه وأخس بصفاتكم من صفه ولم يكن بينكم وبين الحق

لما نالت التكرار ورماها به فألقت نفسها الى الارض وولولت وصاحت انفى انفى وجاءت حتى جاء اهلها واقرباؤها فرأوها على تلك الحال فأخذوا الحجام فانطلقوا به الى القاضى فقال له القاضى ما حملك على جدع انف امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فامر به القاضى ان يقتص منه فلما قدم للقصاص وافى الناسك فتقدم الى القاضى وقال له ايها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الامر فان اللص ليس هو الذى سرقنى وان الثعلب ليس الوعلان قتلاه وان البغى ليس السم قتلها وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع انفها وانما نحن فعلنا ذلك بانفسنا فسأله القاضى عن التفسير فاخبره بالقصه فأمر القاضى باطلاق الحجام (قال دمنه) قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمرى واعلى ما ضرنى احد سوى نفسى ولكن ما الحيلة (قال كليله) اخبرنى عن رأيك وما تريد ان تعزم عليه فى ذلك (قال دمنه) أما انا فلست اليوم ارجو ان تزداد منزلتى عند الاسد فوق ما كنت عليه ولكن التمس ان اعود الى ما كانت حالى عليه فان امورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع ان يحترس من الضر الذى اصابه فيما سلف لئلا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس النفع الذى مضى ويحتال لمعاودته ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق عما ينفع والهرب مما يضر ومنها النظر فى مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف

معرفه فأنتم بالحس بغيض وأنجس نهيض مع الملائكة فى طرفى نقيض وأما جوهر الانسان فما اشتملت عليه صفتا الملك والجان فمن غلب عقله شهوته ألبس من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه فى أنوار الطاعه وتجلت صفاة ذاته من سنن الابرار فى جماعه وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون. فهو وان كان بجسمانه مع الانس له حضور وأنس لكن بسره فى عالم الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركه أشرف من الملائكه ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حب الغفله فانغمس فى بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر السابق ولم يمكنكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخس من أرذل الحيوانات وادنى من أدنى الجمادات فقد خاب مآبا وتعس انقلابا ويقول يوم القيامة ياليتنى كنت ترابا (قال الراوى) فلما انتهى الكلام الى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وحكمه وفهمه وانه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوى الابلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على أنفسهم من التخفى وعدم الظهور والتفرق فى الخرائب والكهوف فتفرقوا واختفوا ومصلين ومجدعين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم يظهروا بعد ذلك للانس وحصل منهم بذلك للانس الانس واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحه واستمرت الى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحه وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديمه امير الثعالب وكبير الضباع﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن المرتوى من بحار الحكمة بماء غير آسن فلما أنهى الحكيم هذا الباب العظيم عن عالم الانس والشيطان الرجيم تنبه الملك لغزارة حكمه فافرغ عليه خلع احسانه وكرمه وغمسه فى غدير فضله ونعمه ثم أمر أن يقوى الطباع ويذكر نوادر الوحوش والسباع لتنبسط النفس وترتاض وتتحلى بعقود عقيد هذه الاحماض فقبل أرض العبودية بشفاه الادب وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب وقال كان فى بعض الغياض أسد رياض عظيم الصورة كريم السريرة والسيره وافى الحشمه عالى الهمه كثير الاسماء والالقاب عزيز الاصحاب كبير بين الامراء والحجاب والوزراء والنواب يدعى فى جوانب مملكته واطراف ولايته بحيدرة وبيهس وضيغم والدوكس والغضنب والضرغام والعنبس والطيثار والهندس والغضنفر والهرماس والغضبان وأبى العباس الى سائر الاسماء والالقاب والكنى وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وهو مطاع فى ممالكه وولاياته واقاليمه مترشف ثغور الامتثال بشفاه أمثلته ومراسيمه وكان له من خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان كندمانى جذيمه يلازمان حضرته ويلجان حريمه أحدهما ثعلب يدعى أبا نوفل والآخر ضبع يسمى أخا نهشل طبعهما ظريف وشكلهما لطيف ومحاضرتهما مرغوبه وصحبتهما مطلوبه وكان فى خدمته دب هو وزيره ومعتمده ومشيره كافل أمور مملكته ومدبر مصالح رعيته والملك مفوض أمور الرعية اليه ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه

من قبل الضر فليستتم ما يرجو ويتوقى ما يخاف بجهده وانى لما نظرت فى الامر الذى به ارجو ان تعود منزلتى وما غلبت عليه مما كنت فيه لم اجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فانه ان فارق الاسد عادت لى منزلتى ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فان افراطه فى تقريب الثور خليق ان يشينه ويضره فى امره (قال كليله) ما ارى على الاسد فى رايه فى الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا (قال دمنه) انما يؤتى السلطان ويفسد امره من قبل ستة اشياء الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق فأما الحرمان فانه يحرم صالح الاعوان والنصحاء والساسة من اهل الرأى والنجدة والامانة وترك التفقد ممن هو كذلك واما الفتنة فهو تحارب الناس ووقوع الحرب بينهم وأما الهوى فالاغرام بالنساء والحديث واللهو والشراب والصيد وما اشبه ذلك واما الفظاظة فهى افراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم واليد بالبطش فى غير موضعهما واما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموت ونقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك وأما الخرق فاعمال الشدة فى موضع اللين واللين فى موضع الشدة وان الاسد قد اغرم بالثور اغراما شديدا وهو الذى ذكرت لك انه خليق ان يشينه ويضره فى امره (قال كليله) وكيف تطيق الثور وهو أشد منك واكرم على الاسد منك واكثر اعوانا

ومشغول ليلا ونهارا بمعاشرة نديميه فاتسع خيال الوزير وأخذ فى مجال التفكير الى النديمين لكونهما نامصحبين قديمين ربما يصدر منهما عند الملك مايحط منزلته ويفسدان للحسد الذى لم يخل منه جسد صولته واستحوذ عليه هذا الخيال واتسع فى ميدانه المجال فكان خائفا على وظيفته ومنصبه مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه فنشأ من ذلك فى خاطره حساوه أورثته قساوة وجذبته الى عداوه ووقر فى قلبه ذلك وتأكد وطال عليه من الدهر الامد فكان يترقب لهما الفرص ليوقعهما من الغصص فى قفص ويسابقهما قبل انتباهه و يتغدى بهما قبل أن يتعشيا به و يقول لابد من تنظيف الطريق قبل حصول التعويق وقد احسن من قال وأتقن فى المقال

ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن * يطاه فلا يعتب اذا شاك رجليه

وأقل الاقسام أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام فاتفق أن فى بعض الاسحار تجاذب الملك ونديماه أطراف الاسمار فأثر فيهم السهر لطيب السمر فى ضوء القمر وحلاوة ما جنوا منه من ثمر عاملين بما قيل

متى ما أصادف من أحب بخلوة * أصرح بما ارجوه من متكتم

يقول فأصغى أو أبث فيفتنى * ليسمع قولى كالمشوق المتيم

أسامره لا أن أمل حديثه * وآمره كل الامور سوى ثم

فأخذت الملك عيناه فاستند الى متكاه فانحل من طرفه وكاه فلم يتمالك أبو نوفل ان ضحك لما غفت زمارة الملك فتنبه من ضحكه وتعجب من جراءته وفتكه ثم استمر متناوما لينظر مايصدر منهما فابتدره أخو نهشل وزجره فقال ويلك ماذا رأيت وأى عجب سمعت ووعيت حتى ترتبك فى الضحك أما قرأت وفهمت وسمعت وعلمت أن الضحك بلا سبب من قلة الادب وان الحشم وسائر الخدم ومن نادم الملوك وجالسهم يحترم أمورهم و يعظم مجالسهم سواء غابوا أو حضروا ناموا أو سهروا قاموا أو قعدوا استيقظوا أو رقدوا وقد قيل رفع قلم الحساب والضبط والعتاب عن الصبى والمجنون والعاشق والمفتون وكذلك السكران والنائم لاسيما السهران وعذر النائم يامسكين اعظم من عذر الباقين فان النوم أخو الموت وفيه ما ليس فى غيره من الفوت وقد قال صاحب الشرع الذى زكا منه الاصل والفرع حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه يعتذر عن النائم العين وكاء السه وقال ذو الصدق والتصديق رفع قلم التكليف عن النائم حتى يفيق وانما اعتبر الشرع أحوال النيام وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام فى نحو من خمس وعشرين مسئله ضبطها من الفقهاء الكمله ولقد طالعت فى كتاب الاخلاق ان الله الكريم الخلاق حيث جعل جنسا من الامم فى طبائع وصفات متساوى القدم فلا يعتب أحد أحدا ولا يزدريه ولا ينقم عليه عيبا هو فيه وعلى الخصوص اذا صدر من الملوك شئ يعاب فلا يحمل ذلك منهم الا على الفضل والصواب وكل ما كان فى غير الملوك معتبه فانه اذا صدر من الملوك يعد منقبه ويجب على من يجالس الملوك وكان له فى خدمتهم سلوك واختص بمعاشرتهم واستعد لمناظرتهم ان لا يبصر منهم الا المحاسن ولا يخبر عنهم الا بالاحاسن وقد قيل من جالس الملوك بغير أدب حبسه فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه وقال الله الاعظم فى كتابه المحكم لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما أمرت ولهذا قال عليه السلام شيبتنى هود وأخواتها وما ساد العجم والعرب الا بسلوك

(قال دمنه) لا تنظر الى صغرى وضعفى فان الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر فى الجثة فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء أو لم يبلغك ان غرابا ضعيفا احتال لاسود حتى قتله (قال كليله) وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان غرابا كان له وكر فى شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا أفرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى وقال له اريد مشاورتك فى امر قد عزمت عليه قال وما هو قال الغراب قد عزمت ان اذهب الى الاسود اذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لعلى استريح منه قال ابن آوى بئس الحيلة التى احتلت فالتمس امرا تصيب فيه بغيتك من الاسود من غير ان تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك ان يكون مثلك مثل العلجوم الذى أراد قتل السرطان فقتل نفسه قال الغراب وكيف كان ذلك (قال ابن آوى) زعموا ان علجوما عشش فى أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة فى أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن فدنا منه وقال مالى اراك ايها الطائر هكذا حزينا كئيبا قال العلجوم وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك وانى قد رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا كثيرا

طريق الادب وقال عليه الصلاة والسلام أدبني ربي فأحسن تأديبي فقال المغفل أبو نوفل اذا طهر القلب من الخيانه وعاملت اليد بالامانه وتنقى العرض من العيوب وكان اللسان غير كذوب وزكت النفس بالحلم وعريت عن الجهل بلباس العلم يصلح لها أن تفتخر بكل أحد وتفخر على أكبر من يكون ولو أنه الاسد وانا اذا طار بهذه الصفات طيري فلا على اذا ضحكت على غيري فقال أخو نهشل لا تقل ذلك لا واستعذ بالله من الجهل والخيلا واعلم يا ذا الكرامات أن الجاهل يعرف بثلاث علامات احداها يا محبوب أن يرى نفسه عارية عن العيوب الثانية يا رفيق الخير ان يرى نفسه اعلم من الغير الثالثة أن يرى انه انتهى في فنون العلم والنهى وبلغ أعلى المراتب وهذا أكبر المعايب وقالت الحكماء اذا رأيت نفسك عارية عن العيوب وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب وفتشت عن عيوبهم الجيوب فأنت حينئذ غارق في بحر العيوب وبالذي أنت طالبه مطلوب وانظر يا ذا السكينه ماذا قاله الامام مالك رضي الله تعالى عنه حبر المدينة ليكن جل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك وقم بذلك على نفسك وذاتك مقام حسادك ورقبائك وعداتك وقال ذو هدى وما قال سدى

لكل فتى خرج من العيب ممتلى * على كتفه منه ومن اهل دهره

فعين عيوب الناس نصب عيونه * وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال ابو نوفل صدقت ونصحت اذ نطقت فجزاك الله عني خيرا ووقاك شرا وضيرا ولكن يا أخي وقعت هفوه على سبيل السهوه وحصلت زله على غفله واللفظ عن غير نظر كالسهم اذا رمى عن الوتر لا يمكن رده ولا وقوفه وصده كما قيل

القول كاللبن المحلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا اذا لم يشتهرا لا يتوجه عليهما العتاب ولا يستحق مرتكبهما العقاب اذا استغفر وأناب وانا وان وقع مني الخطا آمن بحمد الله من شر الجزا ومن المؤاخذة بالجريمه وان كانت عاقبتها وخيمه لانها بينك وبيني وأنت بمنزلة روحي وعيني ورفيقي وصاحبي ومراعي حقي وجانبي فسري عندك مصون وأمري عن الاشاعة مخزون وقد قال الحكماء ذوو التجارب لا تودع السر الا عند صاحب صدوق صديق ومحب شفيق وأنت هو ذاك الموثوق فاطرحه من سويداء قلبك في اسفل الصندوق فان استمر عندك سا كنا صرت من وبال أمره آمنا ولا يبعد ذلك من شفقتك وسابق صداقتك ووفائك بالمروه وقيامك بحقوق الاخوه وأسأل احسانك ان تحجب لصاحبك القديم مرجوه قال أخو نهشل العجب لابي نوفل كيف يغفل أما سمعت يا عاقل قول القائل من علامات الجاهل ان يقرض ماله بالطف ثم يتقاضاه بالفظاظة والعنف وان يودع سره وخفاياه وامره عند من يحتاج أن يتضرع اليه ويقسم في اخفائه واكتتامه عليه ثم يحلف ان لا يبديه ولا يذكره لاحد ولا ينهيه وقد قالت الحكماء لا تودع احدا سرا فان فعلت فاتلف السر لان كتمانه قيدهم وعناء وابداءه كيد هلاك وبلاء وقد قيل

وكل سر جاوز الاثنين شاع * وكل علم ليس في القرطاس ضاع

ولم يقصد بالاثنين الا الشفتين وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

(وقال أيضا)

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجمادة ما يسر وينطق

واذا المحك أضاع سرا خاله * وهو الجماد فمن به يستوثق

أفلا نصيده ولا فقال الآخر اني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى ههنا فأفنيناه وقد علمت انهما اذا فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا ما فيها فاذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد مدتي فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك فاقبلن الى العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه فقال العلجوم أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ولا أعلم حيلة الا المصير الى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعتن الانتقال اليه كان فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما يمن علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما الى بعض التلال فيأكلهما حتى اذا كان ذات يوم جاء لاخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له اني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي الى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى اذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هنالك فعلم ان العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال في نفسه اذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم انه فيها هالك سواء قاتل او لم يقاتل كان حقيقا ان يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك * وانما ضربت لك هذا المثل

(وقال أيضا) صن السر عن كل مستخبر ✱ وحاذر فما الحزم الا الحذر
اسيرك سرك ان صنته ✱ وانت أسير له ان ظهر

وكل ما تحرك به اللسان انتشر فى الكون والمكان وناهيك يا تامر قضية الحرامى مع الطامر قال ابو نوفل كيف ذلك يا أخا نهشل (قال) بلغنى ان رجلا من الحراميه واللصوص الكراريه كانت نفسه ذات الخيانه تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانه وانها لرؤية الخزانة مشتاقه ولمعانقة فاسق التحرم عشاقه وكان جاهدا فى أن يعطيها من مناها ما يرضيها ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد ولرجوم ذلك الشيطان كل يعد وكتم ذلك السر عن الاخوان ومضى عليه برهة من الزمان وهو يكابد اكتتامه ويخاف من السوء ختامه والمقدر كائن والكائن حائن الى ان طفح عليه ما قصد وغلا خمره فى قلبه وقذف بالزبد فطلب صاحبا يتلفظ به اليه ويعتمد فى اكتتام سره عليه واختلى فى حجرته فقرصه برغوث فى حجرته فدبه اليه وافشى سره معتمدا عليه وقال فى خاطره عند افشاء سرائره لا لهذا لسان يقدر على البيان وعلى تقدير أن لو كان فهو مثل ولدى تربى من دم كبدى ولحم جسدى واطلع على عورتى فلا يقصد عثرتى ولا يكشف سرى ولا يهتك سترى ثم ادنى فاه حتى انفاه وقال يا أباطامر وكاتم السر فى السرائر انى عزمت كالمنهمك على الدخول الى خزائن الملك لاستصفيها وآخذ ما فيها فاكتم هذا السر عنى وامصص ماشئت من الدم منى ثم طرحه فى سراويله واستمر فى نيته على أباطيله ثم قصد فى بعض الليالى ما كان يخلو به على التوالى ويرصده فى المكامن من الدخول الى الخزائن فلاحت له فرصة فانتهزها واستعمل دقائق صنعه وابرزها وانتقل من ذلك الى المبيت ولطئ تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير على فراش الحرير معانق الظبى الغرير وخرزة التاج عند رأسه تتقد كأنها سراج متقد فقصد اللص أخذها واقتطاعها وفلذها فأمهل القوم الى ان استغرقوا فى النوم وبينما هو متفكر فى بابه اذ خرج البرغوث من ثيابه ودخل الى جسد السلطان وقص عليه بلسان القرص كل ما كان من شأن الامر فنهض الملك من مرقده فرأى نقطة على جسده فطلب النور لينظر الامور فرأى برغوثا طار ونزل تحت السرير فقصوا أثره فى المسير فوجدوا الحرامى الكسير فربطوه كالأسير ووقع فى الامر العسير بالامر اليسير فصار كما قيل

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه ✱ ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(وانما أوردت هذا المثل) لتعلم يا أبا نوفل أن سر فى الفؤاد لا يؤمن عليه الجماد فضلا عن متحرك من حيوان ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان وقد قيل للحيطان آذان ومن امثال العجم الاوباش للديوان أكواش فلما انقضى هذا الكلام وكان الاسد قد استوفاه على التمام وقد اثار فى احشائه لهبا نهض من مرقده ممتلئا غضبا واحتال وتحرك وأمر بأبى نوفل فقبضوا عليه ووضعوا الغل فى رقبته والسلاسل فى يديه ورجليه وأمر الى السجن برفعه بعد التنكيل به وصفعه فتشوش خاطر صديقه وحليفه ورفيقه ثم انفض المجلس النظيم ودخل الملك الى الحريم فتوجه أخو نهشل الى السجن المقفل ولام صاحبه أبا نوفل وزاد فى التعنيف وقال ايها الاخ الظريف ألم تعلم ان الشخص اذا تكلم يضبط كلامه عليه ويعود محصول ما يلفظ به اليه وقد قال الرب المجيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وان كثرة الكلام تضر بالنفس اكثر مما يضر بالبدن الطعام وكل هذا المصاب انما جاء

لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكنى أدلك على امر ان انت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود من غيران تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك قال ابن آوى تنطلق فتبصر فى طيرانك لعلك ان تظفر بشئ من حلى النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتى جحر الاسود فترمى بالحلى عنده فاذا رأى الناس ذلك اخذوا حليهم واراحوك من الاسود فانطلق الغراب محلقا فى السماء فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل احد حتى انتهى الى جحر الاسود فألقى العقد عليه والناس ينظرون اليه فلما اتوه اخذوا العقد وقتلوا الاسود (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الحيلة تجزى ما لا تجزى القوة (قال كليله) ان الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الراى والعقل فماذا تستطيع له (قال دمنه) ان الثور لكما ذكرت فى قوته ورايه ولكن مقر لى بالفضل وانا خليق ان اصرعه كما صرعت الارنب الاسد (قال كليله) وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان اسدا كان فى ارض كثيرة المياه والعشب وكان فى تلك الارض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شئ كثير الا انه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد فاجتمعت واتت الى الاسد فقالت له

من قبل الاعجاب وكثرة الكلام والغرور وعدم التأمل فى عواقب الامور قال الشاعر

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال حكماء الهند وفضلاء السند مادام الكلام فى الفؤاد ولم يبد منه على اللسان باد ولم يصب منه سائل حرف فى صدفة الآذان أووعاء الطرف فهو كالبنت البكر المشهورة الذكر كل أحد يخطبها ويميل اليها ويطلبها ويتمنى أن يراها ويترشف لماها فان ألقى الى المسامع ووعاه كل ناظر وسامع فهو كالعجوز الشوها اذا سلوها وقلوها وهى تلازم صباحا ومساء وينفر منها الرجال والنساء ويحيد كل أحد عنها فاذا تكلمت أسكتت واذا سلمت أعرض عنها وقال بعض الحكماء اللسان أسد وهو حارس الرأس والجسد ان حبسته حرسك وان أطلقته حبسك وان سلطته افترسك وقالوا الكلام أسيرك مالم تبده فان تكلمت به فأنت أسيره قال بعض الحكماء أنا على مالم أقل أقدر منى على ماقلت وقال عيسى صلوات الله عليه العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله وواحد منها فى ترك مجالسة السفهاء وقال نبى الحرمين وامام الثقلين صلوات الله وسلامه عليه الصمت حكمة وقال عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالمنطق وقال الحكماء السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد آذيت نفسك وتسببت فيما أوجب حبسك وأقلقت ودودك وأشمت حسودك ولقد كانت حصتى من بلائك ومما دهانى من شدة عنائك اعظم من كل حصة وقصتى فى ذلك أعجب من كل قصة اذ أنت رفيقى وزميلى وفى حضرة الملك ومنادمته عديلى نشأنا على ذلك وسلكنا فى الموافقة والمرافقة اقوم المسالك وكنت المرجو لمخاوفى وايابى فى مطافى ومشتكى حزنى ومشتفى شجنى ومخزن أسرارى واعظم استارى وراوية اخبارى فى احبارى وراوية اسفارى فى اسفارى ومن اين ألقى مثلك رفيقا اواجد صديقا شفيقا وأنت صاحب السراء ومصاحب الضراء وانشد

ومن اين ألقى بعد سبعين حجة * رفيقا كمن ارضعته قهوة الصبا
اديبا أريبا لم أمل مقامه * ولا ملنى يوما حكيما مهذبا

ويعز على ويعظم لدى ان أراك فى هذه الحالة ثم اجرى سحائب دموعه الهطالة وقال

وما على الحر أن يكى أن يرى حزنا * فى محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت فى هذا الامر المهول وماأدرى قصاراه الى ماذا يؤول وليلة الغم الصراح عماذا يسفر فيها الصباح فأنكى لذلك أبو نوفل وبكى وتضرع الى الله وشكا وقال يا أعز الاصحاب وأحب الاحباب لقد اثر عندى ماقلت من الكلام أكثر مما أصابنى من الآلام كيف يغتفر لاحد الجانبين ويطلق أحد القيدين وأنى يعتذر بالقضاء والقدر لاحدى الغصتين وهل هى شئ فى عالم الكون والفساد جاء خارجا عما قدره الله واراد وكلنا فى هذا سويه والعبد مقهور مع المنيه ولكن الجد اذا أقبل ولاحظ بسعده وتفضل فكل حركة تصدر من الغبى العاجز يعجز عن مقاومتها البطل المبارز وكل قول يتفوه به الجاهل يدع دليل معانيه ادلة العقلاء فى مجاهل ومذاهل ودعاميص ذوى الاراء المنضبة المناهل تلقى من عقنقل الحيرة فى مجاهلها مناهل فيصير كل وجه اليها مائل وكل انسان بها قائل وقوام كل سعد وقبول اليها قابل كما قيل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

انك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقدرأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان انت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة نرسلها اليك فى وقت غدائك فرضى الاسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به ثم ان ارنبا اصابتها القرعة وصارت غداء الاسد فقالت للوحوش ان انتن رفقتن بى فيما لا يضركن رجوت ان اريحكن من الاسد فقالت الوحوش وما الذى تكلفيننا من الامور قالت تأمرن الذى ينطلق بى الى الاسد ان يمهلنى ريثما أبطئ عليه بعض الابطاء فقلن لها ذلك لك فانطلقت الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الاسد ثم تقدمت اليه وحدها رويدا وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها من اين اقبلت قالت انا رسول الوحوش اليك بعثتنى ومعى ارنب لك فتبعنى اسد فى بعض تلك الطريق فاخذها منى وقال انا اولى بهذه الارض وما فيها من الوحش فقلت ان هذا غداء الملك ارسلن به الوحوش اليه فلا تغصبنه فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لاخبرك فقال الاسد انطلقى معى فأرينى موضع هذا الاسد فانطلقت الارنب الى جب فيه ماء غامر صاف فاطلعت فيه وقالت هذا المكان فاطلع الاسد فرأى ظله وظل الارنب فى الماء فلم يشك فى قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق فى الجب فانقلبت الارنب الى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالاسد (قال كليله) ان قدرت على اهلاك الثور بشئ ليس فيه مضرة للاسد فشأنك

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا أدبر وصبح الخمول اذا اسفر فان اللبيب اذذاك يخطئ ما كان يصيب ويفعل العاقل مالا يرتضيه باقل فيكون جهد النفس زيادة فى العكس

واذا تولى الجد يحتاج الذكى * فى رأيه قبل الزوال مراحا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهوده وخصلة معدوده كما قيل

ومن ذا الذى ماغره صرف دهره * فاضحكه يوما ولم يبكه سنه

وانا كنت غافلا وان لم أكن جاهلا وقد يكون الشخص عما يحققه ذاهلا وذلك لما كان عودنى الزمان وألفته من سالف الدوران وارخاء العنان ونيل الامانى والامان واسبال ذيل النعم والاحسان الدائم والكرم فشيت على ما كنت اعهده وفى نفسى أجده وأيضا كانت لذة عشرتك ونعيم صحبتك وحسن موافقتك وعز مرافقتك أنسانى كل بليه وأمنت بذلك كل رزيه فالهانى عن التنكد وذهلنى غفلة عن التوزع والتبدد مثل ما أصاب ذلك الهدهد قال أخوه شيل اسرد ذلك المثل (فقال) ذكروا أن الله يجرى الخير على بعض عبيده الصلحاء منطق الطير فصاحب منها هدهدا وازداد ما بينهما توددا ففى بعض الايام مر بالهدهد ذلك الامام وهو فى مكان عال ملتفت الى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه يا صاحب التاج والقباء والديباج لا تقعد فى هذا المكان فانه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد انى عرفت ذلك وانه مسلك المهالك قال فلاى شئ عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبيا وأظنه غويا نصب لى فخا يروم لى فيه زخا وقد وقفت على مكايده ومناصب مصايده وعرفت مكيدته اين هى والى ماذا تنتهى وأنا اتفرج عليه وأتقدم للضحك اليه وأتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده فى قفاه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأتنبه من عمره على خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد فى يد الصبى يلعب به لعب الخلى بالشجى ولسان حاله يلهج بمقاله

كعصفورة فى يد طفل يهينها * تقاسى حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها * ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فناداه وقال يا أبا عباد كيف وقعت فى شرك الصياد وقلت لى انك وعيت ورأيت ما رأيت فقال أما سمعت ان الهدهد اذا نقر الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك فى قضية القضاء والقدر قضية آدم أبى البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضاء والقدر فتمت مشيئة الله تعالى السابقة فى علمه وجرى ما لم تدركه عقول الفحول فى ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمه وانشد الهدهد

ياسائلى عما جرى * والعين مبصرة القدر

أوما سمعت بأن اذا * جاء القضاء عمى البصر

(وقال أيضا) ان كنت اخطأت فما أخطا القدر * ان القضاء ان أتى يعمى البصر

واسمع أيها العاقل قول القائل

اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر

وحيلة يفعلها فى دفع ما * يأتى به محتوم أسباب القدر

فان الثور قد اضربى وبك وبغيرنا من الجند وان أنت لم تقدر على ذلك الا بهلاك الاسد فلا تقدم عليه فانه غدر منى ومنك ثم أن دمنه ترك الدخول على الاسد اياما كثيرة ثم اتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عنى منذ زمان لم ارك ألخير كان انقطاعك قال دمنه خيرا فليكن ايها الملك قال الاسد وهل حدث أمر (قال دمنه) حدث ما لم يكن الملك يريده ولا احد من جنده قال وماذاك قال كلام فظيع قال اخبرنى به (قال دمنه) انه كلام يكرهه سامعه ويشجع عليه قائله وانك ايها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على ان يوجعنى ان اقول ما تكره وأثق بك ان تعرف نصحى وايثارى اياك على نفسى وانه ليعرض لى انك غير مصدقى فيما اخبرك به ولكنى اذا تذكرت وتفكرت ان نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم اجد بدا من اداء الحق الذى يلزمنى وان انت لم تسألنى وخفت ان لا تقبل منى فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاخوان رأيه فقد خان نفسه قال الاسد فما ذاك (قال دمنه) حدثنى الامين الصدوق عندى ان شتربه خلا برؤس جندك وقال قد خبرت الاسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لى ان ذلك يؤول منه الى ضعف وعجز وسيكون لى وله شأن من الشؤن فلما بلغنى ذلك علمت ان شتربه خوان غدار وانك اكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك وهو يظن انه مثلك وانك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع

اصم اذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

وأنا لما اغتررت بحدة بصرى ذهلت عما يجول فى فكرى فتغطت حدة استبصارى فوقعت فى فخ اغترارى أما سمعت باهمام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير ثم قال ابو نوفل وقد أثر فيه كلام أخى نهشل

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

(وانما اوردت) هذه الحكايه لتخفف عنى ما فى تقريعك وتوبيخك من نكايه وتعلم ان الامور كلها جلها وقلها جاريه على وفق ما قضاه الله تعالى وقدره واثبته فى سابق علمه فى اللوح المحفوظ وسطره وان كانت الاحكام فى هذا الباب تضاف الى العلل والاسباب ولا شك فى هذا ولا ارتياب فقد مر ان الذهول شغلنى عن الفضل بالفضول وان العذر غير مقبول فان الجهل لا يكون حجه ولا مخلص لسالك الاسواء المحجه وقد طال الكلام والحق بيدك والسلام وأما الآن فحل المقصود من الطافك المعهود وبذل المجهود وتذكر سابق العهود وقديم الصداقه وأكيد المحبه والعلاقه عطف الخواطر المتكيه ورجوعها على ما كانت عليه من الصدقات السنيه والعواطف الملوكيه واقل الاقسام الخلاص من هذه البليه وعاملك قد أحاط بأوثق مناط انى شخص وحيد بين ملازمى الخدمه فريد لم يكن لى أخ سواك وأنت مشتكاى وأنا مشتكاك وهذا أوان الفتوه وزمان المروه وعدم التخلى عن الاخوان والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان والسعى فى خلاص الصاحب القديم من هذا البلاء العظيم واسألك بسالف الخدمه والمودة ذات القدمه ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف فانى معترف أنى للذنب مقترف وانشد

جاوزت فى اللوم حدا قد اضربه * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

وانى اذا تفكرت وتصورت ما وقع اذا تذكرت وان كان قد مضى يضيق بى الفضا وأغرق فى عرق الحيا وتسود فى عينى الدنيا فكأنه فى هذا القبيل عنى قيل

كان فؤادى فى مخاليب طائر * اذا ما ذكرت الحب يشتد بى قبضا

وهذا القدر من الاعلان يكفى وانى أستحلى اذا مر بخاطرى غصص حتفى ثم علا زفيره وشهيقه وبدا من لهيب قلبه بريقه ومن وادى دمعه عقيقه حتى خيف عليه غريقه وحريقه ورق له عدوه وصديقه وبكى لبكائه رفيقه قال أخو نهشل اعلم ايها الاخ المفضل انى لم أقل ذلك الكلام للعدوان والملام فضلا عن ايحاش قلب وايلام ولكن لما تألم جنانى أجرى الله ذلك على لسانى ولم يكن لذلك الحديث باعث ولا قصد عابث أو عائث ولكن صفو المحبه ووفور الصدق أوجبا التلفظ بذلك النطق وكيف لا أدرك دقائق المعانى وأنا لها من ثمار فضائلك جانى وأما بذل الاجتهاد من أهل الوداد فهل يخطر ببالك غير ذلك ويأبى الله والاخلاق الكريمه وما علمته من همة وشيمه وفواضل فضائل من موانح خصائلك اقتبستها ومطارف معارف على منوال مصابك نسجتها ان أتخلف عن التعلق بأهدابها واغلق ابواب مقاصدها فى وجوه طلابها وانا ان لم أبذل مجهودى واصرف موجودى فى مساعدة خلى وصديقى وصاحبى ورفيقى بما تقتضيه المروأة والفتوه والصداقة القديمة والاخوه والا فأى فائدة فى وجودى لوالدى ومولودى وطارفى وتليدى وصديقى وودودى وقد قيل أربعة أشياء فرض عين فى شريعة المروأة على المحبين وكذلك الاخوان

جهد الا بلغه فيك وقد كان يقال اذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه فى المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشتر باعلم بالامور وأبلغ فيها والعاقل هو الذى يحتال للامر قبل تمامه ووقوعه فانك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه فانه يقال الرجال ثلاثة حازم واحزم منه وعاجز فأحد الحازمين من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تعى به حيلته ومكيدته التى يرجو بها المخرج منه واحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل ان يبتلى به ويدفع الامر قبل وقوعه وأما العاجز فهو فى تردد وتمن وأمان حتى يهلك ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان غديرا كان فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة وكان ذلك الغدير بنجوة من الارض لا يكاد يقربه احد وبقربه نهر جار فاتفق انه اجتاز بذلك النهر صيادان فابصرا الغدير فتواعدا ان يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما اكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شئ حتى خرجت من المكان الذى يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير واما الكيسة الاخرى فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث

وسائر الاصحاب والخلان الاول المشاركة فى النوائب وتعاطى دفعها من كل جانب الثانى اذا ضل أحدهم عن طريق السداد يردونه الى سبيل الرشاد ولا يتركونه على غير الصواب بل يستعطفونه بألطف خطاب الثالث اذا صدر من أحدهم نوع جفاء يلاقونه بالوفاء والصفا ولا يتركونه على شفا ولا ينسون الوفاء القديم بالجفاء الحادث فربما تفرع على ذلك ما يؤكده من العوائث الرابع لا يؤاخذون المقصر فى حال الغضب بل يرجئون عقوبته الى أن يطفأ اللهب فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد فيقع بسبب ذلك بين الاصحاب نكد ثم ان أبا نوفل قال لاخيه نهشل المبادرة أولى الى التلافى لئلا يسابق الجنود الى تلافى وهذا المصاب اغاجاء بغتة وأخذ قلوبنا واسماعنا بهتة فاستعمل فكرك القويم وتوجه الى التدارك بقلب سليم فقال ها أنا أذهب على الفور لهذا المطلب النافع وأقوى العزيمة وأجتهد فى دفع الموانع فأول ما أبتدئ بقصد الملك وانظر ما يصدر منه قولا وفعلا فى هذا الامر المشتبك فأبنى على ذلك ما يناسبه وأجاريه فيما يميل اليه خاطره ولا أجاذبه ثم توجه الى الاسد ودخل عليه فوجد الدب جالسا بين يديه وقد بلغه قضية النديم وانه حل به العذاب الاليم فاغتنم الفرصه وبادر ابنم على أبى نوفل الغصه وبتعاطى فى أمره قصه وحصه فأراد أخو نهشل ان يفتتح الكلام ثم أفكر فى أنه ربما يعاكسه الدب فى المرام وانه اذا قام فى المناقضة لا يمكنه مقابلته بالمعارضه وان سكت فالسكوت رضا وان وافق فعلى غير مراده مضى فأمسك عن الكلام ورأى السكوت مقتضى المقام ثم امعن النظر وأجال قداح الفكر فرأى انه ان انفصل المجلس من غير أن يفصح بشئ وينبس ربما يفوت المقصود أو يسابقه بالمعاكسة عدو أو حسود لاسيما مثل الوزير الرفيع الخطير صاحب الرأى والتدبير وهو عدو قديم وفى طرق الخزى نظيره عديم فاذا بادر الملك بالكلام ربما يقع منه فلتة بمقام كما قيل

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فتلقاه الملك بقبول فيصول كما يختار فى ميدان الفتك ويجول فتنعقد الامور وتتقصد وتتعقف الاخلاق الاسديه وتتعرد فرأى الاولى المبادرة بالكلام والوقوف فى مقام الشفاعة أنسب بالمقام فان عارض أحد عرف أن جوهر كلامه عرض ولا تصدى الا لغرض وكان الملك قد سمع كلامه بعد معرفة سلامته والقائه على أبى نوفل عدله وملامه وكلامه بلا شك مقبول وما لاحد عنه عدول وكان الدب منتظرا خروجه من عند الملك حتى يختلى بالكلام معه وينهمك فادرك أخو نهشل هذا المرام فوقف فى مقام الدعاء وبادر بالكلام ثم قال بعد وظائف الدعاء والقيام بما يجب من مراسيم الثناء العلوم الشريفه والآراء المنيفه محيطة ان من عادة الملوك العظام وأخلاق السلاطين الكرام العفو عن الجرائم والاغضاء عن العظائم لاسيما اذا صدر ذلك من أحد المخلصين والعبيد المتخلصين على سبيل السهو والخطا لا على سبيل العمد والاجترا

من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وان العبد الاقل أبا نوفل الواقع فى الخطر الخطير المعترف بالذنب والتقصير متوقع غفرها من صدقات الحضرة الملوكية ومراحمها وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها ومحتم على الملوك القيام بقبول الشفاعه دون سائر الخدم والجماعه خصوصا وقد كان رفيقا نديما ومصاحبا قديما ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفه الى دفاتر الصدقات الشريفه وقصد الخير وذهاب الاسى والضير وانتشار صيتها فى الآفاق والاطراف بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف فلان الاسد من هذا الخطاب وعرف أن

يدخل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق غير ان العاقل لا يقنط من منافع الرأى ولا ييأس على حال ولا يدع الراى والجهد ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فأخذها الصيادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت واما العاجزة فلم تزل فى اقبال وادبار حتى صيدت قال الاسد قد فهمت ذلك ولا اظن الثور يغشنى ولا يرجو لى الغوائل وكيف يفعل ذلك ولم يرمنى سوأ قط ولم ادع خيرا الا فعلته معه ولا امنية الا بلغته اياها (قال دمنه) ان اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع الى المنزلة التى ليس لها بأهل فاذا بلغها التمس ما فوقها ولاسيما أهل الخيانة والفجور فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له الا من فرق فاذا استغنى وذهبت الهيبة عاد الى جوهره كذنب الكلب الذى يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فاذا حل انحنى وتعوج كما كان واعلم أيها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد رأيه كالمريض الذى يدع ما يبعث له الطبيب ويعمد الى ما يشتهيه وحق على موازر السلطان ان يبالغ فى التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان اقلهم مداهنة فى النصيحة وخير الاعمال احلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء

قصدا لشافع من هذا انما هو الثواب والصواب فاطرق مليا ولم يحر من الاجوبة شيا فتأثر الدب الخبيث والعدو القديم لهذا الحديث وخاف أن يكون السكوت رضا وان هو رضى يفوت منه المنى والاطراق علامة الحلم والسكوت فى الحرب دليل السلم ومن فوت الفرصه وقع فى غصه ومتى يقع ابو نوفل المحتال فى مثل هذا العقال وما أظرف مقال من قال

وان رأيت غراب البين فى شرك * فاذبح وكل وذر الافراخ فى عنق

(وقد قيل)

اذا صارت الاعداء غلا فانهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

وكم ذا يقاسى من اذاه وقرصه * على ضعفه ان صار داخل آذان

فانبرى وانبرم وتصدى لمعاكسة ذلك البرم وغطى دسائس لؤمه بنقوش الكرم وقال اعلم أيها النديم القديم ومن هو للملك أوفى خديم أن الواجب على جميع الخدام أن يكونوا فى الصدق متساوى الاقدام ولا يقدموا على نصح الملك غرضا ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عرضا ولا عوضا فلا يصادقوا الخائن ولا يصدقوا المائن ولا يواطئوا الخاطى ولا المذنب المتعاطى ولو بالكلام الواطى ولا يخفوا الخيانة والجنايه ولا يرعوا فى ذلك أدنى الرعايه فمساعدة السارق سارق ومعاضد المارق مارق والقيام مع الجانى جنايه واخفاء الخيانة نكايه وفى هذا الكلام كفايه ومن اعتذر من جناية جان لاسيما ان كانت فى حق ملك أو سلطان فهو شريك فيها بل أعظم جرما من متعاطيها لان عظم الجنايه ياذا الدرايه انما هو بحسب المجنى عليه وان ذلك الوهن عائد اليه لا على مقدار الجانى وأنت لا تجهل هذه المعانى ولهذا قال بعض أهل الافضال ان تعاطى الفساد ياذا الرشاد ليس فيه صغيره وأن كل ما يخالف الامر كبيره وذلك بالنظر الى الجناب الاقدس القاهر تعالى وتقدس فقال أخو نهشل كلام مولانا الوزير هو المفضل وما أشار به هو الصواب المعدل ولكن يا مولانا الوزير علمك الخطير خبير باننا كلنا محل الخطا والتقصير ولا يسع الكبير منا والصغير الا الحلم الغزير والعفو عن كثير وقل لى من هو البرىء عن الهفوه والذى لا يتوقع من مولانا الملك عفوه وان لم تقع الشفاعه فى الجانى وذى الخلاعه ومخالف سنة الجماعه فالمحسن لا يحتاج الى شفاعه ومن لم يجبر المكسور ويأخذ بيد المقهور فما يجد عند انكساره جابرا ولا يؤخذ بيده حين يصير عاثرا وقد قيل من مثلث الفضيل وصاحب الادب الجزيل

اذا أصبحت فينا ذا اقتـــدار * وأمرك فى رقاب الخلق جارى

أقل واقبل عثارا واعتذارا * فمن يقبل يقل عند العثار

فما زال الصغار تروم عفوا * وغفران الكبائر من كبار

وأحسن العفو ياذا السلوك عفو السلاطين والملوك لاسيما اذا عظم الجرم وكبر الاثم فان العفو اذ ذاك صادر من ملك ذى سلطان قادر مع قوة الباعث على المؤاخذه والقدرة الشاملة النافذه وغير الملوك من العاجز والصعلوك عفوهم انما هو عجز خشيه أو لتمشية غرض مشيه والملوك انما يؤثر عنهم الخلال الحميده والخصال الشريفة السعيده والاكابر يعفون والاصاغر يهفون وقد قسم الحكماء والحكام ما يقع من الذنب والآثام أربعة أقسام فاسمع يا كبير هفوة وتقصير وخيانة ومكروه وحرروا ذلك وضبطوه وذكروا لكل جزاء قرروه فجزاء الهفوة العتاب وبه نطق الكتاب وجزاء التقصير الملامه على ما أورث من ندامه وجزاء الخيانة العقوبه فان فى ارتكابها للعاقل صعوبه واعظم بعقابها مثوبه وما يرتكب المكروه الا الغافل المعتوه وجزاؤه أيضا عثله وهذا على مقتضى العقل وعدله والذى صدر

ما كان على أفواه الاخيار واشرف السلاطان مالم يخالطه بطر وخير الاخلاق أعونها على الورع وقد قيل لو ان أمرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل اذا أحس من صاحبه بعداوة يريده بها لا يطمئن اليه وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظرا فى مستقبل الامور وأشبههم بالفيل المغتلم الذى لا يلتفت الى شئ فان أحزنه امر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك على قرنائه قال له الاسد لقد أغلظت فى القول وقول الناصح مقبول محمول وان كان شتربه معاديا لى كما تقول فانه لا يستطيع لى ضرا وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وانا آكل لحم وانما هو لى طعام وليس على مخافة منه ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الامان الذى جعلته له وبعد اكرامى له وثنائى عليه وان غيرت ما كان منى وبدلته سفهت رأيى وجهلت نفسى وغدرت بذمتى (قال دمنه) لا يغرنك قولك هو لى طعام وليس على منه مخافة فان شتربه ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره ويقال ان استضافك ضيف ساعة من نهار وانت لا تعرف اخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن ان يصلك منه او بسببه ما اصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان قملة لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالى برغوث

فى سابق القدر من المخلص أبى نوفل انما هى هفوة بازل وجزاؤه على هذا الحساب انما هو العتاب وقد استوفاه وزياده وفى هذا لمولانا الملك الاراده فان شاء عاقب على الذنب الصغير وان شاء عفا عن الجرم الكبير والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص فضلا عمن هو فى شرك العبوديه والاقتناص ولأن يؤثر الفضل عن الملك وعلى طريق عفوه يسلك الدرب المستملك خير من أن يؤثر عنه لنفسه الانتقام ويخلد ذلك على صفحات الايام ولا شك أن سيرة العفو والفضل أفضل من القصاص والعدل وذلك هو اللائق بالحشمه والاوثق للحرمه والاجدر لناموس السلطنة والابقى على ممر الدهور والازمنه وقد قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ينادى مناد يوم القيامة من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر يبحثون عمن تعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر لا سيما من يتعرض لذات الملك ونفسه ويستعين بطوائف على فساده من ابناء جنسه فاذا قدروا عليهم عفوا وتلذذوا بالعفو والاحسان واستعفوا وحسبك يا أبا جهينه ومن فضله أعذب مزيته واقعة ابن سليمان المخلدة على ممر الازمان وما تضمنت من مكارم الاخلاق التى تعطرت بها الآفاق فتوجه الاسد اليه ومال وقال أخبرنا يا أخا شل كيف كان هذا المثال (قال) لما انترمت أيام بنى اميه وتطرزت خلع الايام بأعلام الدولة العباسيه واشرق بطالعة أبى العباس السفاح فى دياجير الدهر أعين صباح بأحسن فلاح اختفت نجوم أفلاك بنى أميه وكواكب من بقى من تلك الزواهر المضيه وكان منهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعل السفاح يتطلبهم ويرغب من يدرى بهم ويرهبهم الى ان ظهر ابن سليمان وكان من أمره ما كان فحكى انه كان بالحيره مختفيا فى هم وحيره قال ففى بعض الايام تراءت لى على سطح سواد أعلام فوقع فى نفسى وغلب على حدسى انها قد جاءت لطلبى راغبة فى عطبى فتنكرت فى الحال واختفيت وخرجت من الحيرة والى الكوفة أتيت فدخلتها خائفا أترقب ولم يكن لى فيها مترصد ولا مترقب ولا صديق أركن اليه ولا صاحب اعول عليه فصرت فى تلك البلاد مثل المنشد ببغداد

بغداد دار لاهل المال منعمة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشى فى ازقتها * كأننى مصحف فى بيت زنديق

فأدانى المسير الى باب كبير منظره جليل وداخله دهليز طويل ليس فيه أحد من الحجاب والرصد فدخلت اليه وبه مكان فجلست عليه واذا برجل جسيم جميل الشكل وسيم على فرس جواد مع طائفة من الاجناد فدخل الى دهليز الباب وفى خدمته غلمانه والاصحاب الى ان نزل عن دابته وانفرد عن جماعته فلما رآنى فى وجيف ووجل قال من الرجل فقلت خلالك الذم مختف على دم واستجرت بجوارك ونزلت فى ديارك فقال أجارك الله لا تخف من سواه ثم أدخلنى حجرة لطيفه تشتمل على أشياء ظريفه قد جعلها مضيفه ينزلها كل من قصده جهله أو عرفه فمكثت عنده حولا أصول فى نعمه صولا ولا يسألنى فعلا ولا قولا بل كان يركب من الاسحار وينزل اذا انتصف النهار وذلك كل يوم لا تأخذه عن ذلك سنة ولا نوم فسألته فى بعض الايام ونحن فى أهنا مقام وقد صرت عيبة سره ومرآة قلبه وصدره عن ركوبه ونزوله وموجب تنقله وحلوله فقال ان ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك بن مروان قتل أبى صبرا وأورثنى بذلك نكدا وضرا وأوهج فى فؤادى لهبا وجمرا وقد

فقالت له بت الليلة عندنا فى دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى اذا آوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة ايقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وامر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير الا القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان صاحب الشر لا يسلم من شره احد وان هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه وان كنت لا تخاف من شتربه فخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك فوقع فى نفس الاسد كلام دمنه فقال فما الذى ترى اذا وماذا تشير (قال دمنه) ان الضرس لا يزال مأكولا ولا يزال صاحبه منه فى ألم واذى حتى يفارقه والطعام الذى قد عفن فى البطن الراحة فى قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الاسد لقد تركتنى أكره مجاورة شتربه اياى وأنا مرسل اليه وذاكر له ما وقع فى نفسى منه ثم آمره باللحاق حيث احب فكره دمنه ذلك وعلم ان الاسد متى كلم شتربه فى ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه امره فقال للاسد أما ارسالك الى شتربه فلا اراه لك رأيا ولا حزما فلينظر الملك فى ذلك فان شتربه متى شعر بهذا الامر خفت ان يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك فارقك فراقا يليك منه النقص ويلزمك منه العار مع ان ذوى الرأى من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم

داوت على بنى امية الدوائر وبلغنى انه بالكوفة مختف حائر فانا كل يوم اركب اليه وافتش عليه لعل الله يوقعنى به لاشفى قلبى بقتله من كربه فآخذ ثارى واكشف عنى عارى وأطفئ لهبى وآخذ ثار أبى قال ابن سليمان فعجبت من قضاء الرحمن وكيف ساقنى أرجلى الى شبكة مقتلى وأمشانى القضاء برجلى الى من هو دائر على قتلى فاستحييت منه ومن الله وكرهت عند ذلك الحياة فسألته عن اسم أبيه لاتحقق ما هو لديه وينهيه فأخبرنى فعرفته وتذكرت انى أنا قاتله فقلت يا هذا وجب على حقك وأنا عرفك ومسترقك وقد قرب الله خطاك وأنالك متمناك فقال وما ذاك فقلت أنا ابراهيم الذى على طلبه تهيم وأنا قاتل أبيك فافعل بى ما يرضيك وخذ ثارك وأطفئ نارك فقال كأنه طال بك الجفاء واضربك الاختفاء فأردت بالموت الخلاص واستندت لدعوى القصاص فقلت لا والله الذى علم السر وأخفاه بل قلت الحق وفهت بالصدق وخلاص الذمة فى الاولى اخف من قصاص الاخرى وأولى أنا علمت بابيك الاذى فى يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا قال فلما علم ذلك منى وتحقق أنه صدر عنى احمرت عيناه وانتفخت شفتاه وقامت عروقه ولمعت بروقه وأزبدت شدوقه وأطرق الى الارض وكاد أ كل بعضه البعض وجعل يرجف ويرعد ويزأر كالاسد ويتململ كريشة تقلبها الريح فى قاع البلد واستمر على ذلك زمانا يتأمل فيما يفعله بى اساءة واحسانا الى أن سكنت رعدته وبردت همته فامنت سطوته وقهر حدى سورته ثم أقبل على ورفع رأسه الى وقال اما انت فستاتى أبى غدا فيقتص له منك جبار السما واما انا فلا اخفر ذمتى ولا أضيع جوارى وحرمتى ولا يصل اليك مكروه منى ولكن قم واخرج عنى فلست آمن نفسى عليك ولا أقدر بعد اليوم انظر اليك ثم دفع الى الف دينار وقال استعن بها على ما تختار فلم آخذها ولا نظرت اليها وخرجت من داره ولم أعرج عليها ولم أر أكرم من ذلك الرجل ولا أحلم ولا اعظم مكارم منه ولا أجسم (وانما أوردت) هذه الحكاية وقى الله مولانا الملك شر النكاية ليعلم أن الذنب الكبير يستدعى العفو الكثير ممن قدره عظيم وحسبه جسيم ونسبه كريم كما قيل فى محكم الكتاب الحكيم ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحشمتها وهيبة الملك وحرمتها لها شروط كل منها محرر مضبوط وبالمحافظة عليه محوط ولا بد من اقامة أركانها وتشييد بنيانها ويجب الوفاء بها على الملوك والممالك ويفترض القيام بها على سلاطين الممالك والاخلال برعايتها وهن فى الولايه فلا غنى عن العمل بها ورعايتها أحسن رعايه فمن ذلك أن لا يسامح جماعه ولا يغفل عنهم وعن كيدهم ساعة فساعه ولا يركن اليهم فى اقامة ولا سير حيث لا يصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير فمنهم من يعزل الانسان عن منصبه من غير وقوف لعزله عن سببه ومنهم من يوالى اعداء الملك وهو ذو احتراء منهمك ومنهم من يراعى مصلحة نفسه ويقدمها على مصلحة مخدومه فى حالتى رخائه وبأسه ومنهم من يفشى سره ولا يراعى خيره وشره ومنهم من يتعرض لسقطه وغلطه لتغيير خاطره وسخطه ومنهم من ينتقص حرمته وينتهك عظمته وحشمته ومنهم ذو الطبع اللئيم المفسد فى الحريم ولا شك ان ابا نوفل المهمل المغفل قد ارتكب بعض هذه الصفات وهو متلبس بأشنع الحركات وهذا يدل على لؤم أصله وشؤم محله وسوء طويته وفساد نيته ومن أكرم اللئيم فهو الملوم وهذا أمر معلوم وقد قيل

عقوبة فلذنب الملامة عقوبة الملافية ولذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فلنفسه عاقب واياها ظلم (قال دمنه) أما اذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شتربه الا وانت مستعد له واياك ان تصيبك منه غرة أو غفلة فانى لا أحسب الملك حين يدخل عليه الا سيعرف انه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك انك ترى لونه متغيرا وترى أوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل الذى هم بالنطاح والقتال قال الاسد أكون منه على حذر وان رأيت منه خبرا يدل على ما ذكرت علمت ان ما فى أمره شك * فلما فرغ دمنه من تحميل الاسد على الثور وعرف أنه قد وقع فى نفسه ما كان يلتمس وان الاسد سيتحذر الثور ويتهيأ له اراد ان يأتى الثور ليغريه بالاسد وأحب ان يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة ان يبلغه ذلك فيتأذى به فقال أيها الملك الا آتى شتربه فأنظر الى حاله وأمره وأسمع كلامه لعلى ان أطلع على سره فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لى منه فأذن له الاسد فى ذلك فانطلق فدخل على شتربه كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال ما كان سبب انقطاعك عنى فانى لم أرك منذ أيام ولعلك فى سلامة (قال دمنه) ومتى كان من اهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربه وما الذى حدث (قال

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فقال أخونهشل الفقير لا تقل ذلك أيها الوزير فان أبانوفل عبد خديم ومخلص قديم وظريف نديم ومحب صديق وودود شفيق أمين ثقه ذو وفاء ومقه محب ناصح وجليس صالح لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير ولم يزل يسير فى طريق العبوديه أحسن سير ولم يطلع منه على شئ يعيبه ولا يشينه فى الدارين ولا يريبه بل هو ملازم لوظائف عبوديته مباشر لما يجب عليه من شرائط خدمته لم يصدر عنه أبدا غش لمخدومه ولا خروج عن امتثال أوامر مرسومه فان صدرت منه هفوة نادره أو سهوة بادره أو جفوة سادره فحلم مولانا الملك لا يقتضى بل ولا يرتضى اطراح هذه الاوصاف المتعاضده لاجل هذه الزلة الواحده كما قيل

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فأفعاله اللاتى سررن ألوف

مع انه حصل له من كسر الخاطر واحراق القلب واغراق الجفن الماطر ما لا يجبره الا العواطف السلطانيه والمراحم الشريفة الملوكيه ونظرة من الحنو والعطف وذرة من الشفقة واللطف تكفيه ومن أليم الجفاء تنجيه وبعد شدة الممات تحييه والا فلا نعرف أحدا يجبر كسر ذلك الوهن أبدا الا الا آلاء السلطانيه من يد العلو تعالى مقامها الى درجات السمو والعطف والحنو ثم عطف على الدب وقد حفر لا بقاءه الجب وقال أما أنا مع قلة البضاعه واحتقار مقامى بين الجماعه فقد أقمت نفسى لما وجب عليها فى مقام الشفاعه فلا أقصر فيها ولا أرجع عنها ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وأسأل صدقات مولانا أبى الناس المساعدة فى انجاز هذا الالتماس وان يكون شريكالى فى احراز هذا الجميل والوصول الى أنواع الفضل من هذا الفصل فانه يردعنا فئه ومن يشفع شفاعة سيئه وأرجو من وزير الممالك أن لا يقع منه مخالفة فى ذلك فان من سكن الكرم فى ربعه لا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه واللئيم يتكلف بل يحسد عليه ويتأسف اذا شرع فى مكارم الاخلاق وتعاطى فيها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق ترى وجوه محاسنها فى مكامنها تستتر منه بانقاب النشوز وأبكار خدورها فى قصورها تتراءى لعينه فى صورة شوهاء عجوز فلا يطاوعه لسانه فى طيب المقام الى طيب المقال ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال فيصير كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم سالكون طريق سلوكهم وحيث كان مولانا الملك مجبولا على الشفقة الكامله والمراحم الشامله فكلنا يجب على ذمتنا ويلزم دائرة همتنا أن نتخلق باخلاقه العليه ونتشبث باهداب شمائلها الرضيه ونتعاون جميعا على التزين بملابسة ملابسها البهيه ونستضىء بل نهتدى فى دياجير المعاش بدرارى افلاك صفاتها الزكيه فان العبد فيما يتعاناه مجبول من طينة مولاه وان الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا قال فألجم الدب ذو السافطه بما فعله به من المغالطه ثم امسكوا عن الكلام وانتظروا ما يصدر من الضرغام فلم يبد خطابا ولا أنهى جوابا سوى أن قال صلوا فى الرحال ولا تبدوا ولا تعيدوا ولا تنقصوا فى هذه القضية ولا تزيدوا حتى أمعن فيها النظر واستشير فيها مشير الفكر فهما أشار اليه الرأى وارشد الى اتباعه الهدى فيما يتعلق بحاله تقدمت اليكم بامتثاله فلما انصرفوا توجه أخونهشل الى الحبس وذكر لاخيه ما جرى بينه وبين ذلك النحس ثم قال أبشر بالنجاح والفلاح والصلاح فقد رأيت فى جبين الفوز نور صباح ولا شك ان الله الغفور يجرى على يدى ولسانى من الامور ما يجلب السرور ويذهب الشرور فكن أوثق صبور وان حصل

دمنه) حدث ما قدر وهو كائن ومن ذا الذى غالب القدر ومن ذا الذى بلغ من الدنيا جسيما من الامور فلم يبطر ومن ذا الذى بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذى تبع هواه فلم يخسر ومن ذا الذى حادث النساء فلم يصب ومن ذا الذى طلب من اللئام فلم يحرم ومن ذا الذى خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذى صحب السلطان فدام له منه الامن والاحسان ولقد صدق الذى قال مثل السلاطين فى قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاوة انفسهم عن فقد وامن قرنائهم كمثل البغى كلما فقدت واحدا جاء آخر قال شتربه انى اسمع منك كلاما يدل على انه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه امر (قال دمنه) اجل لقد رابنى منه ذلك وليس هو فى أمر نفسى قال شتربه ففى نفسى ما رابك (قال دمنه) قد تعلم ما بينى وبينك وتعلم حقك على وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلنى الاسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما اخاف عليك منه قال شتربه وما الذى بلغك (قال دمنه) حدثنى الخبير الصدوق الذى لا مرية فى قوله ان الاسد قال لبعض اصحابه وجلسائه قد أعجبنى سمن الثور وليس لى الى حياته حاجة فانا آكله ومطعم أصحابى من لحمه فلما بلغنى هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت اليك لاقضى حقك وتحتال أنت لامرك فلما سمع شتربه كلام دمنه وتذكر ما كان دمنه جعل له من العهد والميثاق وفكر فى أمر الاسد ظن ان دمنه قد صدقه ونصح له ورأى ان

فى الطريق عقبة تعويق فلا يكن فى صدرك حرج فان وراءها باب الفرج فان الظفر مقرون بالصبر والصبر مشفوع باليسر وقد أجاد صاحب الانشاد

اصبر على ماجرى من سابق قدما * فركب الصبر بالامهال تلحقه

فشكر له جميل سعيه ثم عرض على مشيروعيه فقال كنت أرى أن هذه القضية تؤخر ويرجى السعى فى أمرها ولا يذكر وسبب ذلك ان الطالع قد ادبر والحظ عن المساعدة قد تأخر واذا تحرك الشخص والسعد ساكن وتبسم الدهر والزهر باك وطلب شكر مسالمته وهو شاك فهو كقاطع البحر بالمراكن والبانى على ثبجه أماكن لا يصلح له عمل ولا ينجح له أمل فيشبه اذذاك الحمار المعصوب العينين فى المدار يقطع بالمسير زمانه ولا يفارق مكانه كذلك من يتعاطى الاعمال والسعد غير عمال فلا يستفيد الا التعويق والتبعيد ففى تلك الحال ينبغى الامهال لا الاهمال الى ان يتوجه السعد بالاقبال فعند ذلك مد الشباك وصد السماك فان السعد أتاك والدهر واتاك وناهيك قصة كسرى القديم مع وزيره بزرجمهر الحكيم فسأل أخانهشل بيان مانقل من المثل أخوه أبو نوفل (فقال) بلغنى أن كسرى أراد التنزه فمشى الى حديقة غنان التوجه وطلب الحكيم بزرجمهر وجلسا تحت دوحة زهر على بركة ماء أصفى من دموع العشاق وأنقى من قلوب الحكماء ثم طلب طائفة من البط لتلعب قدامه فى البركة وتنغط وجعل ينادم وزيره ويتلقف منه حكمه المنيره ويتفرج على البط وهو يلعب ويتأمل فى أنواع حكم الصانع القديم ويطرب وصار يعبث بالخاتم فى أصبعه ويسرح فى رياض الصنع سوائم منظره ومسمعه فسقط الخاتم من اصبعه وهو ساه وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما أبداه ولا أنهاه فالتقمته بطه وغطت فى الماء غطه وكان فيه فص ثمين وكسرى به من المغرمين فلما سود قلم الاقتدار بياض النهار وأكمل مشقه على قرطاس الاقطار أذن كسرى للوزير بالانصراف وقد أسبغ عليه خلع الانعام والاسعاف ودخل كسرى الى الحرم وافتقد من اصبعه الخاتم فلم يتذكر ماجرى له ولا وقف على كيفية هذه الحاله فأرسل يطلب الوزير البارع وسأل منه عن خاتمه الضائع وكان الوزير قد نظر فى الطالع فرأى أن الكلام فى أمر الخاتم غير نافع فلو تكلم بصورة الواقع ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع فكتم أمره وكلمه بكلام لحقيقة الجد جامع مانع ثم انصرف وذهب واستمر كسرى على الطلب ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات وينظر فى أحوال الساعات الى ان استقام الطالع وزال من السعد المانع وتيمن الفال وحسن البال وحال الوبال فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه وأخبره بما كان مخفيا من أمر الخاتم فى جيب مكتومه وأنه سقط من أصبعه وهو على البركة فى موضعه فبادرت بطه الى الغطه فاختطفته وابتلعته بعد ما التقمته فاحضروا البط جميعه وذبحوا من عرضه واحدة بديعه فوجدوا الخاتم فى حشاها ولم تحوج الى ذبح سواها ثم سأل كسرى الحكيم الاديب لم لم يخبره بهذا الامر الغريب فى أول وقوعه وصدوره وما موجب تأخيره فقال كان اذذاك الجد فى انعكاس والسعد فى انتكاس والطالع فى سقوط والنجم فى هبوط وأما الآن فالطالع استقام والسعد كالخادم اقام ونجم السعود قد حال عنه الهبوط والوبال وفى استقامة السعد واقباله من بعد يفعل الشخص ماشا فالدهر معه جار سواء جارى أوماشى (وانما أوردت) هذا التنظير لتعلم ان معاندة التقدير أمر خطير وخطب عسير فربما يفرغ الانسان جهده فى المبالغه ويكون الامر فيه ممانعة ومراوغه فينعكس المرام ولم يحصل سوى اضاعة أيام ولم أذكر هذه المفاوضه الا على سبيل العرض لا المعارضه لما أعلم منك

الامر شبيه بما قال دمنه فأهمه ذلك وقال ما كان الاسد ان يغدر بى ولم آت اليه ذنبا ولا الى احد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل على بالكذب وشبه عليه أمرى فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمورا هى تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما اورثت صاحبها سوء ظن بالاخيار وحملته تجربته على الخطا كخطا البطة التى زعموا أنها رأت فى الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت انه ليس بشئ يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذى رأته بالامس فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عنى كذب فصدقه على وسمعه فى فما جرى على غيرى يجرى على وان كان لم يبلغه شئ وأراد السوء بى من غير علة أن ذلك لمن أعجب الامور وقد كان يقال ان من العجب كيف يطلب الرجل رضا صاحبه ولا يرضى واعجب من ذلك ان يلتمس رضاه فيسخط فاذا كانت الموجدة عن علة كان الرضا موجودا والعفو مأمولا واذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لان العلة اذا كانت الموجدة فى ورودها كان الرضا مأمولا فى صدورها قد نظرت فلا اعلم بينى وبين الاسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمرى ما يستطيع احد أطال صحبة صاحب ان يحترس فى كل شئ من امره ولا ان يتحفظ من ان يكون منه صغيرة او كبيرة يكرهها صاحبه ولكن الرجل ذا

من وفور الفضيله وان مقاصدك على كل حال جميله فقال أخونهشل الامر كما زعمت وأشرت به ورسمت ولكن خشيت ان لم ابادر يسبقنى عدوغادر أوحسود ماكر أو مبغض مكابر فينهى الى المسامع ماليس بواقع فلم نشعر أيها البطل الاوقد ولج قلب الملك أنواع من مكر ودخل فيصير كما قيل

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لاسيما وقد تقرر فى الامثال عند غالب الرجال أن الدعوى لمن سبق لا لمن صدق وبالجملة ياأبا عوبله اذا كانت مقاصد الشخص جميله فان الله تعالى ينجحها ولا يفضحها ويدبرها ولايدمرها وان كان فى الظاهر وعند البادى والحاضر يظهر فى بعض القضايا نوع هم وغم لكن ذلك اسرلم يطلع عليه الا مدبر العالم واذا فوض الشخص الامور الى العزيز الغفور الذى هو مدبر الطالع والغارب وفى الحقيقة رب المشارق والمغارب وعلم أن مقاليد الامور بيد تدبيره وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره استراح فى كل المطالع وأخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقائع وأوصله الى مارام من المطامع (وحسبك) قضية الناصح الاستاذ الامين الدمشقى مع الخائن جاسوس بغداذ وهى طويلة طائله فى مجلدة كامله وأيضا لم ابادر بمفاتحة السلطان فى أمرك ياأعز الاخوان الا لئلا أنسب الى تهاون وتوان وما من شروط المروه والصداقه والاخوه ان يتخلف الفطن فى مثل هذا الموطن عن مساعدة الاصحاب ومعاونة الاحباب لاسيما صديق مثلك وحبيب متسم بفضلك وانى لا أدع من انواع الاجتهاد ومايحسن ببالى فى الاصدار والايراد شيأ الا فعلته ولا أمرا الا قدمته ولا فكرا الا استعملته ولو بذلت فى ذلك روحى ومالى وخيلى ورجالى وانى مباكر باب الملك وملازمه كاحسن من سدلك فان رأيته مكرما مقامى مصغيا الى كلامى خاطبته بمايليق وسلكت فى الشفاعة وحلو العبارة أوضح طريق وان شاهدت فى خلقه شكاسه وفى طبعه شراسه وصعوبه وشماسه سلكت سبيل حسن السياسه وفى الجملة أستعمل علم الفراسه وفى كل حكم نظيره وقياسه واستعين بالاقرباء والاوداء واغالط المناقض والمعارض من الاعداء وأقصد النجح واراقبه وارتقب السعد واخاطبه واسلك مع كل احد مايناسبه فالعدو اقتله والحسود اختله والعذول أفتله والمحب احتله والمبغض ابتله ومن تصلب فى المدافعه امتله الى أن ينقضى هذا الامر وينطفئ منه الجمر ويقبل مبشر الامانى بالطبل والزمر ثم انه بات مفكرا وبادر الى الصباح مبكرا وام ابواب السلطان قبل سائر الخدم والاعوان فوجد الدب قد سبقه وجلس من عين المكر فى الحدقة وقد فوق سهم الكيد وصوبه الى شاكلة الصيد ولم يبق الا اطلاقه ليشد من المرمى وثاقه فقبل النديم الارض وأعلن سلامه وقطع على أبى حميد كلامه وعارض ملامه وناقض مرامه وقال أدام الله أيام السعاده وأعوام الحسنى وزياده المستمدة من بقاء مولانا السلطان وعمر دهره المخلد على تعاقب الزمان وأوطأ قمم الامم مواطئ قدمه وأطاب بطيب حياته معايش عبيده وخدمه كانت المواعيد الشريفه والآراء المنيفه سبقت بالتأمل فى أمر عبدها القديم وخديمها الفقير العديم وجالب سرورها أبو نوفل النديم مع ما كان لائحا وعلى صفحات الرضاء واضحا من شمائل الاخلاق الملوكيه ومكارم الشيم السلطانيه ان مراحمها تأخذ بيد العاثر وتقيل عثرته بحسن المآثر بحيث يشرح الخاطر ويبهج الناظر والمملوك يسأل مراحمها ويرجو مكارمها أن لاتخيب ظنه وان تجبر بتحقيق ظنه وهنه وان تجرى مماليكها وعبيدها على ماعودها

العقل وذا الوفاء اذا أسقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل فى الصفح عنه امر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشئ يجد فيه الى الصفح عنه سبيلا فان كان الاسد قد اعتقد على ذنبا فلست اعلمه الا انى خالفته فى بعض رأيه بطرا منى ونصيحة له فعسى ان يكون قد أنزل أمرى على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجد لى فى هذا المحضر اثما لانى لم أخالفه فى شئ الا ماقد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشئ من ذلك على رؤس جنده وعند أصحابه ولكنى كنت اخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر وعلمت انه من التمس الرخص من الاخوان عند المشاورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطأ منافع الرأى وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا وحمل الوزر وان لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فان مصاحبة السلطان خطرة وان صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وان لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لى فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقدر الذى لا يدفع والقدر هو الذى يسلب الاسد قوته وشدته ويدخله القبر وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم وهو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها وهو الذى يحرم العاجز ويثبط الشهم ويوسع

من الصدقات قديمها وجديدها ثم أنشد والى الرضا ارشد

أرجو أبا العباس ان يروى لنا * عن ثغره الضحاك نورا يقتبس

فأقرأ تبسم ضاحكا من قولها * منه ولا تحوى ولا تقرأ عبس

فتبسم أبو العباس ابتسامه ظهرت منها للرضا علامه فاشتعل الدب من الغيظ وكاد يتمزق من الغيظ وعلم ان عقد أمره انفرط ونجم سعده من فلك السعد سقط وأنه لم يكتسب من مكايد القساوه الا هاتيك العداوه وانكشف عند مالكه ماوطأه من مغطى وقرأ كل أحد حديث ذلك الموطا وغلب عليه الوجد فى الحال فخرج عن دائرة الاعتدال وسكر من خمرة العداوة فطفح وعربد وشطح فقال كل من ستر على أعداء الملك فهو فى الخيانة والجناية مشترك وكل من شفع فى الجانى فهو فى قيد العصيان عانى بل هو أشد من المباشر اذ هو معاشر للمتعاطى ومكاثر والابقاء على المعصية شر منها والرضا بكفر الكافر فتنة يفرع عنها وما ظنك أيها النديم العارف القديم لمعرفة هذا القدر عديم فان أبيت الا الاصرار ومساعدة الفجار ومعاونة الاشرار فأنت حينئذ مستخف لهيبة ولى نعمتك مستنقص حرمة مالك رقبتك طالب لابتذاله مستهين بمقام جلاله راض بتسليط الانذال والاوغاد الارذال على انتهاك حرمته وابتكاك استار حشمته ونحن لانرضى بذاء الذمامه ولا كيد للمخالف ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر وتأثر الكلام الوزير وتغير وزأر وهمر وزفر زفرة وزمجر وكاد ان يثب على أبى جهم ثم أنه تماسك وتناسى الغدر وتناسك وقال يا أبا سلمه كبرت كلمه غيبة الاصحاب والنميمة بين الاحباب وساءت حركه وبئست ملكه تناسى الحقوق وتحاسى العقوق واطراح جانب الصديق الصدوق والرفيق الشفوق واضاعة خدمة الخديم لاسيما النديم القديم ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر ولم تبرح الملوك تعطف على مسكينها الصعلوك أنسيت ماقلت لك فى حقيقة من ملك وهو

ليس المليك الذى تشقى رعيته * وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وأيضا لم تزل الاصحاب تساعد أصحابها وتستعطف عليها ملوكها وأربابها وترفع بحسن السفارة من ستائر الدهشة حجابها ويثبتون بذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم والثناء العاجل والجزاء الآجل فى صحائف مخاديمهم ويعدون ذلك أربح مغانيهم ويبذلون فى ذلك الجهد ويبلغون فيه غاية الكد وذلك مما يجب عليهم ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم كما قيل

يستعطفون الاكابر * يستعبدون الاصاغر

يحيون رسم الاوائل * يعلمون الاواخر

وأى فائدة واستفاده أيها الوزير باقتاده فى رعية ملك لاتتفق قلوبهم ولا تستتر بينهم غيوبهم ولا تطهر بالصفاء جيوبهم ولا تتجافى عن مضاجع الجفاء جنوبهم ولا يتساوى فى الوفاء حضورهم وغيوبهم تراهم فى الغيبة ينهش بعضهم بعضا فيتنا ويرعون لحومهم قتنا كبهائم لاقت فى مرعاها قتا وفى الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان كان اخو نهشل ساعد أخاه ابا نوفل فذلك شئ يجب عليه ويندب اليه فانه صاحبه القديم وجليسه القويم وان تخلى عنه فماذا يرجى منه وعند النوائب هو محك الاصحاب وعند المصائب يظهر من تبر الصداقة اللباب وقد قام فى هذه النوائب بعدة أشياء كلها عليه واجب أولها القيام بحق أخيه والسعى فى خلاصه من هذا الامر الكريه ثانيها اساق الى صحائفى الحسنات وقصد لى رفع الدرجات ثالثها طلب رضا خاطرى ومايشرح صدرى ويسر سرائرى رابعها

على المقتر ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير من العلل التى وضعت عليها الاقدار (قال دمنه) ان ارادة الاسد بك ليست من تحميل الاشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغدر والفجور منه فانه فاجر خوان غدار لطعامه حلاوة وآخره سم مميت قال شتربه فأرانى قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت الى آخرها الذى هو الموت ولولا الحين ما كان مقامى عند الاسد وهو آكل لحم وانا آكل عشب فأنا فى هذه الورطة كالنحلة التى تجلس على ورق النيلوفر اذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة فاذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذى يغنيه وطمحت عينه الى ماسوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذى لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذى يسيل من اذن الفيل فيضربه الفيل بآذانه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر فى السباخ ومن يشر على المعجب فكمن يشاور الميت او يسارر الاصم (قال دمنه) دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربه بأى شئ احتال لنفسى اذا أراد الاسد أكلى مع ماعرفتنى من رأى الاسد وسوء اخلاقه واعلم انه لو لم يرد بى الا خيرا ثم اراد اصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكى لقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظلمة على البرئ الصحيح كانوا خلقاء ان يهلكوه وان

مباعدتى عن الآثام وخلاص ذمتى من الوقوع فى الحرام فربما يحملنى العنود والخلق الشرود على التعدى فى الحدود خامسها اشتهار اسمى بالفضل وعدم المؤاخذة بالعدل فيشيع فى الآفاق عنى مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيتى بحسن الوفاء والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء سابعها انه غرس فى قلوب الاماثل محبته وزرع فى أرواح الافاضل مودته وان كان صدر من أبى نوفل ماصدر فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر فنعمل معه بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر كما قيل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكاية غاية الشر ونهاية النكاية ماتدانى واقعة الملك الصافح عن عدوه المؤذى المسافح فقبل الدب الارض وقام فى مقام العرض وسأل الملك بيانها ليعلم بحسن التصريف فرزانها ويقيس عليها أوزانها (فقال) ذكر ان بعض السلاطين تصدى له عدو من الشياطين يحرض عليه الاعادى ويفسد عليه الحاضر والبادى ويجتهد فى اقامته ومسيره فى ازالة الملك عن سريره ويغرى به العساكر فيقابله ظاهرا بالنواكر وباطنا بالمواكر ومافسد منه مافسد الا بدواعى الحقد والحسد فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى ويستدنيه بالصلات فلا تزيده صلاته الا بعدا ونقضا كما قيل

الى كم يدارى القلب حاسد نعمه * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من أموره واشتغل لا بقاءه بنذوره وجعل ينصب له شرك الوقائع ويجتهد فى ايقاعه بكل دان وشاسع وذلك الباغى أحذر من الغراب وأسهر من طالع الكلاب والملك لا يقر له قرار ولا يطيب له عيش لا بالليل ولا بالنهار فكان من أحسن الاتفاق ان علق ذلك الباغى ببعض الاوهاق فحمل الى حضرة الملك وهو فى قيد البلاء مشتبك فلما رآه فى قيد النكد بادر الى الارض فسجد وقال الحمد لله المغيث حيث امكن منك اى خبيث أترى هذا فى المنام فهو أضغاث أحلام أم سمح الزمان بأهل العدوان وانا يقظان ثم شرع فى السب والتجديع والتوبيخ والتقريع وأقسم بفالق الاصباح وخالق الارواح الاشباح ليفعلن بذلك النباح من النكال والجراح مافعل المصطفى عليه الصلاة والسلام مع سراق اللقاح وليذيقنه كأس البأس وليجرعنه من خمر المنية أمر كأس ثم أمر الجلاد ان يأتيه بآلة من النطع والسيف والعتاد فعلم ذلك الزنديق انه وقع فى الضيق وانه لا ينجيه أخ ولا صديق ولا افتداء شقيق ولا حميم وشفيق فضلا عن مال ومنال أو خيل ورجال فلما غسل يده من العيش استهوته الخفة والطيش فشرع فى السباب ودخل فى الشتم من كل باب ورفع بفاحش الكلام الصوت وقال ما بعد الموت موت فسأل الملك أحد الوزراء ماذا يقول من الافتراء هذا الظالم المجترى الباغى المفترى فقال يدعو بدوام البقاء ورفعة مولانا الملك والارتقاء ويقول ما أحسن العفو عند المقدره واللطف والكرم أيام الميسره وان لم يكن ثم مجال للمعذره ولو جعل العفو شكر المقدرة لكان أولى وأعلى مقاما فى مكارم الشيم وأحلى كما قيل

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما عن غير ذى ناصر

ويترحم على أسلاف مولانا السلطان الذين كان شيمتهم العفو عن ذوى العصيان وكان ذلك منتهى لذتهم وغاية أمنيتهم وما أجدر مولانا الملك ان يحيى مكارم سلفه ويجعل

كانوا ضعفاء وهو قوى كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين أجمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة (قال دمنه) وكيف كان ذلك قال قال شتربه زعموا ان اسدا كان فى اجمة مجاور الطريق من طرق الناس وكان له اصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وان رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد فقال له الاسد من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرنى به الملك قال تقيم عندنا فى السعة والامن والخصب فأقام الاسد والجمل معه زمنا طويلا ثم ان الاسد مضى فى بعض الايام لطلب الصيد فلقى فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بانيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فأصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم الى ما تأكلون فقالوا لا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه قال الاسد ما أشك فى نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتونى به فيصيبنى ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحوا ناحية وتشاوروا فيما بينهم وقالوا مالنا ولهذا الآكل العشب الذى ليس شأنه

العفو

العفو كلمة باقية فى خلفه ولازال يقول من هذا المقول حتى لان له اقلب القاسى ورق له قلب الملك الجاسى فأمر باطلاقه ومن عليه باعتاقه وكان أحد الوزراء وأركان الامراء شخص يعاكس هذا الوزير ويناقضه فيما يراه ويشير وبينهما مرت أسباب عداوه أحلى فى مذاق طبعهما من الشهد وا الحلاوة كل مترصد الآخر زلة متوقع لايقاعه فى شبكة البلاء غفلة فحين رأى شقة الحال نسجت على هذا المنوال وجد فرصة للمقال فتقدم وقال ما أحسن الصدق وأبين كلام الحق خصوصا فى حضرة المخدوم وهذا أمر معلوم عدو مبين وحسود مهين لم يترك من أنواع العداوة شيأ الا تعطاه ولا من الافساد والشر صنفا الا هياه قد أهلك الحرث والنسل وبدل جنى الصلاح من الفساد بخمط وأثل الى ان أمكن الله تعالى منه وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه ثم انه فى مثل هذا المقام بين الخواص والعوام يثاب الاعراض من الامراض ويجهر بالسوء من القول ويصرف فى الخناء والسب ماله من قوة وحول كيف يحل السكوت عن جرائمه وتغطية مساويه وعظائمه فضلا عن ان تجلى سيآته فى خلع الحسنات وتحلى شوهاء سواخط أدعيته بملابس أحسن الدعوات ومع هذا يطلب له التوقع والخلاص والاطلاق من شرك الاقتناص وهو على ماهو عليه من الاساءة المنسوبة اليه اما والله يامولانا الهمام وسلطان الانام ماقال الا كذا كذا من قبيح الكلام وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام فتغير خاطر الملك وتعكر وتشوش صافى خاطره وتكدر ثم قال أيها الوزير ذو الصدق فى التحرير والله وحقك ان كذب هذا الوزير عندى خير من صدقك فانه بكذبه أرضانى والى طريق الحق هدانى وأصفى خاطرى من الكدر وأطفأ ما كان تلهب فى غيظى من شرر ونجانى من دم كنت أريقه ولايهتدى الى كيفية استحلاله طريقه فأصلح بذلك ذات البين وأصار المتعادين أحسن محبين وخلد ذكرى بجميل الصفات وسلك بى طريقة أجدادى الرفات وأما أنت فكدرت عيشى وأثرت غضبى وطيشى وأسمعتنى الكلام المر وقد مسنى منك الضر وأما انا فقد أعتقت هذا وأطلقته فلا أرجع فى ايذائه وقد أعتقته وقد ثبت لهذا الوزير على حقوق لاينكرها الا ذو عقوق ولا تسعها الاوراق والرقوق فكذبه عندى خير من صدقك وباطله أحلى على قلبى من حقك ولهذا قال ذو الافضال ما كل مايعلم يقال (وانما أوردت) هذا الكلام يا كرام لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام واركانه له تبع فى القعود والقيام ولايتم الائتمام الا بالاتفاق بين الرفاق فاذا كان الجماعة مجمعين طائعين لامامهم مستمعين استقام القيام واتموا من جميل التحيات الى السلام ولايقع لهم انتظام مع مخالفتهم لحال الامام هذا قائم وهذا قاعد وهذا راكع وهذا ساجد وهذا نائم وهذا ماجد وأيضا السلطان بمنزلة القلب والراس وبمنزلة الاعضاء رؤساء الناس وباقى الرعية خدم للرأس والاعضاء منتظرين لما تبرزبه المراسيم من الزجر والامضاء فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت انتظمت أمور كل من الرأس والرعية وانصلحت واذا وقع اختلاف وتباين فى الاعضا صار كل من الرأس والقلب والرعية مرضى ولقد صدق من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخلاصة هذا الكلام ان قصدى أن تكون أحوال رعيتى على النظام لايقع بينهم شقاق ولاتنافر ولانفاق وأما أبو نوفل فيكفيه حياؤه وخجلته فقد انتهت وتمت عقوبته وأخذ حده ولايليق بكرمى ان أرده وهذا الذى ورثته عن اسلافى وهو الخلق اللائق بمحاسن شيمى واوصافى فلما سمع الوزير هذا الكلام وجرح

من شأننا ولارأيه من رأينا الا تزين للاسد فأكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لانستطيع ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته عهدا قال الغراب أنا أكفيكم امر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد فقال له الاسد هل أصبت شيأ قال الغراب انما يصيب من يسعى ويبصر وأما نحن فلا سعى لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا الرأى واجتمعنا عليه ان وافقنا الملك فنحن له مجيبون قال الاسد وما ذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولارد عائدة ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما اخطأ رأيك وما أعجز مقالك وما ابعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقا ان تجترى على بهذه المقالة وتستقبلنى بهذا الخطاب مع ماعلمت من انى قد امنت الجمل وجعلت له من ذمتى أولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هى اعظم اجرا ممن أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدرا وقد امنته ولست بغادر به قال الغراب انى لاعرف مايقول الملك ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا اجعل له من ذمته مخرجا على ان لايتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به احدا ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها اصلاح وظفر فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما عرف

فؤاده نصل هذا الملام ندم غاية الندم وعلم انه قد زلت به القدم وانه لا حاجته قضى ولا على صديقه أبقى ولم يستفد مما ابداه من فحم سوى اظهار معاداة أبي النجم وانه اذا تخلص من حبسه وكربه ورجع عند الملك الى منادمته وقربه لا بد ان يتصدى لمعاداته وسلبه ولا يفيده بعد ذلك افعاله ولا يسمع فى أبى نوفل أقواله فانصرف من عند الملك الطيشار لا يدرى اين يضع قدمه من الافتكار حتى وصل الى منزله واختلى فى فكره بعمله وفرغ لتخلص من هذه الورطة طرقا وتفرقت رواد أفكاره فى منازل الخلاص فرقا فأدى نصيب الرواد من الآرا ومفيد القصاد من الشورى الى السعى فى مصالحة أبى نوفل وازالة ما وقع من الغبار فى وجوه الصداقة وتخلل ثم أدى افتكاره وأورى من زند رأيه شراره الى ان الذى وقع منه قد اشتهر وعلم به أصحاب البدو والحضر فاذا طلب من بعده الصلح فذلك فى غاية القبح اذ كل من فى حجره حجز يتحقق ان ذلك خور وعجز فصار يتردد بين هذه الافكار ويتأمل ما فيها من تحقيق الانظار وتدقيق الاسرار فبينما هو فى بحر الافتكار يلطمه الموج ويصدمه التيار دخل عليه صفى له صافى الوداد وهو ظبى أغر يدعى مبارك الميلاد ذكى الجنان فصيح اللسان دقيق النظر عميق الفكر ذو رأى صواب وشفقة كاملة على الاصحاب فرآه مطرقا الى الارض فى فكر ذى طول وعرض فسلم عليه وتقدم بالسؤال اليه عن تشوش باله وتوزع حاله فطاب الوقوف على ما ناله لينظر عاقبة أمره وما آل له فاخبره بموجب ذلك وانه قد سدت فى وجهه المسالك فقال مبارك الميلاد يا صحيح الوداد أنت قد زعمت ان مولانا السلطان قد ترك أبا نوفل الندمان وطرحه اطراحا لا رجعة فيه وانه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه وان عثرته لا تقال وغصته لا تزول وقصته لا تزال هيهات هيهات يا أبا الترهات الملوك ان لم يعرفوا حقوق خدمهم ولم يثبتوا فى ديوان احسانهم قدم قدمهم خصوصا هذا الملك العظيم الذى انفاس شيمه تحيى العظم الرميم ونحن قد زجينا عمرنا فى خدمه واذ اقتنا برد عفوه وحلاوة كرمه وغذاء أرواحنا انما هو غوادى حلمه وروائح نعمه مع ان أبا نوفل لم يقع فى محذور معضل يوجب تناسى ذممه وابتذال حرمته وحرمه وانه استغفر وأناب واعتذر وتاب واعلم أيها الوزير الاكرم ان ذوى النهى والحجر اذا ارادوا الشروع فى امر تأملوا فى مبداه غايته ومنتهاه وهذا التقرير كالجلوس المقصود من عمل السرير فانما تنبعث لصنعته النفوس اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس كما قيل

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك يا أخى واكرم سنخى حكاية التاجر البلخى قال الوزير اخبرنى بكيفية هذا التنظير (قال) مبارك الميلاد بلغنى من أحد العباد الذين طافوا البلاد انه كان فى مدينة بلخ تاجر كثير العروض والمتاجر عريض المال والجاه غزير الضياع والمياه تكاثر نقوده الرمال وتباهى خزائنه معادن الجبال وتفاخر جواهره درر البحار وتسامى بضائعه تلال القفار تراجع عنه الحظ وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ وأدبرت عنه من الدنيا القوابل ونزلت بساحة موجوده بالاعدام النوازل وولت وفود معايشه فكادت تقد السلاسل فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه حتى نفد جميع ما بين يديه فلم ير لنفسه أوفق من التغرب عن وطنه والاقامة فى سكن غير سكنه فأخذ بعضا من المال وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال وداوم فى الارض على الضرب حتى انتهى الى بلاد الغرب فأقام بها دهرا يتعاطى معاملة وتجرا الى ان زاد ماله وأثرى ورجع اليه بعد ما ذهب من يديه ثم اشتاق الى بلده

الغراب اقرار الاسد أتى أصحابه فقال لهم قد كلمت الاسد فى أكله الجمل على ان نجتمع نحن والجمل عند الاسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بامره وحرصا على صلاحه ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان الضرر فى أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضى الاسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد فقال الغراب قد احتجت أيها الملك الى ما يقويك ونحن احق ان نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحد منا بقاء بعدك ولا لنا فى الحياة من خيرة فليأكلنى الملك فقد طبت بذلك نفسا فاجابه الذئب وابن آوى ان سكت فلا خير للملك فى أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى لكن أنا أشبع الملك فليأكلنى فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه الذئب والغراب بقولهما انك لمنتن قذر قال الذئب انى لست كذلك فليأكلنى الملك فقد سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من المهالك فقال لكن انا فى للملك شبع ورى ولحمى طيب هنى وبطنى نظيف فليأكلنى الملك ويطعم اصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسى عنه وسمحت به فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكريم

ورؤية زوجته وولده فتجهز اليها وسار حتى نزل عليها وأراد الدخول الى داره فأوقفه مشير افتكاره الى اعمال النظر فى حادث القضاء والقدر وأنشده الزمان بلسان البيان

لا تكون دائرة من قبلنا صنعت * لابى تضيق ولا من أجلك اتسعت
والمرء فى حجب غيب الله مكتتم * فلست تدرى بدا التقدير ما صنعت

فرأى ان يدخل متنسيا متنكرا مختفيا ويتوصل الى داره ويتجسس أحوال كباره وصغاره وما حدث عليهم من الحوادث وتقلبات الزمان العائث فتوجه لما أظلم الى داره وهو يترنم

بالله قل لى خبرك * فلى زمان لم أرك

الى أن وصل الى الباب وما عليه حاجب ولا بواب فرأى الباب مقفلا والقنديل عليه مسبلا وكان يعرف للسطوح دربا خفيا فاستطرق منه وارتفع مكانا عليا واشرف من الكوه فرأى ربة البيت المرجوه فوق سرير الامان معانقة فتى من الفتيان كأنهما لفرط العناق كانا ميتين من الم الاشتياق فبعثهما قيامة التلاق فتلازما والتفت الساق بالساق ولسان حال كل منهما يروى عنهما عانقت محبوب قلبى حين واصلنى * كأننى حرف لام عانقت ألفا فتبادر الى وهله اغبوبة عقله ان ذلك الشاب الظريف معاشر حريف افسد زوجته مغتنما غيبته وانه فى تلك الليلة استعمل قوله

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

فسل السكين وقصد قتل ذلك المسكين وصمم على النزول الى البيت واثارة الفتن بكيت وكيت ثم استتاب وهله واسترابه عقله وأخذ يتفكر ويتأمل ويتدبر واحتضر أحوال قرينته وانها فى العفة مجبولة من طينته وانه لم يعلم عليها الا الخير وعدم ميلها عن حلالها الى الغير وطلب قبل الفضيحه لزوجته طريقة ممدوحه طريفة ممدحه فان مدة غيبته طالت وزوجته ان كانت حالتها حالت فلا بد أولا من الوقوف عليها كيف استحالت ثم كف عن الذبح ونزل عن السطح وقصد جارة داره ودار جاره وطرق بابها واستفتح كلابها فخرجت اليه عجوز كانت الى داره تجوز فسألت من هو وما مراده ومن أين اصداره وايراده فقال انى رجل غريب ليس لى بهذه البلدة خليل ولا قريب وبلادى أرض مكه كنت أتردد الى هذه السكه وأعامل التجار وكان لى فى هذه المحلة مجير وجار من التجار الكبار كنت آوى اليه وأنزل فى قدومى عليه اسمه فلان وقدم علينا زمان وعاقنى عنه نوائب الحدثان والآن قدمت الى هذا المكان وقد قصدت داره ولا أدرى اى جواد عاره ولم أعرف له خبرا ولا رأيت له عينا ولا أثرا فهل تعرفين كيف حاله والى ماذا آل مآله فقالت نعم زالت عنه النعم والجأته الحال الى الترحال فرحل منذ سنين وكنا فى جواره من الآمنين وانقطع عنا خبره وعن زوجته عينه وأثره وطال عليها منتظره فدعتها الضرورة والاعدام الى عرض حالها على الحكام فأذن لها قاضى بلخ فى ابطال نكاحها بالفسخ ففسخت نكاحها واعتدت وطابت نصيبها واستدت ولقد أوحشنا فراقه وآلمنا اشتياقه غير أن زوجته قامت مقامه وافاضت علينا احسانه وانعامه وهى متشوقة الى رؤيته مشوقة الى مطالع طلعته متلهفة على أيام وصاله متأسفة على ترشف زلاله فلما وقف على صورة الحال سجد شكرا لله ذى الجلال وحمد الله على الثبات فى مثل هذه النائبات (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم فضيلة التأمل فى المآل والتفكر فى عواقب الاحوال قال الدب دعنا من هذا الكلام والاخذ فى الملام وأسعدنى فى التدارك فانك نعم المشارك قبل انفلات العنان وانقلاب الزمان وخروج زمان التلافى من أنامل

وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه فمزقوه وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكى فانى لست اقدر ان أمتنع منهم ولا احترس وان كان رأى الاسد لى على غير ما هم عليه من الرأى فىّ فلا ينفعنى ذلك ولا يغنى عنى شيأ وقد يقال خير السلاطين من عدل فى الناس ولو ان الاسد لم يكن فى نفسه لى الا الخير والرحمة لغيرته كثرة الاقاويل فانها اذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة ألا ترى أن الماء ليس كالقول وان الحجر أشد من الانسان فالماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر فيه وكذلك القول فى الانسان (قال دمنه) فماذا تريد أن تصنع الآن قال شتربه ما أرى الا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال فانه ليس للمصلى فى صلاته ولا للمتصدق فى صدقته ولا للورع فى ورعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق (قال دمنه) لا ينبغى لاحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك ولكن ذا الرأى جاعل القتال آخر الحيل وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل وقد قيل لا تحقرن العدو الضعيف المهين ولا سيما اذا كان ذا حيلة ويقدر على الاعوان فكيف بالاسد على جراءته وشدته فان من أحقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شتربه وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان تفريخهما

الامكان وانتقال حل عقدته من اللسان والبنان الى الاسنان فقال مبارك الميلاد الرأى عندى يا أباقتاد المبادرة الى الصلح والاصلاح ليحصل النصح والفلاح والاخذ فى المصافاه وسلوك طريق الموافاه والعمل به باطنا وظاهر والاستمرار عليه أولا وآخرا ومحو آثار العداوه وتناسى أسباب الجفا والقساوه واستئناف المودة الصافيه والمحبة الوافيه وصرف القلب نحو در وس فقه الخلة الشافيه والمكافيه حتى يقول من رأى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافيه ثم اعلم انه لا يصفو لك صاحب وخاطرك عليه للتكدر مصاحب ولا يخلص لك صديق ولين خلوص محبتك اياه مذيق وقاطع بغضك فى الطريق وشوك سعيك راكب التعويق والقلوب فى المحبة تتجازى ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا وكل شئ بمقدار وميزان وكما تدين تدان وقلما تجد من تحبه ويبغضك وتربه ويرفضك وتصفوله ويتكدر ولا تتغير عليه ويتغير ودونك ياذا المكرامات ماقال صاحب المقامات

وكلت للخل كما كال لى * على وفاء الكيل أو بخسه

وقال من أحسن المقال

والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من اعاديها

وأنا ما أقول هذا الكلام الا من قول خير الانام عليه أفضل التحيات وأكمل السلام الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وانما يقع التعارف من الجهتين والتناكر من الطرفين ولا تغالط نفسك وتكابر حسك أن يحبك من تكرهه ويزينك من تشوهه ويقربك من تقصيه ويقيمك من ترميه ويرفعك من تضعه ويأخذ بيدك من تدفعه كما قيل فى الاقاويل

والناس اكيس من أن يحمدوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

واعلم ان غالب الاخوان فى هذا الزمان مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان من أحسنت اليه أسا ومن ترفقت له قسا ومن نفعته ضرك ومن أمنته غرك ومن سكنت أوامه بزلال فضلك حرك وقد أجاد صاحب الانشاد

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونالف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه وتسبغ ملابس افضالك عليه فكيف يكون حال من تضمر له النكال وتتمنى وقوعه فى شرك العقال أفى تراه يصفو لك ويتقاضى سؤلك ومأمولك وهو مترقب غيلة غولك متوقع منك أن يصير مقتولك فماذا عسى ان تبلغ منه سؤالك ومسؤلك أو ترى من محبته ومودته مأمولك ومحصولك (وانما أوردت) هذه المقامات وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك لتتنا متقدمات الالتعاطى أسباب الصلح أولا فى نفسك ثم تستعمل الوسائط فيه من أبناء جنسك فينتج المقصود ويصفو الورد والمورود كما قيل

فان القلوب مرائى الصفات * كما السيف مرآة وجه الذوات

قال الدب انا ألقى الزمام فى هذا المقام لنيل هذا المرام الى يد تدبيرك واكتفى فى رعى رياضه برائد رأيك وتقديرك فان فكرك نجيب وسهم رأيك مصيب فافعل ما تختار واذقنا من رائق رأيك المشتار فقال تقسم أولا باللطيف الخبير انك اصفيت الضمير من الغش والتكدير وكرعت من وارد الصفاء الزلال النمير ونفضت يد المحبة والاخاء من علاقات البغضاء والشحناء حتى يجيب دعي ولا يخيب سعيي وأبذل مجهودى فى نيل مقصودى وأبنى

قالت الانثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فانى أخشى من وكيل البحر اذا مد الماء ان يذهب بفراخنا فقال لها افرخى مكانك فانه موافق لنا والماء والزهر منا قريب قالت له يا غافل ليحسن نظرك فانى أخاف وكيل البحر ان يذهب بفراخنا فقال لها أفرخى مكانك فانه لا يفعل ذلك فقالت له ما أشد تعنتك اما تذكر وعيده وتهدده اياك ألا تعرف نفسك وقدرك فأبى ان يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك (قالت) الانثى زعموا ان غديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان وكان فى الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة فاتفق ان غيض ذلك الماء فجاء البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فاننا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه فقالت انما يبين نقصان الماء على مثلى التى كأنى السفينة لا أقدر على العيش الا بالماء فاما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بى معكما قالتا لها نعم قالت كيف السبيل الى حملى قالتا نأخذ بطرفى عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك فى الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقى ثم أخذتاها فطارتا بها فى الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت * قال

على ساس وأملاك مع الناس مسلك الناس فبادر باليمين الى اليمين واشهد عليه الكرام الكاتبين انه صقل مرآة محبته عن صدا المداهنه وجلا طريق مودته من غبار المباينه وانه يكتفي من غدير الغدر بما جرى ويطوي حديث الشحناء فلا يسمع الواشي بذلك ولا يدري فليبذل مبارك الميلاد جهده في السعي في اصلاح الفساد وعقدا على ذلك العهد وتوجه مبارك الميلاد من بعد وقصد منزل أخي نهشل فرآه في نار همومه في مشعل وقد غرق في بحر الافكار هائما لا يقر له قرار فسلم عليه وتقدم بالسؤال عن حاله اليه وآنسه بالمحادثه وذكر له الدهر وحوادثه وتذاكرا ما وقع من الدب وكيف أظهر نواقض الحب وبارز بالعداوه وأبرز بأدنى حركة موجبات القساوه ثم أخذ أخو نهشل في العتاب وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب فاعترف عن صاحبه بان الظلم في جانبه وانه كان حصل له من الوهم الكاذب ما أورثه الوقيعة في جانب الصاحب وانه ندم على ذلك واعترف بأن فعله حالك ولم يسعه الا الاعتذار وجبر ما وقع لابي نوفل من الانكسار بالسعي في مساعدته والقيام معه في جماعته والتوجه الى حضرة المخدوم والتلافي بمرهم التصافي ما سبق من جراحات الكلام والكلوم ثم اذا حصل من الخواطر الشريفة الاغضا وأثمر في رياض العفو لجاني الخدم فواكه الرضا يستأنف سوق المحبة عقود المبايعه ويروج تاجر الصداقة على مشتري الحشمة في مظان رغباتها بضائعه الى أن يتزايد الوداد ويتأكد بين الجميع عالم الاتحاد فانهض يا رئيس الاصحاب وأنيس الاحباب

فالعمر أقصر مدة * من أن يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا واتيا أبا نوفل سريعا فوجداه في أحرج مكان وأوهج زمان محفوفا بالاحزان مكنوفا بالاشجان وما حال من جفاه أحبابه واقصاه مولاه وصاروه وجان غريمه السلطان فلما سلما عليه وجلسا اليه واعتذر مبارك الميلاد بعد اظهار تباشير الوداد أن موجب تقصيره في السؤال عنه وتأخيره ان قلبه الوامق وطرفه الوادق لم يطاوعا على رؤيته في تلك الحال ولا سمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال ثم تفاوضا في أسباب الصلح وقصدا أبواب النجح فتجاذبوا اطراف الطرائف وتفكهوا على موائد التحف واللطائف وما زالوا يفسحون خلع الوفاق ويمزقون شقق الشقاق الى أن انعقدت اهداب المحبة والوداد وانحلت عقود الحقود والكياد وتحقق كل أحد من كبير وصغير ومأمور وأمير وجليل وحقير بحصول خالص المودة بين النديم والوزير

ولما أن تراءى الفجر يحكي * جبين الحب أو رأي اللبيب

توجه الوزير ومبارك الميلاد وأخو نهشل ورؤس الاجناد مع سائر الامراء والوزراء والاعيان والكبراء حتى انتهوا الى السدة العليه والحضرة الملكية السلطانيه فقبلوا أرض الطاعه ووقفوا في مواقف الشفاعه ونشروا من الدعاء والثناء ما يليق بجناب الملوك والعظماء وذكروا النديم أبا نوفل بما يستعطف به الخاطر المفضل حتى عطفت عليه مراحمه وانمحت من جريدة الانتقام جرائمه وسمح باحضاره لديه ليسبل ذيل الكرم والعفو عليه ثم يشمله ثوب الرضا وخلع العفو عما مضى فأسرع نحوه البشير بما اتفق من الجماعة مع الوزير ثم وصل القاصد وهو له مراصد فتوجه منشرح البال منبسط الآمال حتى دخل على حضرة ذي الدولة والاقبال وقبل الجداله ووقف في موقف الجلاله لا يرفع طرفا ولا ينطق حرفا فرسم بالتشريف والخلع ليرفع عنه التخويف والهلع فتضاعفت الادعية الصالحه والاثنية

الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد الماء ذهب بفراخهما فقالت الانثى قد عرفت في بدء الامر ان هذا كائن قال الذكر سوف انتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن اخواتي وثقاتي فأعنني قلن ماذا تريد ان نفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكو اليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن انكن طير مثلنا فاعننا فقلن له جماعة الطير ان العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها ان تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تصير معهن الى محاربة وكيل البحر فاجابتهن الى ذلك فلما علم وكيل البحر ان العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه * وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الاسد لا أراه لك رأيا قال شتربه فما أنا بمقاتل الاسد ولا ناصب له العداوة سرا ولا علانيه ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه فكره دمنه قوله وعلم ان الاسد ان لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن فقال دمنه لشتربه اذهب الى الاسد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك قال شتربه وكيف أعرف ذلك (قال دمنه) سترى الاسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا

الفائحه بغاديه من ذكره قد تمسكت * بطيب ثناياحيى الزمان روائحه
واقيمت حرمته واستمرت عليه وظيفته ثم ان الملك انتقل من المجلس الخاص الى مجلس خاص واجتمع بالخواص وعمم الخطاب لكل ناص ومحدث وقاص فقال ليعلم الوزير والنائب والامير والحاجب والصديق والصاحب والجندى والكاتب والمباشر والحاسب والراجل والراكب والآتى والذاهب وليبلغ الشاهد الغائب ان مقتضى الرياسه فى الشرع والسياسه على ماقدره حكماء الملوك وسلكوا به بادالله تعالى احسن السلوك ان كل واحد من الغنى والصعلوك لاسيما من له من الامر شئ اونوع مباشرة على ممت اوحى له مقام معين لايزايله ومكان مبين لايقايله قال الحى القيوم ذو الملك الديموم حكاية عن متصرف فى ملك الديوم ومامنا الاله مقام معلوم وعلى هذا جرت سنته وورد كلامه وعلت كلمته وبه أمر الشرع والانسان مدنى بالطبع فالواجب على كل من اقامه الله فى خدمة ملك ولاه اوسلطان علاه ان يلازم مقامه ويلاحظ فى صف جماعته امامه ويراقب مايصدر عنه فقد قيل اياك ومايعتذر منه فاذا رام ان يتكلم بكلام بحضرة الامام او بحضور احد من الخواص والعوام يسبر كلامه اولا بمسبار التفكر ويعيره بمعيار التأمل والتبصر ثم يسبكه فى بوتقة الفصاحه ويسكبه فى قالب الملاحه ويصوغه بآلات حسن الانسجام ويرصعه بجواهر مقتضى المقام فاذا صيغ على هذه الصياغه وقعدت على صورة سبيكة نقوش البلاغه واخرج له غواص الفكر من بحر المعانى والبيان فرائد افكار لم تظفر بها اصداف الآذان وخرائد ابكار لم تفترعها فحول الاذهان ازدانت بها من حور جنان الجنان ومقصورات خيام الدهور والازمان آنسات لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان فاختلب بهباته القلوب والارواح واستلب بروائه الاموال والاشباح واستمال الخواطر وسحب الايادى المواطر وصار الدهر من بعض رواته واشنف مايرويه عنه معلقة بآذان نباته وان وقع والعياذ بالله منه مايورث الندم والحزن واخرج سهم الكلام من قوس العجلة لا كتال ولا اتزن حصل فى سوقى ظاهره وباطنه الغبن والغبن واصابه ما اصاب نديم فغفور الختن فنهض الجماعة وللارض قبلوا وعن كيفية هذا الخبر سألوا (فقال) الملك ذكر المخبرون واخبر المذكرون انه فى قديم الزمن كان عند فغفور الختن ندمان كامل المعانى فى البيان ذو نعمة جزيله وصورة جميله وفضائل فضيله مبرز فى العلم كامل المودة والحلم محبوب الصوره مشكور السيره طاهر السريره ثقيل الراس خفيف الروح والحواس قد جال وجاب وبلا الاعداء والاصحاب وترشح لمنادمة الملوك والامراء ومجالسة السلاطين والوزراء وهو خصيص بملك الختن والصين مقبول عند الملوك والسلاطين اتفق له فى بعض الليالى انه كان عند جناب مالكه العالى وعنده جماعة من العلماء وطائفة من الاخصاء والندماء وهم يتعاطون كؤس اللطائف ويتواطون على مافى الدنيا من طرف وطرائف ويتذكرون عجائب الاقطار ويشنفون المسامع بخصائص الامصار فقال النديم رأيت فى بعض الاقاليم من الاراضى الحاميه والبلاد القاصيه حيوانا كبيرا سريع السير مترددا شكله بين شكلى الجمل والطير يضرب به فى البديه المثل فيتعاطى التعالل فى الكسل ان قيل له احمل يقول انا طير وان قيل له طر يقول انا جمل وذكر ان اسمه النعام وسائر اوصافه واعضائه على التمام فتعجب الحاضرون من هذه الصفات والاشكال البديعه والهيات ثم قال واعجب من هذه الصفات ان هذه الدابة تأكل الجمرات وتلتقط الحصيات وتختطف الحديدة المحماة من

صدره اليك ماداً بصره نحوك قد
صر اذنيه وفغرفاه واستوى للوثبة
قال شتربه ان رأيت هذه العلامات
من الاسد عرفت صدقك فى قولك
ثم ان دمنه لما فرغ من تحميل
الاسد على الثور والثور على الاسد
توجه الى كليله فلما التقيا (قال كليله)
الام انتهى عملك الذى كنت فيه
(قال دمنه) قريبا من الفراغ على
ما أحب وتحب ثم ان كليله ودمنه
انطلقا جميعا ليحضرا قتال الاسد
والثور وينظرا مايجرى بينهما
ويعاينا مايؤول اليه أمرهما وجاء
شتربه فدخل على الاسد فرآه مقعيا
كما وصفه له دمنه فقال ما صاحب
السلطان الا كصاحب الحية التى
فى مبيته ومقيله فلا يدرى متى تهيج
به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى
الدلالات التى ذكرها له دمنه فلم
يشك انه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما
الحرب واشتد قتال الثور والاسد
وطال وسالت بينهما الدماء فلما رأى
كليله ان الاسد قد بلغ منه ما بلغ قال
لدمنه انما السلطان باصحابه والبحر
بامواجه وماعظتى وتأديبى اياك
الا كما قال الرجل للطائر لا تلتمس
تقويم من لا يستقيم ولا تعالج تأديب
من لا يتأدب (قال دمنه) وكيف
كان ذلك (قال كليله) زعموا ان
جماعة من القردة كانوا سكانا فى
جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات
رياح وأمطار نارا فلم يجدوا فرأوا
يراعة تطير كأنها شرارة من نار فظنوها
نارا وجمعوا حطبا كثيرا فالقوه
عليها وجعلوا ينفخون طمعا ان يوقدوا
نارا يصطلون بها من البرد وكان
قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون

النار تزدردها ولا يتألم لذلك فيها ولا جسدها وتذيب كل ذلك معدتها ولا يتأثر به لسانها ولا يحرقونها فانكر بعض الحاضرين هذا المقال لكونه لم يشاهد هذه الاحوال ولا رأى ولا سمع خبر طير يأكل النار ويبلع الاحجار ونسبوه الى المخارقة فى الاخبار فتصدى لاثبات ما يقول بطريق المنقول والمعقول فلم يسعف كلامه القبول على ما ألفته منهم العقول لان الحيوانات بل وسائر الجمادات اذا اتصلت بها النار محت منها الآثار وهذا طير من الاطيار من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار وقالوا المثل المشهور انما هو موضوع على لسان الطيور فمن تردد بين الامور فيقال هذا الفقير كالنعامة لا يحمل ولا يطير ومثل هذا المضرب يا شيخ المشرق والمغرب قولهم طارت به عنقاء مغرب فقال النديم الفاضل الحكيم انا رأيت هذا بالعين فلم يزدهم الا تأكيد المين وقالوا لقد غلطت ولزمت الغلط فوقع من أعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا اكذب وسقط فحصل لذلك النديم من الخجالة والندم أمر عظيم واستمر فى حصر حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر وصار بين الاصحاب يشار اليه بيا كذاب فلم يسع ذلك الاستاذ الا السفر من تلك البلاد والتوجه الى العراق وبغداد وأخذ من طير النعام عده واستعمل عليها رجالا مستعده ونقلها الى الصين فى عدة سنين تارة فى البحر وأخرى فى البر وقاسى أنواعا من البؤس والضر وتكلف جملا من الاموال وتحمل مع المشاق منن الرجال فانتهى به السير الاقدمات غالب تلك الطير فوصل الى حضرة ملك الخطا واشتهر فى المملكة أن النديم الفلانى أتى فاجتمع الناس لينظروا وأمر الملك للخاص والعام فحضروا وأحضروا النعام فى ذلك المحفل العام وطرح لها الحديد المحمى فخطفته والجمر والحصا فالتقفته فتعجب الناس لذلك وسبحوا الله مالك الممالك وعلم الصغار والكبار انه يخلق ما يشاء ويختار فشمله الملك بمزيد الانعام واعتذروا اليه عما مضى من ملام وزادت رفعته ونفذت كلمته اذ قد أثبت مدعاه وحقق بشاهد الحس معنى ما ادعاه ففى بعض الاوقات تذاكروا ما فات وانجر بهم الكلام الى ما مر من حديث النعام فقال النديم أيها الملك الكريم انى تكلفت على هذه الاطيار كذا وكذا ألف دينار وقاسيت من المشقة فى الاسفار وعاينت من شدائد الاخطار ما لا تقاسيه عيدان النار واستمريت فى هذا العذاب الاليم المهين وفى سجن المشاق بضع سنين حتى بلغت تحقيق مرامى وتصديق كلامى ولولا عناية مولانا السلطان لما ساعدنى على مقصودى الزمان ولما زال عنى اسم الكذاب الى يوم الحساب فتبسم السلطان وقال لقد أتيت بمحاسن وما قصرت ولكن كلمة يحتاج فى اثبات تصديقها والخروج عن عهدة تحقيقها الى صرف المال الجزيل وتجشم مشقة السفر العريض الطويل وتحمل منن الرجال وركوب الاخطار والاهوال وازعاج الروح والبدن واضاعة جانب كبير من العمر والزمن لاى معنى يتفوه بها العاقل ولماذا ينطق بها مستمع أو ناقل (وانما أوردت) هذا المقول ليعلم أرباب المعقول من جلساء الملوك والعظماء ورؤساء الامراء والزعماء خصوصا خواص القدماء وعوام الندماء ان شيأ يحتاج فيه الى تعب النفس وقيد ونكال وحبس ثم استعمال منن جماعة وأصحاب يتقدمون الى الشفاعه لا ينبغى للعاقل أن يحوم حوله ولا يعقد أبدا عليه فعله وقوله فتقدم مبارك الميلاد وبذل فى أداء وظائف الدعاء الاجتهاد وقال انما كان عاقبة هذا الامر واطفاء نائرة هذا الجمر واداؤه الى انتظام عقود السعد واشتماله على جمع الخواطر من بعد ما بما من الخواطر الشريفه وشرف ملاحظته المنيفه

اليه وينظر اليهم وقد رأى ملعبنوا فجعل يناديهم ويقول لا تتعبوا فان الذى رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم فان الحجر المانع الذى لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذى لا ينحنى لا يعمل منه القوس فلا تتعب فأبى الطائران طيعه وتقدم الى القردة ليعرفهم ان اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب به الارض فمات * فهذا مثلى معك فى ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهذا مثل * قال دمنه وما ذلك المثل (قال كليله) زعموا ان خبا ومغفلا اشتركا فى تجارة وسافرا فبينما هما فى الطريق اذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه الف دينار فأخذه فأحس به الخب فرجعا الى بلدهما حتى اذا دنيا من المدينه قعدا لاقتسام المال فقال المغفل خذ نصفها وأعطنى نصفها وكان الخب قد قرر فى نفسه ان يذهب بالالف جميعها فقال له لا نقتسم فان الشركة والمفاوضة اقرب الى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز فاذا احتجنا جئنا انا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعنا احد فأخذا منها يسيرا ودفنا الباقى فى اصل دوحه ودخلا البلد ثم ان الخب خالف المغفل الى الدنانير فأخذها وسوى الارض كما كانت وجاء المغفل بعد

وتوجه مساعدتها لخدمها وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها واقبال طالعها السعيد ولولا ذلك لما انتظم لنا شمل أيها العبيد فالمنة فى هذا كله للصدقات الشريفة والجميلة لعواطف منها المنيفه ونظير هذا الشأن ماجرى للدارج على الملك انوشروان فسأل الملك المطاع عن هذا المضاع (فقال) ذكر أهل التاريخ ياعالى الشماريخ ان كسرى أنوشروان جاهره احد الملوك بالعصيان وانتدب لمحاربته طائفة من الاعوان فتوجه كسرى اليه ووثب وثوب الاسد الضارى عليه ورأى التوانى فى أمره والتأخير من جملة الاخلال والتقصير فقابله قاتلا وقاتله قائلا

اذا استحقرت أدنى من تعادى * بمالك من يد ومدى وطاقه
فما استحقرت ان اهملت الا * أمورك وهو ذاعين الحماقة

فلما تواقفا واصطدما وتثاقفا انكسر ذو الطغيان وانتصر انوشروان وقبض على العدو وحصل الامان والهدو وقص طائره وتفرقت عساكره وحمل وقد سيم خسفا وكسرا الى الملك العادل كسرى فتقدم بالاحسان اليه وجعل العفو شكر القدرة عليه وبالغ معه فى اللطف والاحسان وانزله عنده فى بستان ترتع النزاهة فى ميادين رياضه وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه وأفاض عليه من خلع الانعام وادرارات الفضل والاكرام ما أزال دهشته وأحال وحشته وأبدى استعباده وأبعد استبعاده فلما حصل انسه وهدأت نفسه أخذ فى تجهيزه وابلاغه الى مأمنه وتجهيزه فأبى الا الاقامه والتلبث بدار الكرامه وسأل الصدقات وما لها من عميم الشفقات مجاورة محلها والاقامة تحت ظلها واغتنام مشاهدتها والتشرف بما من طلعتها مدة أيام فانها محسوبة من العمر العزيز باعوام فأجابت مسؤله واستنجزت مأموله وكان فى ذلك البستان نخلة كنخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاورتها يد القدم فلم تصلح الا للضرم فأرسل يسأل الصدقات الجزلة أن تهبه تلك النخلة فاستنزل كسرى عقله وأجاب قصده وسؤله ووهبه تلك النخله فكان كل يوم يتوجه اليها ويسند ظهره ويعتمد عليها وهو فى أرغد حال وأين مآل فبعد عدة شهور طلب الى التوجه الدستور فاستدعاه وأكرم مثواه وأجاب قصده ومتمناه وأسبغ عليه نعمه وفضله وسأله عن موجب سؤاله النخله وسبب طلبه الاقامه ثم سؤاله التوجه بالسلامه فقال أما سبب الاقامة بهذا البلد فلجوار مولانا الملك الامجد والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد فان طالعه قوى سعيد ومجاورته للسعادة تفيد ويحصل منها لمجاورها المزيد فأردت أن يكون لى منها نصيب ولا حظى منها سهم مصيب

فان تلمم بقفر عاد روضا * وان تمرر بملح صار شهدا
وان يخطر ببالك نحس نجم * يعد فى الحال من رياك سعدا

فصرت مشمولا بما من ظلها مغمورا بفائض وابلها وطلها وأما طلبى النخلة اليابسة فانى تفاءلت بها من حظى مساعدة ومناحسه فكنت أتردد اليها واعول فى ذلك عليها فما دامت فى قحول كان جدى وسعدى فى نحول الى أن رأيتها قد خضرت وأطلعت واستبكرت فاقبل سعدى وحيا وعاد بعد أن مات حيا وساقطت نخلة سعدى من ثمرات السعادة رطبا جنيا فعلمت أن طالعى الهابط عاد الى الاوج ورسول حظى دخل فى دينه ناس الاياس فوجا بعد فوج وأرمل جدى ازدوج بكر الآمال وكان لها أحسن زوج كل ذلك أى أعظم مالك بسعد فالك وجوار دار جلالك ومشاهدة أنوار جمالك واستماع كلامك وانتجاع كمالك فمن بعد اسعاد السعد كل سهم أمل فوقته ونحو شاكلة قصد أطلقته أصبت الغرض

وحرت

ذلك بأشهر فقال للخب قد احتجت الى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه وذهبا الى المكان فحفرا فلم يجدا شيأ فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول لا تغتر بصحبة صاحب خالفنى الى الدنانير فأخذها فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب الا شدة فى اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها احد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضى فاقتص القاضى قصتهما فادعى الخب أن المغفل اخذها وجحد المغفل فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التى كانت الدنانير عندها تشهد لى ان المغفل أخذها وكان الخب قد امر اباه ان يذهب فيتوارى فى الشجرة بحيث اذا سئلت أجاب فذهب أبو الخب فدخل جوف الشجرة ثم ان القاضى لما سمع ذلك من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم المغفل اخذها فلما سمع القاضى ذلك اشتد تعجبه فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فاضرمت حولها النيران فاستغاث ابو الخب عند ذلك فأخرج وقد اشرف على الهلاك فسأله القاضى عن القصة فأخبره بالخبر فأوقع بالخب ضربا وبأبيه صفعا وأركبه مشهورا وغرم الخب الدنانير فأخذها وأعطاها المغفل وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الخب والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون وانك يا دمنة جامع للخب والخديعة والفجور وانى اخشى

وحزت جوهره بلا عرض فاذا أسعف السعد النفس لا يعوقها معه نحس (وانما أوردت) هذا القول باذا الكرامة والطول ليعلم الحضار والسادة النظار أن استقامتنا واقبال سعدنا وانتظام أمورنا وجدنا انما هو بالتفات الخواطر الشريفة وشمول أحوالنا بلاحظتها المنيفة واستدامة بركاتها وميامن حركاتها كما قيل في ذا القبيل

تلقى الامان على حياض محمد * ثولاء مخرفة وذئب أطلس
لاذى تخاف ولا لهذا جراة * تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما أن الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعي فانها كالراعية لا ينتظم لها أمر الا بالراعي كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لها * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك باذا الدرجات العليه لا يصير ملكا الا بالرعيه ولو لم يكن العاشق مشوقا لم يكن المعشوق معشوقا ولو لم يوجد الرامق بالامل مسوقا لم يصر الملك المأمول مرموقا وقد عنى هذا المعنى من في رياض المعاني أعنى

واحقر صب فيك يهدى سناؤه * كأعظمهم اذ من هواك تعظما
فلا تحتقره ان تملكت قلبه * فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخما
ففي موقف العشاق منك وظيفة * لكل فلا يبغى لها متقدما
وكل له وجد يليق بحاله * وكل له حال يوافيك مغرما
ألم تر أن الله أوجد حكمة * ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما
وكل له نفع وضر مخصص * فسبحان من قد خص طورا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته واسبال ذيل رحمته خلق الكبير الاعلى محتاجا لخدمة الصغير الادنى وجعل الحقير الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى ولهذا أعظم الخلق من خلق الخلق وأحوج الخلق الى الخلق وهو غنى عن الخلق وقيل أيها الملك السنى الانسان بطبعه مدني وبمقدار كثرة الرعيه واشتراكهم في الصفات المرضيه وانقيادهم لاوامر ملكهم السنيه تصير درجة الملك عليه كما كان في زمن نبى الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه وتحيته واكرامه ولقد جرى في عصره بين الطيور مفاوضة بين اللقلق والعصفور فسأل ملك الاسد عن تلك المفاوضة مبارك الميلاد (فقال) بلغني ياسلطان الاسود ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام كان في سيرانه مع خواص أركانه فربذلك الطاب على شجرة دلب للقلق فيها عش قد بناه كاحسن حش وقد استوكر في عشه عصفور واحتمى بجواره من مؤذيات أبي مذعور فكانا يتخاصمان ويتقاولان ويتواصمان ويتصاولان فوقف النبي الكريم واستوقف الجند العظيم ليسمع ما يقولان وينظر كيف يجولان فسمع اللقلق يقول وهو يجول ويصول ويخاطب العصفور بجمع من الطيور اشكر لي حسن الصنيع حيث أنزلتك في حصني المنيع لا حيه ترقى اليك ولا جارح ينقض عليك ولولا انك عندي مناخا ما أبقت لك الحيه ذاتا ولا فراخا وانما سلمتم بجواري وبقربكم من داري فوثب أبو محرز وتوسط الجمع وهو يجمز ونادى بين الاطيار أنسيت أباخديج أي جار وأمان المدار حول هذه الديار آناء الليل وأطراف النهار ألقط النمل الكبار والصغار ولولا أنا حارس مناخك ما أبقى لك النمل أثرا ولا افراخك فكل منا محتاج الى جاره مغتبط بجواره آمن به في سربه ومطاره فارفع من بيننا هذا النكد ولا يمن منا أحد على أحد فالحقوق ما تضيع بين الجيران كما تراعى بين الاصحاب والاخوان وكما تدين تدان ومع هذا فكلنا نصلي على نبى الله سليمان

عليك ثمرة عملك مع انك لست بناج من العقوبة لانك ذولونين واسانين وانما عذوبة ماء الانهار ما لم تبلغ الى البحار وصلاح اهل البيت ما لم يكن فيهم المفسد وأنه لا شئ اشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم فانه قد يجرى من لسانك كسمها واني لم ازل لذلك السم من لسانك خائفا ولما يحل بك متوقعا والمفسد بين الاخوان والاصحاب كالحية يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لا يكون له منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم اصحبه وان كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء اخلاقه وانتفع بعقله والكريم غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته وان كنت لا تحمد عقله وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك والفرار كل الفرار من اللئيم الاحمق واني بالفرار منك لجدير وكيف يرجو اخوانك عندك كرما وودا وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرفك ما صنعت وان مثلك مثل التاجر الذي قال ان أرضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بمستنكر لبزاتها ان تختطف الفيلة (قال دمنه) وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا انه كان بأرض كذا تاجر فأراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرزق وكان عنده مائة من حديد فأودعها رجلا من اخوانه وذهب في وجهه ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له انه

ملك الانس والجان وسلطان الطيور وسائر الحيوان فانه بحسن عدله اعتدل الزمان وبيمن فضله صلح الكائن والمكان ونحن ايضا كذلك نشكر الله رب الممالك اذ من علينا بهذا السلطان المالك ملك الوحوش الاكابر وكاسر السباع الكواسر المشفق على الضعفاء والاصاغر فلم يخل من فضله سبع ولا طائر ثم نهضوا فوقفوا ودعوا الملك وانصرفوا هذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿الباب السادس فى نوادر التيس المشرقى والكلب الاقرقى﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء معارفه غير آسن ومن لم يرد أرض الفضل من فضائله رواس وفى مشحون بحر العلم من فواضله مواس فابتهج الملك لهذا الكلام وارتاح لما تضمنه من الحكم والاحكام واستزاد أخاه من عقود هذا النظام فقبل الارض فى مقام الخدام وقال بلغنى ياملك الانام ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام وحيلة من المعز الجسام وفى ماشيته تيس مطاع كلها له أتباع وهو قديمها وقائدها وزعيمها وأبو نتاجها وحمو نعاجها وأصله من الشرق لم يكن بينه وبين ابليس فى الشيطنة فرق اسمه الذميم التيس الزنيم وكان بواسطة الفحولة والكبر والتقدم فى الحضر والسفر يستطيل ويصول وينطح الكباش والوعول ويكسر أصحاب القرون من الفحول فيخرج ضعيفها ويطرح نحيفها ويضرب بخالصها الفيفها الى ان أباد أعيانها وأعجز رعيانها وطال منه العقوق فذهب به الراعى الى السوق ليبيعه ويستريح ويخلص الماشية من شره ويريح فبينما هو يطوف اذا برجل مهول مخوف طويل القامه كبير الهامه كانه زبنى القيامه شثن اليدين ازرق العينين أسود الخفين بثوب وسخ وطرطور سنخ وسطه محزوم بسير مبزوم فصادف الراعى وهو فى السوق ساعى فديده الى التيس قال بكم هذا يا أبا الكيس فوقع بينهما الاتفاق ووقع الزنيم فى شبكة الرباق فتأمل شكل القصاب وصورته القاضية بالعجاب فرأى رجلا كانه من الشياطين معلقا فى وسطه عدة سكاكين فدخله الرعب ورجف من الرهب وأدرك بالفراسه انه سيملكه ويحذف راسه وقال ظنى والظن يخطئ ويصيب انى وقعت مع هذا فى يوم عصيب وانه قاصد هلاكى ومقيم على البواكى فالاولى الاحتراز والتأهب قبل زمان الجزاز فان حصل خير فما فى الاحتراز ضير وان وقع على الاهلاك العزم فأتلقى سيفه بما أعددته من ترس الحزم فوزن الجزار الثمن وشحط الزنيم بالرسن وأتى به مطابخ فقطعها الى مسالخ فشم رائحة الزهومه وأحس من الجزار نكده وشومه فلما دخل المسلخ ورأى القصابين هذا يذبح وهذا يسلخ واللحم شققات على الجدران معلقات وأنهر الدماء كدموع العشاق جاريه ورؤس الغنم وجلودها وأكارعها كل كاشية هذه الكاشية فى ناحية وهذا الكاشية فى زاوية فرجف قلبه وازداد رعبه والتجأ الى الله تعالى وتاب اليه عما عليه من الذنوب مالا فاواطأ القصاب المصارع ان شد من المشرقى الاكارع وجدله على الجدالة وأخرج لذبحه الآلة فلما رأى هذه الحالة تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله وأيقن انه هالك لامحالة فنظر الى القصاب وذكر ماقيل فى حق الساب

نظروا اليك بأعين محمرة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كليله ليس للذبح بها حيله فطلب المسن ليحدها ويريح ذبيحته ان حدها

فتركه

قد أكلته الجرذان فقال قد سمعت أنه لاشئ اقطع من انيابها للحديد ففرح الرجل بتصديقه على ماقال وادعى ثم ان التاجر خرج فلقى ابنا للرجل فأخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم بابنى فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم الرجل على رأسه وقال ياقوم هل سمعتم أو رأيتم ان البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان ارضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بعجب ان تختطف بزاتها الفيلة قال له الرجل انا اكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد على ابنى * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انك اذا غدرت بصاحبك فأنت لاشك بمن سواه أغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للمودة موضع فلا شئ اضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع عند من لا شكر له وادب يحمل الى من لايتأدب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامى عليك فانتهى كليله من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر فى قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعنى شتربه بنفسه وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدرى لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك فى وجهه وبصر به

فتركه وذهب لمسن وقد تحقق الزنيم ما كان ظن فتنفس له البلاء وارتخى عنه عقد القضاء فتمطى فى رباط الا كارع فزقه بحبل قالمع ثم وثب وقصد الهرب وخرج من الباب وصاحوا عليه هراب فلم يلتفت الى الصوت وفر فرار من عاين الموت وطلب الخلاء وطريق الفضاء فادى به الذهاب الى بستان بجوار بيت القصاب فدخل البستان وامتد فى الجريان والقصاب وراءه بهيئته المهوله والسكين فى يده مسلوله وكان قبل هذا الزمان بين زوجة القصاب وصاحب البستان ما يكون بين الحرفاء والاخدان وكانت كلما وجدت فرصه جعلت للبستان من نفسها حصه تنزل من بيتها الى بيته وتغمس سراجها من فتيلة قنديله وزيته فاتفق ان فى تلك الحال طلب كل من المحبين الوصال وكان زمان اشتغال اللعام بالمعاملة مع الخاص والعام فلاشتغال وهله لايتردد فيه الى أهله فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب ونزلت من بيتها الى بيت الحبيب فكان المحبان آمنين وقد تعانقا تحت دوحة ياسمين فاتفق ان الهارب من الموت وداوهيه أخذ على مكان هما فيه والقصاب يتبعه رافعا يده والسكين فى يده مجرده فلم تشعر الاوزجها رائع الصوت واقف على رأسهما وبيده آلة الموت وماشعر بدواهيهما حتى عثر عليهما فقفز كلاهما من مكانهما مفتضحين فى مكانهما فاشتغل القصاب بنفسه والتهى بنجحه عن تيسه وكان الناس تابعيه فوقفوا على ماوقع فيه وقامت الغوغاء وقعدت للعارن البلاء فتفرس النجاة من الردى فلم يزل فى ميدان الجرى ذاهلا عما جرى حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا فانقطع عن ذلك الجنى تابعه ولم يوجد من شياطين الانس رائيه وسامعه فانتهى به التسيار فى تلك الصحارى والقفار الى جبل فاوى فيه الى غار كان يأوى اليه مع المواشى أوان الامطار فأمسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار

فلما رأى الليل العبوس صفيه * تبسم فافترت تباشير فجره

فلما أصبح الصباح خرج الى السراح وهو فى نشاط ومراح وجعل يرتاد أنيسا ليكون له جليسا أو رفيقا صالحا أوصديقا ناصحا يتأنس به فى الغربه ويمسح بانامل مؤانسته ثقل الكربه ومايحصل على جبين راحته من عرق القربه وبينما هو ينشر البيداء ويطوى اذسمع نباح كلب يعوى فترجى الخير وزوال الضير ثم قصد نحوه فرآه مقبلا من فجوه فناداه اهلا ياحب الاحباب وأعز الاصحاب المفضل على كثير ممن لبس الثياب فلما دنامنه بادر الى عناقه وتباكى لاليم فراقه فتعانقا تعانق المحبين وتباثا مابهما من مضض البين ثم قال له اعلم يالطيف الحركات وكثيف البركات ان كلامنا غريب وكل غريب للغريب نسيب وانا قد تفرست فيك ومات كاد فراستى تخطيك انك رفيق صالح وشفيق ناصح واحسن مليح مصالح وفى طريقة اخوان الصفاء قيم وراجح وان كانت الجنسية بيننا مختلفه لكن القلوب بحمدالله تعالى مؤتلفه وكم لك من ايادسابقة وصدقات متناسقه وكم حططنا فى المراعى وبتنا فى الحظائر نائمين وانت لحفظنا ساعى تحرسنا من الغداة الى الرواح ومن المساء الى الصباح فأخبرنى ماشانك وأين مكانك وما اسمك وماصنعتك ورسمك ومجيئك من أين وماحاجتك فى البين قال أما اسمى فيسار وأما مكانى فبلاد التتار وصنعتى راعى وسبب مجيئى ضياعى ولى صاحب اسمه أقرق من دشت قفعاق بن شقرق كنت فى خدمته راعى ماشيته فأضلت رعيتى وضيعت حق حرمتى فأنا أطلب ولى نعمتى لامحو من وصمة الجفاء سمتى فهذا شأنى وجل بغيتى قال الزنيم أنا من حين شاهدت فى وجهك الانوار علمت

دمنه فترك محاورة كليله وتقدم الى الاسد فقال له ايهنك الظفر اذا أهلك الله أعداءك فماذا يحزنك أيها الملك قال انا حزين على عقل شتربه ورأيه وادبه قال له دمنه لاترحمه ايها الملك فان العاقل لايرحم من يخافه وان الرجل الحازم ربما يبغض الرجل ويكرهه ثم قربه وادناه لما يعلم عنده من الغنى والكفايه فعل الرجل المتكاره على الدواء الشفيع رجاء منفعته وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه واهلكه مخافة ضرره كالذى تلدغه الحية فى اصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة ان يسرى سمها الى بدنه فرضى الاسد بقول دمنه ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتله انقضى باب الاسد والثور

{باب الفحص عن أمر دمنه}

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتنى عن الواشى الماهر بالمحال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثنى حينئذ عما كان من حال دمنه وما آل أمره اليه بعد قتل شتربه وما كان من معاذيره عند الاسد وأصحابه حين راجع الاسد رأيه فى الثور وتحقق النميمة من دمنه وما كانت حجته التى احتج بها قال الفيلسوف انا وجدت فى حديث دمنه أن الاسد حين قتل شتربه ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وانه كان اكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وادناهم اليه وكان يواصل به المشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد

انك يسار وانك معدن الذكاء والالقاب تنزل من السماء وأما طلبك لصاحبك ورعيتك
فانه دال على كمال مروأتك ولا ينكر لك الرفاء فان بينك وبينه الوفاء مقام الصدق والصفاء
ولم يقع بينكما قط بعد ولا جفاء وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات التى قلما تجتمع فى زكى
الذوات ولا تصفو الا للاولياء والبررة المبرزين الاصفياء من المسكنة والقناعة والجراءة
والشجاعة وحفظ العهود والوفاء وكسر النفس والصفاء وعدم الحقد والحسد واطراح
العجب والنكد والحراسة والسهر وقيام الليل الى السحر والتودد الى الناس حتى قال
فيك ابن عباس كلب امين خير من صديق خؤن وعندك من التهذيب وقبول التعلم
والتأديب ما يصير صيدك مذكى وسنك كالشفرة مزكى وفى شأنك ياذا الوفاء والمنفعة
قال الحرث بن صعصعه وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عرسى والخليل يخون
فيا عجبا للخل يهتك حرمتى * ويا عجبا للكلب كيف يصون
ومن هذا الضرب ما رواه أحمد بن حرب عن ذى العتاب منادم الكلاب ان الكلب
يكف عنى أذاه ويكفينى أذى سواه ويشكر قليلى ويحفظ مبيتى ومقيلى فهو من بين
الحيوان خليلى ثم قال أحمد بن حرب تمنيت والله ان أكون مثل هذا الكلب لاحوز
هذه الصفات وأرقى هذه الدرجات وأرجو الله تعالى ان يعطف على ويقلب قلبك
ووجهك الى بحيث ترغب فى محبتى وتميل الى صداقتى فترى اذ ذاك منى بحمد الله تعالى
من الاخوة والصداقه والمروءة والرفاقه ما تنسى به كل صديق وتفضل به الصاحب
الجديد على العتيق فتترك سائر اصحابك وتلتهى بى عن أعز اوليائك وأحبابك خصوصا
بنى آدم الذين أنت بهم أعلم من أذهبت عمرك فى خدمتهم والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم
وحراسة مواشيهم ودورهم وكمال فضلك فى حياطة بيوتهم وقصورهم ورعاية رعيانهم
وصيانة أهلهم وجيرانهم مع قناعتك منهم بما يفضل عنهم من كسرة خبز شعير أو عظم يابس
كسير أو فضلة مرقة قدير واضاعتهم حقوق خدمتك ونسيانهم موجبات شفقتك حتى
لو وصل فمك الى زادهم أو الى شئ من عتيد عتادهم رموك بالحطب ورضوا رأسك بالحجارة
والخشب ولو ولغت فى انائهم أو شربت من مائهم ما قنعوا فى تنظيفه وتطهيره وتنشيفه
بمرة ولا مرتين ولا اكتفوا فى ازالة لعابك بالعين بل دونوا الغسل بالحساب وعفروا الوعاء
بالتراب ويعدون ذلك من التعبد ولا يرعون مالك من تحبب وتودد وأنا أرجو ان ترتفع
منزلتك وتعلو درجتك ويساعدك رب العرش حتى تصير سلطان السباع وملك
الوحش واجتهد فى هذه القضيه الى ان أبلغ هذه الامنيه وأكون السبب فى ذلك الى ان
تصير رئيس الممالك فان لك على حقا قديما وفضلا جسيما طالما غنا آمنين فى ظل حراستك
ورعينا مسرورين مكنوفين بحياطتك واجلنا منك فى الخاطر ما قال الشاعر
بقاؤك فينا نعمة الله عندنا * فنحن بأوفى شكرها نستديمها
قال يسار يا أخى جميع ما قررته صحيح مقبول داخل فى الفضل خارج عن الفضول ولكن أنا
من جنس السباع مجبول على ما لهم من الطباع ومع هذا فانا عدوهم وبسببى يزول هدوهم
وأنا لم أعادهم الا فيكم ولا لى واد الا فى ناديكم فان تربيتى بينكم وعينى مقارنة عينكم
وأنا اليكم أقرب منى اليهم ومعولى عليكم دون معولى عليهم وعلى هذا وجدت آبائى وأجدادى
ونشأت من حين ميلادى والخروج عن طريقة الآباء دليل على العقوق والاباء وهو أمر
مذموم وهذا شئ معلوم وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث والبغض يتوارث ولكن

الثور النمر فاتفق انه أمسى النمر
ذات ليلة عند الاسد فخرج من
عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز
على منزل كليله ودمنه فلما انتهى
الى الباب سمع كليله يعاتب دمنه
على ما كان منه ويلومه على النميمة
واستعمالها خصوصا مع الكذب
والبهتان فى حق الخاصة وعرف
النمر عصيان دمنه وترك القبول له
فوقف يستمع ما يجرى بينهما فكان
فيما قال كليله لدمنه لقد ارتكبت
مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا
وجنيت على نفسك جناية موبقة
وعاقبتها وخيمة وسوف يكون
مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد
امرك واطلع عليه وعرف غدرك
ومحالك وبقيت لا ناصر لك فيجتمع
عليك الهوان والقتل مخافة شرك
وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك
بعد اليوم خليلا ولا مفش اليك سرا
لان العلماء قد قالوا تباعد عمن
لا رغبة فيه وأنا جدير بمباعدتك
والتماس الخلاص لى مما وقع فى
نفس الاسد من هذا الامر فلما سمع
النمر هذا من كلامهما ذهب راجعا
فدخل على أم الاسد فأخذ عليها
العهود والمواثيق أنها لا تفشى ما يسر
اليها فعاهدته على ذلك فأخبرها بما سمع
من كلام كليله ودمنه فلما اصبحت
دخلت على الاسد فوجدته كئيبا
حزينا مهموما لما ورد عليه من
قتل شتربه فقالت له ما هذا الهم
الذى قد أخذ منك وغلب عليك
قال يحزننى قتل شتربه اذا تذكرت
صحبته ومواظبته على خدمتى وما
كنت أسمع من نصيحته وأسكن اليه
من مشاورته وأقبل من مناصحته

ياسليم الطباع وخصب الرباع قولك تصير سلطان السباع سخرية منى واستهزاء ولا أستحق منك هذا الجزاء فان معنى هذا القيل أمر مستبعد بل مستحيل ان أباطاهر نجس العين فانى من اين وهذا الهوس من اين فان أردت أعانتى على ذلك وتكفلت لى برياسة الممالك فكلانا فى هذا الهوى سواء وان صممنا على ذلك فما لجنوننا دواء وهذا الوسواس من خيالات الافلاس وفى مثل هذا الحال قال من صدق فى المقال * لاخيل عندك تهديها ولا مال * وأنا أعلم اغاثتكم بما يطيب خاطرى ويسر سرائرى ويقر بك فى الحب من ضمائرى قال المشرقى لاتقل ذلك يا تقى فانا شاهدت فى جبينك مخايل السياده ومن شمائلك تقاطر السعاده وقد قيل يافضيل المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه أما بلغك يا خبير عالم ما رواه الشيخ علاء الدين بن غانم ذو الفضل الكثير عن تاج الدين بن الاثير قال يسار أخبرنى بهذه الاخبار (قال) قال ابن الاثير وهو بالروايه خبير محرز أيدى المعانى عن الامير حسام الدين البركة خانى قال كنت فى عصر الشباب أصحب من صالحى الشباب الملك المظفر قطزا الغضنفر وكان خشداشى وبرؤيته انتعاشى فكنا ونحن صبيان كأننا طيبان غيرانا كان فى قمله فكنت افلى قمله واسرح رأسه واذهب بأسه وتقدمت اليه بالشرط عليه أن يعطينى لكل قملة فلسا اواصفعه صفعة ما سا ففى بعض الاوقات أخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات وقلت فى غضون ذلك ونحن فى حال حالك أتمنى على الله عز وعلا ان يعطينى امرة خمسين رجلا فقال لى طيب خاطرك وسر سرائرك فانى أبلغك سولك وأعطيك مسؤلك واجعلك أمير خمسين فارسا فابشر ولاتكن عابسا فصفعته صفعه وقلت ويلك انت تعطينى امرة ورفعه قال نعم واغمرك بالنعم فصفعته اخرى وازددت نكرا فقال لى عله ونحس المسله ياقليل اليقين أتريد شيأ غير امرة خمسين أنا والله اعطيك واعليك على ذويك فقلت ومن اين لك تعطينى وترضينى فقال املك هذه الديار وأكسر التتار وأحل الكفرة والعلوج دار البوار فقلت له يامفتون أنت مجنون أبقملك وقلك وفقرك وذلك تملك الديار المصريه وتصير سلطان البريه قال نعم ولاتعمل زعم فانى رأيت فى المنام النبى عليه الصلاة والسلام وقال لى انت تملك الديار المصريه وتكسر التتر ولاشك فيما يخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من خبر قال فأمسكت عنه لانى كنت اعرف الصدق منه ثم تنقلت به الاحوال وتنقل الى ان بلغ الكمال وتملك هذه الديار ثم كسر على عين جالوت التتار واعطانى ما وعدنى به وارضانى (وانما اوردت) هذا المثال لتعلم ان سلطنتك غير محال وأنا أرجو الله تعالى أن ييسر لى القيام بجميع ما قلته لك يا امام وأنا أجلسك على السرير واقيم فى خدمتك الكبير والصغير وارفع راية مراسيمك وانفذ أوامرها فى ممالكك وأقاليمك واجعل جنود الوحش تحت رايتك وأقاليم القفار كلها تحت ولايتك ولكن بشرط ان تتبع ما أراه ولاتخرج عن طوره ولاتتعداه وتعمل بكل ما أشير اليه ومهما أرشدتك اليه تعول عليه فقال انا طوع يديك وجميع أمورى منك واليك فقل فانى سامع ولامرك طائع فانهض وعانى هذه الامانى عسى يصير هذا الباطل حقا وينقلب هذا الكذب صدقا وقل ما تقتضيه لاتبعه وارتضيه قال ترجع عما أنت عليه من الاخلاق السبعيه والاوصاف الكلبيه من الحرص والشره والتكالب والتره والنفس المتنمره والطبيعة المذمره وتصوم عن الدماء واللحوم وعن تمزيق الحيوانات وتفريق الجماعات وتحمل النفس على الاخلاق الجميله والتلبس بالاوصاف الفضيله من العفة والكرم والعفو عن ظلم والقناعة بالنبات عن لحوم الحيوانات

قالت ام الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وهذا خطأ عظيم كيف اقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء فى اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار لذكرت لك واخبرتك بما علمت قال الاسد ان أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة وانى لاعلم صواب ما تقولين وان كان عندك رأى فلا تطويه عنى وان كان قد اسر اليك احد سرا فأخبرنى به واطلعينى عليه وعلى جلة الامر فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غيران تخبره باسمه وقالت انى لم اجهل قول العلماء فى تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار فى اذاعة الاسرار ولكنى احببت ان اخبرك بما فيه المصلحة لك وان وصل خطؤه وضرره الى العامة فاصرارهم على خيانة الملك مما لايدفع الشر عنهم وبه تحتج السفهاء ويستحسنون ما يكون من اعمالهم القبيحة واشد مضارهم اقدامهم على ذى الحزم فلما قضت ام الاسد هذا الكلام استدعى اصحابه وجنده فادخلوا عليه فلما وقف دمنه بين يدى الاسد ورأى ما هو عليه من الحزن والكآبة التفت الى بعض الحاضرين فقال ما الذى حدث وما الذى احزن الملك فالتفتت ام الاسد اليه وقالت قد احزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حيا (قال دمنه) ما ترك الاول للآخر شيأ لانه يقال اشد الناس فى توقى الشر يصيبه الشر قبل المستسلم فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء وقد علمت انه

ومعاملة الكبير والصغير بالفضل الكثير والبذل الغزير وتلافى خاطر الحقير والحقير ليسهل
العسير وينقاد لك المأمور منهم والامير وهذا أمر عليك يسير وهذه الانك طالما جرحت
جوانحهم وكسرت جوارحهم واصطدت سارحهم وأبدت بارحهم فهم منك متخوفون
والى الايذاء والضر منك متشوفون واذا رأوا منك شيأ خلاف العاده وعلموا أن ولايتك فيها الحسنى
وزياده وأصابوا الخير من مواقع الضير ورأوا ما هو من مواضع الشر والضر تشرب محبتك
منهم الكبير والصغير وانهالك ان يراك من الوحوش العير والنفير فيتخذك الغريب حبيبا
ويصير البعيد منك قريبا فتصيد بالمحبة أرواحهم كما كنت أولا تبيد أشباحهم واذا ضرب
صيتك فى الارض وتردده بالطول والعرض وتسامعت بك الوفود وتحققوا انك عدلت
عن خلقك المعهود أقبلت اليك منهم الجنود وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود
وانعقدت بينكم بالمحبة والولاء عقود العهود فتوفرت اذذاك جنودك وعلت على رؤس الاقران
راياتك وبنودك وجعلوا ذراك مأواهم وحماك مصيفهم ومشتاهم مع ان هيبتك فى
قلوبهم مركوزه وأسنة مخافتك فى احشائهم من قديم الزمان مغروزه وأعلى من فيهم يهابك
ويخشاك ويتوقى مكانك ويتحاشاك قال يسار اعلم يا خير سار ان حبال الآمال ومطامع
الخيال مالم تتعلق بمأمول ولم ترتبط باطراف سول فالنفس ساكنه والروح مطمئنه
هادئه والقلب فرح والخاطر منشرح اذ الطمع ذل وشين واليأس احدى الراحتين
ومتى تعلقت بذيل المطامع مخالب الآمال وبلغت الى حصول مأمول الخيال وقامت
النفس فى تحصيله وتحركت الجوارح لنيل مأموله وانبعثت الهمة الى ادراكه وتعلق
القلب بسير أفلاكه توزعت الافكار وتفرقت وتمزعت الخواطر وتمزقت وركب لذلك كل
صعب وذلول وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول وتقلدت بحمائل قول القائل

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم اذا لم يحصل المأمول ولم تبلغ والعياذ بالله النفس السول مع بذل هذا الجهد والمبالغة فى
السعى والكد ومقاساة التعب ومعاناة النصب ترادف النكد وتضاعف السهد وصارت
النفس لهذا الصدد وكان فى جيد حياتها من فوات المقصود حبل من مسد فلا تزال بين
تشويش ضمائر وتقسيم خاطر وفكر غائب وهم حاضر وهذا الامر الذى عزمت عليه
وهممت بالترقى الى الوصول اليه الى عدم الحصول أقرب منه الى الوصول وانا أخاف
وذاغير خاف ان يغرنا الطمع فى هذه الحركه فينتزع من فراغ أوقاتنا البركه ولا يحصل
الا على مثل ما حصل للمالك الحزين من السمكه قال الزنيم بيّن أيها العليم ذلك المثل
القويم (قال) بلغنى انه كان فى مكان مكين مأوى لمالك الحزين وفى ذلك المكان غياض
وغدران تضاهى رياض الجنان

حكى بانها قد الحبيب تمايلا * غصن وفى هذا الجنون تفننا
فدار عليه النهر وهو مسلسل * فقيده اذ قد جنى وتجننا

وفى مياهه من السماك ما فوق سابحات السماك فكان ذلك الطير فى دعة وخير يزجى
الاوقات بطيب الاقوات وكلما تحرك بحركه كان فيها بركه حتى لو غاص فى تلك البحار
والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكه فاتفق انه فى بعض الآناء تعسر عليه اسباب الغداء
وارتج لفوت قوته أبواب العشاء فكان يطير بين عالم الملك والملكوت يطلب ما يسد الرمق
من القوت فلم يفتح عليه بشئ من اعلى السماك الى اسفل الحوت وامتد هذا الحال عدة

قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم
كان اذاه من نفسه ولذلك انقطعت
النساك بانفسها عن الخلق
واختارت الوحدة على المخالطة
وحب العمل لله على حب الدنيا
وأهلها ومن يجزى بالخير خيرا
وبالاحسان احسانا الا الله ومن
طلب الجزاء على الخير من الناس كان
حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ يخطئ
الصواب فى خلوص العمل لغير الله
تعالى وطلب الجزاء من الناس وان
أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو
محاسن الاخلاق ومواقع الصواب
وجميل السير وقد قالت العلماء من
صدق ما ينبغى أن يكذب وكذب
ما ينبغى أن يصدق أصابه ما أصاب
المرأة التى بذلت نفسها العبد ها حتى
فضحها بالتلبيس عليها قال الاسد
وكيف كان ذلك (قال دمنه)
زعموا انه كان فى بعض المدن تاجر
وكانت له امرأة ذات حسن وجمال
وكان بجنب التاجر رجل مصور
ماهر وكان هو لامرأة التاجر خليلا
فقالت له يوما ان استطعت ان تحتال
بحيلة اعلم بها بمجيئك من غير نداء
ولا ايماء ولا ما يرتاب به من فعلك
وفعلى قال المصور عندى من الحيلة
ما سألت مما يسرك ويقر عينك ان
عندى ملاءة فيها من تهاويل الصور
وتماثيل الصنعة فأنا ألبسها حين
مجيئى اليك ومتراءاتك فيها ثم ان
المصور لبس الملاءة ولما رأى لامرأة
فعلمت بمكانه فخرجت اليه وفرحت
به وتهيأت له ففجر بها فى تلك
الحالة عبد لامرأة فعجب من ذلك وتحير
وكان هذا العبد لامة المصور خليلا
فطلب الملاءة منها ولبسها كذلك وقال

ايام وليال فخاض يوما فى الرقراق يطلب شيأ من الارزاق فصادف سمكة صغيرة قد عارضت مسيره فاختطفها ومن بين رجليه التقفها ثم بعد اقتلاعها قصد الى ابتلاعها فتداركت زاهق نفسها قبل استقرارها فى رمسها فنادت بعد أن كادت ان تكون بادت ماالبرغوث ودمه والعصفور ودسمه اسمع ياجار الرضا ومن عمرنا فى صونه انقضى لاتعجل فى ابتلاعى ولا تسرع فى ضياعى ففى بقائى فوائد وعوائد عليك عوائد وهو أن أبى قدملك هذا السمك فالكل عبيده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم انى واحد ابوى واريد منك الابقاء على فان أبى نذر النذور حتى حصل له بوجودى السرور فما فى ابتلاعى كبير فائده ولا اسدلك رمقا ولا اشغل لك معده فتصير مع ابى الفضيل كما قيل فأدقرنى فين احب ولا أستغنى فالاولى ان أقرعينك واعرف مابين أبى وبينك فاكون سببا لعقود المصادقه وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقة ويحمل لك الجميلة والمنة التامة والفضيله وأما انا فأعاهدك ان أعتقتنى ومننت على واطلقتنى انا اتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بيياض سمان ودكات تأتيك مرفوعه غير ممنوعة ولا مقطوعه يرسلها اليك أبى مكافأة لما فعلت بى من غير نصب منك ولا وصب ولا كد تحمله ولا تعب فلما سمع البلشون هذا المجون اغراه الطمع فى ابتلاع فسهاولها ثم قال لها أعيدى هذه الرمزه فبمجرد مافتح فاه بالهمزه افلتت السمكه منه بحمزه وغاصت فى الماء وتخلصت من بين فكى البلاء ولم يحصل ذلك الطماع الاقطع الاطماع (وانما أوردت) ياذا الدرايه هذه الحكايه لتتأمل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه وتتدبر منتهى أواخره فى مباديه فقد قيل أول الفكر آخر العمل (قال المشرقى) اعلم يامرتقى ان مبنى الامور فى مجاريها وقواعد ما اسس عليه مبانيها تقدير خالقها وتدبير باريها وماحكمه وقضاه وأحكمه وأمضاه لكنه كتمه وأخفاه فلاتدركه العيون والابصار بل ولا البصائر والافكار فانه علم غيب وجهلنا به ليس بعيب لانه تنزه أحدا صمدا قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا كما قيل

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * وليس عليه أن يساعده الدهر
فان نال بالسعى المنى تم أمره * وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلى الاعظم قد وضع أساس بنيان العالم على الاسباب وفتح لتعاطى الاسباب الابواب فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال القائل

اذا ماكنت فى أمر مروم * فلا تقنع بمادون النجوم
يرى الجبناء أن العجز حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم
فطعم الموت فى شئ حقير * كطعم الموت فى شئ عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الايمان والمرء يسعى فى تحصيل مرامه ولا يترك شيأ من اسباب قيامه فان ساعده القدر بقدره انقاد اليه مرامه بشعره وكان مصادمه مساعده ومقاومه معاضده كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيساعده اذ ذاك الكون والمكان ويمضى سهم أوامره رامى القضاء من قوس الزمان فيقيض له المساعد ويتعبد له المقارب والمباعد وحسبك ياذا الصوله ما اتفق من السعد لعماد الدوله فسأله يسار عن مورد هذه الاخبار (قال) كان رجل صياد له ثلاثة أولاد كأنهم

اريد ان اريها صدقا لى لامرة بذلك وأسرع الكرة بردها قبل أن يعلم به مولاك فاعطته أمة المصور الملاءة فلبسها العبد وأتى سيدته على نحو ما كان يأتيها المصور فلما رأته لم تشك فى مجيئه ولم ترتب فى أنه خليلها فاتت اليه وبذلت له نفسها فقضى حاجته منها وبلغ غرضه ثم رجع بالملاءة الى أمة المصور فدفعها اليها فوضعتها موضعها وكان المصور عن بيته غائبا فلما جن الليل عاد الى منزله فلبس الملاءة على عادته وترآى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت اليه وقالت لقد أسرعت الكرة ألم تكن عندى وقد قضيت حاجتك فماذا العود فلما سمع المصور كلامها رجع الى منزله فدعا جاريته فأوعدها بالقتل أو تخبره بالحقيقة فأخبرته بالقصة فأخذ الملاءة فأحرقها (وانما ضربت لك) هذا المثل ارادة أن لا يعجل الملك فى أمرى بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فانه وان كان كريها فلا منجا منه وكل حى هالك ولو كانت لى مائة نفس واعلم ان هوى الملك فى اتلافهن طبت له بذلك نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا حبه الملك ولكن خلاص نفسه والتماس العذر لها فقال له دمنه ويلك وهل على فى التماس العذر لنفسى عيب وهل أحد أقرب الى الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر لمن يلتمسه لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك انك لاتحب لاحد خيرا وانك عدو نفسك فمن سواها بالاولى فمثلك لا يصلح ان يكون مع البهائم

حمل وقوتهم السمك تقلبت بهم الاحوال حتى صاروا بر ياستهم على الدنيا احمال وانتهوا
فى الرياسه وساسوا الخلق أحسن سياسه وانتشر أمرهم وطاب فى الدهر ذكرهم ومما
ملكوه العراقان والاهواز وفارس وسرتها شيراز أكبرهم أبو الحسن على بن بويه الملقب
بعماد الدوله وكان فى السلطنه ذا جولة وصوله ولما افترت أيام خموله واتصل بالسعد
أسباب وصوله حل ركابه بشيراز وصعد الى حقيقة الملك من المجاز ووفدت عليه الوفود
وأحاطت به جموع الجنود وطالبه أهل المراتب بالرواتب والرواهك بالجوامك والرفاق
بالانفاق والاجناد بالارفاد وأرباب الولايات بالخلع والجرايات وأصحاب الاقامات
بالنفقات والانعامات ولم يكن فى خزائنه من ظاهر المال وباطنه ولا فى ذخائره من ظاهر
الرفد وضمائره ما يسد رمقهم ويرد شرقهم فتراكمت همومه وتصادمت غمومه وتوالت
أفكاره وتجاذب به من بحر الحيرة در دوره وتياره لان أمره كان فى مباديه ولم يصل سعده فى
هواديه وقد قصرت عن طول الطول اياديه وأشرف أمره على الاختلال وملكه على
الاضمحلال ووقع فى يوم لا بيع فيه ولا خلال فدخل الى مكان خال وهو مشغول البال
فاستلقى فيه على ظهره وغرق فى بحار فكره فبينما هو يلاحظ السقوف وأفكاره بين
تردد ووقوف واذا بحية عظيمه بجثة جسيمة من السقف خرجت ودرجت وفى مكان آخر ولجت
فوثب واقفا ورقب خائفا لئلا تسقط عليه ويصل اذاها اليه ودعا الفراشين وجماعة
فتاشين بمعاول النباشين وأمرهم بنصب السلم والفحص عن الارقم وتتبع آثارها واطفاء
شرارها فصعدوا الحيطان وحفروا ذلك المكان وخرقوا سقفه فانفتحت لهم غرفه كانت مخبأة
لمن تقدمه وضع فيها دنانيره ودراهمه وفيها عدة صناديق محكمات التوثيق والمغاليق فاطلعوه
على تلك الخبيه والتهوا عن طلب الحية الخبيه فأمرهم فنقلوها اليه ووضعوها بين يديه
فاذا فيها من الذهب النضار خمسمائة ألف دينار فعرف ان ذلك عناية ربانيه ومواهب
صمدانيه رحمانيه فصرف المال فى اصلاح حاله وبذره فى مزارع قلوب خيله ورجاله
فثبتت أوتاده واستقامت أجناده وقويت سواعده وأعضاده وكان أمره قد أشرف
على الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال وكان من تمام هذه السعاده
وتعقيب هذه الحسنى بالزياده أن الملك المذكور بعد هذه الامور وحصول هذا السرور
وانتظام مصالح الجمهور أراد تفصيل قماش وخياطة خلع ورياش فطلب خياطا يثق به
ليقلده هذه المنطقه فأرشد الى خياط ماهر شكله زاهر وفضله ظاهر وحذقه فى صناعته
باهر الا انه اطروش حقل سمعه بدنى الوقر مدبوش فما يصل ملك الكلام الى سرير صماخه
الا بزمر وطبل وجاووش فدعاه فأجلسه بين يديه وطلب الثياب ليعرضها عليه فتصور
الخياط انه سعى به اليه بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه واغاظله ليطالبه فأما ان يؤديها
أو يعاقبه فتقدم باليمين مثل المصارعين واقسم بالله خالق المخلوق ورازق المرزوق انها
اثنا عشر صندوق لم يشعر بها مخلوق وأنه لا يدرى ما فيها وانها مختومة بختم معطيها فتعجب
عماد الدولة من كلامه وحمد الله شكرا على انعامه ثم وجه معه من أتى بها ودخل الى بيوت
ما فيها من أبوابها فكان ما فيها من الاموال ونفائس القماش العال جمل متكاثره
وأصناف متوافره واستولى على ذلك كله وثبت بواسطة المال فى ركاب الملك واطئ نعله
(وانما أوردت) هذا التنظير ياذا الرأى والتدبير لتعلم ان مسبب الاسباب وميسر الامور
الصعاب اذا دبر مصالح عبده وشمله باحسانه ورفده هون عليه كل عسير وصغر عنده كل

فضلا عن أن يكون مع الملك وان
يكون ببابه فلما أجابه دمنه بذلك
خرج مكتئبا حزينا مستحيا فقالت
أم الاسد لدمنه لقد عجبت منك
أيها المحتال فى قلة حيائك وكثرة
وقاحتك وسرعة جوابك لمن كلمك
(قال دمنه) لانك تنظرين الى بعين
واحدة وتسمعين منى باذن واحدة مع ان
شقاوة جدى قد زوت عنى كل شئ
حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على
ولقد صار من بباب الملك لاستخفافهم
به وطول كرامته اياهم وما هم فيه
من العيش والنعمة لا يدرون فى أى
وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى
يجب عليهم السكوت قالت ألا تنظروا
الى هذا الشقى مع عظم ذنبه كيف
يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له (قال
دمنه) ان الذين يعملون غير أعمالهم
ليسوا على شئ كالذى يضع الرماد
موضعا ينبغى أن يضع فيه الرمل
ويستعمل فيه السرجين والرجل
الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى
تلبس لباس الرجل والضيف الذى
يقول أنا رب البيت والذى ينطق
بين الجماعة بما لا يسئل عنه وانما
الشقى من لا يعرف الامور ولا أحوال
الناس ولا يقدر على دفع الشر عن
نفسه ولا يستطيع ذلك قالت أم
الاسد أتظن أيها الغادر المحتال
بقولك هذا انك تخدع الملك
ولا يسجنك (قال دمنه) الغادر الذى
لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من
عدوه قتله على غير ذنب قالت أم
الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن
أنك ناج من عاقبة كذبك وان
محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك
(قال دمنه) الكذوب الذى يقول

كبير وأنت بكل هذا بصير قال يسار صدقت وصوابا نطقت ولكننى نظرت الى الدنيا ووزنت أحوالها السفلى والعليا ورأيت كلما ازداد الشخص حرصا وطمعا ازدادلنفسه عبودية وتبعا وللدنيا رقا وللآخرة رشقا فصارت قيوده أثقل وحسابه أشد وأطول وهمومه أتم وغمومه أعم وان الواثق بالدنيا والراكن الى مافيها من اشيا كالجاعل له من السحاب حصنا ومن الحباب كنا وأى وقاية تحصل من السحاب وأى ايواء يصدر من الحباب ومن تأمل الدنيا بعين التبصر وتفكر فى تقلباتها بصيب العقل والتدبر عد جمعها شتاتا ووصلها انبتاتا ومجيئها ذهابا وشرابها سرابا واقبالها ادبارا ونسيمها اعصارا وعطاءها أخذا وعهدها نبذا وصلتها افلذا ووهبانها وايجابها سلبا وحربها سلما ووجودها عدما وكثرتها قلا وعزها ذلا وضحكها نياحه وطلاقها راحه فلم يكن عنده أحسن من فراقها ولا أرصن من طلاقها والقناعة منها بالكفاف والرضا منها بالعفاف كما سلك الفلاح صاحب الماشية واستراح فقال الزنيم أخبرنى كيف كان ذلك ياحكيم (فقال) ان مخدومى الذى كنت عنده احفظ ماشيته وعبده كان ذاثروة عظيمه وأموال كثيفة جسيمه وكانت ماشيته لاتزيد فى القياس عن ألف راس وان حصل من النتاج المعهود مايزيد على هذا القدر المعدود تصدق به أو باعه أووهبه لبعض الجماعه ولوأراد لجعلها الوفا مؤلفه وأضعافا مضاعفه وكان فى الجيران والاصحاب والاخوان من هو أقل منه مالا وأقصر باعا وأضيق مجالا له الالوف من المواشى وكذلك من الخدم والحواشى وهم فى كل وقت فى ازدياد وتضاعف الاعداد من الاصول والاولاد ومخدومى لايقصد الزياده وان زادشئ أباده فقال له الراعى وكان عليها أشفق ساعى يامخدوم مالك لاتريد أن تزيد مواشيك وحواشيك وتكثر بالرفق والرفد فواشيك وبالورود والاصدار غواشيك فان المواشى تزداد فوائدها وتتوفر عوائدها باعتبار زيادة أصولها وادرار منافعها ومحصولها وجيراننا كانوا أقل عددا من هذا المقدار فصاروا بالتوفير أكثر عددا فى الاغنام والابقار فزادوا على مواشينا بعد ان كان أوساطهم كحواشينا ولاأعرف لهذا موجبا ولاأدرى له سببا غير الاهمال وقصد تضييع المال فقال له مخدومى هذا محيط به معلومى ولكن أيها الولد اعلم ان أنواع العدد آحاد وعشرات وألوف ومئات فالالوف غاية الاعداد اذا اعتبرنا التعداد والشئ اذا جاوز غايته وتعدى نهايته أخذ فى النقص واذا بلغ مداه تراجع بالنكص وقد قيل الشئ اذا جاوز حده شاكل ضده ومن لم يقنع بالقليل لم يرض بالجزيل ولقد أحسن المقال وصدق فيما قال من قال

وما الدهر الاسلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما * شروط الذى يرقى اليه سقوطه
فمن كان أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا مارأيت وسمعت ووعيت عن أصحاب الالوف القاصدين الازديادا ألوف نزلت ألوفهم الى الواحد من الآحاد فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد فتكدرت خواطرهم واشتغلت ضمائرهم وأما أنا فلم أعلم ان ألفى نقص ولاجارى حلبة مداه نكص فاذا عدى غايته ألزمته نهايته وكبحت جامح طرفه وكففت طامح طرفه طلبا للراحه ورغبة فى الاستراحه

فكم دقت ورقت واسترقت * فضول العيش أعناق الرجال

(وانما) أوردت هذا التمثيل لتعلم ياذا التفضيل أنى مادمت له خادما وفى صف الخدمة قائما ولم أتعد طورى وهو مقام الخادميه الى ماليس لى وهو مقام المخدوميه فأنا مستريح ولغيرى

مالم يكن ويأتى بما لم يقل ولم يفعل وكلامى واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب ثم نهضت فخرجت فدفع الاسد دمنه الى القاضى فأمر القاضى بحبسه فالقى فى عنقه حبل وانطلق به الى السجن فلما انتصف الليل أخبر كليله ان دمنه فى الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وماهو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى وقال له ماوصلت الى ماوصلت اليه الا لاستعمالك الخديعة والمكر واضرابك عن العظة ولكن لابدلى فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك فى خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت فى عظتك حين كنت فى عافية لكنت اليوم شريكك فى ذنبك غيران العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب الامثال كثيرا وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله (قال دمنه) قد عرفت صدق مقالتك وقد قالت العلماء لاتجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولان تعذب فى الدنيا بجرمك خير من ان تعذب فى الآخرة بجهنم مع الاثم (قال كليله) قد فهمت كلامك ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد اليم وكان بقربهما فى السجن فهد معتقل يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليله لدمنه على سوء فعله وما كان منه وأن دمنه مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة

مريح ونفسى مطمئنه وجوارحى عن طيش السعى مريحنه وأصحابى أحبابى واحبابى أصحابى والخواطر صافيه والمحبة وافيه والصداقة باقيه ومياه المودة فى رياض الارواح ساقيه وفى عروق الاشباح واقفة جاريه فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزياده وقصدت التعدى الى ماليس لى به عاده فأنا بين أمرين متقلب على جمرتين اما عدم الحصول والانقطاع عن الوصول فتتضاعف المنكدات وتترادف المقسمات وبحسبها تصل الهموم وتحصل الغموم كما مر سالفا وذكر آنفا واما الظفر بالمراد على حسب مايراد فبقدر ذلك يقع الصداع ويقوم التحاسد والنزاع وأول ذلك معاداة الاصحاب ومعاناة الاحباب ومقاساة الاتراب وحصول الضغائن وبروز المكامن بواسطة الترفع عليهم وصدور المراسيم والتقدم بامتثالها اليهم فالاولى بحالى التفكر فى مآلى واللائق بشورى أن لا اتعدى طورى ولا أتورط فى هذا البحر العميق والبئر الغميق ولا اخرج عن سواء الطريق فتهوى بى طير الهوان فى مكان سحيق

وانى يسارخائف ان يردنى * زمانى بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى أبو زغبه ما أحسن هذه الكلمه وأبين هذا النظر وأرصن هذه الفكر وأدق معانى هذه المبانى ولكن اذا رفعك الله من بضعك واذا أعطاك من يمنعك وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت

وكل الناس تطلب المعالى * ونفس الحر تأبى ان تضاما

فلما بلغ بهما الكلام الى هذا المقام قال يسار اعلم يا فحل الفحول وامام المعقول والمنقول انى ما بالغت فى الامتناع الا لاقف على مافيك من طباع أسبر ثبوت قدمك وثباتك وراء كلمك فلقد وجدتك فى هذا الامر الخطير فوق ما فى الضمير وفى مواطن الاختبار أثبت جنانا من ابن الليث الصفار فانهض لقصدك وحركته على خيرة الله تعالى وبركته فانى وضعت عنان جموح هذا المرام فى يد تدبيرك وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصويرك فانك اهل لذلك وبرأيك تقتدى المسالك فابتهج أبو زغبة بهذا المقال ووثب قائما فى مقام الخدمة وقال حيث انشرح صدرك لكلامى فسترى فى وجهك مجالس قيامى وأنا اعلم ان معبودك سيبلغك مرامك ومقصودك ولكن يجب التيقظ وقبل الشروع التحفظ أما التيقظ فلامور يجعلها الملك مقتدى ولا يغفل عنها أبدا كما فعل الملك الظاهر الموفق أبو سعيد محمد جقمق حين اضطربت الاوامر واختلفت العساكر واصطدمت الامور وخرج عليه من عساكره الجمهور وقل المعين وذلك فى سنة اثنتين واربعين فعصى تنكرى وتترس فى حلب وقام بالراكة الجلب واينال الحامى بالشام وكاتبه الطغام والعظام وهرب بالقاهرة العزيز وأزت الشياطين فاشتد الازيز وتخبط بالصعيد العربان وفشا فى عساكر الاسلام الطربان فسفه الحليم وحار الحكيم وضل كل ذى رأى قويم فثبت الملك الظاهر جاشه وتعرف الى الله تعالى فأزال استيحاشه وأصفى سرائره ولم تزل سيرته ظاهره فكان الله عونه وناصره فاطفأ بأدنى لطفه شواظ تلك النائرة وقد بسط ذلك فى سيرته الظاهره فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع الله تعالى عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم كل ذلك بثبات القدم وعلو الهمم ولم تحصل هذه الفعلة الذكية الرائحة الا بالطوية الطيبة والنية الصالحة وأما التحفظ فمن مواد شرور ملتبس بها الجمهور منها الحقد والملال والكذب فى المقال والحسد والاحتيال فان الحقود وقود والحسود لا يسود

بينهما وكتمها الشهادة بها ان سئل عنها ثم ان كليله انصرف الى منزله ودخلت ام الاسد حين اصبحت على الاسد فقالت له ياسيد الوحوش حوشيت ان تنسى ماقلت بالامس وانك أمرت به لوقته وارضيت به رب العباد وقد قالت العلماء لا ينبغى للانسان أن يتوانى فى الجد للتقوى بل ولا ينبغى أن يدافع عن ذنب الاثيم فلما سمع الاسد كلام امه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء فلما حضر قال له وللجواش العادل اجلسا فى موضع الحكم ونا ديا فى الجند صغيرهم وكبيرهم ان يحضروا وينظروا فى حال دمنه ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره فى كتب القضاء وارفعا الى ذلك يوما فيوما فلما سمع النمر وجواش العادل وكان هذا الجواش عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما امر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما امرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضى أن يؤتى بدمنه فأتى به فأوقف بين يديه والجماعة حضور فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم ان سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربه خاثر النفس كثير الهم والحزن يرى انه قد قتل شتربه بغير ذنب وانه أخذه بكذب دمنه ونميمته وهذا القاضى قد أمر ان يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن دمنه فمن علم منكم شيأ فى أمر دمنه من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس الجمع والاشهاد ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل

والكذوب يذوب والملول لايطول والمحتال مغتال وباقى النصائح الذكية الروائح تأتيك بالسعد فيما بعد وأنا الآن اقدم للبيان واذكر الاهم وما فائدته اعم قبل الشروع امام المقصود وهو تأكيد مواثيق العهود فانه اذا حفتك الجنود واحاط بك ارباب الرايات والبنود وانت جالس على السرير وفى خدمتك المأمور والامير والكبير والصغير يعسر على استيفاء الخطاب واستيعاب الجواب ولا يليق بعظمتك ومقام حرمتك اطالة الكلام ولو اقتضاه المقام خصوصا بحضور الخاص والعام ولو كان المتكلم أعز الخدام واقرب الالزام فلا اقدر ان اتجرأ عليك وانهى جميع ما اريده اليك لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه والمبالغة فى حفظ ناموسه وتعظيمه وكثرة الكلام تنعه عن هذا القصد وتدفعه وأما فى هذا الوقت فان كثير كلامى لا يورث شيأ من المقت فلا حرج على كلامى كيفما خرج قال يسار بارك الله فيك وابقاك لذويك فما ادق نظرك واحسن فى عواقب الامور فكرك واصوب غوصك على جواهر الانتقاد واغرب وصلك الى زواهر الاعتقاد فقل ما بدالك مما يزين حالى وحالك فان حرمتى حرمتك وحشمتى حشمتك فان عظمتنى فقد عظمت نفسك وان وفرت مالى فقد زدت كدسك والخادم اذا لم يقصد رفعة مخدومه ويعد ذلك من اكبر همومه ويسعى فيه ساعة فساعة وفى كل مكان وعند كل جماعه والا فيدل ذلك على خساسة مقداره وقصور نظره ولؤم نجاره وركاكة همته واستبذال حرمته فقال ابو زغبه اول شروطى يا ذا العظمه ان لاتقرب المؤذين ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين ولا تضيع الاوقات فى الاصغاء الى القينات ولا تسمع كلام واش وتعد كلامه أقل من لاش ثانيها ان لا تعجل فى فصل الحكومات بل تتعاطاها بالتفتيش والالتفات الى ان تتجلى صورتها وتتعين حقيقتها فاذا وضحت لديك وتجلت مخدرة حقيقتها عليك اجهد فيها بالصدق واعمل بما يقتضيه الحق ثالثها ان لا تعود لسانك الفحش والبذاءة فان فى ذلك على الملك اسوأ اساءه فان الكلام يؤثر فى القلوب وينفر من قبيحه الطالب والمطلوب وقد قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد قيل ان عيسى عليه السلام مر بجماعة فى بعض الايام فصادفوا كلبا اجرب فقال له سلمك الله اذهب فقال كل من اصحابه مما كان معى فى جوابه من الانتقاص وطلب البعد عنه والمناص وما سلموا الى عيسى حاله بل سألوه عن كلامه له وما دعاه فقال انى عودت لسانى بيان ما فى جنانى وهو المقاصد الحسنه وترك الالفاظ والعبارات الخشنه وقيل انه مر فى بعض الاوقات ومعه جماعات بكلب من الاموات ملقى على مزبلة فى جملة القاذورات فوضع كل منهم يده على خطمه وتكلم فى رائحته عند شمه فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه فقيل له عما سمع من بيانه فقال عودت لسانى بلفظ الخير وان لا يتكلم بما فيه ضير وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح عن الكلام البذى القبيح كذلك يجب عليه ان لا يصغى اليه ويتأمل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ووجد فى كتاب آداب الصحبة لابى عبد الرحمن السلمى بيت ثالث

وكم أزعج الحرص من طالب * يوافى المنية عن مطلبه

وهذا الامر يا مخدوم لكل أحد معلوم على العموم وأما أكابر السلاطين والملوك الاساطين

فالتثبت فى أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعند هذا قال القاضى ايها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واحذروا فى الستر عليه ثلاث خصال اما احداهن وهى أفضلهن أن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا الكذاب الذى اتهم البرىء بكذبه ونميمته شيأ فستر عليه فهو شريكه فى الاثم والعقوبة والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان اسلم له والاحرى للملك وجنده ان يعفوا عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة اهل الذم والفجور وقطع أسباب مواصلاتهم وموداتهم عن الخاصة والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيأ فليتكلم به على رؤس الاشهاد ممن حضر ليكون ذلك حجة وقد قيل انه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول فقال دمنه ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل كلمة جوابا وقد قالت العلماء من شهد بما لم ير أو يقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذى قال لما لا يعلمه انى اعلمه قالت الجماعة وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا انه كان فى بعض المدن طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجرى على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له فعرض لها

فهم أعلى مقاما أن يكون الفحش لهم كلاما وأن يجري في مجالسهم أو يسمع من محادثهم ومجالسهم وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام اختل نظامه ومقته الخاص والعام ونفرت عنه قلوب الرعيه وبحسب رغبة الرعية تكون المملكة راضية مرضيه واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه وتوقعوا غيره ليقوموا معه وينصروه واذا لم يوجد عقد والعهود واستمروا أذلاء كاليهود والبغضة كامنه والحسائف باطنه فتقدم العداوة وتتقدم وتتأكد وتتأزم واذا قدمت العداوة ذهبت من الصداقة الحلاوه فلا بد يوما من الايام ان تبرز أسهما من جيب الانتقام واذا وجدوا فرصه وثبوا عليه وقصدوا قصه كما جرى للفريرة مع الحريره قال يسار بين لي هذه الاخبار (فقال) ذكر شخص معتبر من رواة الخبر ان في القديم كان رجل عديم وعنده قط رباه وأحسن مرباه فكان عنده كالولد الاعز وأكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز وكان القط قد عرف منه الشفقة وألف منه المودة والمقه فكان لا يبرح عن مبيته ولا يسعى لطلب قوته فحصل له هزال وتغير ماله من أمر وحال لا عند صاحبه ما يغذيه ولا هو ذو قوة على الاصطياد تغنيه الى أن عجز عن الصيد فصار يسخر به من أراذل الفيران كل عمرو وزيد وصار كما قيل

خلت الرقاع من الرخا * خ وفرزنت فيها البيادق
وتسابقت عرج الحمـ * ـير فقلت من عدم السوابق
وسطا الغراب على العقا * ب وصاد فرخ البوم باشق
سكتت بلابلة الزما * ن وأصبح الخفاش ناطق

وأيضا

واذا خلا الميدان من أسد * رقص ابن عرس وتومس النمس

وكان في ذلك المكان مأوى لرئيس الجرذان وفي جواره مخزن اسمان فاجترأ الجرذان لضعف أبي غزوان وتمكن من نقل ما يحتاج اليه وصار يمر على القط آمنا ويضحك عليه الى ان امتلأ وكره من أنواع المأكل والمطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم استطال على الجيران واستعان بطوائف الفيران على العدوان فافتكر الجرذان يوما في نفسه فكرا أداه الى حلول رمسه وهو أن هذا القط وان كان عدوا قديما ومهلكا عظيما لكنه قد وقع في الانتحال وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال وقوتي انما هي بسبب ضعفه وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على حالة استمرار فربما يعود الدهر عليه وترجع صحته وعافيته اليه فان الزمان الكثير الدوران ينهب ويهب ويعطي ما سلب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير موجب ولا سبب واذا عاد القط الى ما كان عليه يتذكر من غير شك اساءتي اليه فيثور قلقه ويفور حنقه ويأخذ في الأذى والانتقام مني وأرقه فلا يقر لي معه قرار فأحتاج بالاضطرار الى التحول عن هذه الديار والخروج عن الوطن المألوف ومفارقة السكن المعروف أمر صعب مشوم الكعب فلا بد من الاهتمام قبل حلول هذا الغرام والاخذ في طريقة الخلاص قبل الوقوع في شرك الاقتناص ثم انه ضرب أخماسا لأسداس في كيفية الخلاص من هذا الباس فأداه الفكر الى اصلاح المعاش بينه وبين أبي براش ليدوم له هذا النشاط ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى أنه لا يفيده ما يريده الا زرع الجميل من كثير وقليل خصوصا في وقت الفاقه فانه اجلب للصداقه وأبقى في الوثاقه ثم بعد ذلك تترتب عليها العهود ويتأكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود وهو أن التزم الجرذان أن يقوم لأبي غزوان في كل غداه من طيب الغذاء

ما به مرض للعوامل من الاوجاع في هذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر جمعت الاخلاط على معرفتي بأجناسها ولا أثق في ذلك بأحد غيري وكان في المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة فأمره الملك ان يدخل خزانة الادوية فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفيه الخزانة وعرضت عليه الادوية ولا يدري ماهي ولا له بها معرفة فأخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته وخلطه في الادوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه فلما تمت اخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته (وانما) ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلة بالشبهة في الخروج عن الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة وقد قالت العلماء يجزي المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظروا لانفسكم فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتيهه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتي وعوا بأحلامكم كلامي فالعلماء قالوا في شأن الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوي الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام

ما يكفيه لغداه وعشاه لان الشيخ فى الدرس قال خير المال ماوقيت به النفس الى أن يصح جسده ويرد اليه من عيشه رغده ويكون ذلك سببا لعقود الصداقه وترك العداوة القديمة المساقه وان تشترط دوام المحبه وازدياد الوداد والصحبه وأن لا يقصد أبو الهيثم أبا راشد بشئ من الاذى والشرور والمفاسد ويعمل هذا الهر بموجب ما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم ان الجرذان جمع من الاخباز والاجبان واللحم القديد والمطعم المزيد ما قدر على حمله ونهضت قوته بنقله وقصد مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر محب قديم وصديق حميم وقدم ما معه اليه وترامى بكثرة التودد والاشتياق عليه وقال يعز على ويعظم لدى أنى اراك ياخير جار فى هذا الضرر والاضطرار ولكن العاقبة الى خير وستقبل السعد بأحسن طير فتقدم أيها الخيطل وكل من هذا المأكل فاذا سددت خلتك كملتك بشئ أستشربه خدمتك فانه قد قيل

ان الصداقة أولاها السلام ومن * بعد السلام طعام ثم ترحيب
وبعد ذاك كلام فى ملاطفة * وضحك ثغر واحسان وتقريب
وأصل ذلك أن تبقى شمائلها * بين الاحبة تأييد وتأديب
لم تنس غيبا ولم تملل اذا حضروا * قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرم اذا ما صادقوا صدقوا * لم يثنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك السرقة ما سد رمقه وشكر للجرذان تلك الصدقه ولما أكل فيه استحت الحدقه ثم قال له أنشد ما أنت ناشد يا أبا راشد قال ان لى عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق وأردت أن يتأكد الجوار بالصداقه وتترامى الى درجة المحبة بأوثق علاقه وان كانت بيننا عداوة قديمه فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمه ونستأنف العهود على خلاف الخلق المعهود وتدبير الامور على مصلحة الجمهور ونبنى القاعدة فى البين على ما يعود نفعه على الجانبين وأذكرك أشياء تحملك على ترك خلقك القديم وتهديك فى طريق الاخاء الى الصراط المستقيم وهو ان أكلى مثلا ما يغذى منك بدنا فضلا عن ان يظهر فيك صحة وسمنا ولكن ان أمنتنى مكرك وأعملت نظرك وفكرك ثم رغبت فى صحبتى وعاهدتنى على سلوك طريق مودتى وأكدت أى أبا غزوان ذلك بمغلظات الايمان الى أن أستوثق باستصحابك وابيت آمنا فى مجيئك وذهابك ولو كنت بين مخالبك وانيابك فانى ألتزم لك فى كل يوم اذا استيقظت من النوم بما يسد خلتك ويبقى مهجتك صباحا ومساء وغداء وعشاء وان قلت ان ذلك شئ مجهول فأنا اقدره بنظير هذا المأكول فان هذا الغذاء يكفيك عشاء وغداء وما قصدت بذلك الا رعاية لحق الجوار ولقد آنستنى بتسبيحك بالليل والنهار وأظن وظنى لا يخيب انك تبت الى الله ورجعت من قريب وكففت عن أذى الجيران وعففت عن أكل الفيران ثم اعلم يا أسد الضيوان ان لى من هذه المؤنة عشر مخازن قد أعددتها لمثلك وأنا أقدمها لك وادخرها لاجلك والقصد ان أكون آمنا من سطواتك ساكنا فى صدمات حركاتك وذلك انما يعلم بتأكيد الاخاء وتأييد المحبة والولاء فلما رأى الهر هذا البر أعجبته هذه النعم وأطربه هذا النغم واقسم طائعا مختارا ليس اكراها ولا اجبارا أنه لا يسلك مع الجرذان الا طريق الامان والاحسان وانه لا ينوء اليه بقصد سوء بحيث تتأكد المحبه وتزداد يوما فيوما الصداقة والصحبه ففرح الجرذان وهو بهذه الحركة

دمنه لديكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشئ الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنه وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون انك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى فى صورة هذا الشقى فأخذ سيد الخنازير يذم دمنه وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا انه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن فهو شقى خبيث جامع للخبث والفجور فلما سمع دمنه ذلك قال ما مثلك الا مثل رجل قال لامرأته انظرى الى عورتك وبعد ذلك انظرى الى عورة غيرك قال وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان مدينة اغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق الى بلاده فاتفق انه كان مع جندى مما وقع فى قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له وكان هذا الجندى يسيء اليهم فى الطعام واللباس فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون للجندى وهم عراة فأصابت احدى المرأتين فى طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها ثم قالت لزوجها ألا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لا تستحى وتستر عورتها فقال لها زوجها لو بدأت بالنظر الى نفسك وان جسمك عار كله لما عيرت صاحبتك بما هو بعينه فيك وشأنك عجب أيها القذر ذو

جذلان وصار كل يوم يأتى أبا غزوان بما التزم به من الغداء والعشاء كل صباح وعشاء الى ان صح القط واستوى وسمنت خلوات بدنه من الحو والخوا وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقد مجددا ويزداد كل منهما فى الآخر محبة وتوددا وكان لهذا القط ديك وهو صاحب قديم صديق نديم كل منهما يأنس بصاحبه ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه فحصل للديك تعويق عن زيارة الصديق فغاب عنه مده وكل منهما الفراق فى شده فلم يتفق لهما لقاء الا وقد حصل للقط الشفاء وزال الشقاء فسأل الديك صاحبه عما اذا صارت علته ذاهبه وذاك الهزال باى شئ زال فاخبره باحوال الجرذ ابى جوال وانهى أمره من الاول الى الآخر وبالغ فى الشكر فى الباطن والظاهر وانه كان سبب حياته ونجاته من مخاليب مهلكاته وانه لم يكن مثله فى الاصحاب وقد صار أعز الاصدقاء والاحباب فغار الديك على الصاحب القديم واختشى أن يفسد ما بينهما المفسد الذميم فضحك مستغربا وصفق بجناحيه متعجبا فقال له مم تضحك فقال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنك وحسن صنائعك مع المنافق مخادعك ومكارم أخلاقك مع ناقض ميثاقك واصغائك لهذا الخبيث بحشو الكلام ومموه الحديث ومن يأمن لهذا البرم الواجب القتل فى الحل والحرم المفسد الفاسق المؤذى المنافق الذى خدعك حتى أمن على نفسه واستطرق بذلك الى التمكن من أذاه ونحسه فتسلط فى الاذى كما يختار وانهمك فى الشر آمنا منك البوار كل ذلك يسبيك ومكتوب فى صحائف كتبك مع انك لست بمشكور ولا بالخير مذكور وان الذى شاع وذاع وملأ عنك الاسماع انك ستحل عقده وتنكث عهده وتنقض الايمان وتجازى بالسيئة الاحسان وانه لم يرَ منك ما يسره وهو متوقع منك ما يضره وأعظم من هذا انه آذى وحشر فنادى وبالشر بادى فقال انه أحياك بعد الموت وودك بعد الفوت ولولا فضله عليك وبره الواصل اليك لمت هزالا وجوعا ولما عشت أسبوعا ولكنه أشبع جوعك وجاب هجوعك واستنقذ من مخالب المنية بعد ذهابك رجوعك فشفاك وعافاك وصفا لك وصافاك وكفاك المؤنة وكافاك وأنك كافيته مكافأة التمساح وجازيت حسناته بالسيآت القباح ولم يكن لاحسانه اليك ولا لمامن به عليك سبب ولا علاقه سوى طهارة نفس زكت اخلاقه ولا لاساءتك اليه سبب تنقم به عليه الا ما اسداه من مكارم شيمه الواصلة اليك وفوائد نعمه السابغة عليك وقد أشاع هذا كله فى الشوارع والحارات خصوصا فى هذه المحله ثم أقسم بن عطفه عليك وساق فضله اليك وجعلك محتاجا الى نواله وأسبل عليك لباس صدقاته وافضاله ليستوفين منك ما صنعته وليحفظن عليك ما عليه ضيعته وليوقعنك فى طوى بابه يعجز عن خلاصك منها كل البريه فليريحن منك جنس الفار وليخلدن ذكر هذه القضية فى بطون الاسفار وبالجملة فهل سمعت ان جرذا ناصادق هره أو اتفق بينهما مرافقة فى الدنيا ولو مره ومناصحة القط والفار كمصادقة الماء والنار

فأنت كواضع فى الماء جمرا * وأنت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام تألم باطنه بعض ايلام وما صدق ولكن ظن واشتغل خاطره لامر عن وقاهب واشتعل ومن يسمع يخل وقال للديك جزاك الله عنى خيرا وما أكثر شفقتك طيرا ولكن من قال لك هذا المقال قال أنت محب وعلى مودة الجرذان مكب وقد قال سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب عمية * كما ان عين السخط تبدى المساويا

العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك أفتتكلم فى النقى الجسم الذى لاعيب فيه ولست أنا وحدى اطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك وقد كان يحجزنى عن اظهاره ما بينى وبينى من الصداقة فأما اذ قد كذبت على وبهتنى فى وجهى وقت بعداوتى فقلت ما قلت فى تغيير علم على رؤس الحاضرين فانى أقتصر على اظهار ما عرف من عيوبك وتعرفه الجماعة وحق على من عرفك حق معرفتك ان يمنع الملك من استعماله اياك على طعامه فلو كلفت ان تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها فالاحرى بك ان لاتدنو الى عمل من الاعمال وان لاتكون دباغا ولاحجاما الامى فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير أتقول لى هذه المقالة وتلقانى بهذا الملق (قال دمنه) نعم وحقا قلت فيك واياك أعنى أيها الاعرج المكسور الذى فى استه الناسور الافدع الرجل المنفوخ البطن المدلى الخصيتين الافلج الشفتين السيئ المنظر والمخبر * فلما قال ذلك دمنه تغير وجه سيد الخنازير واعتبر واستحى وتلجلج لسانه واستكان وفتر نشاطه فقال دمنه حين رأى انكساره وبكاءه انما ينبغى ان يطول بكاؤك اذا اطلع الملك على قذرك وعيوبك

ولقد غرك بلقيمات من الحرام والسحت المنغمس فى الآثام وجعلها بمنزلة حبة الفخ فلا تشعر بها الا وانت فى السلخ قد وقعت ولا رفيق ولا أخ هناك يعرف تحقيق هذا الكلام ولكن أنت الآن راقد مثل النيام والكلام ما يفيد ولابد أن الله تعالى يجرى ما يريد وما فى اشاعة الكلام طائل وكانك أنت القائل

ظن العذول بان عذلى ينفع * قل ما تشا فعلىّ أن لا أسمع

وما قلت لك هذا الكلام الا من فرط الشفقة والضرام ورعاية لحق ما وجب على من القيام وحفظا للصداقة القديمه والمودة التى منها شهادتيه وأنا لو غششت كل أحد ما خطر لى أن أغشك وأنا الا استشهد على صدقى الا بقينك السا كن عشك فرجح جانب صدق الديك كفاك الله شر من يؤذيك وقال القط فى خاطره بعدما أجال قداح ضمائره هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضه وسرحت أنا واياه من الصداقة فى روضه ما وقفت له على كذب ولا سمعت عنه انه لزور مرتكب مع انه مؤذن أمين بين ظهور المسلمين وهو بالصدق قمين وما حمله على هذا الا المحبه وقديم المودة والصحبه وهو أبعد من أن يكذب ويخدع واى قصد له فى أن يغش ويتصنع وتردد أبو هريرة فى تيه الحيره بين الديك والفريره ثم قال للديك وقاك الله شر أعاديك فكيف أعرف صدق هذا الخبر وهل لدلالة على سوء طويته علامة تنتظر قال نعم ورب الحرم علامة ذلك أنه اذا دخل عليك ونظر اليك ان يكون منخفض الراس مجتمع الانفاس متوقعا حلول نائبه أو نزول مصيبة صائبه أو شمول بلية غائبه ملتفتا يمينا وشمالا متخوفا نكالا ووبالا طائفا يتقلب خائفا يترقب وذلك لانه خائن والخائن خائف وهذا بائن وبينما هما فى المحاوره والمناظرة والمشاوره يتجاذبان القيل والقال دخل المفسد أبو جوال وهو غافل عن هذه الاحوال فرأى أبا اليقظان يخاطب أبا غزوان فخنس وقهقر وتخوف وتشور وهو غافل عما قضاه الله وقدر فاشمأز رؤيته الديك وابرأل وانتفض واشمعل فارتعد الجرذان من شيخ الديكه لما رأى منه هذه الحركه وانتفش وانزوى وتقبض وزوى وأشبه بغداد بابلع الدوا ونظر يمينا وشمالا كالطالب للفر مجالا والقط يراقب أحواله ويميز حركاته وأفعاله فتحقق ما قاله أبو سليمان ونظر الى الجرذان نظر الغضبان وهمز وا كفهر ورقصت شواربه وازبأر فاضطرب الجرذان وطلب الامان فنسى السنور العهود والايمان ونفض عرق العداوة القديمة والعدوان وطفر على الجرذان وأدخله فى حيز خبر كان وأخلى منه الزمان والمكان (وانما أوردت) هذا التنظير أيها الصاحب البصير لفائدتين جليلتين عظيمتين احداهما الاعلام بالتحقيق ان العدو العتيق لا يتأتى منه صديق ثانيتهما الاعلام بأن الواجب على الحكام أن لا يعجلوا بالانتقام فربما يورثهم الاستعجال الندامة فى المآل فى حالة لا يفيد العذل والتفنيد وعند ذلك لا يمكن التدارك بل اذا نقل اليهم وأورد عليهم ما يثير غبار الغضب ويحمى من نار السخط اللهب لا يفلتون زمام التثبت والتفكر من أنامل التأنى والتدبر خصوصا السلاطين والملوك الاساطين فان قدرتهم واسعه وأطراف أوامرهم شاسعه وأوهاق اختيارهم طويله ومرامى المراد لمرامهم منيله وآذان الكون لاوامرهم سميعه وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعه فمهما أرادوا من النفع أوصلوا ومهما اختاروا من الضر فعلوا وذلك فى كل حين ممسين أو مصبحين ولذلك قالوا القاضى لا يحكم حكما الا وهو راضى ولا يحكم وهو غضبان ولا مشغول الخاطر ولا غرثان فان وجدوا طريقا الى الخير بادروا

فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين خدمته وابعدك عن حضرته ثم ان شعهرا كان الاسد قد جربه فوجد فيه امانة وصدقا فقربه فى خدمته وأمره ان يحفظ ما يجرى بينهم ويطلعه على ذلك فقام الشعهر فدخل على الاسد فحدثه بالحديث كله على جليته فأمر الاسد بعزل سيد الخنازير عن عمله وأمر ان لا يدخل عليه ولا يرى وجهه وأمر بدمنه ان يسجن وقد مضى من النهار أكثره وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم الى منزله ثم ان شعهرا كان يقال له روزبه كان بينه وبين كليله اخاء ومودة وكان عند الاسد وجيها وعليه كريما واتفق ان كليله اخذه الوجد اشفاقا وحذرا على نفسه واخيه فمرض ومات فانطلق هذا الشعهر الى دمنه فاخبره بموت كليله فبكى وحزن وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الاخ الصفى ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليله حتى ابقى لى من ذوى قرابتى اخا مثلك فانى قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الى فيما رأيت من اهتمامك بى ومراعاتك لى وقد علمت انك رجائى وبركنى فيما أنا فيه فاريد من انعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته انا واخى بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتينى به ففعل الشعهر ما أمره به دمنه فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الاسد أقدر من غيرك فتفرغ لشأنى

واصرف اهتمامك الى واسمع ما أذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجرى بينى وبين الخصوم وما يبدو من ام الاسد فى حقى وما ترى من متابعة الاسد لها ومخالفته اياها فى امرى واحفظ ذلك كله فأخذ الشهر ما اعطاه دمنه وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى منزله فوضع المال فيه ثم ان الاسد بكر من الغد فجلس حتى اذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه اصحابه فأذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنه دعا امه فقرأه عليها ذلك فلما سمعت ما فى الكتاب نادت باعلى صوتها ان انا أغلظت فى القول فلا تلمنى فانك لست تعرف ضرك من نفعك أليس هذا مما كنت أنهاك عن سماعه لانه كلام هذا المجرم المسىء الينا الغادر بذمتنا ثم انها خرجت مغضبة وذلك بعين الشهر الذى آخاه دمنه وسمعه جميع ما قالت أم الاسد فخرج فى اثرها مسرعا حتى أتى دمنه فحدثه بالحديث فبينما هو عنده اذ جاء رسول فانطلق بدمنه الى المجمع عند القاضى فلما مثل بين يدى القاضى استفتح سيد المجلس فقال يا دمنه قد أنبأنى بخبرك الامين الصادق وليس ينبغى لنا ان نفحص عن شأنك اكثر من هذا الان العلماء قالوا ان الله تعالى جعل الدنيا سببا ومصداقا للآخرة لانها دار الرسل والانبياء الدالين على الخير الهادين الى الجنة الداعين الى معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا واخبرنا عنك من وثقنا بقوله الان سيدنا

اليه واذ قصدوا الايقاع ثم توقفوا لديه ولا يهملوه بل يسبروا غوره الى ان يقفوا عليه فربما يكون من مداخلة عدو أو حاسد أو يتعاطى من له غرض فاسد ثم أعلم يا ذا التبصره والفضل والتذكره انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلما وعى يسار هذا الحوار قال ما أزهى هذه النصائح وأذكى ما لها من روائح وأنا أقبل عليها وأقبلها ولا يزايل مرتشف سمعى مقبلها وعلى ذلك أعاهدك ومهما رايت غيره أعاقدك فانه للملك عين المصلحه وللملك زين ومصلحه وأيضا فاشترط ما بدا لك مما يزين حالك ويصون مالك وما لك قال وأريد أن تكون حرمتى موفره وكلمتى معتبره ومنزلتى على أقرانى مرتفعه ومكانتى فى الممالك متسعه بحيث تكون مزيتى ظاهره ومرتبتى لا كفائى باهره وكلامى فى محل الاصغاء والقبول متصلا بالنجاح فى السؤل والمسؤل فان حسن العهد وحفظ الود ورعاية الحقوق القديمة السابقه والخدمة المستمرة اللاحقه دليل على كمال المروأة والوفاء ونهاية الفتوة والصفاء لاسيما من الملوك والاكابر فى حق خدمهم الاصاغر ففى الحقيقة رفعة الخادم وكمال حرمته من رفعة مخدومه وعزته وكل من رفع قدر خدمه وحافظ على حفظ حشمه ومنع جانبهم ورعى حاضرهم وغائبهم انما حفظ أطراف حشمته وراعى جانب عظمته وحرمته وكل كبير امتهن خدامه وأذل جماعته وقوامه ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضائلهم وساوى باواخرهم أوائلهم فانما أضاع مكانة نفسه ولم يفرق فى الفكر بين يومه وغده وأمسه واذا لم يصغ الملك لكلام الوزير واستقل بأوضاع ناصحه والمشير فابتذله وانتهره واستقله واحتقره خصوصا فى المجامع والمحافل بين العساكر والجحافل فأى حرمة تبقى له عند البقيه من سائر الخدم والرعيه وأى مرسوم وكلام يسمع له عند العوام فيتكدر خاطره وتتغير سرائره فيدعوه ذلك والعياذ بالله الى شق العصا اذ صار على باب مخدومه معلقا كالحصا وقدره فى المكانه وقوله فى البلاغه صار كالزيف فى الصاغه والفسو فى الدباغه وناهيك أيها الخبير ما قالته لامها الزاغه قال يسار أخبرنى بذلك يا جهينة الاخبار (قال) ذكران زاغه فى بلد مراغه انتشى لها فرخه انتشر لها بين الطيور صرخه وكانت ذات بهجة لطيفه وصفات ظريفه وتربت يتيمة بالدلال وجمعت بين فنون الكمال فلما بلغت مبلغ الزواج خطبها من صنوف الطير الازواج وترادفت عليها الخطابه ودخلوا على أمها فى ذلك من كل باب فكانت تأبى عليهم ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم الى أن بلغ خبرها الى بومه كريهة الوجه مشومه بينها وبين أم الزاغة صداقة قديمه فخطبتها لابنها وابانت للطير مزيد غبنها فاستشارت الام ابنتها واظهرت فى ابن البومة رغبتها وقالت أى ربيبة الخير قد رغب فيك أصناف الطير فكنت ادافعهم واسوف بهم وأمانعهم وقد اشتهر صيتك بين الكبراء وخطبك منى الامراء والوزراء وأنا على المطاوله والرد والمقاوله وقد استحييت منهم واختشيت غائلة ما يصدر عنهم ولم أفعل ذلك الا رعاية لحالك وخوفا من زوج ظالم يقدرك غير عالم يستضعف جانبك ويكره أهلك وأقاربك ثم لا تقدر على مقاومته وتتعب فى مرافقته ومفارقته لاسيما ان صار بينكما معاشقه فيصير نكاحكما كنكاح الدماشقه كل يضمر السوء لصاحبه حالة المعانقه وكل يا أحسن طائر معنى ...

قال الشاعر رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد وأن يصير نكاح السنة كنكاح أهل بغداد فان صادفته فى محله مثل أبى بكر الربانى وولده أو مثل الفرغانى وعلى أو جارة تشبه عيشة تلى خرجته

من

من يدى وزدت مانكدى فكنت لهذه الامور أخشى تقلبات الدهور وأرد خطاب الجهور وقد خطبك باكريمه ابن صاحبة قديمه وهى البومة الفلانيه وهى صاحبة هنيه وأخلاق ابنها رضيه وهو شخص فقير ضعيف الحال حقير نقلبه فى أيدينا كما نريد ونتصرف فيه تصرف الموالى فى العبيد لا فى الطير جنس يحبه بل كلهم يكرهه ويسبه ولاله ناصر علينا ولا جارح يدلى به الينا فهو تحت طاعتك كما تحبين وفى ربقة ارادتك كما تريدين لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر ولا كالهدهد يتتوج بتاج الكبر فما رأيك فى هذا الامر فقالت الزوبعة مقالة بليغه حفظت شيا وغابت عنك أشيا ما أصنع بزوج ممتهن وبعض الاجناس ممتحن مكسور مهجور يتطير منه بين الطيور هذا يخطفه وهذا يلقفه وهذا ينقره وهذا ينتره وهذا يأسره وهذا يكسره واذا لم يكن للزوج حرمه ولا تسمع له كلمه خصوصا عند زوجته وأهل بيته وعترته فأى قدر يكون له عند غيرها وانى يفشر بالسعد جناح طيرها وقد قال رب السموات والارض ومالك الطول والعرض والبسط والقبض والرفع والخفض الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذوات ثنا منعوجه وللرجال عليهن درجه ومقدار المرأة بين جيرانها واهلها انما يعرف بقدر حرمة بعلها وأنا كيف يبقى حالى وبالى وما على ومالى بين جيرانى وصواحبى واهلى وأقاربى اذا كان زوجى ذليلا مهينا محتقرا بين الناس حزينا والله لا يكون لى بزوج ولو بلغ رأسه الى الاوج ولا أمد اليه باعى ولا يرفع له فى مركب الزوجية شراعى (وانما) أوردت هذا المثال يا شبه الغزال لابين انه اذا لم يكن لى فى دارك عزه ولا يرفع مكانتى ومكانى نشاط وهزه فلا يرجونى الصديق الموافق ولا يخافنى العدو المنافق فيختل أمرى ويضيع فى غير حاصل عمرى واذا ما أهمل مرسومى تعدى الوهن الى مخدومى قال يسار أيها الوزير المشفق والكبير المحقق والحكيم الماهر المدقق بالدرجة العليه والمرتبة السنيه والكلمة المقبوله والوظيفة الفاضلة لا المفضوله ولكن أنا ايضا الى عليك شروط تزين عقودها الملتفات فى المروط هن لدار السعادة أبواب وللترقى الى درج السيادة أسباب ومثلك لا يدل على صواب وهى ان تتقلد العمل مبسوط الامل بجميع ما قررته وتتعاطى ملازمة كل ما حررته من اقامة ناموس المملكه المبجله ورعاية شرائط السلطنة المفضله ومحافظة جانب مخدومك والانهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك وتقديم مصالحه على مصالحك ومعاملة رعيته بالجهد فى نصائحك وكفه عن المظالم والعدول به عن طريق المآثم والغيرة على دينه واعتقاده ويقينه أكثر من الغيرة على دنياه وفى الجملة لا يكون الملك الا لله بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون مالا تفعلون واياك والرشا والبرطيل والدخول لغرض الدنيا فى الاباطيل وتوقظ الرعيه للاغراض الدنيه أو الاعراض الدنيويه واتق دعوة المظلوم وان يصل سهامها الى مولانا المخدوم واعلم انا ان بنينا أساس الامور على قواعد الظلم والشرور فنحن من الخاسرين ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على اساس التقوى فانك بالتقوى تقوى وبرا وبها تروى فمن تحلى بالقضايا العاطله وتشبث باذيال الامور الباطله ولم يقصد وجه الله فى حركاته وسكناته وأدخل شوائب الرياء والسمعة فى أعماله وطاعاته لا يمشى له حال ولا يصلح له مال ولا مآل ويصيبه ما أصاب السائح الذى ادعى اخلاص العمل الصالح ثم شرع فى حركته واخلص فظهرت آثار براعته فلما قصد الاعراض الدنيه

أمرنا بالعود فى أمرك والفحص عن شأنك وان كان عندنا ظاهرا بينا (قال دمنه) أراك أيها القاضى لم تتعود العدل فى القضاء وليس فى عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غير عادل بل المحاميه عنهم والذب فكيف ترى أن أقتل ولم أخاصم وتجعل موافقة لهواك ولم تمض بعد ذلك ثلاثة ايام ولكن صدق الذى قال ان الذى تعود عمل البر هين عليه عمله وان اضر به قال القاضى انا نجد فى كتب الاولين ان القاضى العدل ينبغى له أن يعرف عمل المحسن والمسىء ليجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسنون حرصا على الاحسان والمسيؤن اجتنابا للذنوب والرأى لك يا دمنه ان تنظر الذى وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر به وتتوب فاجابه دمنه ان صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا فى الخاصة ولا فى العامة لعلمهم ان الظن لا يغنى من الحق شيأ وأنتم ان ظننتم انى مجرم فيما فعلت فانى أعلم بنفسى منكم وعلمى بنفسى يقين لا شك فيه وعلمكم بى غاية الشك وانما قبح أمرى عندكم انى سعيت بغيرى فما عذرى عندكم اذا سعيت بنفسى كاذبا عليها فأسلمتها للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى وسلامتى مما قرفت به ونفسى أعظم الانفس على حرمة واوجبها حقا فلو فعلت هذا باقصاكم وأدناكم لما وسعنى فى دينى ولا حسن بى فى مروأتى ولا حق لى ان افعله فكيف افعله بنفسى فاكفف أيها القاضى عن هذه المقالة فانها ان كانت منك

فسد ظاهره بفساد النية فسأل المشرقى عن حال ذلك الشقى (قال) كان فى أقصى بلاد الصين طوائف غير ذى عقل رصين أنبت لهم فى بعض الجبال زراع القدرة ذو الجلال فى رياض النزاهة والكمال شجرة ذات بهجة وجمال أصلها فى أرض الملاحة ثابت وفرعها فى أصل المحاسن نابت وغصنها الى سماء العلا واصل وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل لا سموم الصيف يزيل زهرتها ولا عواصف الخريف تذهب خضرتها ولا صرصر الشتاء يعرى أغصانها ولا لواقح الربيع تذرى افنانها فأعجب بحسنها أهل تلك الديار وأشربوها اشراب بنى اسرائيل عجلا جسدا له خوار ثم تفانوا فى حبها وتهالكوا على قربها فعبدوها كما عبدوه واعتقدوها كما اعتقدوه واستولى على عقولهم الشيطان وصار يخاطبهم من الشجرة واحد من الجان فزادهم فيها اعتقادا وعمهم بعبادتها كفرا وعنادا فقدم تلك البلاد فقير من السائحين وهو من عباد الله الصالحين فلما رأى تلك الحالة افزعه ذلك وهاله وأخذته غيرة الاسلام وغضبة دعته الى القيام فأخذ فأسا وقصدها ليقطع ساقها وعضدها فلما قرب اليها وأراد وضع الفاس عليها سمع منها صوتا تخوفه وعن مراده أوقفه فقال أيها الرجل الصالح والقادم السائح فيم ذى الهمة وعلام هذه العزمة المهمة وما قصدك بهذه الصدمة فقال غيرة لله أيها المضل اللاه شجرة تعبد من دون الرحمن ولا يغار لهذا الشان انسان فلاقطعنك ايتها الشجرة المضلة ولاجعلنك حطبا ومثله فانك قد أضللت كثيرا من الناس وفعلت ما لم يفعله الوسواس الخناس وانك لا تنفعين ولا تضرين سوى انك الى النار تجرين فقالت أيها الرجل الزاهد الصالح العابد انا ما آذيتك ولا ضاررتك وان رأيت نفعتك وبررتك وحاشاك أن تؤذى من لا آذاك وانا اعلم أيها الرجل الكبير انك غريب وفقير وما أقدمك على هذا البأس الا الغربة والافلاس فكف عن هذا الامر وأطفئ نائرة هذا الجمر وارجع الى منزلك واشتغل بطاعتك وعملك وانا اوصلك كل نهار دينارا ذهبا فنارا كاملا وافيا معيارا يأتيك هنيئا ميسرا كل صباح مبكرا اذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعا تحت وسادتك وهذا هو الاليق بحالك وافرغ لخاطرك وبالك وأخلص لك من ورطات المهالك واذا أصلحت مع الله سريرتك وطهرت من أدناس الدنيا سرك وسيرتك فاترك الناس ولو كانوا جيرتك أو أهلك وعشيرتك وعليك بخويصة نفسك فاذا انقذتها من الورطات فأمسك وقد قال منزل القرآن ليحرضكم يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فلما سمع بالدينار الهاه الطمع والاغترار فبردت همته وضعفت فى الله قوته وتركها ورجع وترك القيام وهجع فلما أصبح الصباح وحاز بالصلاة الفلاح بادر الى الفراش وطلب المعاش فوجد الدينار كما ذكره الشيطان واشار فالتقفه وابتهج وتحقق انه فتوح باب الفرج واستمر على ذلك اسبوعا والذهب عنده مجموعا ثم بعد ذلك قصد الفراش بسرور واهتشاش فلم يجد شيأ من الذهب فتحرق قلبه والتهب فاخذه الحنق والقلق وأخذ الفاس وانطلق فلما قرب من الشجرة نادته بالفاظ عكرة قف مكانك واذكر شانك وقل لى فيما ذا جئت فلا حييت ولا حييت فقال جئت لاقطعك ومن الارض اقلعك غيرة على الدين وقياما بحق رب العالمين فقالت كذبت انما غرت وسببت وقت وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذى عنك ذهب وانما كانت الغيرة الصحيحة والقومة المليحة الناهضة النصيحة القومة الاولى فانها كانت والحق قد تجلى فلو قامت الخلائق لردك واجتهدوا فى منعك وصدك لما ظفروا وابك ولا قاموا بحروبك وأما الآن فهذه الغضبة

نصيحة فقد اخطأت موضعها وان كانت خديعة فان اقبح الخداع ما نظرته وعرفت انه من غير اهله مع ان الخداع والمكر ليسا من اعمال صالحى القضاة ولا تقاة الولاة واعلم ان قولك مما يتخذه الجهال والاشرار سنة يقتدون بها الان أمور القضاء يأخذ بصوابها اهل الصواب ويخطئها اهل الخطا والباطل والقليل الورع وانا خائف عليك أيها القاضى من مقالتك هذه اعظم الرزايا والبلايا وليس من البلاء والمصيبة انك لم تزل فى نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا فى رأيك مقنعا فى عدلك مرضيا فى حكمك وعفافك وفضلك وانما البلاء كيف أنسيت ذلك فى أمرى أو ما بلغك من العلماء انهم قالوا من ادعى علم ما لا يعلم وشهد على الغيب أصابه ما أصاب البازيار القاذف زوجة مولاه قال القاضى وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا انه كان فى بعض المدن رجل من المرازبة مذكور وكانت له امرأة ذات جمال وعفاف وكان للرجل بازيار ماهر خبير بعلاج البزاة وسياستها وكان هذا البازيار عند هذا الرجل بمكان جليل بحيث انه ادخله داره وأجلسه مع حرمه فاتفق ان البازيار راود زوجة مولاه عن نفسها فأبت عليه وتسخطت لذلك وعبس وجهها واحمرت خجلا وزاد امتناعها عليه وحرص عليها كل الحرص وعمل الحيلة فى بلوغ غرضه منها وضاقت عليه ابواب الحيل فخرج يوما الى الصيد على عادته فأصاب فرخى ببغا فأخذهما وجاء بهما الى منزله

غضبة الفاجرة لقعبه التى حصلت بواسطة عدم الدينار فهى التى اثارت منك ما اثار فلو دنوت منى خطوة او تقدمت من مقامك ربوة دققت عنقك وشققت زقك وقد قلت انى لاضر ولا انفع ولا اجلب ولا ادفع فاما المنفعه ياصلعمة بن قلمعه فانك رأيتها فى الدنانير التى لقيتها فتقرر النفع يامستحق الصفع واما المضره فقسها على المنفعة باأمره فان الذى له قدرة على المبره ربما يقتدر على الايذاء والمضره وان شئت تقدم وجرب لتعلم واخبر واسبر وانظر كيف افترمنك الراس بهذا الفاس وحقق وصدق ان كتفك حملت ذلك فبهت الرجل وتحير وخاف وخار وقهقر وانقطع حبل رجائه وأفلت يلتفت الى ورائه (وانما ذكرت) هذا التمثل أيها الوزير المكرم ان كل أمر لايقصد به وجه الله فان عقباه الندم وان حسن أولاه وكل قصد ليس لغرض صالح فان شجرة غراسه لاتثمر الا الفضائح فترك الشروع فيه أولى ومحو صورته من لوح الضمير أجلى ومن لم يترك مالايعنيه وقع فيما يعنيه وحل به من الفضيحة والايلام ماحل بذلك المفسد فى مدينة السلام فسأل الزنيم المشرقى البصير الافرقى كيف كانت تلك الفضيحه ليأخذ منها النفس النصيحه (قال) كان فى مدينة بغداد صانع حرير استاذ خبير له جار سنى الجوار وزوجة تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال وذلك الجار الجانى يدعى ابن الفرغانى ففى بعض مطاره لمح زوجة جاره فتعلق قلبه بها واشتعل من هواها نار أحشائه بهبوبها فاخذ باهو بها الى ان افسدها والى الضلال ارشدها وكان الزوج مغرما بها فوجد على حالها منها فصار يراقبها من كافه ولا يغفل عنها لشدة شغفه ويجتهد فى كفها عن الخيانه وان تحفظ الغيب وتؤدى الامانه ففى بعض الاوقات رأى فى بعض الطرقات صيادا ومعه طير قد أوثق رجليه بسير فسأله عن طيره والى أين قصده فى سيره فقال هذا من الجوارح السوانح لا البوارح يحاكى الصوادح ويباكى النوائح وفيه سر عجيب وأمر غريب وهو أنه اذا كان فى بيت ورأى فيه على صاحبته كيت وكيت أخبر زوجها خبره وقص بجره وبجره وقد رغب فيه رئيس يشتريه فانا ذاهب به اليه اقدمه لديه وامتن به عليه فرغب فيه الحريرى واشتراه وأتى به الى داره وقال لزوجته اكرمى مثواه واحسنى مأواه فانه يخبر بكل ما رآه وهو من احسن صفاته واعجب أموره وحكاياته ومهما فعلت زوجة الانسان ذكره على وجهه كما كان فقالت نحن بحمد الله فى بركه آمنون مما ينقل عنا من حركة فان رأى شيأ يهوله لايكتمه عنا بل يقوله فتركه الزوج وذهب فدخل الحريف الملتهب فرأى المرأة وحدها والطير عندها فأخذ فى المهارشه ومد يده للمناوشه فقالت كف يدك واحفظ الذمام فانه قد حصل علينا رقيب غمام فكف يدك ياحبيب لئلا نصاب ولا نصيب وتفكر فى قول الشاعر المصيب

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

فقال وأين الرقيب ياست الجار والحبيب قالت هذا الطير ليس غير فان له خواص عجيبه وفيه أشياء لطيفة غريبه منها انه غمام ومهما رآه أو سمع من الكلام فانه يفض عنه الختام ويذكره لصاحب البيت على التمام فقهقه بصوت عال وسخر منها وقال صدق سيد المرسلين الذى قال النساء ناقصات عقل ودين ثم أقسم بحماتها وحسن ذاتها وصفاتها ليولجن القضيب فى الكثيب بمرأى من ذلك الرقيب حتى اذا فرغ من أمره يسح فى منقاره رأس ايره ليعلمها صحة ما اوهمها ثم جاورها وغلبها وساورها وقلبها وحل الصدر بالتكه وتعلقت الحلقة بالسكه وامتزجت الالف العربية بالكاف الكوفية والتهم زر الوردة

وربا هما فلما كبرا فرق بينهما وجعلهما فى قفصين وعلم أحدهما أن يقول رأيت البواب مضاجعا لمولاتى على فراش سيدى وعلم الآخر أما أنا فلا أقول شيأ ثم أدبهما بذلك حتى أتقناه وحذقافيه فى ستة أشهر فلما بلغ الذى أراد منهما حملهما الى استاذه فلما رآهما اعجباه ونطقا بين يديه فاطرباه الا أنه لم يعلم ما يقولان لان البازيار قد علمهما بلغة البلخيين وان المرزبان أعجب بهما اعجابا شديدا وحظى البازيار عنده بذلك حظوة كريمة فأمر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك واتفق بعد مدة ان قدم على الرجل قوم من عظماء بلخ فتأنق لهم فى الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيأ كثيرا وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا فى الحديث أشار المرزبان الى البازيار أن يأتى بالببغاتين فأحضرهما فلما وضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا علمتاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا فنظر بعضهم الى بعض ونكسوا رؤسهم حياء وخجلا فسألهم الرجل عما تقولان فامتنعوا أن يقولوا ما قالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فقالوا انما تقولان كذا وكذا وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيه الفجور فلما قالوا ذلك أمرهم الرجل ان يكلموا الطيرين بلسان البلخية بغير ما نطقتا به ففعلوا ذلك فلم يجدوهما تعرفان غير ما تكلمتا به وبان لهم وللجماعة حصانة المرأة وبراءتها مما رميت به ووضح كذب البازيار فأمر المرزبان بالبازيار أن

النصيبيه شفاه الوردة النسرينيه واستمر فى أخذ وعطاء بلاغطاء ولا وطاء كأنهما أفواج
الحجاج أو ثباج الامواج فى شيل وحط وقبض وبسط وهرج ومرج ودخل وخرج واستمر
من نحو هذا التصريف فى بحث الرفع والجر ومن علم المطاردة والركوب فى صنعة الكر والفر
ومن علم الزندقة والالحاد فى عالم الحلول والاتحاد الى ان دفق الابريق العقيق فى قدح
اللجين شراب الرحيق وقد أنشد الحريف هذا النظم الظريف وهو

لو تنظر الرقبا وقد عنقته * والشمع مشتعل وبابى مقفل
طورا أشاهده وارشف تارة * واضمه من بعد ما أتأمل
واذا تغشى ذيل ثوبى بان لى * من جيبه شئ عليه المقتل

فلما سال الميزاب بما جرى وقضى زيد منها وطرا نهض ليبر قسمه حسبما ميزه وقسمه
وادنى من منقاره غرموله وكان للطائر مدة لم يتناول ما كوله فتصوره قطعة لحم قدمها
اليه لطعمه فأنشب مخالبه فيه فاستغاث بملء فيه وكاد ان يغمى عليه واستعان بحبيبة
قلبه اليه فأقبلت المرأة كالحدأة فاشار عليها أن تكشف عن ساقيها وترى الطير بظرها
وحرته فربما التهى به ويترك آلته فتكشفت وادنته اليه وعوات فى خلاص صاحبها
عليه فوثب لشدة قرمه وتأثير الجوع وألمه ليلهم ذاك الفلهم فأنشب مخاليب رجله
الاخرى فى فاهم تلك البظرا فاشتبكا وفى البلاء اشتركا وبينما هما فى تماطل الكلاب
واذا بالزوج قد دخل من الباب فرآهما على تلك الحال من الاشتباك والاعتقال ونقل
الطير ما قال بالافعال دون الاقوال فصح قوله وفعله وفعل معهما ما يجب فعله (وانما أوردت)
هذا البيان لأعلم اشرف جنس الحيوان ان الشروع فيما ليس فيه منفوع يجب الابعاد عنه
والفرار منه وعدم الاصغاء اليه والتوجه والاقبال عليه ولهذا قال النبى النبيه صلى الله وسلم عليه
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال المشرقى ما بقى باتقى الا أن ترتقى فلقد طال البيان
وضاع الزمان (شعر)

فانهض هديت الى مارمته عجلا * فالدهر عات وللتأخير آفات

وكانت هذه المحاوره تحت ظل شجره فيها وكر حمامه وكان لها بالبلد اقامه فى برج
رجل من أهل الزعامه ثم اختارت العزله واحتسبتها نعمة جزله فاختارت هذا المقام
ولها فيه عدة أعوام فسمعت جميع ما قالاه من مبدئه الى منتهاه فلما وعت ما اتفقا عليه
وتداعيا اليه اخذت تضرب اخماسا لاسداس وتتأمل فيما يجلى من عرائس معانيه
من القدم الى الراس وتجيل فى صور مبانيه قداح النظر وتلاحظ سيرة محاويه بلوامح
الفكر وتجوز مذاهبه وتروز عواقبه وتقيس مداركه بمعارجه وتميس فى مداخله ومخارجه
فأدى قائد فكرها ورائد نظرها الى أنه ربما يكون لهما شان وعلو مكانة ومكان فان
محاوراتهما وما مر من مناظراتهما كانت منطوية على ذكاء وفطنه وتجارب وحكمة
وعلو همه صادرة عن فكر مصيب ورأى له فى السداد أوفر نصيب ولم يبق لهما فى القدر
الا مساعدة القضاء والقدر واذا كان الامر كذلك فالاليق فى قطع هذه المسالك المبادرة
الى التعرف بهما واعانتهما والتقرب الى خواطرهما ومساعدتهما على ما هما فيه
ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه لانهما فى حالة الشدة وزمان الانفراد والوحده
محتاجان الى المساعده والمساعفة والمرافده وفى مثل هذه الحالة تظهر الفضيله ويتحملان
المنة والجميله وتقع مساعدتى أحسن موقع ويتنزلى عندهما أرفع موضع فانه اذا علا

بدخل عليه فدخل عليه وكان على
يده باز أشهب فصاحت به المرأة من
داخل البيت أيها العدو لنفسه أنت
رأيتنى على ما ذكرت وعلمت به
الببغاتين قال نعم أنا رأيتك على
مثل ما تقولان فوثب البازى الى
وجهه ففقأ عينيه بمخالبه فقالت
المرأة بحق اصابك هذا انه جزاء من
الله تعالى بشهادتك على مالم تره
عينك (وانما ضربت) لك هذا المثل
أيها القاضى لتزداد علما بوخامة
عاقبة الشهادة بالكذب فى الدنيا
والآخرة فلما سمع القاضى ذلك
من لفظ دمنه نهض فرفعه الى الاسد
على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا
أمه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت
كلام دمنه للاسد لقد صار اهتمامى
بما اتخوف من احتيال دمنه لك
بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد
عليك أمرك اعظم من اهتمامى
بما سلف من ذنبه اليك فى
الغش والسعاية حتى قتلت صديقك
بغير ذنب فوقع قولها فى نفسه فقال
لها اخبرينى عن الذى اخبرك عن
دمنه بما اخبرك فيكون حجة لى فى
قتلى دمنه فقالت انى لأكره ان افشى
سر من استكتمنيه فلا يهنئنى سرورى
بقتل دمنه اذا تذكرت انى
استظهرت عليه بركوب ما نهت
عنه العلماء من كشف السر ولكنى
أطالب الذى استودع عنده ان
يحالنى من ذكره لك ويقوم هو
بعلمه وما سمع منه ثم انصرفت
وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق
عليه من تزيين الاسد وحسن معاونته
على الحق واخراج نفسه من
الشهادة التى لا يكتمها مثله مع

شانهما

شأنهما وارتفع بدون معاونتي قدرهما ومكانهما واجتمع عليهما الجنود وأقبل اليهما الوفود وكثرت الحفدة والاتباع وتكاثفت العساكر والاشياع فما يظهر لمن يتقرب اليهما ويترامى لديهما اذذاك كبير فائده ولا كثير عائده ثم أنها توكلت على الرحمن وصدحت على الاغصان بقولها

على الطائر الميمون والبشر والسعد * سموت الى العلياء نهدا على نهد

ثم هبطت وبين أيديهما سقطت فاذكرت قول الرئيس هذا الشعر النفيس

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض ووقفت فى مقام العرض ولزمت شرائط الحشمه وأدت مواجب الخدمة وهنأت نفسها والكون بسلطنة الملك يسار ذات الصون وقالت انى لكما نعم العون وموطنى فى هذه الشجره وأنا لاوامركم مؤتمره وتدوعيت ماقلتماه وما داربينكما وذكرتماه ورأيته صادرا من مشكاة السعاده مشرقا بانوار السياده سهامه نافذة فى قلب الغرض ويستعبد جواهر الرعايا بادنى عرض فان حسامه مطبق لفصل القصد وشأنه مبلغ أعلى اليمن والسعد وها قد جئت مبادره واردة منهل الطاعة وصادره فأمرا لامتثل وانظرا لاحتفل وتحكما لاطيع وتكلما فانى سميع فان اشرتما فالقصد قاف وان استشرتما فالرأى كاف وان خبرتما فالحزم واف وان استنهضتما فالعزم شاف وان استخدمتما فاله بد خادم صاف مصاف فلما رأيا من الحمامه هذه الكرامه تبسم الزنيم وتهلل واشرق وجهه وتهلل وتيمن بطلعة الورقا وعلم أن أمرهما يرقى وقال ليسار هذا من علامات اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود فان مسبب الاسباب العزيز الوهاب تبارك وتعالى وجل جلاله لا هو مسهل الصعاب ومفتح الابواب واذا اراد امرا هيأ أسبابه وفتح على الضعيف طاقته وبابه ووسع رحابه وسدد الى مرامى المرام لراميه نشابه وحصول مثل هذا الصاحب الصادق والرفيق الموافق والمعين المصادق أدل دليل على أن الله الجليل ييسر هذا المطلوب ويظهر هذا النجح المحبوب ثم أنهما استشارا الحمامه فى كيفية نيل الزعامه والشروع فى هذا الامر والتوصل الى دعوة زيد وعمرو وطريقة اشتهاره وتعاطى أسباب انتشاره فقالت أنا من جنس الطير مشهورة بينهم بالخير ولهم الى سكون وعلى مناصحتى اعتماد وركون فالصواب فى فتح هذا الباب دعوة الجمهور من الطيور وأنا به زعيم وفى الرسالة حكيم فان اقتضى الرأى الرفيع توجهت ودعوت الجميع بعد التخيير والتشهير بين الكبير منهم والصغير ان أبا الجراء السلطان وأبا الجداء الوزير وقد وقع الاتفاق فى الآفاق على هذا الوفاق فليبتهج سائر الطيور بهذا الفرح والسرور وليقرأ على رؤس الجمهور هذا المقال المنشور وليبادر الى الخدمة بالحضور ولا يتخلف أحد من آمر ومأمور والحذر الحذر من المخالفه وعدم الانقياد والمؤالفه فقد طاب الوقت وراق وزال المقت والشقاق والمسارعة فى أقرب زمان ليأخذوا لانفسهم الامان ولا يركبوا من التعويق سوى متن مسافة الطريق فأعجب الملك والوزير من الهديل هذا الهدير فكتب بذلك بطاقه وحملها الحمامة باحكم وثاقه ثم أخذت الى الجو ووقيت من الجوارح السو ثم هبطت الى مجمع الطير وهو نادى الندى والخير فرأت منها خلقا كثيرا وجمعا غزيرا فسلمت سلام المشتاق وعانقت عناق العشاق فترحبوا بقدمها وسألوا عن معرب أحوالها ومعجمها وقدموا موائد

ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق فى الحياة والممات فان العلماء قد قالت من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة فلم تزل به حتى قام فدخل على الاسد فشهد عنده بما سمع من اقرار دمنه فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذى سمع اقرار دمنه وحفظه الى الاسد فقال ان عندى شهادة فاخرجوه فشهد على دمنه بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد ما منعكما ان تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنه فقال كل واحد منهما قد علمنا ان شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضى به الحكم حتى اذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنه ان يقتل فى حبسه فقتل اشنع قتله (فمن) نظر فى هذا فليعلم ان من اراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر فانه سيجزى على خلابته ومكره انقضى باب الفحص عن امر دمنه

(باب الحمامة المطوقة)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ماذا صار عاقبة امره من بعد ذلك فحدثنى ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض (قال) الفيلسوف ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيأ فالاخوان هم الاعوان على الخير كله والمواسون عند ما ينوب من المكروه (ومن) امثال ذلك مثل الحمامة المطوقة

الضيافه واظهروا السرور واللطافه فبثتهم كثرة الاشواق وما عانته من الم الفراق وقد حرضها شدة الشوق وساقها اليهم أشد سوق وبعثها أيضا باعث وهو من أحسن الوقائع وأيمن الحوادث وذلك أن شخصا من أصلاء بنى سلاق الحاكم على بنى زغار وبنى براق تولى سلطنة السباع ومالكية الذئاب والضباع مضافا الى ذلك الحكم على الطيور والقيام بسياسة أمور الجمهور وأقام له فى ذلك وزيرا كافيا ناصحا مشيرا يدعى أبا زغبة المشرقى من نسل تكابك الارتقى وهو من الفحول وكباش الوعول وقد أرسلونى الى الجماعه يأمرونهم بالدخول فى رياض الطاعه ليحصل لهم الرعى والرعايه والرفاهية والحمايه ويأمنوا صيد الكائد وكيد الصائد ثم شرعت تبث للكبير والصغير ما شاهدت من مخايل الملك والوزير وحسن شمائلهما ويمن خصائلهما وما هما عليه ونسبا اليه من الشجاعة والدين والعقل المتين والفضل المبين والقناعة والعفه والمجد الذى لا تدرك وصفه وان الملك المعلوم قد عف عن تناول اللحوم وقد قنع بما يسد الرمق من حشيش النبات والورق وقد تكفل برفع المظالم وردع الظالم واجراء مراسم العدل واحياء مواسم الفضل فان أنابوا وأجابوا ربحوا وأصابوا وطالوا وطابوا وان أبوا وصبوا واهتزوا المخالفة وربوا ثم كسبهم الدمار وار كسهم فلا يلوموا الا أنفسهم فصدقوها من أول وهله والرائد لا يكذب أهله لانهم كانوا بها واثقين ولكلامها فى الحوادث مصدقين فما وسعهم الا الطاعه والتوجه الى خدمة الملك فى تلك الساعه وبعد ما تبادروا بالتصديق طاروا بالفرح ودخلوا الطريق واستصحبوا من الخدم والتقادم ما يصلح للمخدوم من الخادم فلما قربت الديار ودنوا من ولاية الملك يسار تقدمت الحمامة وسبقت وأخبرت الملك والوزير بما فتقت ورتقت فاستبشروا بما تقدم وبادر الوزير لملاقاة المقدم فتلقاهم بالاحترام والتوقير وأكرم الكبير منهم والصغير ومشى معهم بالاكرام والحرمه واوقف كلا منهم فى مقام الخدمه وحين استقر بهم المقام افتتح الوزير الكلام فاثنى على الله تعالى وضاعف التحية على نبيه ووالى ثم امتدح الملك الذكى بثناء يخجل المسك الذكى وذكر بعد ذلك ما يتعلق بسياسة الممالك وان الله من بالملك عليه وساق سلطنة الوحش والطيور اليه وذكر مقام كل من الطيور وما وظيفته بين أوائك الجمهور فأطاع الكل وتابعوا وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا وأنشدوا فارشدوا

ونحن أتينا طائعين ولم نكن ❊ عصاة فرم غير الطيور عساكرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير أخذوا فى استدعاء جموع الغير من الوحوش الكواسر والبهائم الجواسر والهوام النواشر والجوارح النواسر وأرسلوا من تلك الجماعة الحمامه وقلدوها فيه طوق الزعامه فتوجهت نحو الوحش والى كل قارح من الصيد وجحش وكانوا بذلك قد جمعوا وللمشاورة فيه قد اجتمعوا فبلغت الحمامة الرساله واظهرت ما فيها من بساله وكان آخر ما وقع عليه الاتفاق الوفاق وعدم النفاق وقصد الارتفاق والتوجه الى خدمة الملك يسار بصحبة الرفاق وقالوا لاشك أن الكلاب بالوفاء مشهور وبحسن الرعاية والحراسة مذكور ويقدر أن يرعانا من الانسان ويحمينا من السباع ومؤذيات الحيوان وأوصافه مذكورة فى الكتاب وناهيك بفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب فتقدم خزز من بين تلك البزز يدعى رئيس الارانب محبب الى الاقارب والاجانب وهو مشهور بالحصافه موصوف بالذكاء والظرافه والمعرفة التامه والتجربة المفيدة العامه نقيد الفكر فى العواقب سديد الرأى حازم مراقب وقال يا معشر الاصحاب وأولى الابصار والالباب كيف

والجرذ والظبي والغراب قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان بارض سكاوند جين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان فى ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط فى وكره اذ ابصر صيادا قبيح المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة وفى يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال لقد ساق هذا الرجل الى هذا المكان اما حينى واما حين غيرى فلاثبتن مكانى حتى أنظر ماذا يصنع ثم ان الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها فلم يلبث الا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هى واصحابها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن فى الشبكة كلهن واقبل الصياد فرحا مسرورا فجعلت كل حمامة تضطرب فى حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لا تخاذلن فى المعالجة ولا تكن نفس احداكن اهم اليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا فنقلع الشبكة فينجو بعضنا ببعض فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون فى الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن انهن لا يجاوزن الا قريبا ويقعن فقال الغراب لاتبعهن وانظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد مجد فى طلبكن فان نحن اخذنا فى

خفى عليكم ولم يتضح لديكم عاقبة هذه الامور وما فيها من عكوس وشرور وهل يصلح للرياسه واقامة السلطنة والسياسه أهل النذالة والخساسه المتصف بالقذارة والنجاسه أو ما علمتم أن من أخس السباب الشتم باخس من الكلاب أو ما سمعتم فى كلام مالك أزمة القلوب فى حق من عامله بالسلخ والسلب فمثله كمثل الكلب أو ما قال صاحب الشرع فى حق ما ولغ فيه الكلب بالسبع ثم التعفير بالتراب وهو مذهب كثير من الاصحاب وان لا يطهر بالدباغة منه الاهاب لا أصل نقى ولا وصف نقى ولا نسب طاهر ولا حسب ظاهر ولا وجه زاهر ولا شكل باهر فان كنتم نائمين انتبهوا واعرضوا عما قصدتم اليه وانتهوا فلعن الله زمانا صار فيه التيس وزيرا والكلب سلطانا ولقد أرشد من أنشد

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب * من الارض واستولت علينا الاراذل
هل المسخ الا أن ترى العرف منكرا * أو الخسف الا حين تعلو الاسافل

فتصدى الهديل للجواب وقال لا شك ولا ارتياب أن المستحق للسلطنة الامام العادل والشخص الكامل الفاضل ولا يقدح فى هذا الفصل دناءة الاصل فقد قال القيوم الحى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكل من اتصف بالهمة العليه والاوصاف السنيه ومكارم الاخلاق والشيم وانتشر بها صيته بين الامم يستحق ان يرأس بين العرب والعجم وأما الانساب ففى نص الكتاب قال من بقوله يهتدى المهتدون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * فسوف يغنيك ذاك عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال أيضا
لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وأما الاوصاف فلا شك ولا خلاف فى أن الكلاب فضلت على كثير ممن لبس الثياب وما ذاك الا لاوصاف اختصتها وآثار اقتفتها واقتصتها وهى مشهوره وعن الكلاب مسطوره ومن جملة محاسنهم مأثوره وأما الاوصاف الذميمه فيمكن صيرورتها مستقيمه وذلك بحسن التأديب والتربية والتهذيب والتمرين والتشذيب حتى يصير نابه مديه وهذا ليس فيه مريه ويجتزى بالفاكهة والبطيخ عن اللحم السليخ وبالخبز الشعير عن أكل لحم الحمير وناهيك بأبا وثاب ما قيل فى الكلاب ولابسى الثياب (شعر)

وما ضر أهل الكهف ايمان كلبهم * ولكنهم زادوا يقينا على هدى
وماذا أفاد العلم بلعام وهو من * بنى آدم لما الى الارض اخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن أن لا يمزق حيوان ولا يذوق لحمان وأن يقنع بالكفاف ويسلك طريق العفاف وما ذاك لعجز ينسب اليه ولا لوهن طرأ عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا وسلك طريق الملوك فى احياء همهما ومال اليها تطبعا * وبضدها تتبين الاشياء فان أجبتم كان لكم الحظ الاوفر وان امتنعتم فقد أعذر من أنذر وبالغ من حذر وما قصر من بصر والعاقل من يتبصر عيوبه ويسلك من اخلاق الجميل دروبه وقد قيل لامير النحل ذاك الاسد الفحل كرم الله وجهه وجعل له الى الرضوان أحسن وجهه يا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ممن تعلمت الادب قال من قليل الادب يعنى اذا رأيت فى أحد خلقا ذميما أو وصفا فاسدا بادرت الى افتقاد نفسى وتأملت فى حدسى وحسى هل أنا محلى بذلك الوصف

القضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران يخفى عليه أمرنا وانصرف وعكان كذا جرذ هو لى أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ أمرت الحمام أن يقسطن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من أنت قالت أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك فى هذه الورطة قالت له ألم تعلم انه ليس من الخير والشر شئ الا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهى التى أوقعتنى فى هذه الورطة فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى منى وأعظم أمرا وقد ينكسف الشمس والقمر اذا قضى ذلك عليهما ثم ان الجرذ أخذ فى قرض العقد الذى فيه المطوقة فقالت له المطوقة ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك اقبل على عقدى فأعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها لقد كررت القول على كأنك ليس لك فى نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا قالت انى أخاف ان أنت بدأت بقطع عقدى ان تمل وتكسل عن قطع ما بقى وعرفت انك ان بدأت بهن قبلى وكنت أنا الاخيرة لم ترض وان ادركك الفتور أن أبقى فى الشرك قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ثم ان الجرذ أخذ فى قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت

أم لا فان لم يكن اجتهدت أن لا يكون وان كان أبعدعنه عرضي وأصون وحسبك ياذا الرتبة العاليه استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانيه فقالت الخزز للحمامة أخبريني بذلك الاستنكاف ياذات الكرامه * قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار عن شاطر من الشطار قد بلغ في الشطاره واللصوصية غاية المهاره يسرق الوهم من الخاطر والرائحة من الطيب العاطر والنوم من أجفان الوسنان واللماظة من اسنان الجيعان ويأتي على كوامن الغيوب فضلا عن خزائن الجيوب ويلف الرخيص والغالي والوضيع والعالي وقد أعجز المقدم والوالي ففي بعض الاوقات قصد جهة من الجهات فبيناهو في المناهضة والمناهزه غشيه الوالي مع العسس والجلاوزه ومعهم امرأة بغي قد خرجت عن الصراط السوي وهم يضربونها وعلى أفظع حالة يسحبونها وهي تستصرخ المسلمين وتستغيث أئمة الدين فلما أحس اللص بهم نكب عن دربهم وولاهم عطفه وانزوى في عطفه وانتظر حتى عبروا فسمع المرأة وهم بها قد اضروا وهي تصيح بلسان فصيح وتقول يا أهل الاسلام وأمة خير الانام أنجدوني وارحموني وأسعدوني لا سرقت ولا نقبت ولا اختلست ولا سلبت ولا طمعت في مال أحد ولا نهبت ولا وقفت لاحد في درب وانما أستنفق من حاصل دار الضرب وذلك ملكي وحوزي وثمرة لوزي وجوزي باشارة سهام الحاظي الملوزه من قسي حواجب بالجمال متوزه وسفارة نظام الفاظي المعززه المشبه بابطريقها درا في العقيق والرحيق مغرزه فالي على أحد ثقل ولا طمعت في مال أحد فيحصل له مني ملل فلما سمع قاصد الحرام هذا الكلام افاق وصفا خاطره وراق وتنبه لقبح صنعته وان الزواني تأنف من حرفته وتستنكف مما هو مفتخر بفضيلته فقال لعن الله فعلا تنتقصه الخواطي وتباو حقا المتعاطيه من متعاطي ثم عاهد الله التواب ورجع اليه عن صنعة الحرام وتاب (وانما أوردت) هذه المناقب ياشيخ الارانب لتعلم أن العاقل من يتصفح جرائد اعماله ويتأمل صحائف حركاته وأحواله وان هذا الملك صفى شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبه ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمة بمناكش المعاتبه بقدر طاقته وامكانه وهو مثابر على ذلك في غالب ازمانه ولا يكلف الله نفسا الاوسعها وليس لك أن تعترض بان النفس لا تغير طبعها وليس الاكمه كالارمد ولا السطيح كالمقعد ولا سحبان كباقل ولا العاقل كالمتعاقل * ليس التكحل في العينين كالكحل وتخرج يامسكين بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين مع وزيره حسن الميمندي بسبب القضية الواقعة لابن الجندي فسأل أبو عكرشة أبا عكرمة عن هذه الواقعه ليتبين من التمثيل مواقعه (فقال) ان السلطان محمود ذا الطالع المسعود الذي فتح بلاد الهنود جرى بينه وبين وزيره مباحثه وقع فيها عن دقيق العلوم منابثه في أن الطباع هل تقبل التغيير أم لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير فقال الوزير نعم تقبل التغيير بواسطة التأديب وحسن التشذيب والتهذيب وقد شاهدنا الطباع من الوحوش والسباع بواسطة التعليم تركت الخلق الذميم واكتسبت الوصف المستقيم فجريان هذا الامكان أحرى أن يوجد في جنس الانسان فقال السلطان المظفر لا تتحول الطباع ولا تتغير ولا يمكن صرفها عما جبلت عليه ولا يتصور قال من ليس في كلامه اشتباه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال القائل * وتأبى الطباع على الناقل * واستمر هذا الكلام بينهما عدة أيام الى أن ركب السلطان وقصد السيران والوزير في ركابه بين خدمه وأصحابه فرأيا من بعد شابا من أولاد أحد الجند وهو جالس على فرع شجرة يابس يريد قطعه لما عدم نفعه

وقد

المطوقة وحمامها معها فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته فجاء وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك قال اني أريد مصادقتك قال الجرذ ليس بيني وبينك تواصل وانما العاقل ينبغي له ان يلتمس ما يجد اليه سبيل ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانما انت الآكل وانا طعام لك قال الغراب ان أكلي اياك وان كنت لي طعاما مما لا يغني شيأ وان مودتك آنس لي مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك ان تردني خائبا فانه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما رغبني فيك وان لم تكن تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو اخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والارج الفائح قال الجرذ ان أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل الاسد الفيل أو الفيل الاسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بيني وبين السنور وبيني وبينك فان العداوة التي بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد علي فان الماء لو أطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفائه النار اذا صب عليها وانما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الاريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق ان تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالي ولا تصعب على الامر بقولك ليس الى التواصل بيننا سبيل فان

وقد جعل ظهره الى طرف الفرع وهو عمال بالمنشار فى أصله للقطع فتأمل السلطان والوزير فى هيئة ذلك الظبى الغرير ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان وطبع هذا ايضا داخل فى الامكان وهو يقبل التغيير والتعليم ويمكن استحالته بالتأديب والتفهيم فلم يحر الوزير جوابا لاخطأ ولاصوابا ثم أشار الى بعض خوله ان يذهب بذلك الشباب الى منزله فلما نزل من الركوب أحضر ذلك الشاب المرغوب الغافل المحبوب ثم طلب له مؤدبا حاذقا مهذبا وأمره ان يجتهد فى تعليمه ويبالغ فى تأديبه وتقويمه ويوقفه من العلوم على دقائقها ويسلك به الى خفايا طرقها وطرائقها فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا وبذل مجهوده فى ذلك سرا وجهارا الى أن برع فى انواع العلوم وضبطها من طريقى المنطوق والمفهوم ولما فرع من العلوم ادناها وأنهاها من مبتدئها الى منتهاها شرع به فى علم ادريس وهو علم النجوم النفيس واستطرد منه الى علم الرمل المنير وتوسل به الى ان توصل الى اخراج الضمير فأتقن هذه العلوم لاسيما اخراج الضمير الموهوم فلما أتقن ذلك وسلك فيه ادق المسالك أحسن الوزير اليه واستصحبه الى الملك ودخل به عليه فقبل الارض وأدى من شرائط الخدمة النافلة والفرض وقال للسلطان محمود ان هذا هو ذاك الشاب المعهود وقد برع فى العلوم ووصل الى استخراج الضمير المكتوم وقد بدلت بلادته بالذكاء وصار فؤاده كابن ذكاء فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته واعتبرت فهمه بعد ما اختبرته فادخل السلطان يده فى كمه ونزع خاتمه من بصمه وأطبق يده عليه ليسبر منتهى علمه وينظر ماقاله الوزير فى كيفية هذا التبديل والتغيير ثم أخرج يده من كمه وقال ليظهر نتائج علمه ليخبرنا بما فى كفى وعن حواس العيون مخفى فتقدم الشاب ورفع الاصطرلاب ووضع أوضاع الحساب وخط ذلك النقى اشكال لحيان والنقى وسائر الاوضاع من الطريق والاجتماع ثم نظر وسبر وعبس وبسر وقدر وافتكر وقال دل الشكل والله اعلم أن ماحواه الكف المكرم شئ من المعادن محفوف بسود دأو سواد بائن وهو فى افضل الاشكال لانه مستدير وفى احسن الالوان لانه مستنير وفى دائرته قطر ومركز وفى وسطه ثقب لمغرز وهو ثقيل اما فى الثمن أو فى التحميل ثم تأمل بعد الوقوف فى أن هذا الموصوف ماذا يكون فقال كانه والله اعلم فردة طاحون فضحك السلطان الكبير وخجل لذلك الوزير ثم قال السلطان أبى الله وله السبحان أن يكون باقل كسحبان

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وانما أوردت) هذه المسائل لئلا يعترض قائل ويستدل بمثل هذا الدليل على ان الطباع لاتقبل التغيير والتحويل بل الطباع تتغير * ومن ذا الذى ياعز لايتغير * فسبحان من لايحول ولايزول الذى وضع عالم الكون على الانتقال والحلول وكل لجلال عظمته مخبت يمحق ما اراد ويثبت ويمحو مايشاء ويثبت ومذهب اهل الثبات فى المحو والاثبات ان الكافر قبل الاسلام كافر عند الملك العلام وبعد ما انخرط فى سلك المؤمنين صار مؤمنا عند رب العالمين وعلى هذا التقدير والتقرير أيها الفاضل الكبير والعالم النحرير فالملك يسار نظر بعين الاعتبار وتنصل من رذائل الاوصاف وتخلق باخلاق الاشراف من التلبس بالعدل والانصاف ولولا نيته الصالحه ماصارت صفقته فى المبايعة رابحه ولا كانت كفة فضله راجحه ولازاله النكد ولااطاعه أحد والاعمال بالنيات وعلى مقدار النيات العطيات وجنس هذا الملك فى الاوصاف المتباينة مشترك وفانه قد جمع بين خصائص

العقلاء الكرام لايبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطىء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان اصابه ثلم أو كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من ادنى عيب ولاوصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لايود أحدا الا عن رغبة أو رهبة وانا الى ودك ومعروفك محتاج لانك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخينى قال الجرذ قد قبلت اخاءك فانى لم أرد أحدا عن حاجة قط وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسى فان أنت غدرت بى لم تقل انى وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب مايمنعك من الخروج الى والاستئناس بى فهل فى نفسك بعد ذلك منى ريبة قال الجرذ ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهى ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الاصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطى كمثل الصياد والقائه الحب للطير لايريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد وانى وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسى مثل ذلك وليس

الحيوان حتى كانه سبع بهيمة انسان كما قيل

جمع الكلب فى حلاه صفات * فهو سبع بهيمة انسان

وكما قيل أيضا

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

وأنا يا مولاى اعرض عليكم هذا الرأى وهو شاهد عدل وحكم فصل وهو أن يقع الاتفاق على واحد منكم من خلص الرفاق من تحققتم حسن آرائه وصدقه فى أنبائه وصحة دينه ورصانة عقله ويقينه فانطلق فى ركابه الى حضرة الملك وجنابه فيكتحل بانوار طلعته ويشم له ما من رؤيته ويطالع جميل صفاته ليسكن الى فضيل حركاته وينتقل من علم اليقين الى عين اليقين فيزول باليقين الشك ويظهر خلاصة الذهب بالحك ثم يأخذ لكم العهد والميثاق بما يقع عليه الاتفاق وما ترضونه وترونه من الصواب ويرد عليكم بذلك الجواب فان وافق قصدكم تؤكدون عليه عهدكم وتتوجهون بقلوب مطمئنه وخواطر فى حصول المرام مستكنه والاقترون رأيكم فيما عليكم ومالكم فاستصوبوا هذا الرأى واسترضوه واستعذبوا لطيف معناه واستحسنوه وانتدبوا لهذا الامر الخطير من يصلح أن يكون عند الملوك السفير فوجدوا ظبيا طيب العناصر قد عقدت على غزارة فضله الخناصر من أعقل الجماعة واذكاها وأحسنها رأيا واوداها فقلدوه الزعامه وأرسلوه مع الحمامه على ان يجتمع بالملك يسار ويعاهده على ما يقع عليه الاختيار ثم يسمع أقواله ويشاهد افعاله ويميز أحواله ثم يرد عليهم الجواب فيميز واما فيه من خطا وصواب فبنوا عليه ويرجعوا اليه فتوجه الظبى والحمامه مستصحبين الامن والسلامه فلما قربت الديار سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار وأخبرته بصورة الاخبار وان الظبى فى العقب مقبل بما يحبه الملك ويحب فأمر الملك الوزير ان يتلقى الظبى الغرير مع جمع الطير الكثير فتقدم الوزير وقال أسأل مولانا الملك المفضال ان صدر من هذا القاصد خطاب ان يشار الى برد الجواب فان ذلك أعلى للعزمه وأدنى للحشمه وأقوى لناموس الملك والرياسه وازهى لطاوس الباساق والسياسه فان كان ذلك الجواب متحليا جيده بعقود الصواب كانت سعادة الملك الملهمه وفى خدم الملك من تصدى للامر وابرمه فان خرج عن طريق الجاده فلا ينسب الى الملك تلك الماده بل يتلقاه الملك بكرمه ويكون الخطأ منسوبا الى خدمه فأجابه الى ما سأل وتقدم الوزير للاقاه مع سائر الخول فتلقوا الظبى بالترحاب وفتحوا فى وجهه للكرامة أوسع باب ومشوا معه حتى وصل الى الحضرة وشاهد تلك الحشمة والنضره فقبل الارض ووقف وعرف مقدار الملك واعترف وأدى الرساله وبين للملك ما فيها من رقة وجلاله فقابله الملك بما يليق بحشمته واجلسه بالقرب من حضرته وخاطبه بما اذهب دهشته وآنسه بملاطفات جلت وحشته وسأله عمن خلف وراءه واستقصى فى التفحص أحواله وانباءه فبلغ عبوديتهم وطاعتهم وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم وفتح فم الدعاء بلسان ذلق وخطاب طلق وكلام غير معقد ولا قلق وأطال فى الدعاء واطنب فى الشكر والثناء وسأل شمول المراحم وكف كف المتعدى والمزاحم فانهم انبسطوا وانشرحوا وابتهجوا باستيلاء هذا الملك وفرحوا وشكروا الله هذه النعمه وانى يفون بشروط العبودية والخدمه ثم سأل أخذ الميثاق وتأكيد العهد بالاشفاق بالأمان والاطمئنان لمن وراءه من الوحوش والغزلان فاعطاهم الامان وشملهم بالاحسان على ان لا يراق لهم دم ولا يهتك لهم حرم وانهم يرعون حيث شاؤا

ويسرحون

يمنعنى من الخروج اليك سوء ظنى بك ولكن قد عرفت ان لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم فى كرأيك قال الغراب ان من علامة الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا وانه يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهرى ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا وانس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ ان جحرك قريب من طريق الناس وأخاف ان يرميك بعض الصبيان بحجر ولى مكان فى عزلة ولى فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هناك ما نأكل فاريد ان أنطلق بك الى هناك لنعيش آمنين قال الجرذ ان لى اخبارا وقصصا سأقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التى فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم انه صاحبها فناداها فخرجت اليه وسألته من أين أقبلت فاخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى اليها فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت ما ساقك الى هذه الارض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار التى زعمت أنك تحدثنى بها فاخبرنى بها مع جواب ما سألت السلحفاة فانها عندك بمنزلتى فبدأ الجرذ وقال

ويسرحون حيث ذهبوا وجاؤا وان الملك يسار حاكم سلوق وزغار وخليفة براق وكوبالك
والتتار قد عاهد الملك الجبار أن لا يتعرض لوحش القفار ولا لاحد من اجناس الاطيار
حتى ولا لحيتان البحار ولا يريق لهم دما ولا يقصد لهم أذى ولا الما ويرعى جانبهم ويقضي
ما ربهم ويحفظ شاهدهم وغائبهم ويمنعهم من مناويهم ولا يسلط عليهم من يؤذيهم
ماداموا تحت طاعتي وفي جواري وذمتي فقبلت الغزاله بشفاه العبوديه خد الجداله
وقالت هذا كان المأمول وجل القصد من الصدقات والمسؤل والذي جيء لاجله فقد
حصل من صدقات الملك وفضله ولكن العلم العالي محيط بان وحوش البسيط اقوام ضعاف
ليس بينهم ائتلاف وهم طوائف كثير والاختلاف أجناس متفرقه وانواع متمزقه ليسوا
كقطائع الغنم مجتمعين ولا كخشار الخيل مستنفين ولا بعضهم لبعض متبعين ثم لم تزل
العداوه بينهم قائمه وعيون الصلح والاتفاق عنهم نائمه لا يضبطهم ديوان ولا يحصرهم
حسبان ولا يمنعهم من التعدي سلطان القوي يكسر الضعيف ويمزقه والشاكي يستطيل على
الاعزل ويفرقه ولاجل هذا المعنى لا يمكن اجتماعهم في مغنى بل البعض في قلال الجبال
متوطن والبعض في سرب التلال متحصن والبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات
والبعض في الآجام والآكام خوف الغارات وكل يخاف حلول البلاء قد اتخذ ذلك
القاصعاء والنافقاء واستعد بفنون الكيد خوفا من جوارح الصيد واذا كان الامر كذلك
فاجتماعنا متعسر وحفظنا في الملك غير متيسر فلا بد من ترتيب قاعده تعم منها جميع
الوحوش الفائده ويشمل أمنها غائب الملك وشاهده والا فالحاضر آمن وقلب الغائب
غير مطمئن ولا ساكن فليفتكر للرعيه في ضابطه تكون الحرمه فيها للقريب والنائي
باسطه فالتفت الملك للوزير وقال أجب هذا السفير فقال الزنيم يا أحسن ريم هذه الافكار
من قصور الانظار وعدم التأمل والاستبصار والافان السلطان في كل مكان كلمته علياء
ووجوده كالشمس في الدنيا فكما ان الشمس اذا استوت وعلى سرير كبد السماء احتوت عم
فيض شعاعها الجبال والآكام والتلال والآجام وانتشر على البحر والبر واشتهر على
الفاجر والبر فربت الازهار والاثمار وشبت مشاعل الكلا في القفار وطبخت الغلال وفواكه
الاشجار وصبغت في كوامن المعادن جواهر الاحجار كما قيل

كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها في سائر الآفاق

كذلك الملك العظيم اذا انتشر صيت عظمته وعدله في سائر الاقاليم شمل فضله الشريف
والوضيع وبلغ جود وجوده الدني والرفيع وزدع عدله الطائع والعاصي ووسع نواله
الداني والقاصي وانه كالغمام الصيب الصبيب على الربيع الخصيب والديمة المطبقة والمزنة
المغدقه اذا انتشرت في الآفاق وصارت لا م عهد عاهدها للاستغراق فروت الحضيض
والبقاع وعمت الوهاد والتلال والبقاع وخاطبها ظمآن الرياض وعطشان الغياض شعر

أمطر على سحاب جودك مرة * وانظر الي برحمة لا أغرق

هذا ومتى انتشر في الاطراف انكم التجأتم الى هذه الاكناف وتطرز بشمول الصدقات
السلطانيه من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف منعت العواطف الملوكيه والخواطر
الشريفة السلطانيه عوادي المعادي وكفت أكف المصادم والمصادي فلا يجترئ أحد
على التعرض لكم ولا يخطر ببال مخالف أن يقطع سبلكم قال الرسول الامر كما يقول مولانا
الامير وما أحسن هذا التقرير ولكن مع المراحم السلطانيه وصدقات العواطف الملوكيه

كان منزلي اول امري بمدينة ماروت
في بيت رجل ناسك وكان خاليا من
الاهل والعيال وكان يؤتى في كل يوم
بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته
ويعلق الباقي وكنت ارصد الناسك
حتى يخرج واثب الى السلة فلا ادع
فيها طعاما الا اكلته وارمي به الى
الجرذان فجهد الناسك مرارا أن
يعلق السلة مكانا لا اناله فلم يقدر
على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف
فاكلا جميعا ثم اخذا في الحديث فقال
الناسك للضيف من اي ارض
اقبلت واين تريد الآن وكان الرجل قد
جاب الآفاق ورأى عجائب فانشأ
يحدث عما وطئ من البلاد ورأى
من العجائب وجعل الناسك خلال
ذلك يصفق بيديه لينفرني عن
السلة فغضب الضيف وقال أنا
احدثك وانت تهزأ بحديثي فما حملك
على ان سألتني فاعتذر اليه الناسك
وقال انما اصفق بيدي لانفر جرذا
قد تحيرت في أمره ولست أضع في
البيت شيأ الا واكله فقال الضيف
جرذ واحد يفعل ذلك ام جرذان كثيرة
فقال الناسك جرذان البيت كثير
لكن فيها جرذ واحد هو الذي غلبني
فما استطيع له حيلة قال الضيف
لقد ذكرتني قول الذي قال لامر ما
باعت هذه المرأة سمسما مقشورا
بغير مقشور قال الناسك وكيف كان
ذلك قال الضيف نزلت مرة على رجل
بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي
وانقلب الرجل على فراشه مع زوجته
وبيني وبينهما خص من قصب
فسمعت الرجل يقول في آخر الليل
لامرأته اني اريد ان ادعو غدا رهطا
ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاما

وحسن الطويه واحسان النيه فلابد للسياسه وضبط الرياسه وقواعد الملك فى الحراسة
من ضابط يبنى عليه الملك لامره اساسه لايتميز به كبير دون صغير ولا يختص برعايته جليل غير
حقير فان من أحسن أوصاف الملوك والاكابر ان لا يغفلوا عن تفقد أحوال الصعاليك
والاصاغر ولا يقتصروا فى ذلك على نوع دون جنس كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس
مع أنهم مسؤلون عن جليلها وحقيرها ومحاسبون على كبيرها وصغيرها وفى شأنهم قد قال
من فى ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه
ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقد تنبه لهذا الفعل
الرجيح أيها الوزير النصيح والمنطيق الفصيح أنوشروان وهو من الكفار واشتهر عنه قضية
الحمار فسأل الوزير بيان هذا التقرير (فقال) الريم بلغنا أيها الكريم ان أنوشروان بالغ فى
نشر العدل والاحسان ومعامله الرعيه كبيرا وصغيرا بالسويه وبذل فى ذلك جهده
واستنهض لمساعدته وكده وكده واختشى ان يمنع المتظلم الفقير الابواب بسبب حاجب او
كبير لغرض أو عرض أو ارتشاء من فى قلبه مرض فيمشى مداس البراطيل من خوف
الاباطيل ويضيع بحث صارخ الحق فى أوقات التعطيل فأداه قائد اجتهاده وانتهى به
رائد مراده الى أن يعقد فى طاق مبيته ويجتمع خاطره عن تشتيته من محاذى السرير حبل
من الحرير ويربط طرفه الادنى فى حلقة الباب حيث لا حاجب ولا بواب وهو مكان مجتمع
الجمهور ولا يمنع أحد فيه من الوقوف والمرور وان يشد فيه أجراس من خالص الذهب
لا النحاس بحيث انه اذا حرك الحبل صوتت الاجراس صوتا أخرس الطبل ثم أمر مناديا أن
يرفع صوتا عاليا بأن من كان شاكيا فعليه بتحريك ذلك الحبل ليقع الظالم فى الكبل أو
ينتصر المظلوم من بعد ومن قبل فاشتهرت هذه العادة ونال بها فى الدنيا السعاده وعظم
صيته وخمدت عفاريته وانتصفت صفاريته ففى بعض الظهائر عند قائلة الهواجر
وأنوشروان فى مبيته قد طاب اضطرب الحبل والاجراس أشد اضطراب ففز أنوشروان مذعورا
وتصور المحرك مظلوما مقهورا فابتدر بطلبه لينظر فى ظلمه وسببه فتبادروا الى احضاره
واستكشاف أخباره واذا هو حمار جرب جنب جسمه من الجرب خرب ومتن ظهره من
الحكة نقب وقد هد دعامة عمره هادم الهرم والهب حشيش حشاشته من الجوع ماضى
الضرم يحمله صاحبه مالا يطيقه ويقطع عنه قوته وعليقه يؤذيه ولا يداويه ويدور به ولا
يداريه فطلب مالكه وعتبه ثم زجره وضربه ثم أمر بالنداء فى الاسواق وامتد ذلك حتى
بلغ الآفاق وعم الضواحى والرزداق ان يسلك بما ملكت اليمين الارفاق ولا يقتر عليها فى
الانفاق وكل من عنده دابة قد استعملها فى صباها واستوفى فى خدمته قواها يراعى
حقوقها اذا كبرت ولا يضيع ما قدمت بما أخرت وصك وجه ذلك الرجل صكا وكتب
عليه بفرض حماره صكا (وانما ذكرت) هذا المثال فى معرض ما يقال من ان عدل السلطان
خير من خصب الزمان وأيضا فان قصد الملك اذا كان صالحا كان أمره فى جميع الازمان
ناجحا وسخر الله له من يرشده الى قصده ويعينه على أمور شعائره ويحيى ذكره من بعده وتد
على يده سحائب البركات ويجرى منها على غير قصده أنهار الخيرات ويحفظ كل من اليه
ينتسب ورزقه كل ذلك من حيث لا يحتسب وحاصل هذه المقدمه ان المسؤل من الصدقات
المعظمه انه اذا ترامى على أبواب عدلها شاكى أو تعلق بأسباب معدلتها متظلم باكى تتصدى
هى بنفسها لكشف ظلامته ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته وان الفقير من جماعتنا

والضعيف

وقالت المراة كيف تدعو الناس الى
طعامك وليس فى بيتك فضل عن
عيالك وانت رجل لاتبقى شيأ ولا
تدخره قال الرجل لاتندمى على شئ
اطعمناه وانفقناه فان الجمع
والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة
الذئب قالت المرأة وكيف كان
ذلك (قال) الرجل زعموا انه خرج
ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه
ونشابه فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى
ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله
فاعترضه خنزير برى فرماه بنشابة
نفذت فيه فادركه الخنزير وضربه
بانيابه ضربة أطارت من يده
القوس ووقعا ميتين فأتى عليهم
ذئب فقال هذا الرجل والظبى
والخنزير يكفينى أكلهم مدة ولكن
أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت
يومى فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع
طارت سية القوس فضربت حلقه
فمات (وانما) ضربت لك هذا المثل
لتعلمى ان الجمع والادخار وخيم
العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت
وعندنا من الارز والسمسم ما يكفى
ستة انفار أو سبعة فانا غادية على
اصطناع الطعام فادع من أحببت
واخذت المرأة حين أصبحت سمسما
فقشرته وبسطته فى الشمس ليجف
وقالت لغلام لهم اطرد عنه الطير
والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها
وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب
فعاث فيه فاستقذرته المرأة وكرهت
ان تصنع منه طعاما فذهبت به الى
السوق فأخذت به مقايضة سمسما غير
مقشور مثلا بمثل وانا واقف فى السوق
فقال رجل لامر ما باعت هذه المراة
سمسما مقشورا بغير مقشور وكذلك

والضعيف من أهل طاعتنا اذا مست الحاجة به الى بث شكوى أو رفع بلوى يتقدم الى شكواه بلا واسطه ليأمن فى أمره المغالطه ويصادف مقسطه لاقاسطه ويتساوى فى كل من مشرب العدل والانصاف ومراعى الفضل والالطاف الظباء والاسود والذئب والعتود والعقاب والعصفور والحمام والصقور ولا يتقدم فى الدعاوى من حيث التساوى الوجيه على الجاهل ولا النبيه على الخامل ولا الكبير على الصغير ولا الجليل على الحقير فان اقتضت الآراء العاليه تولية عامل فى ناحيه فليكن ممن له شفقة تامه ورحمة فى أمر الرعية عامه ويعرف ذلك من جربته العلوم الكريمه وتحققت ان نيته فى رعاية الرعية مستقيمه قد صارت له الشفقة ملكه وكل من العدل والانصاف قد ملكه ولا تولى أحد الغرض أو من فى قلبه من أذى المساكين مرض وان الطبيعة اذا اعتادت عاده والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلاده سواء كان ذلك مذموما أو محمودا مقبولا عند العقل والشرع أو مردودا فانها تبرزه فى غالب الاوقات ولا تتخلف عن ملابسته فى أكثر الحالات (شعر)

العين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وكل قضية لا يساعدها القلب فبناها على العكس والقلب ونظيرها يارئيس المداره قضية من زوجته أمه وهو كاره فسأل الوزير من السفير تقرير هذا النظير (فقال) كان شاب من العراب قصدت أمه تأهله فزوجته بامرأة أرمله ولم يكن له احتياج ولا رغبة فى الزواج واختار التخلى للصلاة على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ولكن فر من العقوق وكتب على نفسه الحقوق فلما عقدت الوليمه وصممت العزيمه وجمعت النساء والرجال أرسلت أمه الى جار لهم قوال أستاذ فى صنعته ماهر فى حرفته فدعته الى الجمع ليبتهج بحسن غنائه السمع فيشغل الوقت ويذهب المقت ويحصل للحضور النشاط والسرور فتخلف وأبى وعن الحضور نبا فسئل عن تصلفه وسبب تخلفه فقال بلغنى ان الزوج الخاطب غير طالب ولا راغب واذا كان كذلك فلا يغنى الغناء الا العناء ولا يؤثر فى القلوب والاسماع بل تنفر عند سماعه الطباع فكل شئ لا يصدر عن رغبة القلب فان ايجابه لا يفيد الا السلب فيضحك على القائم والقاعد ويسخر منى الصادر والوارد ويروح تغزلى فى البارد وانما ذكرت ذلك لاعرض على آراء المالك انه اذا أولج أمر الرعيه الى أحد من الخاصكية ينظر الى شفقته ويسبر وفور مرحمته ثم يوليه عليهم ويتقدم بالطاعة اليهم فيستقيم اذ ذاك قولهم وفعله ويظهر فى حركاته وسكناته عدله وليس العدل فى القضايا تساويها ولا اجراؤها على نسق واحد يحويها بل معرفة مقاديرها وبيان تقريرها فى المبادى وتحريرها ثم اجراؤها على مقتضى مدلولها ورد فروع كل مسئلة الى أصولها ووضع الاشياء فى محالها وايصال الحقوق الى أهلها ومعرفة منازل أربابها وأوضاع أصحابها ومراتب طلابها فمن لم يحقق هذه الامور أضاع مصالح الجمهور فأعطى غير المحق ما لا يستحق ومنع الحق عن المستحق وقد قيل يا أبا السعود ان حقيقة الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والا كان كالباذر فى السباخ وأشبه فى أمره أجير الطباخ الذى لم يعرف معنى العدل فقصده فوقع فى الجدل فسأل الغزال شيخ الاوعال عن هذا المثال (فقال) كان عند بعض الاشياخ من الطباخين أجير طباخ له رغبة منهمه على معرفة طبخ الاطعمة وكيفية ترتيبها وصنعة تركيبها وكان مغرما بذلك يسلك فيه كل المسالك ويرد فيه الموارد ويتبع كل صادر ووارد ففى بعض الآناء وقف على طبيب من الاطباء فسمعه يقول ان أصلا من الاصول العدل والتسويه بين الاطعمة والاغذيه

قولى هذا الجرذ الذى ذكرت انه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه فالتمس لى فأسا فعلى احتفر جحره فأطلع على بعض شأنه فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأسا فأتى به الضيف وانا حينئذ فى جحر غير جحرى اسمع كلامهما وفى جحرى كيس فيه مائة دينار لا أدرى من وضعها فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير فأخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال جعل له قوة وزيادة فى الرأى والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التى كانت معى فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا فانطلقت ومعى الجرذان الى المكان الذى كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالى فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا نحسبه الا وقد احتاج الى من يعوله فتركننى ولحقن باعدائى وجفوننى واخذن فى غيبتى عند من يعادينى ويحسدنى فقلت فى نفسى ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا اراد أمرا قعد به العدم عما يريده كالماء الذى يبقى فى الاودية من مطر الشتاء لا يمر الى نهر ولا يجرى الى مكان فتشربه أرضه ووجدت من لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له لان الرجل اذا افتقر قطعه قرائبه واخوانه فان الشجرة النابتة فى السباخ

والعقاقير والادويه فمن لم يستعمل الاستوا فى درجات الغذاء والدوا ضل عمله وغوى وأصل هذا المزاج ولا ينكره الاذو لجاج فان العناصر الاربعه منها المضرة والمنفعه وقد تولد منها السوداء والبلغم والصفراء والدم فمتى اعتدلت هذه المتولدات صحت الابدان واللذات ومتى عن الاعتدال عدلت أمرضت وقتلت وكذلك النير الاعظم والكوكب المضىء فى العالم اذا حل فى مركز الاعتدال استقام للعالم الحال وطاب الزمان واعتدل وذلك عند نزوله فى برج الحمل فتصور ذلك الولهان أن المقصود التسوية فى الاوزان فانصرف وهو فرحان وقصد طعام الزيرباج وعين من مفرداته مايحتاج ثم انه ساوى بين أوزانها وقصد العدل فى ميزانها وخلط كعقله اخلاطها ووضعها فى قدر وساطها فخاب عمله فى عدله وبان نقصه فى فضله فلما وعى الملك والوزير ماسلكه السفير فى نظام هذا التقرير شكرا له مساعيه وأخصبا فى الاكرام والاعزاز مراعيه وقالا جزاك الله خيرا عن شفقتك وحسن صنيعك لمرسلك ورفقتك فمثلك من يصلح للسفارة بين الملوك وتولى أمور الرعية من الغنى والصعلوك فانك ناصح لمن فوقك شفيق على من دونك ثم قال الوزير ان هذا الملك الكبير مقاصده العظيمه أن تكون الامور مستقيمه وان يصلح العباد والبلاد ويطمئن المستفيد والمستفاد فاحتفظ أيها السفير المنير الضمير بما سمعت ورأيت وشاهدت ووعيت واجعله من عنوان أنبائك ومقدمات افعالك وآرائك وأبلغه من يحفك من امامك وورائك ومهما وصلت اليه قدرتك واحاطت به يدك وكلمتك من ابلاغ الخير الى مسامع الوحش والطير عن هذا الملك واوصافه وتطلعه الى مراقى البر والاحسان واستشرافه وماتسكن به الخواطر وتطمئن اليه الضمائر وتقر به العيون بالسرور وتستقر به القلوب فى الصدور فلا تأل فيه جهدا وأوسع فيه جدا ولاتنته فى انهائه حدا فان المجال واسع وميدان المقال شاسع وقد اذن لك فيه وان اخفيته فى نفسك فالله مبديه ثم كتب له بذلك مراسيم عن ثغر الامانى مباسيم وأفيض عليه خلع الكرامه وأضيف اليه الجامه ورجع الى أهله مغمورا بفضله مسرورا بقوله مشكورا بفعله فائزا بالمطلوب ظافرا بكل مرغوب فارغ البال طيب الحال فاتصل بأهله فى دياره وهم فى انتظاره فبادروه بالسلام وقابلوه بالاستلام وقالوا ماوراءك ياعصام فبلغ الجواب بارشق عبارة واليق خطاب وذكر لهم مارأى وسمع ووعى فانتشرت هذه الاخبار حتى ملأت الاقطار وتسامع بها وحوش القفار وفاح بطيب نشرها الازهار فكان جميع البر معطار ثم اجتمع رؤساء الوحوش والبهائم وعرفاء الصوادح والبواغم وكل ساكن فى القفار من سائم وحائم وأرسل كل الى أمته رسوله يدعوها الى مايحصل سولها وسوله فلبت كل أمة دعوة رسولها وأقبلت لاستماع المراسيم وقبولها فاجتمعوا فى رياض مرج أخضر وحلقوا لاستماع المراسيم حول المنبر وأطرقوا وسكتوا واستمعوا وأنصتوا وتناول المرسوم الصادح من الباغم وصعد على الغصن الناعم مطوق الحمائم وابتدأ باسم الكريم الغفور وقرأ على رؤس الاشهاد مضمون المنشور ودعاهم الى الطاعه والدخول فى سنن السنة والجماعة وأنهم لايتأخرون عن الحضور بعد الاطلاع على مضمون المنشور فانه فرمان أمان لكل من أجناس الحيوان ولم يبق مقال المتخلف ولامحال المتأخر وموسوف كما قيل

فمن جاء ناطوعا ألقنا بجده * ومن يأب لايعتب علينا فعالنا

الى آخر الرساله مع ماتحمله الرسول من مشافهة ومقاله ومن ملاطفات تشرح الصدر وتستنزل البدر وتوضح ماللملك من جلالة وقدر فتلقى الكل هذا الكلام بآذان القبول والاكرام

المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى مافى أيدى الناس ووجدت الفقر رأس كل بلاء وجالبا الى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان اذنب غيره كان هو للتهمة موضعا وليس من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا سمى مبذرا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا فالموت أهون من الحاجة التى تحوج صاحبها الى المسئلة ولاسيما مسئلة الاشحاء واللئام فان الكريم لو كاف أن يدخل يده فى فم الافعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحب اليه من مسئلة البخيل اللئيم وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها الناسك فجعل الناسك نصيبه فى خريطة عند رأسه لما جن الليل فطمعت ان أصيب منها شيأ فأرده الى جحرى ورجوت أن يزيد ذلك فى قوتى ويراجعنى بسببه بعض اصدقائى فانطلقت الى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه ووجدت الضيف يقظانا وبيده قضيب فضربنى على رأسى ضربة موجعة فسعيت الى جحرى فلما سكن عنى الالم هيجنى الحرص والشره فخرجت طمعا كطمعى الاول واذا الضيف يرصدنى فضربنى بالقضيب ضربة أسالت منى الدم فتقلبت ظهر البطن الى جحرى فخررت مغشيا على فأصابنى من الوجع مابغض الى المال حتى

والاكرام واتفقوا على التأهب والمسير والاحتفال بالكبير والصغير وأخذوا فى تعبية التقادم والخدم وفرضوا ذلك على ما لكل من طوائف وحشم وتصدعوا عن هذا المرسوم على ان يجتمعوا فى يوم معلوم ثم أعد كل عتاده وأكمل خدمته وزاده واجتمعوا لذلك اليوم الموعود وتوجهوا الى الخدمة فى الطالع المسعود ولما دخلوا الدرب وضربوا فى الارض أى ضرب توجهت الحمامة بالبطاقه بهذه البشارة والطلاقه فانتشر هذا الخبر وملأ البدو والحضر فلما وصل الطائر دقت البشائر وسرت الاهل والعشائر ثم ان الملك دعا الوزير وقال اعلم أيها الناصح الخبير والبحر النحرير ان الوحوش واصلة الى منزلك وبحفها وحافرها نازلة فى ساحلك وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت وفى هذه الجيوش أصناف الوحوش وطوائف السباع وأنواع الذئاب والضباع وفيهم الفراعل والثعالب والعسابر والارانب ولاشك ان هيبة الملك صادعه وحرمة السلطنة باسطة قارعة وحضرة السلطان ذات جلال وان كانت جامعة لصفتى الجلال والكمال وما عند كل أحد مسكة للاقاه ولاثبات جنان عند المشاهدة للملك اذا رآه فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع فقد وقرت هيبتنا فى قلبه على السماع ومن تصدينا له فى ميادين الصيد وأفلت بعد معاناة الكد والكيد قد رأيته على العيان ولا يحتاج فى معرفة قوة سلطاننا الى ترجمان وعلى كل تقدير فشاهدتنا على غالبهم أمر عسير لانه ربما يتذكر منهم متذكر أو يتفكر منهم متفكر واقعة سبقت أو سابقة وقعت انجرح فيها من نصل أنيابنا مفاصل عراقيبه أو تعلق بها من أشعاره وأوباره مشاطة جلابيبه ومن لم ينجه مناضباحه ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الاسلاحه فبمجرد ما يقع نظره علينا أو يتمثل بالوقوف لدينا يرجف فؤاده وينفض من عيبة كرشه زاده فينكص من الخوف على عقبيه ولا يعرف أمره من حواليه فيتبعونه ويحصل الفشل ويقع الخباط والخلل فيهم ما أوضعناه ويفسد اضعاف ما أصلحناه وينهدم من أول الامر الى آخره ما بنيناه ويتعوج من مستقيم السلطنة ما سويناه فلا يحصل من عزة المملكه الاعلى مثل ما حصل لابى الحصين من شيخ الديكه فقال الوزير ينعم مولانا الاجل بتقرير هذا المثل (قال الملك) سمعت مخبرا انه كان فى بعض القرى للرئيس ديك حسن الخلق وديك مرت به التجارب وقرأ تواريخ المشارق والمغارب ومضى عليه من العمر سنون واطلع من حوادث الزمان على فنون وقاسى حلوه ومره وعانى حره وقره وقطع للثعالب شباك مصايد وتخلص لابن آوى من ورطات مكايد ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب وأحكم من طرائقها عجائب وغرائب فاتفق له فى بعض الاحيان انه وقف على بعض الجدران فنظر فى عطفيه وتأمل فى نقش برديه فرأى خيال تاجه العقيقى ونظر الى خده الشقيقى ونفض برائله المنفش وسراويله المنقش والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش فأعجبته نفسه وأذن فأطربه حسه وتذكر ما قاله الاسعد الممادح فى المعتصم ابن صمادح وهو

كأن أنوشروان أعطاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

فصار يتيه ويتبختر ويتقصف ويتخطر فاستهواه التمشى سويعه حتى أبعد عن الضيعه فصعد الى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالاذان فاسمى صوته الكتانى والدهان

لا أسمع بذكره الا تداخلنى من ذكر المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء فى الدنيا انما يسوقه الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا فى بلية وتعب ونصب ووجدت تجشم الاسفار البعيدة فى طلب الدنيا أهون على من بسط اليد الى السخى بالمال ولم أر كالرضا شيأ فصار أمرى الى أن رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى البرية وكان لى صديق من الحمام فسبقت الى بصداقته صداقة الغراب ثم ذكر لى الغراب ما بينك وبينه من المودة واخبرنى أنه يريد اتيانك فأحببت أن آتيك معه فكرهت الوحدة فانه لا شئ من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم وجربت فعلمت أنه لا ينبغى للعاقل أن يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذى يدفع به الاذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك الا بالقليل الذى يدفع به عن نفسه الحاجة فأقبلت مع الغراب اليك على هذا الرأى وأنا لك أخ فلتكن منزلتى عندك كذلك فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب وقالت قد سمعت كلامك وما أحسن ما تحدثت به الا أنى رأيتك تذكر بقايا أمور هى فى نفسك واعلم أن حسن الكلام لا يتم الا بحسن العمل وان المريض الذى قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم

فسمعه ثعلب فقال مطاب وسارع من وكره وحمل شبكة مكره وتوجه اليه فرآه فسلم عليه فلما أحس به أبو اليقظان طفر الى اعلى الجدران ثم حياه تحية مشتاق وترامى لديه ترامي العشاق وقال أنعش الله بدنك وروحك وروى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك فانك احييت الارواح والابدان بطيب النغم والصياح في الاذان فان لي زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت وقاك الله نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لاسلم عليك واذكرك ما أسدى من النعم اليك وأبشرك ببشاره وهي اربح تجاره وانجح من الولاية والاماره لم يتفق مثلها في سالف الدهر ولا يقع نظيرها الى آخر العصر وهي ان السلطان أيد الله بدولته أركان الايمان أمر مناديا فنادى بالامان والاطمئنان واجرى مياه العدل والاحسان من حدائق المحبة والصداقة في كل بستان وان يشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا يقتصر فيها على جنس الانسان فيتشارك فيها الوحوش والسباع والبهائم والضباع والاروى والنعام والصقر والحمام والضب والنون والذباب وابو قلمون ويتعاملون بالعدل والانصاف والاسعاف دون الاعتساف ولا يجري بينهم الا المصادقه وحسن المعاشرة والمرافقه فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقه فيطير القطا مع العقاب ويبيت العصفور مع الغراب ويرعى الذئب مع الارنب ويتآخى الديك والثعلب وفي الجملة لا يتعدى أحد على احد فتأمن الفارة من الهرة والخروف من الاسد واذا كان الامر كذا فقد ارتفع الشر والاذى فلا بد ان يمتثل هذا المرسوم ويترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم ويجري بيننا بعد اليوم المصادقه وتنفتح أبواب المحبة والمرافقه ولا ينفر أحدنا من صاحبه بل يراعي مودته ويبالغ في حفظ جانبه وجعل الثعلب يقرر هذا المقال والديك يتلفت الى اليمين والشمال ويحتاط غاية الاحتياط ولا يلتفت الى هذا الهذيان والخباط فقال الثعلب يا أخي مالك عن سماع كلامي مرتخي أنا أبشرك ببشارة عظيمه لم تتفق في الاعصر القديمه وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمه وأراك لا تلتفت الى هذا الكلام ولا تسر بهذا اللطف العام ولا تلتفت الي ولا تعول علي وتستشرف على بعد اشى فهلا أخبرتني بما أضمرت ونويت وتطلعني فيما تتطاول اليه على ما رأيت حتى أعرف في اي شئ انت وهل ركنت الى اخباري وسكنت فقال أرى عجاجا ثائرا ونقعا الى العنان فائرا وحيوانا جاريا كأنه البرق ساريا ولا عرفت ماهو ولكنه أجرى من الهوا فقال ابو الحصين وقد نسي المكر والمين بالله يا أبا فيهان حقق لي هذا الحيوان فقال حيوان رشيق له آذان طوال وخصر دقيق لا الخيل تلحقه ولا الريح تسبقه فرجفت قوائم الثعلب وطلب المهرب فقال ابو المنذر تلبث يا أبا الحصين واصبر حتى أحقق رؤيته واتبين ماهيته فانه يا أبا الحصين يسبق طرف العين ويكاد أبا النجم يخالف النجم في الرجم فقال اخذني فؤادي وما هذا وقت التمادي ثم أخذ يسلح وولى وهو يصدح بقوله

لابس التاج العقيق * لا تقف لي في طريقي
ان يكن ذا الوصف حقا * فهو والله السلوقي

فقال الديك واذا كان وقد قلت ان السلطان رسم بالصلح بين سائر الحيوان فلا بأس منه عليك فتلبث حتى يجيء ويقبل بذلك وتعقد بيننا عقود الصداقه ويصير رفيقنا ونصير رفاقه فقال مالي برؤيته حاجه فدع عنك المحاجة والعاجه فقال أوما زعمت يا أبا وثاب ان السلطان رسم للأعداء والاصحاب ان يسلكوا طرائق الاصدقاء والاحباب فلو

يغني عنه به شيأ ولم يجد لذاته راحة ولا خفة فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروأة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضا والغني الذي لا مروأة له يهان وان كان كثير المال كالكلب لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلا تكبرن عليك غربتك فان العاقل لا غربة له كالاسد الذي لا ينقلب الا ومعه قوته فلتحسن تعاهدك لنفسك فانك اذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره وانما جعل الفضل للحازم البصير بالامور وأما الكسلان المتردد فان الفضل لا يصحبه كما أن المرأة الشابة لا تطيب لها صحبة الشيخ الهرم وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة في الصيف وخلة الاشرار وعشق النساء والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لا يحزن لقلته وانما مال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله فهو واثق بأنه لا يسلب ما عمل ولا يؤاخذ بشيء لم يعمله وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته فان الموت لا يأتي الا بغتة ليس له وقت معين وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ولكن رأيت أن اقضي مالك من حق قبلنا لانك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتني وانعمت علي وانت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني به وان أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من اخوانه واصدقائه

خالف المرسوم هذا الكلب لما قابله الملك الا بالقتل والصلب قال لعل هذا المشوم لم يبلغه المرسوم ثم ولى هاربا وقصد للخلاص جانبا (وانما اوردت) يا نفيس هذا المثال لتقيس أحوال من دان لك من هذا الحيوان ولا تشقها عصا واحده واحسب حال كل واحد على حده فربما يكون فى هذه البهائم من لاهو بأحوال الصلح عالم ولم تبلغه الدعوه وانما انضاف بسبب رجوه أو آمن على سبيل التبعية والتقليد ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد ولا وقف على ماوقع من الاتفاق ولا يثبت لمصادمة اللقاء وقت التلاق فيصدر منكم حركه تؤدى الى قلة بركه وتستطرد الى نفرة وجفول فيدهمنا هدم ما أسسناه على غفول ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا فيه واذا كانت الدنيا محل العوارض والغالب أنه عند مشارفة المقصود يحصل العارض والعاقل لا يغفل عن هذا الخطر فعند صفو الليالى يحدث الكدر وقد كفاك من ناداك بقوله

اذا قربت يداك الى مرام * وقلت تخولت نفسى مناها

فلا تأمن من الدهر اختلاسا * يحول فكره فى ذا تناهى

كمان لم يصبه الشوك الا * وقد وصلت يداه الى جناها

فالرأى السديد يا أبا سعيد يقتضى ان تمضى الحمامة المطوقه الى تلك الجموع المفرقه وتنادى فى كل نادى بين الحاضر والبادى والرائح والغادى بحقائق الامور وتطييب خاطر الجمهور وما هم قادمون عليه ومن هو الواصلون اليه ليعلموا أنهم فى صفقتهم رابحون وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون فتوجهت الحمامة بهذه النقوش وشهرت النداء فى طوائف الوحوش بما هم عليه قادمون وأنهم للملك يسار خادمون ثم تبعها الوزير ومعه كل أمير وكبير من خواص المباشرين والاعيان الملازمين وكبراء الاطيار ورؤساء الاخيار واستقبلوا ملوك الوحوش والهوام ورؤساء السوائم والسوام وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام ووعدوهم بكل خير واحسان ووصلوا بهم الى ميدان الامان وحين حل عليهم نظر السلطان قبلوا الارض ووقفوا فى مقام العرض وأدوا من واجب العبودية النفل والفرض فانزل كلا فى مقامه بعد ان احله فى محل اكرامه وأفاض عليه خلع احسانه وانعامه وعلت منزلة الوزير وتقدم كما تقدم وأشير وصفا لهم الزمان وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان وتقلبوا فى رياض الامانى على بساط الامان * وفائدة هذه الحكايات تنبيه أشرف جنس المخلوقات وألطف طائفة المكونات وهو نوع الانسان الذى اختصه الله تعالى بأنواع الاحسان وأيده بالعقل وأمده بالنقل على انه اذا كان هذا الفعل الجليل يصدر فى التنظير والتمثيل من أخس الحيوانات وما لا يعقل من الموجودات فلأن يصدر من أولى النهى وأولى الفضل والمكارم والعلا أولى وأحرى لاسيما من رفع الله فى الدنيا مقداره وأعلى على قمم الخلائق مناره وحكمه فى عبيده المستضعفين واسترعاه على رعية سامعين مطيعين وسلطه على دمائهم وأموالهم وبسط يده ولسانه فى رفاهيتهم ونكالهم والاصل فى هذا كله قول من عم عبيده بفضله وبقوله اهتدى العالمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * آخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين آمين

(الباب السابع فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال)

من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكونون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فان الكريم اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا ارحل لا تخرجه الا الفيلة فبينما الغراب فى كلامه اذ اقبل نحوهم ظبى يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت فى الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب تحلق فى السماء لينظر هل للظبى طالب فنظر فلم ير شيأ فنادى الجرذ والسلحفاة وخرجا فقالت السلحفاة للظبى حين راته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك عطش ولا تخف فانه لا خوف عليك فدنا الظبى فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين اقبلت قال كنت اسنح بهذه الصحارى فلم تزل الاساورة تطردنى من مكان حتى رايت اليوم شبحا فخفت ان يكون قانصا قالت لا تخف فانا لم نر ههنا قانصا قط ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا والماء والمرعى كثير عندنا فأرغب فى صحبتنا فأقام الظبى معهم وكان لهم عريش يجتمعون فيه ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم فى العريش غاب الظبى فتوقعوه ساعة فلم يأت فلما ابطأ اشفقوا ان يكون قد اصابه عنت فقال الجرذ والسلحفاة للغراب انظر هل ترى مما يلينا شيأ فحلق الغراب فى السماء فنظر فاذا الظبى فى الحبائل مقتنصا فانقض مسرعا فأخبرهما بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا امر لا يرجى

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ليس له فى الفضل مساو ولا مواس فلما انهى الحكيم حسيب كلامه الاحلى من النسيب قبل أخوه بين عينيه وأفاض خلع الانعام عليه ثم استزاده وفتح لجامع فضله باب الزياده وكان قد وقع بين ملك الافيال وبين ملك الاسود المسمى بالريبال المكنى بأبى الاشبال وأبى الابطال مقال أدى الى جدال واتصل بحرب وقتال فسأل الملك أخاه هل سمع من ذلك شيأ ووعاه فاجاب بالايجاب وذكر فى الجواب الامر العجاب (فقال) كان يا ملك الزمان فى بعض أطراف الهنود من عساكر الافيال جنود فى جزيره عظيمه كبيره لهم من جنسهم وجلدتهم ونفسهم ملك عظيم ذو جسم جسيم وشكل وسيم منظره بديع وهيكله رفيع طويل الخرطوم واسع الحلقوم مبسوط الاذنين حديد العينين طويل الانياب كانه طود فى جراب كثيف فى المرأى خفيف فى الموطا عدد جيشه غزير ومدد جنده كثير وهو فيهم ملك كبير ذو قدر خطير منفرد بالسرير ورثه كابرا عن كابر وكل جيشه رؤساء وأكابر لاوامره طائعون ولما يراه تابعون فبلغه فى بعض الايام أن فى بعض الغياض والآجام مكانا فى غاية النزاهه معدن الفواكه والفكاهه ذا مياه عذبه ومروج رطبه أراضيها أريضه ورياضها طويلة عريضه أطيارها تسكر بالحانها واشجارها تخجل قدود الملاح باغصانها وأزهارها زاهره وأنوارها ناضره ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الآفاق طيب أنفاسها العطره وانه يصلح أن يكون لملك الافيال مقاما مع ان فيه من الجبال والحصون معاصم وعصاما غير أن فيه أسدا هصورا جمع فيه جندا كثيرا ولازال الناقل يصف ويطنب ويعجم فى حسن شمائلها ويعرب حتى قال بعض الندماء الحاضرين من الكبراء لو قصد الملك ذلك المكان وجعله لنفسه من بعض الاسكان وتنقل اليه فى بعض الاقاوت وساعات التفرج فى المتنزهات لاراح نفسه الخطيره من وخم هذه الجزيره ووجد لذة الطعام ونشوة الشراب على المدام والاسد الذى فيها وان كان مالك نواحيها وبيد تصرفه زمام نواصيها وجماجم قلاعها وصياصيها لكنه ملك عادل وسلطان فاضل تمنعه شهامته وكرم نفسه وكرامته ورياسته وزعامته ان يضايق الملك فى ذلك أو يضيق سلوكها على سالك وان شرع فى الممانعه واخذ فى اسباب المدافعه بالمقارعة والمنازعه فالعساكر المنصوره واعدادهم الموفوره فيهم بحمد الله لذلك قوة وكفايه ولهم فى بداية الحروب هدايه وفقاهة ليس لشرحها غايه ولا لفروع أصولها نهايه يحيون فى مباحثها النفوس ويعيدون فى مدارس الحرب بتكرار الضرب فانى الشجاعة بعد الدروس فيكفون الملك أمره ويكفون اذاه وشره ولازال يفتل منه فى الغارب والذروه ويقوى بتمويهاته دواعى الحرص والشهوه حتى اقتنصته أشراك المطالع واوقعته فى عبودية شهوة تلك المواضع ودعته النفس الابيه وحمية الجاهلية وباعث العصبيه الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهيه والولايات السنيه والمساكن الزهيه واسامة سوارح الالحاظ فى مراعى نزهة الغياض ومروج أراضى هاتيك الرياض وأزعج فى ذلك المقتضى وأسلمه العدل والخلق الرضى وغلب عليه سيئ الطباع واستولت عليه فوارغ الاطماع وعشقها على السماع وكان عنده اخوان هما له عضدان هما وزيراه وفى مهامه مشيراه مسعداه فى الامور ومنجداه فى أحوال السرور والشرور احدهما واسطة خير قليل الشر عديم الضير قد جرب الزمان وعاناه وقالب قوالب وقائعه بالمقايسة ما قاساه اسمه مقبل وهو كاسمه مفضل والآخر بالعكس فى جميع حركاته وكس وهو كاسمه مدبر بكل شئ مخبر قصده غبار فتن يثيره وعسكر بلاء يغيره وطالب اذى

فيه غيرك فأغث اخاك فسعى الجرذ مسرعا فأتى الظبى فقال له كيف وقعت فى هذه الورطة وانت من الاكياس قال الظبى هل يغنى الكيس مع المقادير شيأ فبينما هما فى الحديث اذ وافتهما السلحفاة فقال لها الظبى ما أصبت بمجيئك الينا فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا وللجرذ احجار كثيرة والغراب يطير وانت ثقيلة لا سعى لك ولا حركة واخاف عليك القانص قالت لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق الاليف اليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشى بصره فلم ينته كلامها حتى وافى القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك فنجا الظبى بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاحجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فاخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبى ان اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال الجرذ ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء الا صرنا فى أشد منها ولقد صدق الذى قال لا يزال الانسان مستمرا فى اقباله ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى فى جدد الارض وحذرى على السلحفاة خير الاصدقاء التى خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة ولكنها خلة الكرم والشرف خلة هى أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها الا الموت ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لا يزال فى تصرف وتقلب

وعناء بغيره أو مريد يعيده أو مكر يشيعه أو منسوق شر يبيعه وهما ملازمان الخدمه واقفان فى مقام الحشمة والحرمه كالفتق والرتق والباطل والحق والكذب والصدق وفى الافساد والاصلاح كالمرهم والجراح ومصلح الدرهم ومفسد الراح ومرشد العقل ومضل الاقداح وفى الوفاق والشقاق كالسم والترياق وفى الحكم والقضاء كالداء والدواء وفيما يقع من الحوادث المفرحات والكوارث كالحر والبرد والشوك والورد فاختلى الملك بأخويه واستشارهما فيما انتهى اليه فقال أخوه المقبل يا مولانا أبادغفل لولم يكن بهذا المكان أحد من أدنى الوحوش فضلا عن الاسد لكان قصده ترفعا وترفها والتوجه الى الاستيلاء عليه موجها فكيف وذلك فى ولاية مالك وهو مالك صعب كابى حفص الصعب ملك كبير عادل وسلطان خطير فاضل مطاع فى صاغيته متبوع فى حاشيته عادل فى رعيته سيرته مشكوره ومحاسنه مأثوره وهيبته وبسالته غير منكوره وهو جار حسن الجوار لم ينضبط عليه ما يقتضى انتزاع ملكه من يديه ولم يتعرض الى متعلقاتنا ولا آذى احدا فى ولاياتنا وأن مولانا السلطان لم يصدر منه الا العدل والاحسان الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران لا سيما الملوك والاكابر ومن ورث الملك كابرا عن كابر ولقد تلقفت من افواه الحكماء وتشنفت مسامعى من جواهر ألفاظ العلماء بثلاث نصائح هن من احسن المنائح احداها احذر أيها الموفق أن تقع فى دم بغير حق ثانيتها اياك ياذا التوفيق واموال الناس بغير طريق ثالثتها اياك ياذا الشيم الكريمه وهدم البيوت القديمه واعلم ان الله تعالى عم رزقه وخص كل موجود بما يستحقه وقد أقام الاسد فى تلك الاماكن وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن ولو لم يستاهل لما اختص بتلك المناهل وما ينكر هذا الا جاهل او من هو عن الحق ذاهل وحاشى ان تنسب يا رئيس الاخيار الى حسد أو سوء جوار وعظمتك تأنف عن ذميم الاخلاق وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها فى الآفاق واذا كان للشخص ما يكفيه فينبغى ان يقتصر عما يطغيه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد أحسن فى المقال من قال

يا أحمد اقنع بالذى أوتيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
واعلم بان الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر وأشار اليه كالمستخبر ماذا تشير أيها الاخ والوزير فقال جميع ما قرره مولانا الوزير حق وجملة ما ذكره وحرره صدق نصائح ترشد العقول وتزين عقود المعقول والمنقول ولكن لا يخفى على كريم العلوم ان الاسد حيوان ظلوم غالب طالب وخلاص الرعيه من شره واجب ويلزم كل أحد ان يخلص الرعايا من ظلم الاسد ومولانا لم يبلغه ظلمه ولم يحط باحوال الاسد علمه وانه من أظلم البريه لمن تحت يده من الرعيه وانه يجب على مولانا السلطان خلاص الرعية منه على أى وجه كان وأيضا فان انعامات مولانا البارة على كل أحد من الخلق داره والخرج والكلف والكرم الذى بانامله ائتلف كل يوم فى ازدياد والعساكر المنصورة كل وقت تزداد واذا لم تتسع الولايات وتكثر الجهات والاقطاعات كان الخرج أكثر من الدخل والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالطل واذا زاد المصروف على الحاصل عجز الواصل وفرغ الحاصل ودل ذلك على ركاكة الهمه وقصور النهمه والملك يجب عليه والمندوب فى شرع همته اليه ان يكون كل وقت جديد فى فتح سعيد وترق مزيد وتوسعة الممالك وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك والاستكثار من الجند والرعيه

ولا يدوم له شىء ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم فقال الظبى والغراب للجرذ ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا كل منها لا يغنى عن السلحفاة شيأ وانه كما يقال انما يختبر الناس عند البلاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة ان تذهب أيها الظبى فتقع بمنظر من القانص كانك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك واسعى انا فأكون قريبا من القانص مراقبا له لعله ان يرمى ما معه من الآلة ويضع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه منك ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو ما استطعت فانى ارجو أن لا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وانجو بها ففعل الغراب والظبى ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستجره الظبى حتى ابعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة وعاد القانص مجهودا لاغبا فوجد حبالته مقطعة ففكر فى أمره مع الظبى المطالع فظن انه خولط فى عقله وفكر فى أمر الظبى والغراب الذى كانه يأكل منه وتقريض حبالته فاستوحش

واستجلاب خواطرهم الابيه بالجوائز السنيه والانعامات السميه ولا يجوز فى ملة الاسلام ان يتعدد الخليفة الامام ولله در القائل العلى الشمائل

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
فان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك يا مالك الممالك والمماليك فى علو الهمه وصدق العزمه وغوص الافكار فى استخلاص ممالك الاقطار قضية فحل الرجال تيمورلنك الاعرج الدجال مع نائبه الله داد أحد القواد ونواب البلاد فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضيه وايضاحها عن جليه (فقال) ان تيمور رأس الفساق الاعرج الذى أقام الفتنة على ساق لما حل بالممالك الروميه فى شهور سنة خمس وثمانيه وأسر مالكها واستخلص ممالكها استمر فى ممالك العرب يصول وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول وكان أقصى ما انتهت اليه فى الشرق مملكته ونفذت بسهام أحكامه فيه اقضيته بلدا يسمى اشباره قد أعده لشياطين النهب والغاره وبنى فيه قلعه ونقل اليه من ذوى المنعه جندا منتخبا من كل بقعه وهو فى بحر ممالك المغل والتتار والحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار وأمر على أولئك الاجناد شخصا يدعى الله داد وهو من خواص امرائه ورؤساء جنده وزعمائه فمن جملة ما أمره به ذلك المشوم وهو مخيم ببلاد الروم انه أبرز اليه مراسله فيها أمور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب ببيان كيفية حالها منها أنه يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وصحاراها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضايق دروبها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها وخاليها وآهلها بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز خصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين المنزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث تنتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم أن مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب وتطويل واسهاب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرساله الى أن يفوق فى وصف الاطلال وتعريف الرسوم وحدود الدمن صفة الشيخ القيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثال وهو أنه استدعى بعدة أطباق من نقى الاوراق وأحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك وساكن فأوضح فيها كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وعين طريقه ووسمه بحيث بين فضله وعيبه وأبرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كأنه شاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتيمور فى بلاد الروم يمور وبينهما مسيرة سبعة شهور وكذلك فعل ذلك البطل وهو بالبلاد الشاميه سنة ثلاث وثمانمائه مع القاضى ولى الدين عمدة المؤرخين أبى هريرة عبد الرحمن بن خلدون اغرقه الله فى فلك رحمته المشحون وقد سأله عن أحوال بلاد الغرب وما جرى فيها من صلح وحرب وما وقع فيها من خير وشر ونفع

من الارض وقال هذه ارض جن او سحرة فرجع موليا لا يلتمس شيأ ولا يلتفت اليه واجتمع الغراب والظبى والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كاحسن ما كانوا عليه فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد اخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع اصحابه بعضهم ببعض فالانسان الذى قد اعطى العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة اولى واحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم فى الصحبة * انقضى باب الحمامة المطوقة

{باب البوم والغربان}

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل اخوان الصفاء وتعاونهم فاضرب لى مثل العدو الذى لا ينبغى ان يغتر به وان اظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر بالعدو الذى لم يزل عدوا اصابه ما اصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان فى جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح فيها وكر الف غراب وعليهن وال من انفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه الف بومة وعليهن وال منهن فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفى نفسه العداوة لملك الغربان وفى نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم فاغار ملك البوم فى اصحابه على الغربان فى أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا وكانت الغارة ليلا فلما اصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا

وضر ثم انه اقترح عليه وتقدم بالامر اليه بوضع أوضاعها ورسم مدنها وقلاعها وحصونها وضياعها وتخطيط ولاياتها وأشكالها وهيآتها فامتثل ذلك وأبداه وعلى حسب ما اختاره واقترحه أنهاه وبين ذلك مثل ما ذكر أعلاه فشاهد أوضاعها وخبرو هادها وبقاعها كأن الحائل رفع من البين وعاين عين ذلك الاقليم بالعين فانظر الى هذا الاعجمي وهو سطيح نصف آدمي وهمته العالية كالبرق تضرب تارة فى الغرب وأخرى فى الشرق (وانما أوردت) هذه القضيه ليقف سامعها على مقدار الهمة العليه فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنيه ولا يقنع بالدرجة الوطيه بل يجتهد فى تكثير الجند والرعيه وفتح الاقاليم العربية والعجميه ولا يقتصر على الحالة السويه وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشيه ويكون سعيه كالشكر يطلب المزيد وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد والا فينسب الى قصور الهمه وافلاس الذمة ونقصان الحرمة وبطلان الحشمة واعظم بها من وصمه وبالعجز والتقصير يضيع حقوق الملك الخطير وتجد الرعية للطعن مقالا وفى ميدان الاعراض عن الملك مجالا وهذا خلاف موضع الامامه وعكس ما تقتضيه الرياسة والزعامة فان موضوع السلطنه أن يتعاطى الملك مهما أمكنه من أسباب الفتح والفتوح وما يستميل به من الرعية القلب والروح وذلك بالاحسان والاكرام والبذل والانعام فبه تقوى رغبتها وتزداد محبتها فاذا لم يكن ذلك فلت المملوك عن المالك واسمع قول الاديب ذى الرأى المصيب وهو

اذا أهملت أمر العبد يوما * وقصرت العليق عن الحمار
توقف فى المسير أبو زياد * وقام العبد يجرى للفرار

وقيل * والدر يقطعه جفاء الحالب * وقال أشرف جنس الانسان علو الهمة من الاعيان فالرأى السديد عندى والذى بلغ اليه جهدى انفاذ هذه العزيمه وسلوك طريقها القويمه وابرازها من مكان القول الى ظواهر العمل والحول والاعتماد على ما قيل

فلا تثن عزمك خوف القتال * بسمر دقاق وبيض حداد
عسى ان تنال الغنى أو تموت * فعذرك فى ذاك للناس باد
فان لم تنل مطلبا رمته * فليس عليك سوى الاجتهاد

فأقبل الملك على المقبل وقال توجه بكليتك على وأقبل شعر

ولا تبق مجهودا برأيك انه * سديد ومن يقف السديد يسدد

فان القلب قد مال الى العزم والاخذ فى التوجه بالحزم وترجح جانب الوثوب الى جهة هذا المطلوب فأمعن النظر واجل قداح الفكر ولا تخف رأيا يسنح فى اى جهة ترجح فقال أفعل بشرط ان يقبل اعلم زادك الله علما وفضلا وكرما وحلما ان الذى رآه العلماء واشار به ذوو الحنكة من الحكماء ان من طلب وفور خيره وفائدة نفسه فى مضرة غيره لا يتمتع بتلك الفائده ولا تثمر معه تلك العائده وهذا على تقدير حصولها والاستيلاء على فروعها واصولها وان لم يظفر بها فلا تستفد النفس غير كربها مع زيادة الحسره وسوء الصيت فى الشهره ووفور الندم وزلة القدم وكل من اراد تمشية هواه ولم يلتفت الى ما سواه ورأى نفسه احق من غيره فلا يطمع ابدا فى خيره ولا يكاد يسلم من الانكاد ولا يصفو له زمان ولا تدوم له اخلاء واخوان ولا تزال ديم الهموم من غمام الغموم تهمى على حدائق آماله وتسقى مزارع أحواله الى ان تحظل نخلات نيته وتيبس حقول طويته ويحصده حراث الفنا ويدرسه دراس الردى ويذرى حبات وجوده الهوان فى الهوى وينقل عن بيدر الشقاء

الليلة من ملك البوم وما منا الامن أصبح قتيلا او جريحا او مكسور الجناح او منتوف الريش او مقطوف الذنب واشد مما اصابنا ضراعلينا جراءتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فانما نحن لك ولك الرأى ايها الملك فانظر لنا ولنفسك وكان فى الغربان خمس معترف لهن بحسن الرأى يسند اليهن فى الامور ويلقى عليهن ازمة الاحوال وكان الملك كثيرا ما يشاورهن فى الامور ويأخذ آراءهن فى الحوادث والنوازل فقال الملك للاول من الخمس ما رأيك فى هذا الامر قال راى قد سبقنا اليه العلماء وذلك انهم قالوا ليس للعدو الحنق الا الهرب منه قال الملك للثانى ما رأيك انت فى هذا الامر قال رأيى ما رأى هذا من الهرب قال الملك لا ارى لكما ذلك رايا أن نرحل عن اوطاننا ونخليها للعدو من اول نكبة اصابتنا منه ولا ينبغى لنا ذلك ولكن نجمع امرنا ونستعد لعدونا ونذكى نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة اذا اقبل الينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى اطرافنا اطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالاناة مرة وبالجلاد اخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا عدونا عنا ثم قال الملك للثالث ما رأيك انت قال ما ارى ما قال رايا ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطوالع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا ام يريد حربنا ام يريد الفدية فان رأينا امره امر طامع فى مال لم نكره

الى طاحون البلاء فهناك يجدح سويق افعاله ما يرتعه فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويصهر به ما فى البطون ويقال له ذوقوا ما كنتم تكسبون هذا واذا كان الدخل لا يفى بالخرج وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج فبحسن التدبير يتصرف الملك الخبير وبكفاية الوزير وتوفير المشير يجل الحقير ويكثر النزر اليسير كما قيل

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلق الحسن وحسن السياسه تملك رقاب اولى الرياسه فضلا عن العوام وهذا بحسب المقام ولا يتصوران مجرد المال هو شبكة صيد الرجال فان حفظ الممالك هو وراء ذلك وقد قال رسول خلاقكم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وشئ يحتاج فى تحصيله والانقطاع الى وصوله الى بذل اموال وارواح وكد نفوس واشباح واتعاب خيل ورجال وارتكاب شدائد واهوال وبعد حصوله يتكلف فى محافظته وحراسته وملاحظته الى تحمل هموم وغموم وكلام وكلوم وآخر الامر يخرج من اليد ولا يبقى الا النكد والكمد فتزول فى الدنيا اللذات مع معاناة الكدورات وتجرع الغصص والمشقات وتبقى فى الآخرة التبعات لجدير بأن لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ولا يهتم له بشان ويستغنى عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان والافشل الذى يعلق به فؤاده ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده ويتصور ذلك بفكره الفاسد ونظره الكاسد كمثل كسرى لما مات ولده وتفتتت عليه كبده وحصل له عليه الاضطراب ورده عن خطئه البهلول الى الصواب فسأل ابو الجاج اخاه الحجاج عن بيان هذا الامر وكيفية اطفاء هذا الجمر (فقال) المقبل ذكر محدث معدل ان كسرى كان له ولد قد سكن منه سويداء الخلد يخجل البدر ليلة تمامه ويستميل الغصن حالة قيامه وكان يحبه حبا جاوز النهايه وتعدى الحد والغايه وكان لشدة شغفه استبعد حلول تلفه بل احال وفاته واذهله عن درك الحق وفاته فأدركه الاجل المحتوم واستوفى مداه المعلوم فاضطرب كسرى لموته واضطرم واصطدم بصخور فراقه واصطلم ولم يقر له قرار ولا طاوعه اصطبار فوعظه العلماء فما افاد وثبته الحكماء بضرب الامثال فأعياهم المراد وكان فى بلده رجل بهلول يتردد اليه ويدخل فى اكثر اوقاته عليه فيلاطفه فى محاورته ويبتهج بكلماته فى مخاطبته فدخل عليه البهلول وهو كئيب ملول لا تسر حاله صديقا ولا يهتدى الى السكون طريقا فسأله عن حاله وما أوجب توزع باله وتغير أقواله فقال يا بهلول عدمت ولدى وقرة عينى وراحة روحى وجسدى (شعر)

لا صبر يجدى على فراقه * ولا معين على احتراقه

وقلت

اواه من فرقة الاحباب اواه * لقد كوى من حشاقلبى سويداه

قال البهلول نعوذ بالله من ساعات الذهول يا ملك الانام ان عيسى عليه الصلاة والسلام شكا اليه بعض حوارييه شيأ يشابه ما انت فيه فقال عليه السلام كن لربك كالف الحمام يذبحون فراخه ولا يفارق مناخه ولا ينفر عنهم ولا يشكو منهم ثم ان البهلول قال وانا لى اليك سؤال فاجبنى بجواب شاف فانك ذو الطاف فلا يكن فيه جزاف فقال سل فكلامك لا يمل قال أكنت ترجو ان ولدك لا يموت أبدا وأنه يصير فى الدنيا مخلدا فقال لا ولكن أردت ان يبقى مدة ويتمتع بشبابه وبنعمها عنده ويلتذ بطيب المآكل والمشارب ويقضى من أوطار الشباب المآرب ويؤنس أنداده وصحبه ثم يقضى بعد ذلك نحبه قال هب أنه عاش مهما رمت وقام وقعد فى الدنيا كما قعدت وقمت وعاش العيش الطيب وهمى عليه من السماء ملاذها الوابل والصيب وحصل له من العيش الهنى والعمر السنى أمثال

الصلح على خراج نؤديه اليه فى كل سنة ندفع به عن انفسنا ونطمئن فى اوطاننا فان من آراء الملوك اذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم ان يجعلوا الاموال جنة البلاد والملك والرعية قال الملك للرابع فما رأيك فى هذا الصلح قال لا اراه رايا بل ان نفارق اوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من ان نضيع احسابنا ونخضع للعدو الذى نحن اشرف منه مع ان البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا الا بالشطط ويقال فى الامثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس اذا املتها قليلا زاد ظلها واذا جاوزت بها الحد فى امالتها نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون فى المقاربة فالراى لنا ولك المحاربة قال الملك للخامس ما تقول انت وماذا ترى القتال ام الصلح ام الجلاء عن الوطن قال اما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع ان العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وانا للبوم شديد الهيبة وان اضربن عن قتالنا وقد كنت اهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكثبا لم يأمن وثبته وان كان

الجبال

الجبال وأعداد الرمال فعند مفارقته العيش وحلول الحفرة والطيش هل يدفع عنه ذلك شرا او يرفع عنه بؤسا وضرا أو يجلب له منفعه أو يذهب من ذلك شئ معه أو يفيده أدنى فائده او يعود عليه منه عائده قال لا قال فلا تأس على معاش يكون عقبى امره الى لاش وعمر ذلك مصيره سواء طويله وقصيره وكثير تنعمه ويسيره (شعر)

واذا كان منتهى العمر موتا * فسواء طويله والقصير

(غيره) فعش ما شئت فى الدنيا وأدرك * بها ما شئت من صيت وصوت

فحبل العمر موصول بقطع * وخيط العيش معقود بموت

فهب انه عاش ونهب الملاذ وحاش وعلا فى أرض التنعم وغلا وجاش كل ذلك فى المقدار على حسب ما يختار وانه جاءه القضا وقد قضى وطره ومضى ثم قضى نحبه وقضى فخبر بهذا الكلام كسرا وسرى عنه همه وامرى وقال الآن سكنت فنعم الناصح أنت (وانما أوردت) هذا التنبيه أيها الملك النبيه لاعرض على الخواطر السعيده والآراء السديدة الرشيده أن الاقتصار عن هذا أولى والتقيد بالركون تحت ارادة المولى قال المدبر المفنن المعبر ثلاثة أشياء ينبغى لطالبها ان لا يفتكر فى عواقبها الاول الاسفار فى البحار والغوص فيها الى القرار فان طالب الجواهر النفيسه ومن قصده ان يكون فى صدر التجارة رئيسه لا يخشى من الغرق ولا عنده من ذلك فرق فهذا يعني بضائع المال وذاك يغطس الى قعر الاوحال وكل منهما لا يفتكر فى العاقبة والمآل الثانى المقدم على الحرب والرشق والطعن والضرب ومصارعة الابطال ومباشرة أسباب القتال لا ينزعج لصوت ولا يفتكر فى الهزيمة والجراح والموت والثالث طالب الرياسه والملك ذى السياسه لا يفتكر فى الاقتحام ولا يتوانى فى الاقدام ولا يتأمل فى العواقب ولا يلتفت الى المناقب ويلقى نفسه فى الاخطار ويضرب الى أعماق الاقطار ويجعل جل همه بلوغ الاوطار وقيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

وقيل اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

قال المقبل الحكيم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أولوا الباب المميزون بين الخطا والصواب الناظرون من مبتدا الامور فى اعقابها المستبصرون قبل وقوعها فى مآلها وما بها الآتون بيوت النوائب والنوازل من أبوابها قالوا اذا تحصن أبو الحصين وأغلق عليه من وراء جدار بابين ثم حاصره أسد من خارج ساوت قوة الخارج قوة الوالج ولا شك ان حركة العساكر وقطع الفيافى والدساكر والتوجه الى قتال من هو ساكن فى سربه محتاط فى اقليمه ودربه متحصن فى قلاعه متدرق بحفظة امتناعه يحتاج فى الاموال الى اخراج وفى الرجال الى ازعاج وتحمل اخطار وتجشم أسفار وأخذ ضعفاء تحت اقدام وهدم دور وقطع ارحام ومع هذا كله حصول المقصود موهوم والظفر به غير معلوم فان حصل فقد مران لا ثبات ولا تمتع وان احتجب فهو وراء ستر التمنع فكم من دماء حينئذ تراق وقد كانت مصونه وأموال تهدر وقد كانت مضمونه واعراض تهتك وقد كانت محترمه وأنفس تذل وقد كانت عزيزة مكرمه والحق فى هذا متضح ومن نجا برأسه فقد ربح وقد قدمت هذا التقرير وهندست هذا التقدير لان العاقل الماهر فى التجاره كما يحسب الربح يحسب الخساره وكل هذا فى العاجلة فضلا عن المحذورات

وحيدا لم يأمن مكره واحزم الاقوام واكيسهم من كره القتال لاجل النفقة فيه فان ما دون القتال النفقة فيه من الاموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الانفس والابدان فلا يكونن القتال من رأيك أيها الملك للبوم فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا فى اعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا ان لا يسلب صحيح ما أوتى من الخير وأنت أيها الملك كذلك وقد استشرتنى فى امر جوابك منى عنه فى بعضه علانية وفى بعضه سر وللاسرار منازل منها ما يدخل فيه الرهط ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان واست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشارك فيه الا أربعة آذان ولسانان فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره فكان أول ما سأله عنه الملك انه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان جماعة من الكراكى لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على ان يملكن عليهن ملك البوم فبينما هى فى مجمعها اذ وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه فى أمرنا فلم يلبثن دون ان جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو ان الطير بادت من الاقاليم وفقد الطاوس والبط

الآجله من غضب الله وعقابه وتوبيخه وأليم عذابه واذا خرج الامر عن اليد ودخل على لقاب الاشتغال بالنكد وذهب المال والمنال ونقصت الاهبة والرجال وتناقص العدد والعدد وتناكص المدد والمدد فأى حرمة تبقى للملك عند الرعايا وقد قلت عنهم منه الارفاد والعطايا وكيف يستقر ملكه أو يدور على فلك الثبات فلكه فلا تخافه الرعية ولا يرجونه ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه ويصير كالسحاب الخلب لا يوثق منه بوعد ولا يحصل منه مطلب ان تكلم عابوا كلامه وان حكم نقضوا أحكامه وان حلم قالوا عاجز وان تقدم فى الحرب قالوا مجنون مبارز وأما الغنى ذو المال فهو على عكس هذه الاحوال فان رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة اهلا فرفعوه الى العيوق وكان المعظم المرموق ان اعطى قليلا استصغروا احتماعا عنده وأطنبوا بلسان الثناء فى شكرهم رفده وان بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله وان كذب صدقوا قيله وقاله وفى الجملة حركات الغنى مستصوبه وكلماته مترشفه مستعذبه وقد قيل

ان ضرط الموسر فى مجلس * قيل له يرحمك الله
أو عطس المعسر فى مجمع * سبوا وقالوا فيه ماساه
فضرط الموسر عرنينه * ومعطس المفلس مفساه

وكما قيل

الفقر يزرى باقوام ذوى حسب * وقد يسوّد غير السيد المال

ولقد رشفت من افواه الحكماء ونصائح البلغاء بل شاهدت من النوائب وتلقفت من ذوى التجارب وتحققت فى الدهر أبى العجائب ان الفقر شيب الفتيان وسقم صحيح الابدان ومبعد الاقارب وجاعلهم اجانب وقاطع الارحام ومانع السلام ومبغض الاحباب ومفرق الاتراب ومشتت شمل الاصحاب وبالجملة فالذى يجب على ولى الامر التأمل فى قصارى هذا الامر والتفكر فى عاقبة هذه الحركة وما يحدث فيها من شؤم وبركة وان يجيل قداح التدبر والتبصر والتصبر ويتثبت فى صدر هذا المورد المضيق وما فيه من مجال أو ضيق ولا يعتمد فيه على القوة والحول وأسباب الطول والطول وكثرة الشوكة والعدد وامداد العدد والمدد مع عدم الاكتراث بالاخصام وقلة المبالاة بكل أسد ضرغام فان الاسد سلطان السباع وملك عظيم كثير الجند والاتباع شجاعته مشهورة وشهامته مأثوره به يضرب المثل ويشبه كل بطل ونحن وان كان لنا عساكر كالجبال تهدم الحصون وتدك القلال لكن ما جربنا مصارعة الاسود ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود ولا نعرف طريق بلادهم ولا طريقة جدالهم وجلادهم وان لهم فى الحروب أساليب وفى افتراس الفرائس أنيابا ومخاليب فأخشى ان لا تتم هذه الامور وتقصر حبالنا عن مصادمة مالهم من قصور فيرجع وبال هذه الامور علينا اذا بتداؤه أولا منسوب الينا ولا نحصل الا على الندامه والتوبيخ والملامه ويخاطبنا الجد الوبيل بما قيل

تبنى بأنقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض يوما بعد أيام

وقال المدبر ولا شك ان جوهر هذا النظام وعقود هذا الكلام صادر عن فكر بعيد ورأى سديد وأمر رشيد وتأمل فى العواقب مفيد أصله الحكمه وفرعه الشفقه وزهره المعرفة وثمره الفطنه ولكن من حين استولى على الملك كيومرث ومرث على سرير التحكم اصبع الولاية أبلغ مرث وسن قواعد السياسه وأسس بنيان الرياسه وذلك زمان الابتدا وأول ما تملك على الدنيا والى هذا اليوم لم يزل القوم من الملوك فى روم وطلب الزيادة والسوم ولا عتب فى ذلك ولا لوم وقل لى اى ملك مالك تحكم فى الممالك وسلك فيها المسالك

والنعام والحمام من العالم لما أضطررتن الى أن تملكن عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا وأسوؤها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا بالنهار وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء اخلاقها الان ترين ان تملكنها وتكن أنتن تدبرن الامور دونها برأيكن وعقولكن كما فعلت الارنب التى زعمت ان القمر ملكها ثم عملت برأيها قالت الطير وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا أن أرضا من اراضى الفيلة تتابعت عليها السنون واجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فاصاب الفيلة عطش شديد فشكون ذلك الى ملكهن فارسل الملك رسله ورواده فى طلب الماء فى كل ناحية فرجع اليه بعض الرسل فاخبره أنى قد وجدت بمكان كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة باصحابه الى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته وكانت العين فى ارض للارانب فوطئن الارانب فى اجحارهن فاهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الارانب الى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال ليحضر منكن كل ذى رأى رأيه فتقدمت أرنب من الارانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأى والادب فقالت ان رأى الملك أن يبعثنى الى الفيلة ويرسل معى أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه الى الملك فقال لها الملك أنت أمينه ونرضى بقولك فانطلقى الى الفيلة

ولم يقصد فيها الولايات الشاسعه ولا الاقاليم الواسعه ولم يطلب الترفع على الاقران وعلو المكان بقدر الامكان والملك عقيم والعاجز سقيم وكيف يتصور أيها الملك الاكبر أن تكون همة الملك أدنى من همة تاجر فى البحر بنهمك فان التاجر اذا افتكر فى لذة الفائده وما يعود عليه العائده وغرته كما يقال القسع أواق الزائدة يضع جميع ماله وما تصل اليه يده من خدمه ورجاله فى الفلك المشحون ولا يرهب ريب المنون ويركب هو أيضا فيه ولا يلتفت الى عجائب دواهيه ولا يفتكر فى الغرق ولا فى جبر السفينة ولو انخرق ويسلم قياده الى متصرف الهواء ونفسه وماله الى حاكم الماء ودونك ياذا الحشمه والوافر الحرمه ماقاله العاشق العالى الهمه

ان تهو بدرا فليكن * ابن الخليفه ذى السرير
أو ابن سلطان الورى * أو ذى الوزارة أو امير
وتجنب الاوغاد والـ * ـشغوغا وذا القدر الحقير
ان الخطير هو الذى * قد قام بالامر الخطير

وأما قوالكم عساكرنا أغمار لا دربة لهم بتلك الديار ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود ومقاومة تلك الجنود فاعلم أيها الوزير الفاضل الكبير ان الاسد ملك كاسر وعلى سفك الدماء جاسر وان فى رعيته من آذاه وأنكاه فى ذويه وأبكاه وكسره جبرا واسترعاه قسرا واستولى عليه قهرا فهو منتظر تنفس الزمان مترقب انقلاب الحدثان متوقع أيها الفضيل معنى ماقيل

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها

فاذا سمع باحد خرج على الاسد ولو كان أقل الاعوان فضلا عن ملك الافيال بل قيل الاقيال الفاضل فى ذاته الكامل فى صفاته العادل فى رعيته البار بأهل ولايته المحسن الى أهل مملكته المشفق الحليم الرؤف الرحيم فبالضرورة يبادر الى الملاقاه ويسارع الى ما كان يتمناه ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه فيدل على عورات العدو ومظان عثراته ويرشد الى طرائق نكاياته ونكباته وينادى فى النادى نلت مرادى على رغم الاعادى ويعلن بانشادى للحاضر والبادى

اذا كان للانسان فى دولة امرئ * نصيب واحسان تمنى دوامها

وايضا فى ذلك الاقاليم من هو متشبث بامر جسيم وهو ماله من مال وأولاد واقطاعات وعقار وبلاد وسوائم ومواش وأثقال وحواش فلا يمكنه التحول عن طريقنا ولا التحمل لعودنا وبروقنا ولا قوة المقاومه ولا طاقة المصادمه فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعه ويتشبث بذيل ستنامع الجماعه فنستمد بآرائه ورواته ونستفيد فيما نحن بصدده دواء لدائه فقال الملك لمقبل ما الجواب عن هذا الخطاب فقال هذا المقال وان كان لا يخلو عن الاحتمال ووقوعه غير محال لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع لانه أمر مبتدع ولان طبائعنا مخالفة لطبائعهم واوضاعنا غير أوضاعهم وناهيك أن كلاب الحاره فى النهب والغاره يمزق بعضهم بعضا ويتناحرون فيما بينهم حوصا وبغضا حتى اذا دخل بينهم ذيب اوحيوان غريب توجهوا اليه واتفقوا عليه فرقوا أديمه وهتكوا حريمه وجعلوا لحمه لجماعتهم وليمه وعند الاسد من الوحوش أنواع ما بين سباع وضباع ونمور وذئاب وقرود ودباب وفهود وكلاب كلهم على طباعه متفقون على اتباعه وان اختلفت عليهم الثياب لكن الكل كلاب أولاد كلاب وكل من هولاء على ماهم عليه متفقو الاهواء له على خصمه

وبالغى عنى ما تريدين واعلمى ان الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأنى فان الرسول هو الذى يلين الصدور اذا رفق ويخشن الصدور اذا خرق ثم ان الارنب انطلقت فى ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له ان القمر أرسلنى اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان اغلظ فى القول قال ملك الفيلة فما الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك فى شأن الاقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا عليه وانت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التى تسمى باسمى فشربت منها وكدرتها فأرسلنى اليك فأنذرك أن لا تعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت اعشى بصرك واتلف نفسك وان كنت فى شك من رسالتى فهلم الى العين من ساعتك فانى موافيك بها فعجب ملك الفيلة من قول الارنب فانطلق الى العين مع فيروز الرسول فلما نظر اليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر فأدخل الفيل خرطومه فى الماء فتحرك فخيل للفيل أن القمر ارتعد فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالى جحفلتى فى الماء قالت فيروز الارنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط

فى مجادلته وخصمه دربة فى المساوره ووثبة فى المغاوره وانواع فى الكر والفر وروغات فى الخير والشر ومداخل ومخارج ومدارك ومعارج وليس فى عساكرنا سوى الصدمات والحطم بقوة النهضات والعزمات فان أفاده هذا الاصطدام والا فما ثم الا الانهزام فلما بلغ المقبل فى الكلام الى هذا المقام وكان رسخ فى قلب الملك من كلام المدبر الوسخ فما أثر نصح المقبل وما أفاد لان النفس بطبعها مائلة الى الفساد فشرع الملك واعتمد على التوجه الى بلاد الاسد وامر رؤساء فيلة الهنود بجمع العساكر والجنود وأشيع ذلك فى اطراف الممالك فاطلع على هذه الاحوال غراب يكنى أبا المرقال كان له وطن وولد وسكن فى ممالك الاسد لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه على سبيل التفرج والتفكه فشرع يتأمل فى هذه الامور ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور فانتهى سابق أفكاره فى ميدان مضماره الى ان هذه القضايا تسفر عن بلايا وزوايا واراقة دماء وخراب أماكن وهلاك رعايا سواء تمت للافيال أو رجعت عليهم بالوبال فخاف على سكنه ودماراهله ووطنه فأدى فكره الاسد ان يطلع على ذلك الاسد ليتداركه بحسن آرائه ويعترف للغراب بحسن وفائه فبكر بكوره وقصد دوره فوصل فى أقرب زمان ونادى الرئبال ابا الزعفران وقال الله الله انى انا النذير العريان وأطلع الاسد على هذا النكد وقرر معه حقيقة الاحوال وما عزم عليه ملك الافيال فتشوشت لذلك الخواطر وتصدعت لخوفه الاكابر والاصاغر ثم أمر السباع وطوائف الوحوش بالاجتماع مع رؤساء مملكته وأساطين خاصته ورعيته وذكر لهم هذا الامر المهول وما عزم عليه ملك الفيول وأذن لكل واحد منهم فى ذلك بما يقول فوقع الاتفاق من أولئك الرفاق ان يتفق اعيان كل جنس من الحيوان على رئيس من جنسهم يقيمونه مقام نفسهم يرضون بأقواله ويقتفون آثار افعاله وليكن من اهل الحصافة والكفايه واللطافة والدرايه والشفقة العامة والمعرفة التامه يعقد معهم للمؤامره مجلس رأى ومشاوره فيما وقع عليه الاتفاق واجمع عليه الرفاق واستصوبه الاسد وارتضاه اتبعوه وعملوا بمقتضاه فتقدمت طائفة الآساد الى ناج منها نهاد سبع يسود على طوائف الاسود طالما افترس الاقران وانغمس فى دماء الشجعان وأضاف جوارح الصيد فضلات ما افترسه من عمرو وزيد كاسر جاسر باسل باسر جاهر قاهر ظاهره ابى و باطنه بالمكر غبى

أسد يسود على الاسود زئيره * رعد وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه واستشاروا الرأى رايه وامتاروه واختارت النمور نمرا غيورا سريع الوثبه بديع الضربه لطيف الحركات خفيف النهضات قوى الشماس خفى الاختلاس كثيرا ما كسر أسامه وسامى اسود خفان فأسر ضرغامه كما قيل

نمر تخاف الاسد من وثباته * وتحار فى حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ظريف الزوغان خفى الحيل قوى الميل طالما فر من طبل واهال على الصيادين من اهوال وأحرق السلوقيات سلاحه ونفذ فى غالب الاسود بالمكر سلاحه

يضل بنى سلوق من دهاه * فيخلص من مخالبها سليما

واعتمدت الذئاب فى هذا الباب على ذئب فعله عجيب وأمره غريب سديد الختل والختر شديد المكر والكسر طالما أفسد ثله ودخل فى قطيع ماشية فقطعه كله يعجز الاسود والنمور والفهود شيمته الغدر والخديعه ودأبه المكر وسوء الطبيعه شعر

وقد جمع الضدين نوما ويقظة * يخاف الرزايا فهو يقظان نائم

أن لا يعود الى مثل ذلك هو ولا أحد من قبيلته قال الغراب ومع ما ذكرت من امر البوم ان فيها الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الارنب والصفرد حين احتكما الى السنور قالت الكراكى وكيف كان ذلك (قال) الغراب كان لى جار من الصفاردة فى أصل شجرة قريبة من وكرى وكان يكثر مواصلتى ثم فقدته فلم أعلم اين غاب وطالت غيبته عنى فجاءت ارنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت ان أخاصم الارنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لى فانتقلى عنه قالت الارنب المسكن لى وتحت يدى وأنت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته على قال الصفرد القاضى منا قريب فهلمى بنا اليه قالت الارنب ومن القاضى قال الصفرد ان بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذى دابة ولا يهريق دما عيشه من الحشيش ومما يقذفه اليه البحر فان أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به قالت الارنب ما أرضانى به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليه فتبعتهما لانظر الى حكومة الصوام القوام ثم انهما ذهبا اليه فلما ابصر السنور بالارنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلى واظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنيا منه هائبين له وسلما عليه وسألاه ان يقضى بينهما فأمرهما ان يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى فأسمعانى

فاخشى

فاختلى بهم أبو الاشبال وشاورهم فيما دهمه من الاهوال وتوجه بالخطاب الى الاسد وقال ماراْيك فى هذا النكد فقال لاتطلب النصر فى هذا الحصر الامن مالك العصر ومصرف أحوال الدهر بين الفرج والقسر وهو الله سبحانه وتعالى وعزشأنه وجل جلالا فانا مظلومون وهم ظالمون ونحن مااعتدينا عليهم ولاتقدمنا بالظلم اليهم فسيرد الله كيدهم فى نحرهم وسيحيق بهم عاقبة مكرهم وهذا أمر مقرر وأظنه هو المقدر وأما مايتعلق بنا وبهم من الفرار او الصلح أو حربهم فاذكره على التفصيل وأخبر فى ذلك الرأى الجميل أما الفرار فلاسبيل اليه ولامعول أبدا عليه وأنى ذلك وهو عيب ماوصمت به الاسود ولالهم به وصف معهود وبنا يضرب المثل فى الشجاعة والبساله وتتشبه بنا الابطال فى الاقدام لامحاله وكيف نترك بلادنا وأهالنا وأولادنا من أول وهله ونعزم على الرحله ولاصادمناهم ولا واقفناهم ولو فعلنا ذلك فهربنا وتركنا ما النا وذهبنا لفسدت أمورنا وخربت ممالكنا ودورنا ولانفرط نظامنا وتعوج قوامنا واستمرت هذه الملامه الى يوم القيامه ولدام علينا هذا العار ولايقر لنا بعد ذلك قرار واعلم أيها الملك نوّر الله وجه السرير بك ان العمر السنى مامر فى العيش الهنى وقد قيل

ما العمر ماطال به الدهور * العمر ماطاب به السرور

والعمر الذى يمر فى نكد لايحتسبه من ذوى الكفاية أحد وحسبك ماذكره المترجم من حكاية الملك المعزول مع المنجم فسأل أبو الاشبال سرد هذا المثال (فقال) الاسد ذكر القائل ان أهل بابل كانت عادتهم فى دينهم وسلوك طريقهم مع سلاطينهم انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه واتبعوا طريق أمره وسلكوه وبذلوا فى طاعته ماملكوه فاذا أرادوا عزله تركوه ونشزوا عنه وفركوه واهملوا احسانه وفذلكوه وسكنوا غيره فى سرير الملك وحركوه فاتفق انهم ولوا واحدا واعزوه ونصروه ثم خذلوه وأقبلوا عليه أولا ثم قتلوه وكانت مدة مابين ذلك يسيره وعمر أيامه فى ولايته قصيره فحصل له أولا السرور ثم تراكمت عليه بالعزل الشرور فاحتوشته الفكر وبات يصارع القضاء والقدر ثم قال لو راقبت فى أول الجلوس مافى الطالع من سعود ونحوس ثم اخترت لساعة ارتقائى وقتا يطول فيه بقائى وذلك يكون نجمى فى برج ثبت لما انقلبت كواكب سعدى عن الاستقامة ولانبت ولكن حيث فات ذلك فى الابتداء فأتداركه فى الانتهاء فلعل ذلك يفيد ويردنى الى سرير السرور ويعيد ثم طلب منجما حاذقا ماهرا فى صنعته فائقا وقال انظر فى طالع جدى وتأمل برج نحسى وسعدى واختر لى ساعة يصلح فيها النزول عن السرير ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليها غير عسير فان الناظر الى الطالع هو الجالب والمانع فامتثل المنجم مارسم وشرع فى وضع الاشكال والقسم ثم قال أحسن مانظر فى الطالع المسعود من حين الميلاد فانه أول الوجود فاذا أخذ الطالع من ساعة الميلاد ترتب عليه مايصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد ومن الخوف والرجاء فى عالم الكون والفساد فهل اطلع الملك فى أى ساعة وجد وكم اتى عليه من حين ولد قال نعم أعرف مدة عمرى جزما وهى اثنان وعشرون يوما فتعجب المنجم من مقاله ولم يقف على حقيقة حاله فقال ليوضح الملك ماأشار لاقف على حقيقة هذه الاسرار فقال مدة استيلائى على السرير هو هذا القدر اليسير وأنا لاأحسب العمر ولاأعتد بوصال بيض ولاسمر الاهذه الايام والليالى ولاأحتسب سواها عمرا ولو بيع باللآلى وقد قلت

وعمر مضى بالهجر لست أعده * ولكننى أقضيه فى زمن الوصل

ماتقولان فدنيا منه وأعاد عليه القصة وسألاه الحكم فقال قد فهمت ماقلتما وانا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فأنا آمركما بتقوى الله وان لاتطلبا الا الحق فان طالب الحق هو الذى يفلح وان قضى عليه وطالب الباطل مخصوم وان قضى له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شئ لامال ولاصديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق أن يكون سعيه فى طلب مايبقى ويعود نفعه عليه غدا وان يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة النساء اللاتى يملكهن بمنزلة الافاعى المخوفة ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا واشباهه حتى أنسا اليه واقبلا عليه ودنيا منه ثم وثب عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ماوصفت لكن من الشؤم وسائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكى ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم وكان هناك بوم حاضر قد سمع ماقالوا فقال للغراب لقد وترتنى اعظم الترة ولاأعلم انه سلف منى اليك سوء أوجب هذا وبعد فاعلم ان الفاس يقطع به الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لايندمل جرحه ولاتؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج واشباه النصل من الكلام اذا وصلت الى القلب لم ينزع

(وانما) عرضت يا بطل على رأيك السعيد هذا المثل لتعلم ان أيام المحنة لاتعد عمرا ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا وأما الصلح يا ذا الركون فعلى أى وجه يكون ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون وليسوا من جلدتنا ولا على ملتنا وفى أى عصر وأوان ذل الاسد واستكان وخضع للفيل ودان أو أعطى الغضنفر النباج والضرغام الصعب التاج لغيره الجزية والخراج وهو فى الحقيقة سلطان الوحوش ووهاب التاج فلم يبق الا الاستعداد للمصادمه والتأهب للمكافحة والمقاومه ولنا من ذلك فى البين احدى الحسنيين اما الظفر بهم وهو المرام وأما الشهادة فنموت ونحن كرام وقد قال السيد السديد من قتل دون ماله فهو شهيد وقيل ياحاتم طى حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحى والموت فى مقام العزه مع النشاط والهزه أرفع من الحياة بذلة ووخزه وكسرة ونخزه وقد كنت انشدت وقد ما أرشدت

هو الموت ان لم تلقه ضاحكا فمت * عبوسا بوجه أقتر اللون أغبرا

ومن لم يمت فى ملتقى الخيل مقبلا * عزيزا يمت تحت السنابك مدبرا

فأقبل الريبال على أبى مرسال وقال أيها النمر وصاحب الخلق الزمر ماذا تشير فى هذا المهم والمشكل الذى دهم فقال ان الافيال أكبر جسوما وأعظم حلوما وأقوى فى الضرب وأعدى فى الحرب وقد استعدوا واقبلوا واتقنوا أمورهم واعملوا وأنا اخشى ان يكونوا أقوى بطشا وان نعجز عن المقاومه فى المصادمه فان فينا العاجز والضعيف والذميم الجثة والخفيف ومن لا عرف الافيال ولا رأى تلك الاشكال فينفر من مصادمة الجبال فيطؤننا تحت أخفافهم وتنكسر شوكتنا فى أول مصافهم فلم يبق الا الفرار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار وينفرط النظام ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام ونقع فى البلاء العريض الطويل وانظر يا مولاى الى ما قيل

هل للعرائر من صون اذا وصلت * ايدى الرعاع الى الخلخال والخدم

فعندى الرأى ذو الاصالة ان ننتخب الملك من يصلح للرساله ويحسن السفاره ويحسن العباره فيسكن من فورة شغبهم وثورة لهبهم وسورة غضبهم ويعدهم ويمنيهم ويحسن التقريب ويقصيهم وفى ضمن هذه الاوقات واثناء هذه الحالات يراقب أوضاعهم ويخبر جمعهم واجماعهم ويتوصل الى أسرارهم ويواصلنا بأخبارهم ويطالعنا بما خامر أفكارهم ويكتب ماقدموا وآثارهم ونستمر على المراسله والمقاولة والمطاوله فان تيسر رجوعهم وانكشف بالهوينا جموعهم والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار فنتعاطى أمور قتالهم بعد التأمل والاختبار وان أمكننا أن نأتيهم بالليل ونحل بهم الدواهى والويل بعد أن يركنوا الى جانبنا ويأمنوا من نوائب مصائبنا فربما نصل الى بعض القصد أو يوافق بعض حركاتنا السعد فالتفت الدوكس الى العملس وقال أى سيد وذا الامر الرشيد ماذا ترى فيما طرا وكيف طريق العوم فيما جرى قال السمسام يا مولانا الضرغام الذى سمعته من أولى التجارب وتلقفته من الاصحاب والاجانب انه من التوفيق اذا ابتلى الشخص بعداوة من لا يطيق أن يدافعه بالهدايا والتحف ويحابيه بشئ من الطرائف والتحف فانه قيل فى الامثال ان خير الاموال ما ادخر لدفع البوس ووقيت بنفائسه النفوس فأهب النهاب بابى وثاب يا أبا الحصين ما رأيك فى البين واى آراء الاصحاب اقرب الى الصواب فتقدم الثعلبان وتكلم فأبان وقال اسعد الله الاحد مولانا الاسد وجعل رأيه الاسد وفعله على اعدائه الاشد اعلم ايها الدهات

ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو أبدا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء فلما قضى البوم مقالته ولى مغضبا فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على مافرط منه وقال والله لقد خرفت فى قولى الذى جلبت به العداوة والبغضاء على نفسى وقومى وليتنى لم أخبر الكراكى بهذه الحال ولا أعلمتها بهذا الامر ولعل اكثر الطير قد رأى اكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء مالم أتق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب لا سيما اذا كان الكلام افظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه ومما يورث الحقد والضغينة فلا ينبغى لاشباه هذا الكلام أن يسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغى ان يحمله ذلك على ان يجلب العداوة لنفسه اتكالا على ماعنده من الرأى والقوة كما انه وان كان عنده الترياق لا ينبغى له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب حسن العمل وان قصر به القول فى مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا فى العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة امره وأنا صاحب القول الذى لا عاقبة له محمودة أليس من سفهى اجترائى على التكلم فى الامر الجسيم لا استشير

ان

ان امورنا لاتخلوعن احدى ثلاث اما المقاتلة بالمقابحه واما المهادنة والمصالحه وقد تقرر فيما
تقدم وتحرر بيان كل منهما ومايصدر فيهما وعنهما واما الفرار وتولية الادبار وترك الاوطان
والديار فآف لذلك من عار وسبة وشنار فمابقى الا الحالة الثالثه وهى بعساكرهم عابثة
ولقلوبهم كارثه وهى طريقة الاحتيال والتوصل الى القائهم بطرائق المكر فى جب الوبال
فان صائب الافكار يعمل مالايعمله الصارم البتار فبشباك الحيله تصاد كل فضيله
وتهون كل جليله وانا افصل ما اجملت وابين ما فصلت اما المقاتله والاخذ فى اسباب
المقاتله فلا طاقة لنا به ولا باب لدخول قبابه لانا عاجزون عن المصادمه قاصرون عن
المقاومه محتاجون الى الطعام والشراب وبعض عساكرنا لا يعيش الا باللحم والكباب
وجيشهم الذى قدملا وسد الوهد والفلا يقنعون بالحشيش والكلا فلا يتكلفون لحمل زاد
ولا يحتاجون الى عدة وعتاد وايضا احوال عساكرنا المفرقة المضمومه لاختلاف اجناسها
وانواعها غير معلومه فلا اعتماد عليهم ولا يتحقق الركون اليهم فانهم اجناس مختلفة
وطوائف غير مؤتلفه وبينهم معاداه وفى جبلتهم النفرة والمنافاه وبعضهم غذاء بعض وفى
قلبه منه عداوة وبغض لو ظفر به كسره واكله وان استنصر به خذله فهم كالقفل المجمع ولون
اتفاقهم ملمع وأما عساكر الافيال فبينهم اتفاق على كل حال لانهم جنس واحد ومابينهم
مخالف ولا مناكد ولهم اعتماد على قوتهم وعلى اتفاقهم وشوكتهم والمعتمد على مثل
عساكرنا ان لم يضبط بطريقة كلية امر عشائرنا ينفرط امره ويخمد فى اتقاده نار الحرب
جمره ويعلوه من بحر النوائب غمره ويظفر به من اعدائه زيده وعمره ويصيبه من الخطه
ما أصاب الصياد من القطه فسأل ابو الحرث عن بيان هذا الحادث (قال) الثعلب ذكر ان
رجلا ذا كيد كان مغرما بالصيد وكان عنده قط صياد يجترئ على النمس والفياد فكان
يوما بين يديه فمر عصفور عليه فطفر كالنمور وحصل من الهواء العصفور فأعجب به
صاحبه ثم قصد الصيد وهو مصاحبه وحمله تحت ابطه وبالغ فى حفظه وضبطه وركب
جواده وتوجه يروم اصطياده فرقى سفح جبل فخرج من وراء صخرة طائفة من الحجل فتوجه
اليه والقى القط عليه فطار الطير وخاف القط وقصد رجوعه الى تحت الابط فطفر الى
جهة الجواد وانشب فيها مخالبه الحداد فجفلت الفرس من القطه وخبطت بفارسها
الارض شر خبطه ازهقت فيها نفسه وابطلت حسه (وانما اوردت) هذا المثل ليحترز بها
البطل فى هذا الامر من وقوع الخلل ويتفكر فى أمر هؤلاء الجماعه وكيف ثباتهم فى دعواهم
السمع والطاعه فانهم لا يصلحون للقتال خصوصا مصادمة عساكر الافيال فالملك لا يعتمد
على مثل هذا العسكر اللهم الا ان يتقرر أمرهم على صدق اللقاء ويتحرر وأما ماذكره مولانا أبو
مهيل فى تبييت عساكر الافيال بالليل فهو رأى معتبر ولكن فيه نظر لان ذلك انما يكون اذا
كان العدو فى سكون وعن توقع النكبات فى ركون فبيناهم فى غفلتهم ذاهلون جاءهم
بأسنا بياتا أوهم قائلون وأما اذا كانوا مستعدين يقظين مجدين وقد توجهوا للقتال وانتصبوا
للمناضلة على هذه الحال فلا شك أنهم اتقنوا أمرهم واخذوا أسلحتهم وحذرهم فأعدوا لكل نائبة
نابا ولكل بائقة بابا ولكل حرب حرابا ولكل ضرب ضرابا ولكل شدة سده ولكل عدة عده
ولكل جزة جزه ولكل وفزة فزه ولكل نفرة طفره ولكل فرة كره ولكل ازمة حزمه ولكل
كسرة جزمه فربما يكونون افتكروا امثال هذه المكيده وأعدوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها
مصيده فنتوجه اليها غافلين فننشب فى شركها ذاهلين فيصيبنا من النكال ما أصاب الحجل من

فيه أحدا ولم أعمل فيه رايا ومن
لم يستشر النصحاء الاولياء وعمل
برأيه من غير تكرار النظر والرويه
لم يغتبط بواقع رأيه فما كان اغنانى
عما كسبت يومى هذا وما وقعت
فيه من الهم وعاتب الغراب نفسه
بهذا الكلام واشباهه وذهب فهذا
ما سألتنى عنه من ابتداء العداوه
بيننا وبين البوم وأما القتال فقد
علمت رأيي فيه وكراهتى له ولكن
عندى من الرأى والحيلة غير القتال
ما يكون فيه الفرج ان شاء الله
تعالى فانه رب قوم قد احتالوا
بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ومن
ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا
بالناسك وأخذوا عريضه قال الملك
وكيف كان ذلك (قال) الغراب
زعموا ان ناسكا اشترى عريضا
ضخما ليجعله قربانا فانطلق به يقوده
فبصر به قوم من المكرة فائتمروا
بينهم ان يأخذوه من الناسك
فعرض له احدهم فقال له أيها
الناسك ما هذا الكلب الذى معك
ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه
ما هذا ناسكا لان الناسك لا يقود
كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا
ومثله حتى لم يشك ان الذى يقوده
كلب وان الذى باعه اياه سحر عينه
فأطلقه من يده فأخذه الجماعة
المحتالون ومضوا به * وانما ضربت
لك هذا المثل لما ارجو ان نصيب
من حاجتنا بالرفق والحيلة وانى
أريد من الملك ان ينقرنى على رؤس
الاشهاد وينتف ريشى وذنبى ثم
يطرحنى فى أصل هذه الشجرة
ويرتحل الملك هو وجنوده الى مكان
كذا فأرجو انى اصبر واطلع على

الجمال فقال الرئبال هات يا أبا الترهات اخبرنا يا أبا نوفل أخبار الجمل المغفل (قال) كان جمال فقير ذو عيال له جمل يتعيش عليه ويتقوت هو وعياله بما يصل منه اليه فرأى صلاحه في نقل ملح من الملاحه فجد في تثقيل الاحمال وملازمته باثقال الاثقال الى ان آل حال الجمل الى الهزال وزال نشاطه وحال والجمال لا يرق له بحال ويجد في كده بالاشتغال ففي بعض الايام أرسله مع السوام فتوجه الى المرعى وهو ساقط القوة عن المسعى وكان له ارنب صديق فتوجه اليه في ذلك المضيق ودعا وسلم عليه وبث عظيم اشتياقه اليه فلما رأى الخز هزاله تألم له وسأله احواله فأخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وأن الملح قد قرحه وجب سنامه وجرحه وانه قد اعيته الحيله واضل الى الخلاص سبيله فتألم الارنب وتأمل وتفكر في كيفية عصر هذا الدمل ثم قال يا أبا أيوب لقد فزت بالمطلوب وقد ظهر وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والنجاة من الارتهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل يعترضك يا ذا الرياضه في طريق الملاحه مخاضه فقال كثير وكم من نهر وغدير فقال اذا مررت في خوض ولو انه روض أو حوض فابرك فيه وتمرغ وتنصل من حملك وتفرغ واستمر فيه يا أبا أيوب فان الملح في الماء يذوب وكرر هذه الحركة فانك ترى فيها البركه فاما انهم يغيرون حملك أو يخففوه أو تستريح بذوبه من الذي اضعفوه فتحمل الجمل للارنب المنه وشنف بدر هذه الفائدة اذنه فلما حمله صاحبه الحمل المعهود ودخل به في طريقه المورود ووصل الى المخاضة برك فضربوه فما قام ولا احترك وتحمل ضربه وعسفه حتى أذاب من الحمل نصفه ثم نهض انتهاضه وخرج من المخاضه ولازم هذه العاده الى ان أفقر صاحبه وأباده فأدرك الجمال هذه الحيله فافتكر له في داهية وبيله وعمد الى عهن منفوش وغير في مقامرته شكل النقوش واوسق للجمل منه حملا بالغ فيه تعبية وثقلا وسلط عليه الظما ثم دخل الى الما فلما توسط الماء برك وتغافل عنه صاحبه وترك فتشرب الصوف من الماء ملء البرك ثم اراد النهوض فناء به الربوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا الفكر الوبيل على الجمل المسكين باضعاف التثقيل فساء مصيره وكان في تدبيره تدميره وما استفاد الا زيادة النصب وامثال ما كان يجده من التعب والوصب (وانما أوردت) هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار ان العدو الغدار والحسود المكار يفتكر في أنواع الدواهي ويفرع أنواع البلايا والرزايا كما هي ويبذل في ذلك جده وجهده ولا يقصر فيما تصل اليه من ذلك يده فتارة تدرك مكايده وتعرف مصايده وتارة يغفل عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لا بد للشخص له وعليه من الاحتيال وأما طلب الصلح وارسال الهدايا فمن أعظم المصائب وأكبر الرزايا فان ذلك يدل على عجزنا والخور وينادي على هواننا في البدو والحضر ويجري علينا الغريب ويذهب حرمتنا عند القريب ودونك يا أبا العباس ما أنشدتك في المقياس

وما أنا ممن فرمن نار خصمه * لظل حسود او الى فيء شامت

ولكن الرأي الانور أيها الورد الغضنفر ان ترسل اليهم رسولا عاقلا فصيحا جميلا بصيرا بعواقب الامور قد مارس تقلبات الدهور وقدر بي وتربى وعن الرذائل تأبى وبأنواع الفضائل تعبى واحرم الى كعبة محاسن الشيم ولبى ولولا ان باب النبوة استد لتنبى برسالة خله تسفر عن بسالة جزله تتضمن سؤالهم عما أوجب ارتحالهم وسبب قصدهم لبقعتنا وتوجههم لدخول رقعتنا وما موجب هذا الاعتداء ولم يصدر منا لهم الا المحبة والولاء وحسن

الجواب

أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتي اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا ان شاء الله تعالى قال الملك أتطيب نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه فجعل الغراب يئن ويهمس حتى سمعه البوم ورأينه يئن فأخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه أمر بوما ان يسأله فقال له من أنت واين الغربان فقال أما اسمي ففلان وأما ما سألتني عنه فاني احسبك ترى ان حالي حال من لا يعلم الاسرار فقيل للملك البوم هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأي ذنب صنع به ما صنع فسئل الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الامر فقال أيها الغربان ما ترون في ذلك فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لانهن أشد بطشا واحد قلبا منا ولكن أرى ان نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك فان قبلت البوم ذلك منا والا هربنا في البلاد واذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا فالصلح أفضل من الخصومة وامرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الامثال في ذلك وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد بأسه وغضبه مثل الخضوع له ألا ترين الى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت فعصينني في ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت

الجوار والاحسان الى الكبار والصغار ومعاملة القريب والغريب بالفضل المجيب والكرم الذى لايخيب ويذكرلهم بسالتنا وشجاعتنا وفى معاملات المضاربة بضاعتنا ويكشف لهم فى ملابسة الحرب والضرب صناعتنا ويحقق عندهم ماعندنا من أسود الحرب وفوارس الطعن والضرب وأجناس الوحوش الكواسر والسباع الجوائر وأصناف القراعل والعساير ويتكلم بكلام يراه مقتضى المقام ومناسب الحال ويوسع فى ذلك المجال ويميز أوضاعهم وعساكرهم ويسبر بمسبار العقل أمورهم وأوامرهم ويسمع الجواب ومافيه من خطا وصواب ويورده الينا ويعرضه علينا فنعمل بمقتضاه وننظر الرأى السديد فيه مالرتضاه ونبنى على ذلك الاساس ونفصل على ذلك القياس فاستصوبوا هذا الرأى من الآراء وطلبوا له كفؤا من الاكفاء فوجدوا ذئبا هو من خواص الحضره ومن ذوى النباهة والشهره له فى ميدان الفضائل كروفر وفى مظان النفع والضرخير وشر قد جرب فى المصايد ودرب فى المكايد وهذب فى المصادر والموارد ورتب فى المطارف والمطارد أدنى فضائله حسن السفاره واحدى فواضله ترتيب العباره حلال المشكلات كشاف المعضلات فوقع عليه اختيارهم ورضى به كبارهم وصغارهم فحمله الاسد كلامه وجعل البسملة مبدأه والحسبلة ختامه ومن مضمونها بعد ابلاغ التحيه والاثنية السنيه الى الحضرة العليه ملك الافيال أبى مزاحم المفضال ألهمه الله هداه وصرف عنه رداه وبصره مواقع الخير وهداه ولاشمت به أعداه وحفظه بالعشى والغداه وجعل عقباه خيرا من مبتداه تحيط علومه الكريمه وآراءه العلية الجسيمه ان قوتنا من قديم الزمان ظاهره وهيبتنا باهرة وصولتنا قاهره لم نزل نفترس الفوارس ونكرم أصناف الاضياف من الوحش والطير بالفرائس ويضرب بنا فى الشجاعة والكرم الامثال ويفر من بين أيدينا أسود الابطال ولاعار على من فر من بين يدى الرئبال وقد اتصل بنا أن ملك الافيال توجه الينا بجنوده وهيأ فى ذلك أجناس عساكره وبنوده وماعلمنا لذلك موجبا ولاتقدمنا بعداوة تنشئ حربا وحربا بل ولاتعرضنا لاحد فى ملكه وملكه وعدلنا بحمد الله تعالى جار فى بحار الملك وفلكه والرعايا شاكرة منا ولم ينشر سوى الذكر الجميل عنا فأنعموا برد الجواب وميزوا الخطأ من الصواب قبل ان يكشر الشر نابه ويفتح جرابه ويحرش للهرير كلابه ويسلخ اليه اهابه ويكسر رائد الفتنة بابه فتتفاقم الامور وتتعاظم الشرور وتتلاطم بحارها وتمور عند التهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور مع ان اعتمادنا على الله العظيم وتوكلنا على العزيز الرحيم فلما بلغ الذئب الرساله وأدى ما فيها من شجاعة وبساله وبين لملك الافيال ما تضمنته من عظمة وجلال استشاط ملك الافيال وتغيرت لاضطرابه الاحوال ونظر من تلك الفيول الى فيل ظلوم جهول وبدر اليه من غير تدبر ولا تأمل فى الامور وتفكر وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه الراقد فى غفلة منامه وقل له متى مارست معركة الشجعان أوصارعت رجال الميدان وأنى لك طاقة بمصادمة الجبال ومن أين تعرف مقاومة الافيال فاستيقظ لنفسك فعن قريب تحل برمسك واستعد لجنود لاقبل لك بها فستشاهد مالم تسمعه من ضربها فى حربها فلقد أتاك عسكر القضاء وبنوده وليحطمنكم سليمان الافيال وجنوده فليريقن الدماء وليستأسرن الحرائر كالاماء وليدوسن الاطفال وليرين منه الانكاد والانكال وليظهرن آثار الدمار والبوار بما لك من ممالك ومساكن وديار وليفعلن بولايتك مافعله بممالك الاسلام التتار وأنت بين أمرين وبخير النظرين

وقلن انك قد مالأت البوم علينا ورددت قولى ونصيحتى وعذبتنى بهذا العذاب وتركنى الملك وجنوده وارتحل ولا علم لى بهن بعد ذلك فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ماتقول فى الغراب وماترى فيه قال ماأرى الا المعاجلة له بالقتل فان هذا افضل عدد الغربان وفى قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التى فيها ينجع العمل ثم لايعاجله بالذى ينبغى له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فأمكنه ذلك فاغفله فاته الامر وهو خليق أن لاتعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم ينجز قتله ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه قال الملك لوزير آخر ماترى أنت فى هذا الغراب قال أرى ان لاتقتله فان العدو الذليل الذى لاناصر له أهل لأن يستبقى ويرحم ويصفح عنه لاسيما المستجير الخائف فانه اهل لان يؤمن كالتاجر الذى عطف على سارق لمكانة امرأته عنده قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال وان سارقا تسور بيت التاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السارق ووثبت الى التاجر فالتزمته واعتنقته وقد كان يوده مالودنت منه يوما فاستيقظ التاجر بالتزامها اياه فقال من أين لى هذه النعمة ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق انت فى حل مما أخذت من مالى ومتاعى ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتى على معانقتى قال ملك

اما ان تطيع لامرنا وتنقاد وتسلم البنا ما بيدك من بلاد واما أن تختار طرق الفراق والفرار
وتخرج منها منخ الذباب وتنحى عن طريقنا بما معك من كلاب وذئاب وقد بالغنا في النصيحه
بعباراتنا الصحيحه وأقوالنا الفصيحه قبل افشاء الفضيحه فوصل الفيل الرسول وأدى هذا
المقول فتشوش الاسد وداخله الغيظ والنكد فاراد الايقاع بالرسول الظلوم الجهول ثم
تمالك وعن ذلك تماسك وقال لولا ان عادة الملوك ودرب السياسة المسلوك أن لا تهاج الرسل
ولا تضيق عليهم السبل لقابلتك على كلامك القبح بما يجب من العبح والشج ثم التفت الى
الثعلب وقال يا أبا الحصين ماعندك في جواب هذين الهجين قال الثعلب أنت الاغلب
هذا القيل أقوى دليل وأوضح سبيل على عدم عقل الفيل وان فكره وبيل وبصيرته
قد عميت وطرق هدايته قد خفيت وانه غوى وأضل قومه وما هدى وكل من اعتمد
على قواه وحوله واستحلى غرور فعله وقوله فقد زال رزل وفي عقد البلاء حال وحل وهذا
الجاهل السخيف الكثيف الثقيل الجثة الخفيف قد استحقرنا في عينه فسيرى مناحلول
حينه وكل من استحقر واستخف بعدوه فسيعدم حلاوة هدوه وسيحرم مواصلة مرجوه وقد
قالت الحكماء الاخيار والعقلاء ذوو الاعتبار واولو التجارب والاستبصار لا تستحقر السقم
والنوم والدين والعدو والنار فالملك أعز الله نصره وأعلى مناره وقدره وسلط على الاعداء
قهره لا يلتفت الى هذا الكلام ولا يتزعزع لهذه الاوهام ولا يخف من جهامة الافيال
فكل ماهم فيه باطل ومحال بل يعتمد على الله العزيز الجبار ويصفي نيته بالعدل والخير مع
الكبار والصغار ويقوي جنانه على الملاقاه وقد وافاه النصر وأتاه ولاغاه السعد ولاقاه فان
هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها فسينزل الله تعالى عليهم جنودا لم يروها فكم من مستضعف
حقير صدر منه بالحيلة أمر خطير وبحسن التدبير ومساعدة التقدير تم له أمر كبير وناهيك
قصة الفاره مع رئيس الحارة وما فعلته اذ ختلته الى ان قتلته فسأل حيدره عن تلك
المأثره (فقال) بلغني أيها النفيس انه كان رئيس ضيق العطن خسيس له زوجة ذات
صيانه ودين وامانه لم تزل تتجنب الخيانه وتتعاطى العفة والرزانه وله دجاجة تبيض على
الدوام فيسرق بيضتها أبو راشد وهم نيام فاذا افتقد الرئيس بيضته طالب بها زوجته فتحلف
انها ما رأتها ولا تعرف يدا أخذتها فيؤلمها سبا ويوجعها ضربا ولا يصدق قولها ولا يرحم
عولها ففي بعض الاحيان رأت المرأة الجرذان وهو يجر البيضة الى جحره وقد بلغ بها باب
وكره فدعت بعلها لتريه الفارة وفعلها فعلم براءة ساحتها وعمل على راحتها واعتذر اليها
وطلب الفارة وحنق عليها وأعمل المكيده ونصب للفارة دون البيضة مصيده فلما رأت
الفارة الشرك علمت ان وراءه الدرك فشعرت بما وضع عليه فلم تتقدم اليه الى أن زار
الجرذان أحد أقاربه من الفيران فلم يجد شيأ يضيفه فاعتذر الى الضيف بما هو يخيفه
وأراه من البيضة سعاد وان دونها خرط القتاد وكان الضيف الغر لا يعرف هرا من بر فحمله
السفه والحرص والشره على ان قال انا اخوض هذه الاهوال وارد من الموت حوضه
وأصل الى هذه البيضه ثم قصد المصيده فقبضت وريده وخمدت به وليده ووديده
فتنكدت الفارة وتكدرت والتظت احشاؤها وتسعرت وتألمت لموت ضيفها وبلغ
جيرانها حديث حيفها فخجلت منهم واختفت عنهم وشاعت قضيتها وذاعت بليتها فلم
تجد لبرد النار سوى أخذ الثار فأخذت تفتكر في وجه الخلاص فرأت انها لا تخلص من
عتب الجيران الا بالقصاص فشرعت في تعاطي أخذ الثار من صاحب الدار وكان لها

صاحبة

اليوم لوزير آخر من وزرائه ما تقول
في الغراب قال أرى ان تستبقيه
وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك
والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه
بعضا الظفر ظفرا حسنا ويرى اشتغال
بعض الاعداء ببعض ليبلغ خلاصا
لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك
من اللص والشيطان حين اختلفا
عليه قال الملك وكيف كان ذلك قال
الوزير زعموا ان ناسكا اصاب من
رجل بقرة حلوبة فانطلق بها يقودها
الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها
وتبعه شيطان يريد اختطافه فقال
الشيطان للص من أنت قال انا
اللص أريد ان اسرق هذه البقرة من
الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا
الشيطان أريد اختطافه اذا نام
واذهب به فانتهيا على هذا الى المنزل
فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه
وأدخل البقرة فربطها في زاوية
المنزل وتعشى ونام فأقبل اللص
والشيطان يأتمران فيه واختلفا على
من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان
للص ان أنت بدأت باخذ البقرة ربما
استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا
اقدر على اخذه فأنظرني ريثما آخذه
وشأنك وما تريد فاشفق اللص ان
بدأ الشيطان باختطافه ربما استيقظ
فلا يقدر على اخذ البقرة فقال لا بل
انظرني انت حتى آخذ البقرة
وشأنك وما تريد فلم يزالا في المجادلة
هكذا حتى نادى اللص ايها الناسك
انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك
ونادى الشيطان ايها الناسك انتبه
فهذا اللص يريد ان يسرق بقرتك
فانتبه الناسك وجيرانه باصواتهما

صاحبة قديمة عقرب خبيثة لئيمه معدن السموم فى زبان ابرتها وطعم المنايا مودع فى شوكتها فتوجهت اليها وترامت عليها وقالت انما تدخر الاصحاب للشدائد ولدفع الضرر والمكائد وانزال الداء بساحة الاعداء ولاخذ الثار والانتقام من المعتدين اللئام وقصت عليها القصه وطلبت منها ازاحة هذه الغصه وان تأخذ لها بضرباتها القصاص ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص فأجابتها الى ما سألت وأقبلت الى وكر الفارة بما اقتبلت وأخذا فى اعمال الحيلة فأدت أفكارهما الوبيلة الى ان تخدعا صاحب البيت بالذهب وتلقياه بذلك فى اللهب ثم أمهلا الى ان دخل الليل وشرعا فى ايصال الويل فأخرجت الفارة دينارا وألقته فى صحن الدار ووضعت آخر عند جحر الفار وأظهرت نصف دينار من ذلك الذهب وسترت النصف الآخر عند العقرب واستترت العقرب بجناح السكون تحت ذيل الكمون وقد عبت فى زبانها ريب المنون فلما أصبح الصباح ونودى بالفلاح وجد صاحب الدار فى وسطها الدينار فتفاءل بسعد نهاره ولم يعلم انه علامة دماره ففتح عينيه ونظر حواليه فرأى عند جحر الفار أخا الدينار ففرح وطار ونشط واستطار وزاد فى الطلب على بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل جحر الفار فمد يده اليه وأعمى القضاء عينيه عما قدره الله عليه فضربته العقرب ضربه قضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه وأخذت الفارة ثارها وقضت من عدوها أوطارها (وانما أوردت) هذه الاخبار ليعلم الملك أن حيلة صائب الافكار تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار بالسيف البتار والرمح الخطار وبقليل الحيله تتم الامور الجليله فلا يهتم الملك بحثث الافيال ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال وأنا ارجو من الله تعالى الظفر بعدونا وحصولنا على غاية مأمولنا ونهاية مرجونا فاول ما نعاملهم بالوهم واظهار الصوله والتخويف والارهاب بقوة الدوله فان الوهم قتال والعاقل المدبر يحتال وطائفة الفيول عديمة العقول وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من الاسد ما أراده فسأل ملك الآساد بيان حكاية أبى زياد (فقال) أبو الحصين اخبرنى أبو الحسين ذو المفاخر والمناصر انه كان فى بعض الاعصار والمعاصر حمار فى مدار يستعملونه بالليل والنهار الى ان حصل له الكبر ورمى بالعبر وابتلى باطنا بالجوع وظاهرا بالدبر وعجز عن العمل وانقطع منه الامل فتركه أصحابه واعتقوه وفى بعض المراعى أطلقوه فصار يمرح وفى تلك المروج يسرح الى أن خرج الى الصحرا وانفرد فى رياض الفلا فوصل الى بعض الآجام وحصل له النشاط التام الى ان صح بدنه وسمن وبرأ دبره وأمن وأخذه البطر واستولى عليه الاشر واستخفه الطيش وطيب العيش وصار فى تلك المراعى يتردد ذهابا وايابا كالساعى فيسدى ويلحم فى شقتها ويفصل مهما اختار من مزهر خرقتها وينهق على عادة الحمير فملأ تلك الاماكن من الشهيق والزفير وكان فى تلك الآجام أسد متخيس يسمى الشبل ابن المتأنس كان أبوه ملك تلك الاماكن قد نشأ بها وهو فيها ساكن شاب غرير لم يكن يعرف الحمير ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير بل ولا خرج من تلك الآجام ولا عرف تصرفات الايام كان أبوه قتل فى الاصطياد وتفرقت عنه العساكر والاجناد فنشأ وحيدا ابقيما واستمر فيها مقيما فلما سمع صوت الحمار أخذته الرعدة والاقشعرار واستولى عليه الهلع فقعد عن الاصطياد وانقطع وصار كلما نهق هرب واختفى من الفرق وغلب عليه الدهش الى ان كاد يموت من الجوع والعطش وصار الحمار يتردد الى عين ما كان الاسد يسكن منها سورة الظما فما اجترأ بعد ذلك

وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذى اشار بقتل الغراب اظن ان الغراب قد خدعكن ووقع كلامه فى نفس الغبى منكن موقعه فتريدون ان تضعن الراى فى غير موضعه فمهلا مهلا ايها الملك عن هذا الراى ولا تكونن كالنجار الذى كذب بما راى وصدق بما سمع وانخدع بالمحال قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان رجل نجار وكان له امراة يحبها وكانت قد عاشقت رجلا وعلم النجار بذلك حين اخبره من صدوق امين لكنه احب ان يرى ذلك عيانا ليقابل امراته بحق فقال لها اريد الذهاب الى قرية كذا وهى منا على فراسخ لبعض عمل السلطان فأعدى لى زادا ففرحت المراة حيث يذهب ويخلو وجهها لخليلها ثم لما اراد الخروج قال لامراته استوثقى من الباب والمرق واراها انه يخرج وعطف الى مكان خفى خلف الباب فاختفى فيه فانسل فدخل البيت الذى فيه مرقده واختفى تحت السرير ثم ان المراة ارسلت الى خليلها ان ائتنا فأتاها وخلا بها على فراش زوجها اطول ليله ثم ان النجار غلبه النعاس فنام فمد رجله فخرجت من تحت السرير فلما راتها المراة وجدته عرفتها فايقنت بالشر فقالت لخليلها سلنى وارفع صوتك وقل ايما احب اليك زوجك او انا فسألها فقالت ما يضطرك الى هذه المسئلة الم تعلم انا معاشر النساء انما نريد الاخلاء لقضاء الشهوة فقط ولا نلتفت الى احسابهم ولا انسابهم ولا الى ما يتغير من امورهم واما الزوج فهو بمنزلة الوالد والاخ فقبح الله امراة

على الورود واضر به الخوف والانقطاع والقعود فلما كاد العطش أن يقتله توجه الى
العين محفوفا بالحيرة والوله فوجد الحمار واقفا عندها وأدرك الحمار خوفه منه بالدها
فتقدم اليه وصوب نحوه اذنيه وحملق عينيه فبدر من الاسد صرخه انبههما من بوله شخه
وقال للحمار ايش أنت ولاى شئ ههنا سكنت وجعل يرجف وفى قيد الخوف يرسف فعلم
الحمار ان الاسد حار فقال بجنان جرى وبيان قوى انا فى هذا المكان افرق رزق الحيوان
وقد أقت أحوش أرزاق الوحوش ثم اقسمها بينهم وأملأ جوفهم وعينهم فقال الاسد
انى جيعان ولى مدة عطشان فأعطنى من الاكل رزقى وأفرز لى من الماء حقى فقال
بوجه مقطب ادن الى الماء واشرب فدنا وشرب وهو خائف مضطرب ثم قال أنا جائع
فأطعمنى وعجل ولا تحرمنى فلى مدة من الجوع لا قرار لى ولا هجوع فقال الحمار تعال
معى الى موضعى لتعرف مكانى وتقرر جرايتك فى ديوانى فذهبا فى طريق حتى وصلا
الى نهر ماء عميق فأراد العبور فقال الاسد المصور هذا الماء عميق وكم فيه من غريق
فاحملنى فى الذهاب وأنا احملك فى الاياب فأجابه الحمار وحمله وخاض به ونقله فأنشب
الاسد الاظفار فى كاهل الحمار وثقل عليه فلم يتأثر له ولم يلتفت اليه فزاد وهمه من الحمار
وقال هذا رأس الدعار ثم سارا ساعة أخرى فرأيا فى طريقهما نهرا فطلب الحمار الوثوب وقال
هذه نوبتى فى الركوب ثم طفر على الاسد وثقل عليه الجسد وتمكن عليه وأرخى يديه
ورجليه فتضرر من ثقله وابتلى بشر عمله ثم تورك عليه وانشب فى كاهله مسامير نعليه
فهاج الاسد ومار وقد اثرت فيه حوافر الحمار فقال له اثبت وآلك فاحولك تحتى واحالك
فقال يا أخى جرت فى أمرى لقد أوجعتنى وقصمت ظهرى وكان يكفينى جوعى وقلقى
وخضوعى وما أدرى هذا الضر والبلا من أين أقبلا فقل لى ما الذى أنشبته فى كاهلى ونزلت
به من حافرك فى ساحلى فقال هذه مسامك لطلاب الجرايات والجوامك وهى أربعون
مسمارا لابد ان تثبت كلها فى قفاك حتى يترصع لك اسم فى الديوان والا فالرزق لا يحصل
بالهوينا بل بالهوان فقال يا أخاه اتركنى لوجه الله وارفق بى رفقا وما أريد منك رزقا
ودعنى بالامانة ووفر الجراية على الخزانة ولا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى
فانى اتقوت من حشيش الارض وخشاشها وأستعد لمعاد نفسى بالرفق فى معاشها فنزل عنه
الحمار وتركه وسار فهرب منه بعد ما ودعه وولى لا يلتفت يمينا وشمالا لئلا يتبعه وانما
صورت هذا النقش لتعلم يا ملك الوحش ان الوهم يصدر كالسهم وهو عند براهمة
الهند وحكماء السند أحد طرق العلم رقاك الله الى سلم السلم والوهم غالب على الافيال
بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال فنرجو من الله ان يبلغنا مقصودنا وننال من طالع الجد
والحظ مسعودنا وان يرجع أعداؤنا بالخيبه وفراغ العيبه وهذا المثل الذى ضربته
والتقريب الذى قربته انما هو مثل العاجز الضعيف مع القوى العسوف لا العسيف وأما
نحن بقوة الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهرة قائمه وصدمتنا بعون الله
دعائمها داعمه لم يحصل منا خوف ولا خور ولا فزع ولا جزع ولا جور ففينا بحمد الله قوة
لمصادمتهم وقدرة لمقاومتهم فامض لامرك فكانى بك وقد رجعت فائزا بنصرك مجبورا
بكسر عدوك محبورا بيسرك ثم انه اقتضى رأى أبى الضراغم اعادة الذئب الى أبى مزاحم
برسالة مضمونها ابصرك الله بعيوب نفسك واراك عاقبة غدك فى صبح امسك وجعلك ممن
اتبع الهدى وامتنع عن موارد الردى اعلم ان علماء الهند وحكماء البراهمة والسند

لا يمكن زوجها ادعيل نفسها
ولا مستقلك بعد هذا اللذة فلما سمع
زوجها كلامها رق لها واخذته
الرحمة وغلبته العبرة ووثق منها
بالمودة ولم يبرح مكانه حتى اصبح
وايقن ان الرجل قد ذهب ثم خرج
من تحت السرير فوجد امراته نائمة
فقعد عند راسها يروحها فلما انتبهت
قال لها يا حبيبة قلبى نامى فقد بت
ساهرة ولولا كراهة ما يسوءك
لكان بينى وبين ذلك الرجل صخب
وامر شديد* وانما ضربت لك هذا
المثل ارادة ان لا تكون كذلك
الغدار الذى كذب بما راى وصدق
بما سمع فلم يلتفت الملك الى قوله
وامر بالغراب ان يحمل الى منازل
البوم ويكرم ويستوصى به خيرا ثم
ان الغراب قال للملك يوما وعنده
جماعة من البوم وفيهن الوزير الذى
اشار بقتله ايها الملك قد علمت
ما جرى على من الغربان وانه
لا يستريح قلبى دون اخذى بثارى
منهن وانى قد نظرت فى ذلك فاذا بى
لا اقدر على ما رمت لانى غراب وقد
روى عن العلماء انهم قالوا من طابت
نفسه بان يحرقها فقد قرب لله اعظم
القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة
الا استجيب له فان راى الملك ان
يأمرنى فاحرق نفسى وادعو ربى ان
يحولنى بوما فاكون اشد عداوة
واقوى بأسا على الغربان لعلى
انتقم منهن قال الوزير الذى اشار
بقتله ما اشبهك فى خير ما تظهر
وشر ما تخفى الا بالخمرة الطيبة الطعم
والريح المنقع فيها السم ارايت لو

امتازوا عن حكماء الاقاليم ووضعوا رقعة الشطرنج للتعاليم وان واضع ذلك صور الرقعة بصورة الممالك وقسمها بالسويه وجعل لكل قسم جنسا من الرعيه ووضع له نوعا من السير لا يتعداه وبين لكل منهم مكانا لا يتخطاه وأنا أخاف ان تتعدى مكانك وهو مقامك وتقصد بيت الشاه ويفوت مرامك وينادبك فرزين العقل وأنت راحل فى النقل ياذا الهوس ماذا بيت الفرس فتقع وأنت تصرخ فى لعبك بالنفس مع الرخ فلا يفيدك الندم وقد زلت بك القدم وخرجت فى لعبة من رقعة الوجود الى العدم وترى تلافى الموافاة فات ويقول خصمك وقد رأى كلاحة وجهك شاه مات فلا تعتمد على جهامة جسدك وكف عن حقدك وحسدك ولا تقصد حوم كعبة غيرك بالفكر الوبيل فيصيبك مثل ما أصاب أصحاب الفيل حين أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل وتصير بعد وقوع الملاحم وصدوع المقاحم أبا حرمان بعد ان كنت أبا مزاحم فلما قرأ الفيل هذه المطالعه غطت حمية الجاهلية منه الباصرة والسامعه فأراد ان يأمر بايطاء الرسول تحت اخفاف الفيول لكن راجع عقله وأحضروه له ورد الذيب بجواب مخيب وهو غير مصيب وقال استعد واللاقتال ومصادمة الابطال ومقارعة الافيال ثم أمر بالعساكر فتجهزت وبأمور الحرب فتنجزت وثار بغضب احمى من جمر الغضا وسار بالعساكر الجراره فملأ الفضا فبلغ الملك المظفر أبا الحرث الغضنفر ما فعله الاكلب فاستشار الثعلب فقال اعلم أيها الملك وقاك الله شر المنهمك ان الافيال لا يعرفون الا المصادمه والاندفاع مرة واحدة فى المخاصمه وليس لهم فى الحرب جواب الا الخراطيم والانياب لا يعرفون الكر والفر ولا يفرقون بين النصب والجر ولكن بعض العساكر له فى ذلك معارف ومناكر منها المواجهة والمشافهه والمصارعة والمقارعه والمدافعة والممانعه والمخاتلة والمخادعه والمناوشة والمهاوشه والمعانشة والمهارشه والمكافحة والملاطعه والمطارحة والمراجحه والمرافسة والمراوسه والممارسة والمعاكسه والوثوب والمساوره والروغان والمصادره والاحتيال والكيد والاغتيال للصيد والربوض فى الكمين والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين وكل أرباب هذه الملاعب وأصحاب هذه المخارق والمذاهب فى عساكرنا موجودون مجدون ومن أبطالنا معدودون معدون فلابد من ترتيب كل فى مكانه وايقافه بين اضرابه واقرانه وتعبيتهم ثم تجنيبهم وكان بالقرب من ميدان النطاح وموضع جولان الكفاح وهو برية قفراء وأرض غبراء انهر مياه جاريه وعليها جسور وقناطر عاليه فاقتضى رأى الاسد والفكر الاسد أن يطلقوا ثغور المياه على البريه ويتركوا فيها العساكر هم طرقا ودروبا مخفيه ثم انهم عبروا تلك المياه وصفوا العساكر للاقاه فقدموا امامهم الثعالب والكلاب وكل سريع المجئ خفيف الذهاب وصفوا وراءهم الذئاب والنمور والفهود والببور ووقف الاسد بين الاسود فى قلب الجنود بعد ان عبى الاطلاب وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ثم ان الثعالب ونظراءها دخلت من الافيال وراءها وصارت تروغ بينها وتلاعب على عينها حينها وتتعلق باذنابها وتتشبث بعراقيبها وكعابها فزاد حنقهم وثار قلقهم وتقدموا واصطدموا وحطموا واضطرموا وبنار الحرب اصطلموا فناوشهم الببور البواسر وهاوشهم النمور الجواسر وهارشهم الاسود الكواسر ثم ولوا امامهم مدبرين وقصدوا الطرق المخفية عابرين فتصور الافيال ان جيش الاسد فر وجنده انحطم وانكسر وان عسكرهم غلب وانتصر فخطموا ايدا واحده بهمة متعاضده ونهمة متعاقده وصدمة متاكده ففى الحال ارتدموا

احرقنا جسمك بالنار كان جوهرك وطباعك متغيرة أليست اخلاقك تدور معك حيثما درت وتصير بعد ذلك الى أصلك وطويتك كالفارة التى خيرت فى الازواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها الا على الجرذ قيل له وكيف كان ذلك (قال) زعموا انه كان ناسك مجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة فى رجلها درص فأرة فوقعت منها عند الناسك وادركته لها رحمة فأخذها ولفها فى ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها هذه ابنتى فاصنعى معها صنيعك بولدى فلما بلغت مبلغ النساء قال لها الناسك يا بنية انك قد ادركت ولابد لك من زوج فاختارى من احببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتنى فانى اختار زوجا يكون أقوى الاشياء فقال الناسك لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال ايها الخلق العظيم لى جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الاشياء فهل أنت متزوجها فقالت الشمس انا أدلك على من هو اقوى منى السحاب الذى يغطينى ويرد حر شعاعى ويكسف اشعة انوارى فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب وانا ادلك على من هو اقوى منى فاذهب الى الريح التى تقبل بى وتدبر وتذهب بى شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت

وفي الاوحال ارتطموا وقطع دابر القوم الذين ظلموا ثم كرت عليهم الاسود والنمور والفهود وسائر السباع والذئاب والضباع فوقعوا في تلك الفرائس وقوع الجياع على الفرائس وعانقوهم معانقة الاحباب للعرائس وأكلوا وادخروا وحمدوا الله تعالى وشكروا ومن بعد ما ظلموا انتصروا واظهر العدل للحق مناره وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره والله لا يهدي القوم القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه اجمعين

﴿الباب الثامن في حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو جرعة الفضل أحسن حاسن فلما وعى الملك الجليل والقيل الفضيل ما جرى بين الاسد والفيل من القتال والقيل وانجرار ذلك الى الضرب الوبيل وعلم ان عاقبة الظلم وخيمه وخاتمة التعدي والطمع مشومه أمر رؤساء المملكة وزعماء السلطنة بالكف عن الطمع وتجنب الحين والهلع ومعاملة الاهل والجار بحسن الخلق والجوار وانتشار ذلك بالاشهار في الولايات والاقطار فالعاقل من اعتبر بغيره وكف كفه عن اذاه وضيره ونشر مهما استطاع من موائد احسانه وخيره وعدى عن التعدي والعدوان لاسيما اذا كان ذا قدرة وامكان وتحكم في الفقراء والضعفاء وسلطان فنهض الحكيم حسيب وقبل أرض العبودية بشفاه التأديب وقال وبلغني أيها الملك المفضال مما يطابق هذه الاحوال انه كان في بعض الازمان وانزه الاسكان سلطان الحيوان أسد عظيم الخلقه جسيم الشفقه جليل المكارم سليل الاكارم قد بلغ في الزهد الغايه وفي الورع والعفة النهايه مع حسن الاوصاف والشمائل وكرم الاعطاف والفضائل قد جمع بين الهيبة والشفقه والصدق والصدقه وسورة الملك وسيرة العدل وسيمة الفصل وشيمة الفضل هيبته ممزوجة بالرأفه وعاطفته مدموجة في الدوله قد عاهد الرحمن بالكف عن اذى الحيوان وان لا يريق دما ولا يتناول دسما ولا يرتكب محرما يتقوت بنبات القفار ويقوم الليل ويصوم النهار يرعى في دولته الذئب مع الغنم وينام في كنف ضمانه وكفالته مأمنه الثعلب والارنب بعد جوالحرب والحرب في ظل الضال والسلم كما قيل

ولي البرية عدله فتمازجت * أضدادها من كثرة الايناس
تحنو على ابن الماء أم الصقر بل * يحمي أخو القصباء أخت كناس

وفي جواره دوحة كثيرة الثمار غزيرة الانهار نضيرة الازهار رائقة الماء والكلا فائقة النشو والنما شائقة القشر والهوا رياحينها طريه ومروجها بهيه ومقاصفها شهيه فكان الاسد ذو الزهاده اذا أطال اجتهاده وأراد ان يريح نفسه من مشاق العباده يتوجه الى ذلك الروض الاريض والمرج البهي الغريض والمرعى الطويل العريض فيتنزه في نواحيه ويسرح سوائم طرفه فيه ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه فبينما هو في بعض الاوقات يتمشى في تلك الخضراوات صادف دبا عظيم الجسم مليح الوسم فقبل الارض بين يديه وذكر انه اقبل لينتمي اليه وانه قد سمع باوصاف عدله ومكارم شيمه وفضله فقصده ليتشبث باذياله وينتظم في سلك خدمه ورجاله ويزجي في خدمته باقي عمره ممتثلا بارز مرسومه ونافذ امره فتلقاه بالقبول والاقبال وشمله بالفضل والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا لقيت زينا ووقيت شينا فانتظم في سلك خدمه وانغمر في بحر كرمه واشترط عليه ان يحتمي عن لحوم

وأنا أدلك على من هو أقوى مني وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه فمضى الى الجبل فقال له القول المذكور فأجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى مني الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه اذا خرقني واتخذني مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وجحري ضيق وانما يتزوج الجرذ الفأرة فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما كانت وذلك برضا الجارية فأعادها الله الى عنصرها الأول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثالك أيها المخادع فلم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له الا اكراما حتى اذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع فقال للملك اني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق الآن تسمع وتطيع قال له أنا والجند تحت أمرك فاحتكم كيف شئت قال الغراب ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا ونلقيها في أنقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن الى منازلهن سالمات آمنات ثم ان ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار

الحيوان ولا يتعرض لايذاء طائر ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعه وسار على سنن السنة والجماعه ثم بعد مدة يسيره قصد الاسد مسيره وخرج يسير على باكر وحوله طائفة من العساكر فالتقى جلاضل الطريق وتاه عن الصاحب والصديق ونسيه الجمال وتركه الرفيق فبادر اليه جماعة الاسد وهموا بتضعيفه بالناب واليد فانهم كانوا لشدة القرم الهبت أحشاؤهم بالضرم فناداهم الاسد ويلكم كفوا وعن التعرض الى ايذائه عفوا لئلا يصيبه من النكد ما أصاب صاحب كسرى ذي الايد من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسألوا الامام عن بيان ذلك الكلام (فقال) ذكر ان كسرى أراد يوما الاصطياد فركب في جماعته وأهل طاعته وسار على الصباح وهو في نشاط ومراح وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة اعور فتشاءم بطلعته وتعوذ من رؤيته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه ثم أمر به فضرب ولولا تداركته الشفاعة لصلب ثم تركه وسار نحو صيد القفار فخاش الصيد واقتنصه من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا محبورا وادركه المساء فصادف ذلك الرجل ملتفا بكساء وكان ذا لب صحيح وعقل رجيح ولسان فصيح فابدى كسرا ونادى كسرى واستوقفه بعدما استلطفه وقال أيها الملك العادل والمالك الفاضل أسألك بالله الذي ملكك رقاب الامم وحكمك في طوائف العرب والعجم انعم علي برد الجواب وبين لي الخطأ من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم فوقف بعسكره واستنصت لخبره وقال هات مقالك وقل ما بدا لك فقال يا ملك ذا الايد كيف كانت أحوالك اليوم في الصيد فقال على أتم ما تريد لقد حصله السادات والعبيد فقال هل حصل في أمور السلطنة وهن أو خلل أو في الخزائن المعمورة نقص وقلل قال لا بل أحوال السلطنة مستقيمة وديم الخزائن دارة مقيمة قال فهل ورد اليوم من الاطراف خبر يؤذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مطمئنة والثغور من الاعداء والمخالف مستكنة قال فهل أصاب أحدا من الخدم والاصحاب والخول والحشم مصاب قال بل كلهم بخير آمنون من الضرر والضير قال فلم ضربتني واهنتني وعلام كسرتني وطردتني قال لان التصبح بك مشوم وهذا أمر مشهور معلوم قال سألتك بالله الذي تتقلب في مواهبه اينا كان اشأم على صاحبه انا تصبحت بك وأنت تصبحت بي فأنت أصبت الذي ذكرت وقد علمت ما حل بي ومع هذا فانما عبت وعتبت على الصانع وذهلت عما أودعه في من اسرار وبدائع فانه لا اختيار لي فيما فطرني عليه ولا مدافع ولا حيلة فيما قدره علي ولا مانع واسمع ما قلت بعد ما صات في أهانتي وجلت

لقد كان قصدي أن اسود على الورى * بقد وطرف كامل الخلق بارع
ووجه يفوق البدر والشمس بهجة * فما كسني تقدير ربي وصانعي

ثم خطر بالبال هذا المقال فقلت

وددت لواني أحسن الخلق صورة * واكمل من بدر السما وهو طالع
فابدعني نقش المصور هكذا * ولا صنع لي فيما الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه وأمر باعزازه واكرامه وتدارك ما فرط منه باحسانه وانعامه (وانما أوردت) هذا المثل لئلا يكون هذا الجمل مثل ذلك الرجل لانه قد تصبح بي فلا يرى أبدا مكروها بسببي بل يرى الخير ويكفى أذى الغير وكذلك كل من هو عندي ومنسوب الى من خولي وجندي ثم دعا ذلك البعير وسأله عن جليل أمره والحقير فاخبره انه تاه عن

فقال الغراب ان ما قلته ايها الملك لكذلك ولكن العاقل اذا اتاه الامر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من ان يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك الما ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة امره وعاقبة صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم اجد فيهن عاقلا الا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن اضعف شئ رايا فلم ينظرن في امري ويذكرن اني قد كنت ذا منزلة في الغربان واني اعد من ذوي الراي ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا اخفين دوني اسرارهن وقد قالت العلماء ينبغي للملك ان يحصن اموره من اهل النميمة ولا يطلع احدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي الا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت ايها الملك انه قلما ظفر احد بغنى ولم يطغ وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح وقل من اكثر من الطعام الا مرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من ان يقع في المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيئ الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة

أصحابه وانه من بعد يتعلق بغرز ركابه ويلازم خدمة بابه كأصحابه فأكرم مثواه واحسن متبوأه ومأواه الى ان صار من أكابر الخدم وذا خول وحشم ورأس الندماء ورئيس الجلساء وامن النكد والبوس ومن حتى صار كالعروس فحسده الدب لعدم اللب وعزم بمكره على القائه فى الجب واشتد بذلك البرم الى أكل لحم الجمل القرم فأخذ يضرب فى ذلك أخماسا لاسداس واحتوشه فى قضيته لسوء طويته القلق والوسواس فلم ير أوفق من افساد صورته واظهار سوء سريرته فيهلكه ويكيده ويفتنه ويبيده فيصل منه الى ما يريده ويثمر بمكره الحسد ويصلح من شره ما فسد ويروج منه ما كسد فأدى فكره الى ان يغري به الاسد فاختلى بالجمل وابتدأ بالعمل وقال له لى معك كلام على كتمه منك الام ولكنك لست موضعا للسر لانك لا تعرف هرا من بر وأنت ساذج ساكن سليم الفكر والباطن وقد قيل الحماقة فى الطويل ولولا وفور شفقتى وحنوى عليك ومودتى ما فهت لك بكلمه ولتركتك من التيه فى ظلمه وقالت الحكماء ذوو المعارف لا تفش سرك الى طوائف منها سليم الفطره ومنها مدمن الخمره ومنها الكثير الكلام ومنها المرأة والغلام فانهم ليسوا محل الاسرار وانهم يفشونها بلا اختيار وقد قيل كم لسان أهلكه اللسان وكم حرف أدى الى حتف قال الجمل وقد أثر فيه مكره ودخل يا أخى انا اتحقق شفقتك وصدقك وصداقتك وأعرف محبتك ونصحك ومودتك وأنت لا تحتاج فى تجربتى الى دليل فلى فى صحبتك زمان كقدى طويل وأنا أوكد قولى بالايمان واعقد على ما تلقيه الى الجنان ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان والشخص اذا لم يعرف منه ما يراد فلا فرق بينه وبين الجماد واذكر ما قلت لك فى درب ابن تلك

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذى * امام فهذا والضرير سواء

وذو الجهل خير من عقول علومه * سراج ولكن ليس فيه ضياء

ثم أنشأ أيمانا غلاظا انه يبالغ فيما يسمع منه احتفاظا ولا يبدى منه لا ماولا فاء ولا ظا فلما وقف الدب على جوابه وربطه بزمام تدبيره اختلى به وقال تعلم أيها الصديق المبين ان ملكنا فى غاية العفة والدين واعلى درجات العباد والزاهدين قد فطم نفسه عن الطعوم خصوصا عن الدماء واللحوم ولكنه فى ذلك كله غير معصوم فانه قد تربى بلحم الحيوان وتغذى بافتراس الاقران وتعود رضع الدماء وقطعت سريته على هذا الغذاء وتزهده انما هو تكلف وتسعف وتصلف وتعففه مكابره وتورعه مصابره ولا بد للنفس ان تفعل خاصيتها وتجذب شهواتها اليها ناصيتها وتطمح الى مأرزها وتجمع الى مركزها وقال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واذا كان ذلك كذلك فاحتفظ لنفسك واحفظ نصيحتى وامسك وتفكر احوال غدك فى امسك فانك فى صحبة الاسد على خطر عظيم وخطب جسيم فلا تغفل عما قلت لك ولا تظنن انه لن يقتلك فداخل الجمل من هذا الكلام الخور ولم يبق له طاقة ولا مصطبر ثم نبهه التوفيق ونخل فى هذا الامر الجليل فكره الدقيق واستحضر رأيه فى أمره وأجال قدح فكره وقال للدب المشوم يا أخى فاى ضرورة دعت الاسد المشوم حتى تعفف عن أكل اللحوم قال انا لا اشك فى دينه ولا ارتاب فى حسن يقينه ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها وتعطى القوس باريها وتتحرك النفس الابيه والشهوة التى طالما ألقت صاحبها فى بليه لان الانسان بل سائر الحيوان على ما يقتضيه الكون والمكان دائر مع اختلاف اخلاق الزمان فان الزمان كالوعاء والشخص فيه كالماء

الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالامور الضعيف الوزراء فى ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة فى تصنعك للبوم وتضرعك لهن قال الغراب انه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب رأيه كما صبر الاسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان اسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام وانه انساب يلتمس شيأ يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهرا للكآبة والحزن فقال له ضفدع مالى اراك ايها الاسود كئيبا حزينا قال ومن احرى بطول الحزن منى وانما كان اكثر معيشتى مما كنت اصيب من الضفادع فابتليت ببلاء وحرمت على الضفادع من اجله حتى انى اذا التقيت ببعضها لا اقدر على امساكه فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الاسود فأتى ملك الضفادع الى الاسود فقال له كيف كان امرك قال سعيت منذ ايام فى طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت ناسك ودخلت فى اثره فى الظلمة وفى البيت ابن للناسك فاصبت اصبعه فظننت

فيعطيه من اخلاقه مايقتضيه من كدره وصفائه ولهذا قيل لون الماء لون انائه وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وناهيك بهذا الكرامات ماقيل في المقامات

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى * عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل اني أخو عمى * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

والاسد في هذا الأوان ماش على مايقتضيه الزمان وان الزمان يتحول وسيرجع الاسد الى خلقه الاول أما بلغك ياذا الفطنة الحيه قصة الحائك مع الحيه قال لا ورب البريه فأخبرني عن كيفية تلك القضيه قال الدب الافاك ذكر ان حائكا من الحياك كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك صورتها مليحه وسيرتها قبيحه فشم زوجها روائح ماهي عليه من القبائح وخاف ان يؤدي الى الفضيحه فطلب تحقيق ذلك ليوصلها الى المهالك فقال لها أريد ضيعه لاجل بيعه فاغيب اياما يسيره لفائدة كثيره فارصدي بابك وأسدلي حجابك واحفظي من الشر جنابك فقالت بيت أنت رئيسه ومثلي قعيدته وعروسه أني يحوم حوله فساد فأدرك سوقك قبل الكساد وجهزته أسرع جهاز كالمتوجه الى الحجاز فسافر من غير مريه ثم رجع الى البيت في خفيه واختبأ تحت السرير لينظر مايجري من الامور فبادرت الى النار ونفخت وأسرعت الى الطعام وطبخت وخرجت تدعو مرامها وقد هيأت طعامها فخرج زوجها من المخبأ وأتى على الطعام المهيأ ورجع الى مكانه ونام بعدأ كله الطعام فجاءت المرأة بحريفها وقصدت الطعام لتضيفها فصادفت يدها الحصير فعرفت ان البلاء تحت السرير فأخذت تطلب الخلاص من ذلك المقنص واتفق ان الملك رأى مناما له ولكن نسي هيئته وحاله فقصد من يخبره برؤياه ويعبرها له فنادى في الورى بطلب لمنامه مخبرا ومعبرا وبينما تلك الفاجره على حيلة الخلاص دائره وفي بحر الافكار حائره سمعت المنادي ينادي في كل نادي من يدل الملك الهمام على معبر المنام فله مزيد الاكرام والانعام العام فسارعت المرأة الى باب الأمير وقالت قد سقطت على الخبير ان لي زوجا حكيما بتعبير المنامات عليما لكنه يتعزز وعن تعبيرها يتحرز فلا يفوه بالتعبير الا بعد ضرب كثير وانه ليس له في ذلك نظير فأرسل وراءه وأكرم لقاءه ثم قال له بعد اكرام أوصله ووعده بانعام وصله رأيت مناما راعني وفي الحيرة والفكر أضاعني فدع عنك الاحتشام واخبرني عن ذلك المنام ثم عبره لي فقد أخبرت أنك حبيب الله وولي فقال يامولانا الملك أنا في الجهل منهمك حائك فقير ليس لي من العلم نقير ولقد كذب علي من نسب العلم الي والعين تعرف العين انا من أين وتعبير الرؤيا من اين فما صدقه ولا في كلام استوثقه وصدق قول المرأة فيه وأمر بايصال ماينكيه ثم طلب المقارع وشدوا منه الاكارع وضربوه ضربا بأعسفه الى ان كاد ان يتلفه فنادى الامان الامان امهلني ثلاثة أيام من الزمان فتركوه وامهلوه وقيدوه واطلقوه فصار يدور في الخرائب ويتضرع تضرع النائب ففي ثالث الايام وقد ايقن بحلول الحمام دخل الى مكان خراب وأخذ في البكاء والانتحاب فنادته حية من الشقوق مالك تنتحب ياذا العقوق فأخبرها بحاله وما جرى عليه من نكاله فقالت ماذا تجعل لي من الانعام اذا أخبرتك بما رآه الملك في المنام ثم فضضت عن تعبيره مسك الختام قال أكون لك عبدا ووصيفا وأعطيك مما أعطى نصيفا قالت ان الملك رأى في منامه أن الجو يمطر من غمامه اسودا ونمورا وفهودا وببورا وأن السماء في ذلك تمور وتعبير هذا المنام والله العلام أنه يظهر في هذا العام للملك أعداء كواسر وحساد

انها الضفدع فلدغته فمات فخرجت هاربا فتبعني الناسك في أثري ودعا علي ولعنني وقال كما قتلت ابني البريء ظلما وتعديا كذلك ادعو عليك ان تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا تستطيع اخذها ولا أكل شيء منها الا ما يتصدق به عليك ملكها فاتيت اليك لتركبني مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظن ان ذلك فخر له وشرف ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود قد علمت أيها الملك اني محروم فاجعل لي رزقا اعيش به قال ملك الضفادع لعمري لابد لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبي فأمر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبري على ماصبرت عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق اسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة فان النار لا تزيد بحدتها وحرها اذا اصابت الشجرة على ان تحرق مافوق الارض منها والماء يبرده ولينه يستأصل ماتحت الارض منها ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل ذلك كان من رأي الملك وأدبه وسعادة جده وانه كان يقال اذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما افضلهما مروءة فان اعتدلا في المروءة فأشدهما عزما فان استويا في العزم فاسعدهما جدا وكان يقال من حارب الملك

جواسير يقصدون هلكه ويريدون ملكه ويطفئ نار كيدهم بمياه سيوفه ويسقيهم من رحيق فتوجه كاسات حتوفه فكشفت غمته ثم أصلح لباسه وعمته وقصد باب الملك ونادى غير مرتبك وذكر المنام وعبره ووعد السلطان بالنصر وبشره فتذكر المنام وحققه واعتمد عليه وصدقه وأمر له بألف دينار وصار له عند الملك بذلك اعتبار فأخذ الذهب مجبورا وانقلب الى أهله مسرورا ثم افتكر ما اشترطه مع الحيه فأبت عن الوفاء نفسه الشقيه وخاف ان تطالبه بحصتها أو تفضحه بقصتها فلم ير أوفق من قتلها وسد ذريعة سبلها فأخذ عصا ورام بذلك مخلصا وقصد مأواها ووقف فناداها فخرجت مسرعة اليه وأقبلت بالوداد عليه فرأت العصا بيمينه فعلمت انه ناكث بيمينه فولت هاربه فضربها ضربة خائبه لكنه جرحها وعمد الى نفسه ففضحها وتركها وذهب فائزا بالذهب فاتفق ان فى العام الثانى رأى السلطان مناما أقلقه وعن نومه ارقه ومن شدة أهواله محا الوهم عن لوح خياله فدعا المعبر المعهود اليه وقص حاله عليه وطلب منه صورة المنام وما يترتب عليه من كلام فاستمهله الايام المعدودات وقصد رئيسة الحيات وناداها بجلا ووقف فى مقام الاعتذار خجلا فقالت أى غدر كيف استحليت ما مضى من فعلك ومن بأى وجه تقابلنى وتخاطب وقد قصدت عطبى بعد ما خلصتك من المعاطب وقابلت احسانى بالسوء ولكن غدرك بك يسوء فقال عفا الله عما سلف والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف ثم انشأ أيمانا انه يبدل الاساءة احسانا وأنه لا يخون ولا يمين فيما يقع عليه العهد واليمين بل يعود الى العهود ومهما وقع عليه الاتفاق لا يمازجه خلف ولا نفاق فقالت أريد جميع الجائزة لا كون بها فائزة ولها حائزة فأجابها الى ما سألت وعاهدها على ذلك فقبلت وقالت رأى الامام فى هذا المنام ان السماء تمطر قردة وفيرانا وثعالب وجوذانا وتعبير هذه الرؤيا وكلمة الله هى العليا انه فى هذا العالم والشهور والايام يكثر اللصوص والعيارون والمكرة والطرارون ويظهر فى العساكر كل حسود ماكر وشيطان داعر ولكن صولة الملك تمحقهم وصواعق سيوفه تصعقهم فأسرع الى السلطان وخبره بما رآه فى منامه وعبره فقال بالحق أتيت هذا الذى كنت رأيت ثم أمر له بجائزة سنيه وخلعة بهيه فصار فى عيشة مرضيه وحياة هنيه وسلك طريقته الدنيه فلم يلتفت الى عهوده القويه ونبذ عهد الحية الحييه وقال يكفيها منى كفى عنها فلا تطلب منى ولا اطلب منها ثم ان السلطان رأى فى المنام فى ثالث الاعوام مناما آخر ونسيه فأرسل الى المعبر فغشيه من يم الهم ما غشيه وسأله عما رآه وطلب منه تعبير رؤياه فطلب المهلة كما كان وأحاط به موج الهم من كل مكان ولم ير بدا من معاودة الحيه فأتاها وبه من الحياء كيه وناداها بصوت خاشع ووقف فى مقام الذليل الخاضع فخرجت فرأته فزجرته وزأرته وقالت يا خائن يا كذاب يا ناقض العهد يا مرتاب يا قليل الحياء يا كثير البذاء يا صفيق الوجه يا حقيق النجه ترى بأى لسان تخاطبنى وبأى وجه تقابلنى وقد ختلت وقتلت وفعلت فعلتك التى فعلت فقال لم يبق للاعتذار مجال ولا للاستقالة مقال وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال فان أفضلت أتممت الاحسان وان رددت فعذرك واضح البيان وهذه المرة الثالثه لا تكون عينها حانثه ولا عهودها ناكثه واشهد الله وكفى به شهيدا أنى بعد لا أنقض لك عهودا ولا أحل مما بيننا عقودا فقالت لا أخبرك بشى الا ان تعهد الى ان تعطينى جميع ما تعطى وتكف عما وقع منك من الخطا فسمع مقالها وأجاب سؤالها فقالت رأى الملك فى منامه كأن الجو أمطر من

الحازم الاريب المتضرع الذى لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعى الحتف الى نفسه ثم لاسيما اذا كان مثلك أيها الملك العالم بعرض الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضاء والمعاجلة والاناة الناظر فى أمر يومه وغده وعواقب اعماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك كان ذلك فان رأى الرجل الواحد العاقل الحازم ابلغ فى هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوى البأس والنجدة والعدد والعدة وان من عجيب أمرك عندى طول لبثك بين ظهرانى البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب لم ازل متمسكا بادبك أيها الملك اصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والموافاة قال الملك اصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء اصحاب اقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذى قد اطمعه سلطانه فى مال وعمل فى يده حتى ينجزه ولا الرجل الذى قد الح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن وضع الحمل الثقيل عن يده اراح نفسه ومن آمن عدوه ثلج صدره قال الغراب اسأل الله الذى اهلك عدوك ان يمتعك بسلطانك وان يجعل فى ذلك صلاح رعيتك ويشركهم فى قرة العين

غمامه ماملأ الفضاء من خرافه وأغنامه وتعبير هذا المنام انه يكون فى هذا العام من الخيرات والانعام مايشمل الخاص والعام فتطيب الاوداء وتصالح الاعداء وتطيع العصاه وتذعن البغاه ويوافق المخالف ويكثر المحب والموالف فاحفظ ماقلت لك فقد حللت مشكلك فتوجه بصدر منشرح وخاطر مطمئن فرح وقص المنام وعبر مافيه من الاحلام فطار الملك بالفرح وتم سروره وانشرح وأمر بالجوائز فصبت عليه وبالاموال فانهالت اليه فتم بتلك العطيه والخلع السنيه وقصد وكر الحيه ثم وقف وناداها وقدم اليها كل ذلك وأعطاها وشكر لها احسانها وتحمل جفاها وامتنانها فقالت له الحيه اعلم ياأبلم انه لاعتب عليك ولاملام فيماجنيته أولا من الاثام ولا مارتكبته من العداوة والمين فى العامين الاولين ولافضل لك فى هذه السنة على مافعلته من الحسنه فان ذينك العامين كانا مشتملين على قران النحسين فكان مقتضى حالهما فساد الزمان والعداوة بين الاصدقاء والاخوان ووقوع البغضاء والشرور والحنث والخلف وقول الزور فجريت على مقتضاهما حسب مرتضاهما والناس فى طباعهم وايامهم أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وهذا الاوان قد انصلح الزمان واستقام الطالع وزال الحسد والتقاطع واقتضى الزمان الصلح والصلاح والموافقة والفلاح فمشيت على موجبه وتشبثت بذيل مذهبه فخذ مالك وانصرف بارك الله لك فيه فلاحاجة لى به ولايدلى لتقلبه (وانما) أوردت هذا المثل أيها الجمل لتعلم أن الزمان لتقلبه فى الدوران يوقع بين الاصحاب والاخوان ويباين بين الاصدقاء والخلان والاسد المجتهد وان كان قد زهد وترك من اخلاقه ماعهد فيمكن عوده الى حاله الاولى فالاحتراز منه فى كل حال أولى وهاأنا قد أخبرتك ومن سوء العاقبة حذرتك وعلى ماوصل اليه فكرى أطلعتك وفرط محبتى وشفقتى عليك اقتضى افشاء هذا السر اليك ومن أنذر فقد اعذر ومن بصر فما قصر قال الجمل ياأخى فنترك هذا المقام ونروح ونخدم من فى خدمته نستريح قال الدب الجاحد اذا كان هذا العابد الزاهد الراكع الساجد الذى قد تعفف عن أكل اللحوم وليس له دأب الاغاثة المظلوم قد عف عن الدماء وقنع بأكل الحشيش وشرب الماء لاتؤمن غائلته ولاتعتمد خاتلته فالى أين نتحول وعلى من يكون المعول والى أين نذهب وفيمن نرغب قال الجمل فكيف يكون العمل فلقد ضاقت بنا الحيل وتقطعت بنا السبل لاطريق للفر ولاقرار للمستقر فافكر الدب طويلا ثم رأى رأيا وبيلا وقال أرى الرأى السديد والفكر المفيد ان نبادر الاسد قبل وقوع النكد فنقصده بما يقصده ولانوصله الى مايعتمده فالعاقل يفتكر فى عواقب الامور ويقيس بفكره السرور والشرور ويستعمل الحزم واذاقصد أمرا يهم العزم وناهيك قضية الثعبان مع ذلك الانسان قال الجمل أخبرنى عن تلك القضيه ومن ذلك الانسان وماتلك الحيه (قال) أبو حميد الخبيث بلغنى من رواة الحديث ان شخصا من الصيادين كان مغرما بصيد الثعابين يتسبب بصيدها ولايبالى بكيدها فبيناهو يسعى اذصادف افعى شرداناجز كما قال الراجز

ارقش ظمآن متى عض لفظ * أمر من صبر ومقر وحظظ

وقد أثر فيه الحر بالحرق وهو نائم فى مكان منطبق فاستبشر الحواء برؤيته وقبضه من عقصته فلم يفق الثعبان من رقدته الا وهو من الحاوى فى قبضته فتماوت وامتد وارتخى فاسترسل بعدما كان أشتد فظن الصياد انه مات وان مراده منه فات فحزن لذلك وتألم

بالملك فان الملك اذا لم يكن فى ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زغة العنز التى يمصها الجدى وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيرا قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها فى حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال الغراب كانت سيرته سيرة بطر واشر وخيلاء وعجز وفخر مع مافيه من الصفات الذميمة وكل أصحابه ووزرائه شبيه به الا الوزير الذى كان يشير عليه بقتلى فانه كان حكيما اديبا فيلسوفا حازما عالما قلما يرى مثله فى علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأى قال الملك واى خصلة رأيت منه كانت ادل على عقله قال خلتان احداهما رأيه فى قتلى والاخرى انه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وان استثقلها ولم يكن كلامه كلام عنف ولكنه كلام رفق ولين حتى انه ربما اخبره ببعض عيوبه ولايصرح بحقيقة الحال بل يضرب له الامثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه الى الغضب عليه سبيلا وكان مما سمعته يقول لملكه انه قال لاينبغى للملك أن يغفل عن أمره فانه أمر جسيم لايظفر به من الناس الا القليل ولايدرك الا بالحزم فان الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فانه قد قيل انه فى قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر وهو فى خفة زواله وسرعة اقباله وادباره كالريح وفى قلة ثباته كاللبيب مع اللئام وفى سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر فهذا مثل أهل العداوة الذين لاينبغى ان يغتر بهم وان هم

أظهروا توددا وتضرعا * انقضى باب البوم والغربان

{باب القرد والغيلم}

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها اضاعها قال الفيلسوف ان طلب الحاجة اهون من الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها اصابه ما أصاب الغيلم قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا ان قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل و يرمي في الماء فاطربه ذلك فأكثر من طرح التين في الماء وثم غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجله فرغب في مصادقته وانس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت ان يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد ألف قردا وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد قالت

وتأسف عليه وتضرم وحرق عليه الارم ورماه من يده ثم دار في خلده ان في بطنه خرزة بهية مشرقة مضيئة فاخرج الشفرة وقعده ومد اليه ليضعه بيده فلما تحقق الارقم ما عزم عليه وصمم خدعه وختله وضربه فقتله (وانما ذكرت) يا أبا ايوب هذا المثل المضروب لتحقق ان المبادرة الى اهلاك العدو أقر للعين وأجلب للهدو ومن فوت الفرصة وقع في غصة وأي غصة وهذا الاسد ان غفلنا عن أنفسنا أبادنا وقصد دمارها وفسادها ولا يفيدنا اذ ذاك الندم بعد مازلت القدم وتحكم في وجودنا من مخاليبه العدم فقال الجمل اعلم أيها الرفيق الصديق الشفيق ان هذا الملك آوانا واكرم مثوانا ولم نشاهد منه سوأ ولا من ظاهره باطنه آنسنا ضوأ ولو قصد اذانا ما وجدنا دافعا ولا مانعا وقد علمنا انه ترك الاذى وكف عن الشر والبذا تعففا لا تخوفا وتكرما لا تكلفا واختيارا لا اضطرارا وجبرا لكسرنا لا اجبارا واما أنا على الخصوص فلم أر منه الا الجميل والفضل الجزيل والاحسان العريض الطويل فلاي شئ أشرع في اذى نفسي وأكدر صافي حدسي ولم يظهر لي منه أمارة لا بقبض ولا بدلالة ولا باشارة فضلا عن سياق أو سياق بعبارة وانا لو مت كمدا ما قصدته باذى ولا رديته برداء ردى والصوفي ابن الوقت لا يتقيد بنكد ولا مقت فان قصدني بعد ذلك بشر أو تعرض لي بهلاك وضر لا يسعني معه الى التفويض والتسليم والتوكل على العزيز العليم مع اني لا أقدر على مقاومته ولا قوة لي في دفع مصادمته ولا طاقة لكسر أنيابه ومخاليبه ولا خلاص من أشراك اساليبه غير اني وان كنت منسوبا الى التغفل لا أدع من يدي ذيل التوكل فبالتفويض يحصل النجاح وبالتوكل يظفر بالفلاح كما جرى لذلك الفلاح مع الذئب والشجاع حال التوكل الى الله تعالى والانقطاع فسأل أبو سلمة ايضاح هذه الكلمة (قال) أبو صابر بلغني من أحد الاكابر ان شخصا فلاحا توجه الى ضرورة صباحا من غير رفيق ولا حامل سلاحا فبينا هو في البيداء سائر صادفه ذئب داعر خاتل خاتر فقصده ليكسره ففر وصعد الى شجرة فترصد نزوله وانتظره تحتها ليغوله فانحصر وعن ضرورته انحصر وبينما هو في تلك البليه وقعت عينه على حية رديه ذات قرون صاعده وهي على بعض الفروع راقده فازداد همه وأحاط به لوهمه غمه فاستمر بين بليتين وانحصر في دواني داهيتين دهيتين فلم ير اوفق من التوكل على الله والاعراض عما سواه فاعتمده متوكلا عليه وفوض أموره اليه وبينما هو في تلك الشده وقد بلغ ضره حده واذا برجل مقبل من الملا وعلى عاتقه عصا فقصده الذيب من قريب فلما رأى السلاح فر وله كالاح فنزل الفلاح من الشجره وأزال الله تعالى همه وضرره (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم ان الله نعم المتكل فأخرج هذا الوسواس من القلب والراس ولا تبك سلفا ولا تحمل تلفا ولا تخاع الحذاء بإذا الرباضه قبل ان تصل الى المخاضه ولا تهتم لامر ما وقع فان ذلك من شر البدع فان قصدنا بسوء فالله كافيه ويكفينا بحوله وقوته فيه قال الدب ذو الضرر هذا رأى القاصر في النظر العاجز في الفكر فاما ذو الفكر الثاقب فلا يغفل عن العواقب فكل من قصر عن العواقب نظره ولم يسدد في الامور فكره فهو كمن تعلقت النار بأهدابه والتهبت لاحراق ثيابه وهو مشغول عن اطفائها متساهل في كشف أنبائها فلم يفق الا وقد نشبت وأعضاؤه بالنار التهبت فما اذا تفيده الافاقه وقد صار حراقه قال الجمل يا أخي افق من محالك وعالج فساد تصورك وخيالك وانظر قوة جلدك وكيفية حالك أنا لحمي من صدقات الاسد نبت وحبه في دمي وعظمي ثبت كيف أجحد نعمه أو أرى تقدمه وانا غرس صدقاته وربيب نفقاته

ورفيق حضرته وعتيق منته مع انى لو نبذت عهده وقطعت ما قطعت وعزمت على مناوشته ما استطعت أما وعيت فى معانى ما رويت

هى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب بفرخ الغراب أم تقتنص الذئاب بجرو الكلاب وتبغى بالقرود كسر الفهود أم بالسنانير تصيد الاسود ولا والله لا أقصده بأذى ولا يطاوعنى قلبى على ذلك أبدا ولو فعلت ذلك لسعيت فى دمارى وخراب ديارى ووجدت انى بكفى وبحثت عن حتفى بظلفى وجززت بيدى راسى وقطعت قدمى بفاسى وقلعت باعى عن مقامى واستخففت ملك الموت مهجتى ولصرت من أكبر المعتدين وافسدت دينى ودنياى والله لا يحب المفسدين فاطو عنى هذا الكلام وارجع عن مفاوضتى بسلام ولا تشتغل به جنانك ولا تحرك به لسانك وكان بالقرب منهما وكر فاره وقد سمعت ما جرى بينهما من عباره ووعت كلامهما وما دار بينهما من كل منهما فلما رأى الدب المريد أن كلامه للجمل لا يفيد امسك واحتشم وأخذه فى ذلك الندم ولكن حال من الجمل الحال وأثر فيه هذا المقال واستولى عليه من الاوجال ما اداه الى الهزال وصيره من الانحال كالخلال وذهب ما كان عليه من النشاط وداخله الهم والاختباط وصار كل يوم فى انحطاط ولم يزل بين نضو ورازح ورازم ونازح فتعجب الاسد من حاله ولم يقف على سبب هزاله وكان عند الاسد غراب مقدم على الاصحاب هو وزيره ومعتمده وصاحب اخباره وعضده فعرض عليه حال الجمل وما شاهده منه من وجل وقال أنا عففت عن أكل اللحوم ورضيت من العيش بأدنى الطعوم وهذا أمر قد عرف واستقر فما بال هذا الجمل لا يأخذه مقر فأريد ان تعرف حاله وتخبرنى صدقه ومحاله فتوجه الغراب الى منزل الجمل وقد أخلص فى القول والعمل وسأله عن حاله وموجب هزاله وانتحاله وما سبب هذا الزحوح والرزوم المؤدى الى النزوح فما احار جوابا ولا ذكر خطأ ولا صوابا فصار الغراب يرتقبه وحيثما توجه يعتقبه ففى بعض الايام كان الغراب على بعض الآكام رأى الجمل قد أقبل الى الما ليطفئ بشربه سورة الظما فتخفى الغراب واقتفى ظهره الى ان قاربه وكمن خلف صخره فسمعه يقول بعد ما شرب وقد رأى السمكات فى اللعب لك الحمد يا رب ما ارحمك وطوبى لكن يا سمك لا من رقيب يخفن ولا من هيبته يرجفن لا ملك يهولكن ولا سلطان يغولكن ولكن البكاء على الجمل الذى ضاقت به الحيل قد وقع فى دردور البلاء ولا يهتدى الى طريق النجاه بل ولا يدرى عاقبة أمره المهول الى ماذا تؤول الى الغرق والندامه ام الى النجاة والسلامه ثم أخذ فى الانتحاب الى ان ابكى الغراب فلما رأى ابو القعقاع هذه الاوضاع قضى من الامر العجاب ما يتشيب منه الغراب ثم توجه الى أسد الشرى وعرض عليه ما جرى بتغيير المشترى فتشوش فكره وتشوش أمره وضاق بالهم صدره وقال أنا كففت عن الشر والشره وعففت عن ذلك كأن لم يرنى ولم أره وتركت القرم والاذى وفطمت نفسى عن لذيذ الغذا لأمننى اصحابى ويأنس بى أحبابى فاذا لم يستقر خاطرهم ولم تطمئن على محبتى سرائرهم اى فائدة لى فى الحياه وكيف اخلص فى حرم المودة من كدر العيش الى صفاه وكل ملك لا تصفو له رعيته ولا ترسخ فى قلوب جنده محبته كيف يثبت سلطانه او يساعده عند الشدائد أعوانه أنا بذلت جهدى وطاقتى وتشبثت باذيال الصلاح على قدر استطاعتى ولم يبق الا التضرع والاستكانة والتخشع الى مقلب القلوب وعلام الغيوب ليكشف هذه الغمه ويصلح لى هذه الامه ويجلو عن جبين الحق بهيم

وكيف أصنع قالت جارتها اذا وصل اليك فتمارضى فاذا سألك عن حالك قولى ان الحكماء وصفوا لى قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالى أراك هكذا فأجابته جارتها وقالت ان زوجتك مريضة مسكينة وقد وصف لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال الغيلم هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن فى الماء ولكن سأحتال لصديقى ثم انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا أخى ما حبسك عنى قال له الغيلم ما حبسنى عنك الا حيائى فلم أعرف كيف أجازيك على احسانك الى وأريد ان تتم احسانك الى بزيارتك لى فى منزلى فانى ساكن فى جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهرى لاسبح بك فرغب القرد فى ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح به عرض له قبح ما اضمر فى نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد مالى أراك مهتما قال الغيلم انما همى لانى ذكرت ان زوجتى شديدة المرض وذلك يمنعنى من كثير مما أريد ان أبلغه من كرامتك وملاطفتك قال القرد ان الذى اعرف من حرصك على كرامتى يكفيك مؤنة التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال فى نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لامر ولست آمنا ان يكون قلبه قد تغير لى وحال عن مودتى فأرادنى بسوء فانه لا شئ أخف واسرع تقلبا من القلب وقد يقال ينبغى للعاقل ان لا يغفل

هذه الظلامة ثم تضرع الى عالم الاسرار ليطلعه على حقيقة هذه الاخبار ثم أمر باجتماع
جماعته المقيمين على محبته وطاعته وعرض عليهم هذه الاحوال وطلب منهم استكشاف
مافيها من الاهوال وقال اعلموا انى امتحنتكم من مخافتى وبذلت لكم بدلاً فى لطافتى وقد
حققتم مرامى وصدقتم كلامى وعرفتم اخلاقى وشدى اعلاقى كل ذلك لتطيب خواطركم
وتصفو لى سرائركم ولم أفعل ذلك عجزا ولا خورا ولا تهاونا ولا ضجرا وأنا الآن آمركم بواحده
هى أجل فائدة ان لا تكتموا عنى شيأ تكرهونه منى بل اوقفونى عليه وارشدونى
اليه ثم اجهدوا انى امنعه عنى فان فيكم اجل محبوبى من اهدى الى عيوبى وقد قال
سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أبلغه أفضل التحيات عنا من غشنا فليس منا
(وانما) أوردت هذا الكلام فى هذا المقام بحضور الخواص والعوام على سبيل التحذير
والاعلام والتنذير واقسم بالله العلى الكبير اللطيف الخبير الذى منه المبدأ واليه المصير لم
يكن فى خاطرى من أحد حقد ولا حسد ولا هجس بخاطرى له ايذاء ولا نكد وها أنا قد
أخبرتكم وباطلاعى أمرتكم فلم يبق لى ذنب يستغفر منه ولا لكم فى الاخفاء ما يعتذر عنه
وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل بل يهب للاعالى الاراذل فاذا فسد الراس تغيرت
الناس فى الباس ولقد قال خالق البرية وباريها واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فقام الحاضرون فى مقام العبودية والولاء وبسطوا ألسنتهم بأنواع الثناء والدعاء
ونادوا بكلمة واحده متفقة متأكده حاشا لله ما علمنا عليك من سوء ولم تزل تطيب على
تقصيرنا وتأسو وتستر بذيل عفوك كل عارمنا وتكسو وكان هذا الكلام للاكابر وقد
اجتمع البادى والحاضر وأبو حميد المفتن فيما بينهم حاضر فأدرك بهذا العمل ان الاسد شعر
بشئ من جهة الجمل فاستدرك فارطه وسلك سبيل المغالطه ثم اختلى بالاسد ولم يكن معهما
أحد وقال كان مولانا الملك وقاه الله شر المنهمك أحس بشئ أوجب تقرير كلامه لطائفة
جنده وخدامه وأنا عندى كلام لم يطلع عليه أحد من الانام ولم أبده للملك بحضرة الجماعه
لانه ربما لا يقصد الملك به الاذاعه ولا يمكننى اخفاؤه وقد كان ابداؤه فاعلم أيها الملك الهمام
كفاك الله شر اللئام انه كما يحتقر العالم الجاهل كذلك يزدرى الجاهل العاقل وذلك
لقصور فهمه وعدم علمه ومهما أحاط الخادم بمرتبة مخدومه وزاد علو قدره فى معلومه ازداد
فى قلبه وجوارحه مقدار تعظيمه واستقرت هيبته فى قلبه وروحه وصارت كؤس خشيته
تنادمه فى غبوقه وصبوحه وقد قال رب الارض والسماء انما يخشى الله من عباده العلماء
وقول النبى عليه الصلاة والسلام انا أعرفكم بالله وأخشاكم لله اشارة الى هذا المقام وكلما
ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم قلت قيمته عنده وهذا أمر معلوم ثم اعلم يا ملكا أعظم ان
الجمل الطويل الامل قد اغتر بالملك حين كان فى ذرى امنه سدك وأحسن اليه غاية الاحسان
وصادف عدم الوفاء كالانسان وحصل له من سورة غضبه الامان فجهل قدره وتعدى طوره
وقد قيل
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى
وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل وحوصلة
العصفور لا تسع لقمة الفيل وناهيك ما قد قيل فى الاقاويل عن حماقة كل طويل فلا جرم
فسد دماغه حين حصل فراغه وتطاولت نفسه فى مسراها الى أشياء لا يمكن افشاها ولا
يتفوه بها مسلم ولا يرضاها لان ذكرها قبيح والكناية أبلغ من التصريح فلما سمع الاسد هذا

عن التماس ما فى نفس أهله وولده
واخوانه وصديقه عند كل أمر وفى
كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود
وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد
على ما فى القلوب وقد قالت العلماء
اذا دخل قلب الصديق من صديقه
ريبة فليأخذ بالحزم فى التحفظ منه
وليتفقد ذلك فى لحظاته وحالاته فان
كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة وان
كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره
ذلك ثم قال للغيلم ما الذى يحبسك
ومالى أراك مهتما كانك تحدث
نفسك مرة أخرى قال يهمنى انك تأتى
منزلى فلا تجد أمرى كما أحب لان
زوجتى مريضة قال القرد لا تهتم
فان الهم لا يغنى عنك شيأ ولكن
التمس ما يصلح زوجتك من الادويه
والاغذيه فانه يقال ليبذل ذو المال
ماله فى ثلاثة مواضع فى الصدقة وفى
وقت الحاجة وعلى النساء قال الغيلم
صدقت وقد قالت الاطباء انه لا دواء
لها الا قلب قرد فقال القرد فى نفسه
واسوأتاه قد ادركنى الحرص
والشره على كبر سنى حتى وقعت فى
شر ورطة ولقد صدق الذى قال
يعيش القانع الراضى مستريحا
مطمئنا وذو الحرص والشره يعيش
ما عاش فى تعب ونصب وانى قد
احتجت الى عقلى فى التماس المخرج
مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك ان
تعلمنى عند منزلى حتى كنت احمل قلبى
معى وهذه سنة فينا معاشر القردة
اذا خرج احدنا لزيارة صديق خلف
قلبه عند أهله اوفى موضعه لننظر اذا
نظرنا الى حرم المزور وليس قلوبنا معنا
قال الغيلم واين قلبك الآن قال
خلفته فى الشجرة فان شئت فارجع

المقال علم ببديهة العقل أنه زور ومحال ثم أرسل الى الغراب وذكر له هذا الخطاب ليميز خطأه من الصواب ويبين القشر من اللباب فلما أتى الغراب الى حضرته وجلا صورة هذا القول على مرآة فكرته قال له ضميرك المبارك فى حل هذا المشكل لا يشارك فانه حلال المشكلات موضح المعضلات وأما أنا فلا أسمع هذا الكلام ولا أقبل فى الجمل الملام فانى أعرف تواضعه ومسكنته وصبره وطاعته واخلاصه وقناعته وأنه صادق فى محبته مخلص فى عبوديته وأعرف ان خوفه من الملك غالب على رجائه وأنه مع ذلك مقيم على سنن وفائه وعقود عهوده وصفائه ولو اراد الذهاب لذهب بسلام ولا فى وظيفته قيد ولا فى وتيرته خطام ثم قال الغراب والغالب عن ظن ذوى اللب ان هذه الفتن أصلها وأصلاها الدب لانه قد تقرر وتحقق واتفق كل حكيم موفق انه اذا نقل ناقل محقق عن عاقل ابتدا بالاحسان اساءة فلا يصدق فالملك لا يبادر فى هذه القضيه حتى يتبصر الامر عن جليه وحاشاه أن يفرط فى خدمة المخلصين من غير ان يتدبر أمورهم بيقين ويختلى بعده الجمل ويتحقق منه أصل هذا العمل بعد استجلاب خاطره وتطييب سرائره وضمائره فاستصوب الاسد هذا الفصل واختلى بالجمل ليقف منه على هذا الاصل وسكن جاشه وازال بلطف الكلام استيحاشه وشكر فى خدمته مساعيه وطلب بملاطفته مراضيه ثم طلب من الجمل تفصيل ما بلغه من جمل وأكد قوله بالايمان أنه لو صدر منه تقصير ونقصان ولو كان مهما كان فانه قد عفا عما هفا ولا يكدر من عيشته ما صفا ولا يمزق رقيق حاشية وفائه بالجفا ولا يقيد بهفواته ولا يطالبه أبدا بزلاته فليطلعه على جلية الحال وليذكر ما وقع منه من أقوال وأفعال فافتكر الجمل فى معاهدته مع الدب وانه لا يفشى سر ذلك العديم اللب وكيف ينقذه من غضى جمره شب وقضاء غمره صب فقال ان قلت أضعت صاحبى وان سكت قصرت فى جانبى ثم اختار كتم الاسرار وسلوك طريق الاحرار والوفاء بالعقود وعدم نكث العهود وقال أسعد الله مولانا الذى بوجوده أحيانا انى أتفكر فى عواقب الامور وانظر فى تقلبات الدهور وأخشى سطوات السلطان وأخاف من حوادث الزمان فلا أزال من هذا الخيال فى انتحال وهزال الى ان صرت الى هذه الحال فان كان هذا ذنبا يوجب العقوبه فان ازالته عن خاطرى فيها صعوبه وهذه أوهام لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك أو يدل على الالقاء فى المهالك وتضييق المسالك من حركات أفعالى أو من فلتات أقوالى أو تقلبات أحوالى أو نقل اليك ناقل من جاهل أو عاقل فأفحم الجمل عن الجواب وأطرق فلم ينطق بخطأ أو صواب فقال الغراب لا ينجيك الا الصدق وكشف أستار الريب عن جبين الحق وكان حاضر هذه الدعوى خلداعى وهم عنه غافلون وعن استماعه ذاهلون فى الحال توجه الى الدب وقال صورة ما جرى بتخبير المشترى فعلم الدب انه افتضح وأمره اتضح فنهض وما قعد ودخل على الاسد فرأى الجمل مطرقا لا يملك منطقا فبصولجان اللسان وخطف كرة البيان وسابق بالكلام خوفا من الملام وقال بلسان طلق كلام فاجر مختلق اعلم أيها الطويل الابلم أنك لو أمسكت عن كلامك القبيح فى وقتك الفسيح لكان أصوب وأحسن وأعجب لكن لما فهت بالعبر وأتيت بأحدى الكبر وصادمت القضاء والقدر وخنت ولى نعمتك وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك ازال الله سترك وأبدى أمرك وفضحك وقبحك وبلجام الخزى كبحك لا جرم جوعك حبسك واثمك العظيم أخرسك فابهت الضرغام من هذا الكلام وشاب الغراب من هذا الامر

بى الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما ابطأ على الغيلم ناداه يا خليلى احمل قلبك وانزل فقد حبستنى فقال القرد هيهات أتظن أنى كالحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا اذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك (قال) القرد زعموا أنه كان أسد فى أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فأصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك قال هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء الا قلب حمار واذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالى أراك مهزولا قال ما يطعمنى صاحبى شيأ فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فمالى حيلة فى الهرب منه فلست أتوجه الى جهة الا أضربى انسان فكدنى واجاعنى قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان خصب المرعى فيه اتان لم تر عين مثلها حسنا وسمنا وهى

المشاب ووقعوا في الاضطراب والشك والارتياب واشتبه الخطأ بالصواب وقالوا ان هذا
شئ عجاب فقال الجمل للدب يا فقيد اللب يا قليل النصفه وعديم المعرفه وأنحس أنالك
وأنحس سفالك وأبخس بتاك أتخافني خائفا من كلامك وخطابك عاجزا من ملامك
وجوابك اما كفى انى قصدت ستر عوارك واطفاء نارك ومفتكر في قضيتك واخماد
لهيب فتنتك واهماد شرار مصيبتك وعلى تقدير التسليم وانى فهت بالكبر والامر العظيم أكنت
معك منفردا ام رايت بيننا احدا فان كان بيننا احد فاحضره الى حضرة الاسد فانى ارضى به وعا
بين ولا دافع لي فيما يشهد به ولا مطعن وان كنت انت وحدك فامنعك عن نصح الملك وصدك
فأنت اذا اما خائن واما مائن وهذا امر محقق بائن ولولا اني التي ربطت بها لساني لكنت
اظهرت البرئ والجاني ولكن تحليت في الكتم والسكوت أجاني وسيظهر الله الحق
ويفصل وللباطل صولة ثم يضمحل ووالله مالك مثل مع المسكين الجمل الا امرأة النجار لما
أغلقت باب الدار قال ابو الحرث الغضوب اخبرنا يا أبا أيوب كيف كان هذا الحديث لنطلع
على هذا الفعل الخبيث (قال) ذكر رواة الاخبار انه كان رجل نجار له زوجة تخجل الاقمار
وتكسف شمس النهار كانها الدنيا تخدع بلامع صورتها وتصرع بروائح سيرتها فكانت كلما
رقد زوجها وهو تعبان انسابت الى الاخدان انسياب الثعبان فتقضي الليل بانشراح في
عناق وشرب راح الى ان ينفجر الصباح ثم تنثني عائده فلا يستيقظ الزوج الا وهي عنده
راقده ففطن في بعض الاوقات لفعلها وراقب ليلة خيال ختلها فتراقد في الفراش وذهبت
لطلب المعاش فنهض وراءها النجار واوصد لما خرجت باب الدار واستمرت هي وصاحبها
وزوجها مستيقظ يراقبها فلما عادت راجعه وجدت الابواب مانعه فطرقت الباب من غير
اكتراث واكتئاب فناداها يا خائنه اذهبي حيث كنت كامنه فقالت استر هذه الذنوب
فاني من بعد أتوب فقال لها لا والله الرحمن حتى تفتضحي بين الجيران فقالت الموت اهون
من الفضيحة فاغفر لي هذه القبيحه وانا أحلف يا ودود بالله الرب المعبود انى أتوب ولا
اعود ثم الحت عليه وتضرعت لديه فلم يفتح لها بابا ولا رد عليها جوابا فقالت والله اللطيف
الخبير لئن لم تفتح الباب لالقين نفسي في هذا البير ولا رمينك بقتيل بين الحقير والجليل ثم
عمدت الى حجر كبير وطرحته في تلك البير ثم اختفت عند الباب لتنظر ما يبرزه القضاء من
الحجاب فلما سمع زوجها خبطة الحجر تصور انها تلك البغي فابتدر وفتح الباب والى نحو البير
طفر ولم يشك ان تلك البغي ألقت نفسها في الطوى فما وصل الى البير ذلك الرجل الغرير
الا وقد دخلت وفي وسط الدار حصلت ثم اوصدت الباب واستغاثت بالجيران والاصحاب
واحكمت الرتاج واوقدت السراج وملأت الدنيا بالعياط واخذت في الهياط والمياط
فاجتمع الجيران انظروا ما هذا الشان فقالت هذا الرجل الظلام يتركني كل ليلة حتى انام
ثم يتوجه الى الزواني ويدعني اقاسي القلق واعاني وانقلب في ارقي واشجاني فأخذ الرجل
يحلف بالله ذي الجلال ويذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق واخرى يكذب وهو
بين مصدق منهم ومكذب فلم يزالا في عويل وصياح الى ان ظهرت بشائر الصباح فحضرا
الى القاضي واختصما وشهد بعفة الرجل الصلحاء والعلما واظهر الله الحق وثبت على المرأة
الخيانه والفسق ولولا ذلك لذهب البرئ غلطا وانقلب صواب المحق الصادق خطا (وانما
اوردت) هذا المثل لتعلم ايها الملك البطل خيانة الدب وبراءة الجمل والرجل اذا عجز عن فعل
الشجعان يتشبث بحبائل الشيطان ويستعمل مكر النسوان ونظير هذا الكياد ما وقع

يحتاجه الى الفحل قال الحمار وما
يحبسنا عنها فانطلق به ابن آوى نحو
الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة
على الاسد فأخبره بمكان الحمار
فخرج اليه فأراد ان يثب عليه فلم
يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه
فأفلت هلعا على وجهه فلما رأى ابن
آوى ان الاسد لم يقدر على الحمار قال
له أعجزت يا سيد السباع الى هذه
الغاية فقال له ان جئتني به مرة أخرى
فلن ينجو مني أبدا فمضى ابن آوى الى
الحمار فقال له ما الذي جرى عليك
ان الاتان لشدة غلمتها وهيجانها
وثبت عليك ولو ثبت لها للانت لك
فلما سمع الحمار بذكر الاتان هاجت
غلمته ونهق وأخذ طريقه الى الاسد
فسبقه ابن آوى الى الاسد واعلمه
بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته
لك فلا يدركنك الضعف في هذه
النوبة فانه ان أفلت فلن يعود معي
أبدا فجاش جاش الاسد لتحريض
ابن آوى له وخرج الى موضع الحمار
فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه
فيها ثم قال قد ذكرت الاطباء انه
لا يؤكل الا بعد الغسل والطهور
فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه
واذنيه وأترك ما سوى ذلك قوتا لك
فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن
آوى الى الحمار فأكل قلبه واذنيه
رجاء ان يتطير الاسد منه فلا يأكل

بين صادق دمشق وفاسق بغداد وهى قضايا جاهلة الابواب طويلة الذيول والاذناب قد دونت فى مجلدة لا يسعها هذا الكتاب فتكرار مقال فى هذه الاحوال ثم امر بهما الى الاعتقال وكان للملك سجان ذكى كنيته ابو الحسن واسمه ذكى فتسلمهما واحتفظ بهما فلما استقرا فى قضية الحبس واستقر امرهما تحت اذيال اللبس توجهت الفارة التى كانت سمعت سر مناجاتهما واطلعت من اول الامر على حكاياتهما الى السجان وهما فى أضيق مكان وسألته عما آل اليه امرهما من شان فاخبرها بحالهما وحيل عاقبة ما لهما وانه ليس بعالم من المظلوم منهما والظالم فقالت الفاره اسألك يا ذا الشطاره والذكاء والمهاره اذا ترجح لاحدهما الجانب وتبين الصادق والكاذب وتعين المرضى عنه والمغضوب عليه تطلعنى على ذلك لانظر اليه قال السجان للفاره لقد فهمت عنك بالاشاره وأدركت من فحوى العباره ان لك اطلاعا على هذا الامر وفرقا جليا بين عمرو والجمر فان كنت شممت من ذلك روائح فبادرى باداء تلك النصائح ان قو... قول ... ل لا ... ول ولا نقصدى بهذا الارشاد الا مصلحة العباد وكشف الغمه وبراءة الذمه وردع الظالم وخلاص ذمة الحاكم قالت الفارة وأنا لا أقصد الا اصلاح ذات البين وشمولهما بعاطفة الملك بحيث يصيران كالمحبين ويرتفع النكد ويحل رضا الاسد ويحسم الضرر والضير وتختم عاقبتهما بخير وايضا فانى سمعت من العلماء وضبطت من نصائح الحكماء ومقالات ذوى الآراء انهم قالوا اياك والتكلم فى امور الملك ببيضاء او سوداء وأين بنت الجرد من ملك الوحوش الاسد قال السجان لا تقولى ذلك ولا تستحقرى جدواك وما ترين فى فتواك ودونك القول الصادر من نظم الشاعر الماهر وهو

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص
فالدر وهو اجل شئ يقتنى * ما حط قيمته هوان الغائص

وان النصيحة كالعسل والحق يصدع كالاسل فالعسل يعطى حلاوة ذوقه سواء كان فى صحاف الذهب أو فى ذقه وقاصد الصواب والنصيحه ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحه يخاطر بنفسه وماله ويراقب ما فيه حسن مآله وأفضل المعروف اغاثة الملهوف سمعت فى المثل السائر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهذا الطور عند ملوك الجور فكيف وملكنا أعدل الحكام وناصر دين الاسلام متصف بمكارم الاخلاق والشيم ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم فان كنت تدرين بجهة الانتفاع أولك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقومى وانصحى وقولى تفلحى كما فعل الوزير المنتخب مع كسرى فى حالة الغضب فسألت الفاره هذا المثل واخباره (قال) أبو الحصين السجان ذكر انه كان لانوشروان زوجه فاقت النسوان يخجل قدها الاغصان وخدها البدر حيث لا نقصان كان أبوها من السلاطين وملوك الاساطين وكان أنوشروان قتل أباها وأخاها واتخذها لنفسه واصطفاها وكان مشغوفا بحبها متخوفا من ضربها لئلا تتذكر قتيلها فيستولى طلب الثار عليها فلم يزل متحرزا من أفعالها مراقبا تقلب أحوالها فاتفق أنه كان جالسا معها على السرير وحولهما من الجوارى الحسان كل بدر منير وظبى غرير فتاقت نفسه اليها فمد يده ووضعها عليها فنظرت الى الجوارى فرأت أعينهن اليها ناظره فصارت بين طرفى الانقياد والامتناع حائره وكانت قد سمعت من أبيها ما رأته من أقاربها وذويها معنى ما قيل

وانى لاستحيى من النرجس الذى * يراقبنا انى أقبل من أهوى

منه شيأ ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى اين قلب الحمار واذناه قال ابن آوى ألم تعلم انه لو كان له قلب واذنان لم يرجع اليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة (وانما ضربت لك) هذا المثل لتعلم أنى لست كذلك الحمار الذى زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب واذنان ولكنك احتلت على وخدعتنى فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمرى وقد قيل ان الذى يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم قال الغيلم صدقت الا ان الرجل الصالح يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستحى ان يؤدب لصدقه فى قوله وفعله وان وقع فى ورطة امكنه التخلص منها بحيلته وعقله كالرجل الذى يعثر على الارض ثم ينهض عليها معتمدا فهذا مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها اضاعها * انقضى باب القرد والغيلم

﴿باب الناسك وابن عرس﴾

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب قال الفيلسوف انه من لم يكن فى أمره متثبتا لم يزل نادما ويصير أمره الى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا قال الملك وكيف كان

فخطر ببالها انه اذا استحى من عيون النرجس وهى جامده فكيف لا استحى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقده فغلبت عليها الحيره وان جدع الحلال انف الغيره فانكشفت من كسرى وزادها الحياء والهيبة انقباضا وكسرا فجذبها بقوته اليه فانفلتت منه لما استعصت عليه فوقع عن سريره العالى وعلا خلقه النمرى الغالى وتبسم بعض تلك الجوار من غير اختيار فاضطرب لما اضطرم فيه النار وتذكر ما كان توهمه من أخذ الثار وفار دم قلبه لما غار فدعا وزيره الكبير ودفع اليه ربة السرير وأمره بازهاق نفسها واسكانها فى رمسها من غير مراجعه ولا شفاعة ولا مدافعه فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشكله ولم يجد بدا من امضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر فى المآل ونادته ربة الحجال مهلا أيها الوزير الناصح المشير ذو الرأى والتدبير هبنى انى أخطأت وعن مرضات الملك أبطأت فاذنب الذى فى بطنى المودع من الملك ولم يجنى فلا بأس انك تستشيره فانك ناصحه ومشيره وان كان لا بد من قتلى واستقر الرأى على تبلى وبتلى فاستمهله الى ان أضع ثم تهلك الام ويبقى التبع فانه كان يعطى النذور والاموال ويطلب الولد فى ظلمات الليال ويدعو بذلك ربه ذا الجلال فعرض الوزير على الملك ذلك فأبى واستعمل فى ضروب ضربه احد عبارة وترفق فنبا فعرف ان اخلاقه ثائره وانه لا بد ان تطفأ تلك النائره فاذا برد قلبه وهمد كربه يطالبه بالفرع ان لم يطالب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل كما قيل

طوى الموت ما بينى وبين أحبتى * وليس لما تطوى المنية ناشر

فرأى الوزير الرأى فى التأخير فأودعها عند الحريم وسلك فى الحزم الرأى القويم وجعل نفسه لها وقايه الى ان أخذت مدتها النهايه فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فقام الوزير بتربيته واصلاح رضاعه وأغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين مربى بالدلال مغذى بالكمال فكانه فيه قيل

جبين تحار الشمس من لمعاته * وقد يغار الغصن من حركاته
وخد تعالى الله لست مشبها * ولا مثمر كأضداده فى صفاته
رمى مهجة المضنى باسهم لحظه * فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا نفر ووقع كسرى فى ناحية عن العسكر منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا ويذكران فى ذلك القاع ما قاله عدى بن الرقاع

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فهجم عليهما ودنا اليهما فلما قصدهما تركا ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت أمه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فأراد اطلاق السهم من الكبد ليصيب به نحر ام الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها بنحره وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداهما بروحه وجسده فتذكر كسرى ولده وأمه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه وتذكر ما سلف منه فى حق زوجته وما عاملها به حين وقع من الغضب فى سورته وتأمل ما قاله فى حق قرة مهجته وما أجاب فى ذلك الى ان وردت الى المهالك وقال اذا كان هذا الحيوان الباغم المائق حمى حقيقته برمحه كحماة الحقائق فلم لم يفعل ذلك الحيوان الناطق ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يديه ورجع متفكرا وعلى ما فرط منه متحسرا ودعا الوزير الناصح

ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان ناسكا من النساك كان بارض جرجان وكانت له امرأة جميلة لها معه صحبة فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم حملت منه بعد الاياس فسرت المرأة وسر الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله ان يكون الحمل ذكرا وقال لزوجته ابشرى فانى ارجو ان يكون غلاما لنا فيه منافع وقرة عين أختار له احسن الاسماء واحضر له سائر الادباء فقالت المرأة ما يحملك أيها الرجل على ان تتكلم بما لا تدرى هل يكون أم لا ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذى اهراق على رأسه السمن والعسل قال لها وكيف كان ذلك (قالت) زعموا ان ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر فى كل يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقى ويجعله فى جرة فيعلقها فى وتد فى ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكازة فى يده والجرة معلقة على رأسه تفكر فى غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما فى هذه الجرة بدينار واشترى به عشرة أعنز فيحبلن ويلدن فى كل خمسة أشهر بطنا ولا تلبث الا قليلا حتى تصير غنما كثيرة اذا ولدت أولادها ثم حرر على هذا النحو سنين فوجد ذلك أكثر

المجير والمستجير وذكر له ذلك النكد ومارآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظته وتألم لمصاب فلذة كبدته فدعا له الوزير وقال الصبر نعم النصير كان قد سبق مني اشاره ولكن المفرط أولى بالخساره الصديق الصادق والرفيق الموافق يقول ما أصنع نصحت فلم يسمع والخبيث المنافق والحسود المماذق يقول أردت أن أقول ولكن تركت الفضول ولا حيلة للملك والوزير فيما جرى به قلم التقدير ثم دعا له وانصرف وعبى حملا من الهدايا والتحف وألبس ابن الملك أفخر ملبوس وجهزأمه كما تجهز العروس وأضاف الى ذلك من المراكب الملوكيه والخدمات السلطانيه وأقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال يا ملك الزمان أنا رأيت هذا اليوم في ذلك الاوان وعلمت ان الندم سيعم من الراس الى القدم وها قد قدمت اليك من التحف الدرمع الصدف والورد والزهر والغصن والثمر والفرع والشجر والشمس والقمر متعك الله بهما ومتعهما بك وحرس من الاسواء منيع حرمك وجنابك فانجبر بذلك كسرى ونال بشرى ويسرى وطاب سيرا وسرى وسر صدره وانشرح واغمى عليه من شدة الفرح وأنشد

طفح السرور على حتى انه * من عظم ماقد سرني أبكاني
ياعين قد صار البكا لك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

ثم أمر ببساط السرور وجلس في النشاط والحبور وأنشد

أهلا وسهلا بالتي * جادت على بهجتي * أهلا بها وبوصلها
من بعد طول الهجرة * ادر المدام وغنني * أهلا وسهلا بالتي

ثم أفاض خلع الانعام والرضا والاكرام على الوزير وشكر له حسن التدبير وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت في الارتقاء مرتبته (وانما أوردت) هذه الامثال لتحذى على هذا المثال فان كان عندك ما يزيل الشك والاغاليط ويحق الحق ويميز الاخاليط فان في ابدائها منة عظيمه ونعمة على الملك جسيمه ستبلغني بذلك العيش الهني وترقيني به الى المقام السمي السني وان أخرت النصيحه فقد شاركت الخائن في الافعال القبيحه قالت الفارة ما أدق ما نظرت وأحق ما أشرت لا تردد لعقل في صحة هذا النقل ولكن من أنا في الرفعة ومن يقبل للفارة حتى تطلب الرفعه فلا أنا في العير ولا في النفير واني من مبدأ أمري وطول عمري في زوايا الخمول أتحرز من فضلات الفضول لا لصحبة الملوك لي صورة جميله ولا في طريقة السلوك سيرة نبيله لا امينة ولا ثقه واصدق اسمائي الفويسقه فكيف أصير مصدقه وقد اباح سيد العرب والعجم معدن اللطف والكرم والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم صلى الله عليه وسلم قتلي في الحل والحرم فلو طلبت مصاحبة من فوقي لخرجت عن دائرة طوقي وصيرت نفسي ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين خصوصا ملك الاسود وسلطان الوحوش من النمور والفهود ورحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ومن أعجب العجب ان يجنى من الشوك العنب ولو فعلت ذلك لكنت كقرد حالك ذميم هالك ادعى رياسة الممالك ومن احسن الامثال ما يقال ان السلطان للانام بمنزلة الحمام البعيد عنه يطلب قربه والداخل فيه يشكو كربه فالاليق بحالي ان لا اشغل بالي الخالي بما لا يليق بي ولا بأمثالي وحيث اشرت علي باداء النصيحه وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحه طلبا لمرضاة الملك وصونا لخاطره عن الامر المشتبه المشتبك والفكر المريب المرتبك فأنا امتثل مرسومك واودع ذلك معلومك بشرط ان لا تذكرني بشفه ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفه فعاهدها

من أربعمائة عنز فقال أنا اشترى بها مائة من البقر بكل أربعة اعنز ثورا أو بقرة واشترى أرضا وبذرا واستأجر أكرة وازرع على الثيران وانتفع بألبان الاناث ونتاجها فلا يأتي على خمس سنين الا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا فأبني بيتا فاخرا واشترى اماء وعبيدا واتزوج امرأة جميلة ذات حسن وادخل بها فتحبل ثم تأتي بغلام سري نجيب فاختار له أحسن الاسماء فاذا ترعرع ادبته واحسنت تأديبه واشدد عليه في ذلك فان يقبل مني والا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه (وانما) ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره ومالا تدري هل يصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكت زوجته ثم ان المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به ابوه وبعد ايام حان لها ان تتطهر فقالت المرأة للناسك اقعد عند ابنك حتى اذهب الى الحمام فاغتسل واعود ثم انها انطلقت الى الحمام وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث ان جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك عند الصبي واغلق

على ما اشترطت فذدت لسان القول وسطت ثم ذكرت ما جرى بين الدب والجمل من فصول وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول فلما اتضح لابى الحصين السجان نزاهة عرض الجمل وان الدب هو الذى اغراه على قصد الاسد وحمل وتحقق ذلك بالبرهان القاطع والدليل الساطع توجه الى حضرة الاسد واخبره بما اصلح من الامر وما فسد وانه انما تأخر عن خدمة مخدومه ليصل الى ما فى جيب الغيب من مكتومه فلما تحقق الليث ما فى هذا الامر من صلاح وعيث ومن هو الصالح من الدب والجمل والطالح ارسل الى الغراب وعرض عليه هذا الامر العجاب وطلب منه الارشاد الى هدم ما بناه الدب من الايقاع وشاد فقال الراى عندى ان تجمع العساكر وتنادى للبادى والحاضر ويحضر الدب والجمل ويعرض على الجميع هذا العمل فاذا ظهر الحق وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق وتبين الظالم من المظلوم وتعين الصحيح من المثلوم يرى رايك السعيد ما يقتضيه ويسلك ما يأمر به ويرتضيه ويجرى على كل منهما ما يحكم بتنفيذه ويمضيه بحيث لا ينتطح فى ذلك عنزان ولا يختلف عليك فيه اثنان فلما كان ثانى يوم أمر الاسد بجمع القوم واحضار الجمل البرى والدب المفترى فحضر الكبير والصغير واجتمع الامير والوزير ثم علا الملك على السرير وأثنى على الله العلى الكبير وصلى على البشير النذير الشاهد السراج المنير ثم ذكر ما أهمه من هذه القضية المغمه وذكر فضل هذه الامه وما لها من رقة وجلاله وانها لا تجتمع على ضلاله ثم قال ما تقولون فى رفيقين شفيقين صديقين لم يكن بينهما سبب مكالحه ولا موجب منازعة ولا مجالحه سوى المحبة المليحة والممالحه والمودة الصافية الصالحه يبيتان فى فراش ويستعينان على حسن المعاش حسد أحدهما رفيقه اوخان من غير سبب صديقه وسعى فى اراقة دمه وعدم وجوده بوجود عدمه فماذا يجب على هذا الحاسد المنافق فى عمله الفاسد الطالب ترويج باطله الكاسد وقصده ذلك البرى الصالح الغافل السرى والسعى به الى الحكام والقائه بسببه فى الآثام وارتكاب هذه الجرائم وتحمل مثل هذه العظائم فأجاب الجمهور ان من أكبر الكبائر قول الزور وقد قال رب الكائنات ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وان مرتكبه الاثيم استوجب العذاب الاليم ومن هو هذا الجرى الكذاب المفترى الذى يرتكب مثل هذه الامور الهائله والكبائر الوخيمة القاتله والعظائم المؤذية الغائله خصوصا فى مثل هذه الدولة العادله ولاى شئ يؤخر جزاؤه ولا يحسم داؤه ولا يضرب ولا يشهر ولا يؤمر بالمعروف فى هذا المنكر قال الاسد فاكتبوا بما قلتم محاضر وليعلم الغائب الحاضر حتى اذا وقع الاتفاق بين الاصحاب والرفاق وارتفع فى ذلك النزاع والشقاق وأجمع على ذلك العقل والسمع فعلنا فيه ما يقتضى السياسة والشرع فاتبعوا اشروطهم وكتبوا بذلك خطوطهم فعند ذلك طلب الاسد أم راشد وأقامها فى ذلك المحفل الحاشد واستنطقها بما تعلم واستشهدها على الدب بما أجرم فشهدت فى وجهه بما سمعت ورقت بذلك خطها ووضعت وزكاها الحاضرون وشهد بعفتها وزهدها الناظرون واتفقت الكلمة من الكملة على صدقها وحقيقة نطقها فتهلل وجه الجمل بهذا القول والعمل وظهرت على صفحات وجه الدب العدم الدين والاب علامة الانكسار والفضيحه والانحسار ولم يسعه الا انه اذعن واعترف ان لا دافع له فى الشاهد ولا مطعن وانه قد اجترم وطلب العفو والكرم فعند ذلك غضب الرئبال ولم يبق للعفو مجال فزأر وزفر وغضب

عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض احجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فيه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن انه قد خنق ولده ولم يتثبت فى أمره ولم يتروفيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكاز كان فى يده على ام راسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سالما حيا وعنده اسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله فى العجلة لطم على رأسه وقال ليتنى لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت فى امره بل يفعل اغراضه بالسرعة والعجلة * انقضى باب الناسك وابن عرس

(باب الجرذ والسنور)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل

الغضنفر وهمروز مجر وتطاير من أشداقه الزبد ومن عينيه الشرر ومن شمائل حركاته مضمضات القضاء والقدر ونعوذ بالله من غضب الملوك خصوصا على الفقير الصعلوك ومن أحاطت به أوزاره وقلت أعوانه وفات أنصاره ثم أمر الاسد بالدب ان يلقى من البلاء في جب وان السباع تحتوشه والضباع تنوشه في الحال من غير اهمال ولا توان ولا امهال نهشته الذئاب وافترسته الكلاب وتخاطفته النمور وتناهقته الببور والتقمته السباع والتهمته الضباع فقطعوه وبضعوه ووزعوه ومزعوه وخزقوه وخرقوه وخرقوه ومزقوه ولم يكتفوا بعظمه واهابه حتى لحسوا من دمه يابس ترابه وكان قد اشتد بهم القرم فاطفؤا بلحمه ودمه بعض الضرم وزال عن ابى أيوب الضر وارتفعت منزلة ذلك الحر وضاعف الله تعالى على براءة ساحته أنواع الحمد والشكر * وفائدة هذا المثل الجارى بين الدب والجمل معرفة فضيلة الامانه ووخامة المكر والخيانه فان الله تعالى غير مضيع أهله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله كما قيل

لابناء هذا الدهر فى الغدر أسهم * وضرب خيانات وطعن مكيده
وما للفتى منها طريق سلامة * سوى ترس تفويض لرب البريه
وكل امرئ رهن بنيته وفى * كفالة ما ينوى وما فى العقيده

(وليكن) هذا آخر باب الاسد الصالح والجمل الامين الناصح والعاقبة للمتقين والله الموفق والمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلائق أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لثوب الفضل كاس ولكاس الظرف حاس وفى حدائق الادب أزكى آس ولاحداق الادباء أذكى آس وفى عيون الاعداء انكى آس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الذى استعبد دار النسيب وذكر من النصائح والحكم عن ملوك العرب والترك والعجم ومن مباحث الجن والانس ما حصل للسامعين به النشاط والانس ثم استطرد الى فوائد البهائم والوحوش ورقم فى دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرقوش ما قعد له من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة أحسن النقوش وعقد بجواهر نظامه لمفرق العدل فى دار الملك اكليل العروش افتخر أخوه الفيل بوجوده وقدمه على جميع خواصه وجنوده وأفاض على حدائق آماله زلال احسانه وجوده وقال له يا نديم الدير وعديم الضير وقديم المير ومديم الخير قد أفدت حكم سائر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير فابتهج الحكيم فى الساعه وافترض عليها بالسمع والطاعه ثم انه قال أدام الله ذو الجلال أيام مولانا الامام وشمل بذيل رأفته الخاص والعام بلغنى انه كان فى ممالك اذربيجان جبل يسامى السماك فى السمو ويعالى الافلاك فى العلو غزير المياه والاشجار كثير النبات والثمار وفى ذيله شجرة قديمة منابتها كريمة أغصانها مهدله وثمارها مسبله كما قيل

وفى أصلها وكر لزوج من الحجل * كأن ربا رضوان ألبسها الحلل

هو وطنهما المألوف ومقرهما المعروف ورثاه من أسلافهما وهو فى الشتاء والصيف مرجع ائتلافهما يدعى الذكر منهما النجدى والانثى غرغرة بنت السعدى ولذلك الجبل جبل مقارن من جهة الشرق يسمى القارن لو قصد البدر دوره أو رفع رأسه لينظر سوره أو يحل

فاضرب لى مثل رجل كثر أعداؤه واحدقوا به من كل جانب فاشرف منهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض اعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم (قال) الفيلسوف ان المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة أبدا وربما حالت المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأى يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا أما من قبل العدو فبالبأس وأما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت فى نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف أو جر مرغوب ومن عمل فى ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا فى الورطة فنجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك (قال) بيدبا زعموا ان شجرة عظيمة كان فى أصلها جحر سنور يقال له رومى وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومى فلم يلبث ان وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب

فيه شعاعه ونوره لوقع عن قمة رأسه طرطوره في قلته سرير عقاب منيع الجناب هوملك الطيور والجوارح وسلطان السوانح والبوارح وصافات تلك القلال وكواسرها تبك الجبال كلها تحت أمره العادل العال متوج فوق رأسه باكليل ما برزه من مثال فكانت الحجلتان كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران عزم أبو الهيثم الكاسر بما معه من عقابين كواسر وجوارح الطيور ومن تحت أمره من الجمهور على التنزه والاصطياد فتحيط عساكره بتلك النواحي والبلاد فكانوا كلما وطئوا ربوة مهودها وسلكوا ما بين أكنافها وبطونها ونهودها تصل طراشة العساكر الى الجبل الذي فيه وكر الحجل فتذهب أفراخهما تحت السنابك وتضمحل تحت أقدام أولئك فتقع الحجلتان في النكد والاحزان وبالجهد والمشقة البالغه يخلصان هما من تلك الداهية الثالغه والنائبة الدامغه فلم يزالا في نكد على فقد الولد فافتكرنا في بعض الايام وقد أثر فيهما هذا الايلام فيما هم فيه من النكد لفقد الولد المتجدد على طول الامد فقال النجدي لبنت السعدي قد كبرنا وضاع العمر وحرنا وقاربت شمس عمرنا للافول وأقدام بقائنا أن تزل وتزول (شعر)

وليس لنا من يذكر الله بعدنا * اذا ما اقتشبنا في مخاليب فقدنا

ولا من يحيي نشر آثارنا اذا طوى الموت بساط أعمارنا وقد قضينا العمر في الانكاد بفراق الاولاد ثم بعد الحياة ينمحى اسمنا ويندرس بالكلية رسمنا فلا حياة هنيه ولا أخرى رضيه وأي هناء مع فراق قرة العين خصوصا على وجه المذلة والشين ومالنا نظير في هذا الدهر المبير الا من جمع المال من حله وغير حله وتركه بعد الكد البليغ والحرص الى غير أهله فيصير كما قيل

تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

ولا طاقة لنا في دفع جيش العقاب ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقاب فذهب أكثر العمر في هذا الويل وأشبهنا النائم على طريق السيل وان غفلنا عن أنفسنا ربما اجتاحونا وطرحونا الى مهلكة تدير علينا من العدم طاحونا فالرأي عندي ان نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد

ذاب قلبي بين دمع وضرم * فارحموني انا من لحم ودم

وذلك لان المرء يحيا بلا رجل ويد ولا تلقاه يحيا بلا كبد قالت لقد اعربت عما في فكري وشرحت ما كان يجول في صدري وهذه محنة قد اعياني في دائها الدواء وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء

المرء يحيا بلا ساق ولا عضد * ولا يعيش بلا قلب ولا كبد

* بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي * وقد قلت

ولم يعرف حرارة ما اعاني * سوى قلب كواه ما كواني

وأنا لم أخل قط في وقت من هذا الفكر الذي أوجب الهم والمقت واعلم ان سهام آراء العقلاء ونبال أفكار ذوي النظر من الحكماء انما تصدر من قوس واحده وتتوجه الى غرض طريقته غير متعدده وقال العقلاء وأولو التجارب من الحكماء بل أطبق أرباب العقول وأئمة الدين وأصحاب الاصول ان قضايا العقل كلها صادقه وألسنتها فيما تحكم به بالصواب والاصالة ناطقه غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقليه لسوء التصور بالقضايا الوهميه فيقع الخطأ بواسطة الوهم في الفهم وينسب الى العقل ذلك السهم والا فاتفاق العقلاء جميعا ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطأ قطعا وان قضايا الحس لوقوع الاشتباه واللبس بتصورانها

ما يأكل وهو حذر من رومي فبينما هو يسعى اذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفي الشجرة بوما يريد اختطافه فتحير في أمره وخاف ان رجع وراءه أخذه ابن عرس وان ذهب يمينا او شمالا اختطفه البوم وان تقدم امامه افترسه السنور فقال في نفسه هذا بلاء قد اكتنفني وشرور تظاهرت علي ومحن قد أحاطت بي وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري ولا يهولني شاني ولا يلحقني الدهش ولا يذهب قلبي شعاعا فالعاقل لا يفرق عند سداد رأيه ولا يعزب عنه ذهنه على حال وانما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغي ان يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمى عليه أمره ولست أرى لي من هذا البلاء مخلصا مصالحة السنور فانه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه ولعله ان سمع كلامي الذي اكلمه به ووعى عني فصيح خطابي ومحض صدقي الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي اياه فتخلص جميعا ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك قال له السنور كما تحب في ضنك وضيق

حق ويقضى لهما وعليها بالصدق واذا وقع الخطأ لحصول الاشتباه وعدم التأمل والانتباه في القضايا الحسية القضايا التى هى بحاسة البصر مرئيه كما وقع ذلك فى حادثة الطريقة البغداديه فوقوع الخطأ بالوهم أولى فى القضايا العقليه لان طرقها أخفى وأكامها معنويه فسأل الذكر عن تلك البغداديه وما هذا الخبر (قالت) كان فى مدينة السلام بغدان امرأة من المتخذات اخدان اسم زوجها زيد وهى أم عمرو وذات كيد لها عدة اخدان تدعو الكل بالاخوان وكل ينشد فى السر والاعلان قوله

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد دعاه أمير البلد الى الصيد فركب معه وسار وخلت منه الديار فتسامع بذلك بعض اخدانها فتوجه منهم طائفة الى مكانها فأول من سبق تاجر وشبق فدخل بثياب بيض وشاش رخيص وهيئة نظيفه وصورة ظريفه فاسرع فى الدخول ومعه ما يليق من المأكول فتلقته بالترحاب وأخذا فى لذيذ الخطاب فما استقر به القرار حتى قرع قارع باب الدار فظنته زوجها وحققته بوجهها فنهض خائفا وتحير راجفا وطلب مكانا يخفيه وكنا يأويه فلم يكن فى دارها مخبأة زوارها سوى طقيسى لطيفه بصعد اليها من سقيفه فارشدته اليها فرقى عليها وبادرت الى الاتحاف فاذا هو حريف صراف ففتحت الاغلاق وتعانقا تعانق المشتاق فدخل بهيئة زهراء بلباس أخضر وعمامة خضراء ومعه من الحلوى مجمع ومن الزجاج أربع فلما تذاكران الحوادث اذ طرق الباب ثالث فقالت هبط أوجى وجاء زوجى فوثب فى رجفه كانه ورقة سعفه فسأل عن مخباه وستر بغشاه فارشدته ربة الكرسى الى طريق الطقيسى فصعد اللاحق ولحق السابق وبادرت الرتاج ربة التاج وام الازواج فاذا هو أحد الظرفاء وثالث الحرفاء رجل زيات ومعه مجمع سكرنبات فتلقته بالتكريم وأجابته بالتسليم فدخل بثوب أصفر وشاش معصفر فشرعا فى الملاعبه والملاطفة والمداعبه فدق الباب رابع الاصحاب فبادر الزيات الفرار وطلب مختفى للقرار فدلته فى المفر الى المعهود المقر فصعد اليه ولحق بصاحبيه وتوجهت الى الباب فاذا هو أحد الاحباب وهو رجل قصاب وعليه ثياب سود وخفه المعهود وعلى رأسه مئزر ثمين وبيده خروف سمين فقالت أهلا وسهلا وارفع محلا بالحبيب النجيب والعهد القريب فدخلا واشتغلا بالخطاب والتهيا عن رتاج الباب وكان فى تلك المحله شخص أحدب ابله يدخل البيوت ويتمسخر فلا يمنع من ذلك ولا يزجر ويلاطفه الاكابر والاعيان ولا يحتجب منه النسوان فمر على باب زيد فرآه لا اغلاق ولا قيد فدخل على غفله ولم يستأذن أهله فلم يشعر ابه الا بعد حلول ركابه فوجم لرؤيته القصاب وخاف من حلول مصاب وتشور وانحرف فقالت له المرأة لا تخف انما هو ابله مسخرة فى المحله فأخذوا يتلاطفون ويتمازحون ويتظارفون الى ان قرب الليل وفات النيل فطرق الباب ووصل الزوج بلا ارتياب فلم يشعروا الا والبلاء قد أقبل ومصابهم الاعظم فى اكنافهم قد نزل فاختبطوا والتبطوا وانحلت قواهم وارتبطوا وطلب القصاب مخبأ فأرته الطقيسى دربا وطلب الاحدب من شرزيد المهرب فكان فى أرض البيت تنور فنزل فيه وهو مضرور وغطته بغطائه وسترته ببعض وطائه وأراب زيدا الفتح فى ابطائه ثم توجهت الى الباب وهى فى اضطراب فدخل زيد وهو سكران ومن تأخير فتح الباب غضبان وكان قد تناول مع مخدومه ولعبت بشيخ عقله بنت كرومه فلما نزل عن السرج رأى الزوجة فى هرج ومرج فانكر

قال وأنا اليوم شريكك فى البلاء ولست ارجو لنفسى خلاصا الا بالذى أرجولك فيه الخلاص وكلامى هذا ليس فيه كذب ولا خديعة وابن عرس ها هو كامن لى والبوم يرصدنى وكلاهما لى ولك عدو فان انت جعلت لى الامان قطعت حبائلك وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة والركاب فى البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف انه صادق قال له ان قولك هذا لشبيه بالحق وأنا ايضا راغب فيما ارجو لك ولنفسى به الخلاص ثم ثم انك ان فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت قال الجرذ فانى سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا أبقيه لاستوثق لنفسى منك ثم اخذ فى تقريض حبائله ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا ثم ان الجرذ ابطأ على رومى فى قطع الحبائل فقال له مالى لا اراك مجدا فى قطع حبائلى فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت فى حاجتى فما ذلك من فعل الصالحين فان الكريم لا يتوانى فى حق صاحبه وقد كان لك فى سابق مودتى من الفائدة والنفع ما قد رأيت وانت حقيق ان تكافئنى بذلك ولا تذكر العداوة التى بينى وبينك فالذى

حالها وسألها مالها فقالت كرهت فقدك وخاطرى عندك فلا ذقت بعدك ولا عشت بعدك
فقال تكذبين أى دفار بل تسخرين بى أى غدار انما أنت فى حركه فلا طرح الله فيك بركه
فقالت أنت مجنون وأى حركة عندى تكون فشرع فى حربها واستطرد من سبها الى
ضربها وعزم على تفتيش البيت والاطلاع على ما فيه من كيت وكيت فخشيت ان يخرج
أمرها عن دائرة الستر الى لو كان وليت فتداركت التفريط قبل وقوعه وبادرت الى تلافى
التلاف بالحيت فتشكت من الاذى وقد تناولها بالضرب والبذا ورفعت يدها الى الدعاء
بالندا وقالت الهى وسيدى وسندى ومعتمدى ان كنت تعلم أنى مظلومه وبراءة ساحتى
عندك معلومه فانزل الى أمتك ملكا من ملائكة رحمتك يخلصها من هذا الظلوم ويكشف
ستر هذا السر الموهوم فبادر التاجر بالانتهاض ونزل بثيابه البياض ودخل عليه وقبض
على أذنيه وصفعه على خديه وقال اتركها يا ظالم فانك معتد آثم وهى بريه وشمائلها
زكيه وضربه ضربتين ولكمه لكمتين ثم أم الباب وترك الاصحاب وشرع فى الذهاب
فلما رأى هذا زيد عرف انه خديعه وكيد وقال يا أخش الفواحش وانحس النواهش
تريدين خدعى وسحرى وخذلى وخترى وتبغين بما تبغين ختلى ومكرى أولست بعريف أنه لك
حريف ثم زاد فى سبها ومادالى كبها وضربها فقالت يا الهى وسيدى وجاهى ان كنت تعلم
ان هذا الاظلم أنكر الحق وراءه وما صدق فأنزل عليه ملكا آخر ذا جناح أخضر يأخذ
بحقى منه ويكشف سترك عنه فقال الحرفاء وكانوا ظرفاء للصيرفى قم غير مختفى وشدد
عليه وأوصل الالم اليه فنهض فى ذلك المعلم وبادر الى السلم ونزل اليه ودخل عليه وقال
اكفف يا ذا العار عن عفيفة الاستار فانها بريه وعما تظنه عريه ومد يده بكمه وبالغ فى
سبه وشتمه ثم خرج من الدار وبالغ فى الفرار فقال يا للدربه من ذى القحبه الناس بواحد
وأنت باثنين وقد جعلت زوجك ذا القرنين ثم أخذ العصا وضربها ضرب من عصى فقالت
يا اله العالمين تعلم ان هذا من الظالمين أمدنى بالملك الاصفر صاحب الدرع والمغفر والثوب
المعصفر يبرئ ساحتى ويهدى راحتى فانى مظلومه وقصتى معلومه فقال الجزار للزيات قم
أرنا الكرامات وقدم صنعتك وهات فنهض الزيات ونزل الى ذلك المفتات وقال أيها اللئيم
كف عن الحريم وارجع عن لوم البرى واقصر أيها المجترى المفترى ثم تناوله بعصاه الى ان آلم
قفاه ثم تركه فى الحركة وخرج هاربا وقصد جانبا فقال زيد يا أوسخ القحاب وانسخ ذوات
السباب تعدين حرفاءك واحدا واحدا وتعرضينهم على صادرا ووارد ا ثم نهض بالعصا
وتناولها بها عليا ومرخصا فادت وآدت وبادت ونادت الهى هذا لم يعتبر بملائكتك الكرام
ولم ينزجر بهذا الضرم والايلام فأمدنى بملك النيران الزنجى الاسود الغضبان يخبره بصدقى
ويأخذ منه حقى ويفعل معه ما يجب فان راجيك لم يخب فاعتم القصاب ان زمجر كرعد
السحاب وأخذ فى الاضطراب والاصطخاب وأسرع فى السلم الانصباب فلما سمع زيد العياط
والخباط وزماجر الهياط والمياط بهت وأخذه الضراط فدخل عليه فى بعثرة وغذمره وتزيا
بصورة بشعة منكره وخطف من يده العصا وضربه بها حتى شصا وقال أى أنحس ذميم
وأتعس زنيم أما زجرك ونهاك وكفك وكفاك من تقدم من الاملاك ايم الله لئن لم تتركها
وفى مالك ومنالك تشركها لا ندمرن ديارك ولنمحون آثارك ثم تركه وذهب وأودعه جمر
اللهب فلما رأى الحال نسجت على هذا المنوال استكان وطلب الامان ومعك عينيه وضم
يديه ورجليه وجعل يتأوه من ألم الضراب وقال كان الدعاء فى هذه الساعة مستجاب ثم

قال

حدث بينى وبينك من الصلح
حقيق أن نستبدل ذلك مع ما فى
الوفاء من الفضل والاجر وما فى
الغدر من سوء العاقبة فان الكريم
لا يكون الا شكورا غير حقود تنسيه
الخلة الواحدة من الاحسان الخلال
الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان
أعجل العقوبة عقوبة الغدر ومن
اذا تضرع اليه وسئل العفو لم يرحم
ولم يعف فقد غدر قال الجرذان
الصديق صديقان طامع ومضطر
وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان
من المضرة فأما الطامع فيسترسل
اليه ويؤمن فى جميع الاحوال وأما
المضطر ففى بعض الاحوال يسترسل
اليه وفى بعضها يتحذر منه ولا يزال
العاقل يرتهن منه بعض حاجاته
لبعض ما يتقى ويخاف وليس عاقبة
التواصل من المتواصل الا طلب
عاجل النفع وبلوغ مأموله وأنا
واف لك بما جعلت لك ومحترس
منك مع ذلك من حيث أخافك ان
يصيبنى منك ما الجأنى خوفه الى
مصالحتك والجأك الى قبول ذلك
منى فان لكل عمل حينا فما لم يكن
منه فى حينه فلا حسن لعاقبته وأنا
قاطع حبائلك كلها غير انى تارك
عقدة واحدة ارتهنك بها ولا اقطعها
الا فى الساعة التى اعلم انك فيها عنى
مشغول وذلك عند معاينتى الصياد
ثم ان الجرذ أخذ فى قطع حبائل
السنور فبينما هو كذلك اذ وافى

قال من شدة كربه وحرقة قلبه الهى ومولاى كما استجبت دعاء هابيل تجيب دعاى وكما أنزلت من السماء لنصرها ملوكها فأخرج لها من الارض عفريتا يتقيها وليكن ذلك برأى من عينى وأمامى حتى يسكن قلبى ويبرد أوامى فصادق صاحب التنور حين سمع الدعاء المذكور والنداء المقبول المشكور حتى طفر من مجثمه كالشواظ المسجور واقام امام لهوه المصاب واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ورفع العمودين وأوجبه المحراب ولازال ذلك الامام يتردد فى البيت الحرام وقد نال فى الحرم أمنا حتى رمى الجمرات وأمنى ثم قبل فاها وخرج مسرعا من ذراها وخلى الدار تنعى من بناها ففتح زيد عينيه وحلق حواليه ثم قال يا أقذر القحاب هكذا يكون الدعاء المستجاب (وانما أوردت) هذا الكلام والتمثيل لك يا امام ليتبين لكل عالم همام وليتبصر أولو العقل والافهام الفرق ما بين قضايا الحسن والعقل والاوهام وقد شبه العقل بجبل عال عزيز المنال وكل من قصد الصعود اليه والارتقاء عليه لا يصعده الا من طريق واحده منها يوصل منه الى الفائده وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء وذوى الآراء والاذكياء فى العداوة والصداقه والكدرة والرياقه واللطافة والكثافه والخوف والرجاء والابتداء والانتهاء انما هو من باب متحد لا من طريق متعدد ولاجل هذا يا متبصر سلوك مثل هذه الطريق معهم متيسر لا متعوج ولا متعسر ورأس خيط هذه السموط بالاستقامة والسلاح مضبوط بخلاف الجهال والخلعاء والحمقى والسفهاء فان أمورهم منفرطه وأفكارهم وآراءهم غير منضبطه فتتكدر خواطر العقلاء فى تعليمهم ويعيا طبيب الفكر فى تهذيب أحمقهم وتأديب سفيههم وقيل

انى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون

والعقل فن واحد وطريقه * أدرى وارصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل خير من مصافاة الجاهل ثم قالت غرغرة فى أثناء هذه القرقره وأما ما ذكرت من البيان من مفارقة الاوطان وترك هذا المكان اما سمعت حديث أشرف جنس الانسان ان حب الوطن من الايمان وقد ألفنا وطننا وحده وقلع اصول محبته من قلوبنا صعبه وهو فى معزل عن طرق الجوارح ومكمن عن السوانح والبوارح وانما تعرض لاولادنا تلك الآفة من تراكم العساكر المصافه وما يحصل من أقدامها من كثافه وأنا أخاف ان انتقلنا من هذا الوطن يخرج من أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق أو لا توافقنا الغربة أو يمنع مانع فى الطريق فنقصد الربح فيذهب رأس المال فنخسر ما فى أيدينا فى الحال ولا يحصل المأمول فى الاستقبال وكيف وهو مسقط راسنا ومحل انسنا وايناسنا فالاولى بنا الرضاء والانقياد لاوامر القضاء وملازمة الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم وقد قيل انما يشفى العليل اذا ترك مشتهيات نفسه وقيد متمنياته فى قيد حبسه ولا بد للمريد من ترك المراد وللقانع من قطع النظر عن الازدياد والحريه فى رفض الشهوات وكل ما هو آت آت وأما وقائع الاولاد وحصول الانكاد وما يقع منها بسببهم فى كل أوان فحسبها احدى ما يحدث لنا من نوائب الزمان ونحن بل كل المخلوقات عرضة للنوائب والآفات وطعمة لسنابك المقدور ونهبة لحوادث الدهور ولو انتقلنا عن وطننا وتحولنا عن سكننا وبعدنا عن هذا الجانب ونزعنا عن الاهل والاقارب وجاورنا الاباعد والاجانب لا يطيب لنا مقام وتتكدر أوقاتنا على مر الايام فلا نزال نتذكر الوطن المألوف ونحن الى الصاحب المعروف فيسهل عنده هذه الانكال مفارقة الاطفال ثم اعلم أيها

الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد فى قطع حبائلى فأجهد الجرذ نفسه فى القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض الاحجار وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبا ثم ان الجرذ خرج بعد ذلك وكره ان يدنو من السنور فناداه السنور ايها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندى ما منعك من الدنو الى لاجازيك بأحسن ما اسديت الى هلم الى ولا تقطع اخائى فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه واضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وآيس من نفعه الاخوان والاصدقاء وان يدك عندى لا تنسى وانت حقيق ان تلتمس مكافأة ذلك منى ومن اخوانى واصدقائى ولا تخافن منى شيأ واعلم ان ما قبلى لك مبذول ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال فناداه الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهى اشد من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذى يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه ويقتله وانما سمى الصديق صديقا لما يرجى من نفعه وسمى العدو عدوا لما يخاف من ضرره والعاقل اذا رجا نفع العدو اظهر له الصداقة

الصاحب الاعظم انه لو تيسر لنا مع الانتقال انتظام الامور واستقامة الاحوال وحفظت الاولاد و الت الانكاد وصفا الوقت وزال المقت فان الخاطر يشتغل ونار القلب بهم تشتعل فانه من حين وجود الولد يتقيد بتعهده القلب والجسد وتصرف الهمة الى القيام بمصالح معاشه الى حين ترعرعه وارتياشه ويزداد القلب تعلقا بمحبته ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته ويتضاعف ذلك يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما فان نابه والعياذ بالله نحو ألم أو أصابه ضر أو سقم التهبت عليه الجوارح وانقلبت الهموم على القلب والجوانح فان آل ذلك الى موت واستحال وجوده الى عدم وفوت فهو المصيبة العظمى والطامة الكبرى وان سلم من هذه العاهات وبلغ سن الادراك سالما من الآفات ونجا الى بر الشباب من بحر المخافات ازدادت كلفته وتضاعفت مؤنته وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول وذهبا من مسالك الكد والكدح في كل عرض وطول وتحملا أنواع المشاق والآثام وارتكبا فيما اكتسبا أصنافا من الحلال والحرام وهذا اذا كان مطيعا ولاوامرهما منقادا سميعا وأما اذا ركب جموح العقوق ونسي ما لهما عليه من حقوق فهي مصيبة أخرى وداهية كبرى ويصير كما قيل

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وعلى كل تقدير وأنت بهذا خبير وبدقائقه عليم ان الاولاد بين الابوين وبين الآخرة سد عظيم ما يخلص مع الالتفات اليهم لله طاعة ولا على الانقطاع منهم الى طريق الآخرة استطاعة وناهيك يا ذا الذكاء والفطنة اخبار من أنقذك من هذه المحنة انما أموالكم وأولادكم فتنة فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق واسلك في سبر معانيه أوضح طريق وحقق يا ذا الارشاد ان وجود الاولاد عند ذوي البصيرة من النقاد نقد مزيف ومتاع مزخرف وسم تحت حلوى وسرور فوق بلوى وعارية مردوده بعد أوقات معدوده وأيام محدوده بل لعبة من خشب مموهة بالذهب وطلاء من نضار على كوب من فخار وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وكما ان الاطفال الصغار الغافلين عن دقائق الاسرار اذا نظروا الى اللعبة المزينه والخشبات المصبغة المستحسنه التهوا بها عن اكتساب الآداب وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب فيبلغون وهم جاهلون وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون ويشيبون وهم احداث ويتصورون انهم طاهرون وهم أخباث كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره والتهت بامور الدنيا من المال والولد سرائره وضمائره وحرم من الاطلاع على دقائق الملك والملكوت وفاته لذات الوقوف على دقائق الرغبوت والرهبوت فهو عن الله تعالى محجوب وفي عساكر الاموات وان كان حيا محسوب كما قيل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * وأجسادهم دون القبور قبور

وان امرأ لم يحي بالعلم قلبه * فليس له حتى النشور نشور

قال الله تعالى وكلمته العليا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا صريح بالشهادة على ما نقلته وجلوت صدا قلبك بتقريره وصقلته فلا تكونن لاه ولا تعلقن قلبك بغير الله قولا واعتقادا وعملا فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا واجهد يا حبيب في اصلاح قلبك الكليم واصغ لما قاله الحكيم الحليم متحرزا من نكاية العذاب الاليم عاملا بما يرضي السميع العليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم واذا علمت هذا

وحققته

واذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة الاترى تتبع البهائم امهاتها رجاء البانها فاذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله فلم يخف شره لان اصل امره لم يكن عداوة فأما من كان اصل امره عداوة جوهرية ثم احدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فانه اذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار الى أصل امره كالماء الذي يسخن بالنار فاذا رفع عنها عاد باردا وليس من اعدائي عدو اضر لي منك وقد اضطرني واياك حاجة الى ما احدثنا من المصالحة وقد ذهب الامر الذي احتجت الي واحتجت اليك فيه وأخاف ان يكون مع ذهابه عود العداوة ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ولا للذليل في قرب العدو العزيز ولا اعلم لك قبلي حاجة الا ان تكون تريد اكلي ولا اعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة فاني قد علمت ان الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب الى السلامة من القوي اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل

وحققته وحررته وصدقته فاعلم ان الاولى بحالنا والاحسن للنظر فى مآل لنا أن نعد مانحن فيه من جملة النعم وان هذا الذى قسم لنا من القسم فى القدم ولا ننقل عن دائرة الرضا والتسليم قدما عن قدم وننظر ما يتولد من حوادث الزمان ولا نرخى فى ميدان الطمع العنان ونعرض على جامح الخاطر ماقال الشاعر

كم نار بادية شبت لغير قرى * على بقاع وكم نور بلا ثمر
هون عليك أمورا أنت تنكرها * فالدهر يأتى بأنواع من العبر

قال النجدى جميع هذا المقول صادر من موارد المعقول موافق لما ورد به المنقول لقد غصت فى بحر الفطنه على جواهر الحكمه فما تركت فى ميدان المسائل مقالا لقائل ولا مجالا لجائل ولكن لا ينبغى للعاقل ان يغفل عن حوادث الدهر ولا يستظهر لكواذب العصر فان طوارق الآفات وخوارق العادات ومحن الزمان وفتن الدوران محتجبة وراء استار ومستورة فى أنواع أطوار والفلك الدوار له فى علم الادوار لعبيات أبكار يبرزها للنظار فتلعب بالافكار ويذهب فى سنا برق مخارفها أبصار الابصار ويخطئ فى حركاتها الرأى المصيب ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب وقد بادت الفكر وعجزت القوى والقدر وحارت عقول البشر دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور من وراء ستر الغيب مستعد القضاء والقدر ولم يعهد من الدهر الخؤن والزمان المجون اذا استقام أوقزل أوجد أوهزل أوأمر بنازل فنزل أوولى أوعزل أواقبل أواعتزل أونقض أوغزل ان يرسل قبل ذلك منذرا أومبصرا أومحذرا ليستيقظ النائم أوينهض الجاثم أويتحرك القائم وانما يحطم بغتة ويهجم فى سكته ويأخذ على بهتة فلا يفلت منه فلته ولا يمهل الى لحظة ولا لفتة وقد قيل

ياراقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تركنن لليل طاب أوله * فرب آخر ليل أوقد النارا

وعلى هذا لو وقع منا غفلة أوذهول عند قدوم هذا الجيش المهول فاخترم والعياذ بالله واحدا منا ونحن أحسن ما نكون سكونا وأمنا فكيف ترين يبقى حال الآخر وهل يصير الا كما قال الشاعر

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

واذا بقى أحدنا منفردا وانعزل متوحدا ماذا يفيده الوطن والجيران والسكن وهل تفى لذة وصال الفى سنه بألم فراق تلك الساعة الخشنه كما قيل

ان كان فراقنا على التحقيق * فذى كبدى أحق بالتمزيق
لودام لنا الوصال الفى سنة * ما كان يفى بساعة التفريق

(وقال أيضا)

لا كان فى الدهر يوم لا أراك به * ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يتفكر فى العواقب قبل حلولها ويتأمل فى تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها ويطمئن الى سكون الزمان ويستظهر الى مسند الحدثان ويحيل الكوائن على القضاء والقدر ويرفع يد التدبير عن تعاطى أسباب الحذر كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغه وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغه فأنى يستقيم محمله أويبلغ منزله فلا يزال حمله مائلا وخطبه هائلا فالعاقل يسعى فيما يظن نفعه ويبذل فى ذلك غاية جهده ووسعه ولا يترك الطلب ولا يغفل عن السبب ويعمل بموجب ما قيل

فلا وأبيك لا أدع احتياطى * ومالى فى قضاء الله حيله

وعلى كل حال ياربة الجمال تعاطى الاسباب لا يقدح فى الاتكال وناهيك بامليحة العمل

الانصراف عنه حين يجد الى ذلك سبيلا واعلم ان سريع الاسترسال لا تقال عثرته والعاقل يفى لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغى أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك البقاء والسلامة مالم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك ان تجازينى على صنيعى الا بمثل ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام

* انقضى باب الجرذ والسنور

{ باب ابن الملك والطائر فنزة }

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل أهل الترات الذين لابد لبعضهم من اتقاء بعض (قال) بيدبا زعموا ان ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق وكان الملك بهما معجبا فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق ان امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتى بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها ويطعم فرخه شطرها فأسرع ذلك فى نشأتهما وزاد فى

حكاية الحمار مع الجمل فسألت غرغره ان يبين ذلك ويذكره (قال) بلغنى أنه توافق فى المسير عير مع بعير فكان الحمار كثير العثار مع ان عينيه تراقب مواطئ رجليه وكان الجمل على عظم هامته وعلو قامته وبعد عينيه عن مواطئ يديه ورجليه لا تزل له قدم ولا يصل اليه ألم فقال الحمار للبعير أيها الرفيق الكبير مابالى فى المسير كثير التعثير دائم الوقوع والزلل والعثار والخطل لا أخلو من جريد مى منى الحافر أو عثرة ترمينى فى حفرة حافر مع ان عينى تراقب يدى ولا تنظر سواهما الى شئ وأنت لا تنظر مواطئ اخفافك ولا تعرف على ماذا تقع رؤس أطرافك لا حجر يصيب خفك ولا شوكة تخرق كفك ولا جورة تقع فيها ولا تختل عن طريق تمشيها ولا أدرى هذا مماذا قال أبو صابر يا أخى نظرك قاصر وفكرك غير باصر لا تراقب مابين يديك ولا تنظر ما امامك ألك أم عليك فاذا دهمك ماده هاك عجزت عنه نهاك فلا تشعر الا وقد وقعت وانخرق مارقعت فلا يمكنك التدارك والتلاف الا وأنت رهين التلاف وأما أنا فأراقب مايصير من العواقب وانظر أمامى الطريق على بعد فأميز المسلوك من قبل ومن بعد فلا أصل الى صعب الا وقد ذللته ولا الى وعر الا وقد سهلته ولا الى وهدة الا وقد عرفت طريقها ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها ومضيقها فأستعد للامر قبل نزوله وأتأهب للخطب قبل حلوله واحتال لقطعه قبل وصوله واحله قبل ان يعقد وأقيه دون أن يقعد وهذه قاعدة للفقهاء وأصل كبير للحكماء من العلماء انهم قالوا ان الدفع أهون من الرفع ومن كلام الالباء وأصول حذاق الاطباء قوله

الطب حفظ صحة برء مرض * من سبب فى بدن اذا عرض

(وانما) أوردت هذا المثل عن الحمار والجمل لتعلمى يا ست الحجل انه لابد لنا من اخذ الاهبه قبل النكبه فما كل مره تسلم الجره وقد قرب وقت وضع البيض وبعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض فلابد من اعمال الفكر المصيب فى وجه الخلاص من هذا الامر العصيب كما قيل * مهد لنفسك قبل النوم مضطجعا * قالت غرغره الحكيمة المدبره جميع هذه الاخبار لا تخلو عن دقيق الانظار وتحقيق مصيب الافكار وغامض معانى الاسرار وكل عاقل يقبله ويقبل يديه ويمتثله ويقبل عليه وكل فكر مصيب يجثو للاقتباس بين يديه ولكن طلاب الاغراض الدنيويه والمسارعون الى نيل المرادات والامنيه على فرق شتى وانا افصلها احتماديى منهم من يبلغ الآمال بقوة الجند وبذل الاموال ومنهم من يساعده الدهر ويعاضده معاون العصر وينهض له مسعد القدر فيقوم معه كل كبير وصغير كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيقيض له المساعد ويعضده المقارب والمباعد فلا يحتاج الى كبير سعى ولا فى استماع النصيحة ونفعها الى وعى بل يصل الى قصده بدون كده وبغير جهده وجده فهما فعل أنجح ومهما قصد افلح وحيثما توجه اربح وانما مال ارجح ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد وسعى مديد وكد طويل عريض وجد عريض غير غريض مع مساعد ناصح ومعاون صالح وتعاطى اسباب وقرع ابواب وفكر دقيق ومسعد رفيق حتى يبلغ مراده ويصل الى ما اراده ومنهم من تغلب عليه العجلة والطمع وشدة الحرص والهلع فيسارع الى قبل ما يرومه فيلقيه فى هوة الحرمان حرصه وشومه فيقع من التعب والنصب فى هوة ويحرم لكونه اعتمد على ماله من حول وقوه فيصير كما قيل

الحرص فوتنى دهرى فوائده * فكلما ازددت حرصا زادت تفويتا

ومنهم

شابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لقنبرة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وقنبرة غائب فى اجتناء الثمرة وفرخه فى حجر الغلام فذرق فى حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الارض فمات ثم ان قنبرة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء وويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حمية لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا الى ماعنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا اخاء ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبنى على الرياء والفجور وهم يستصغرون مايرتكبونه من عظيم ويستعظمون اليسير اذا تخالفت فيه أهواؤهم ومنهم هذا الكفور الذى لا رحمة له الغادر بأليفه وأخيه ثم وثب فى شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه ثم طار فوقع على شرفة المنزل ثم انه بلغ الملك ذلك فجزع أشد الجزع ثم طمع ان يحتال له فوقف قريبا منه وناداه وقال له انك آمن فانزل يا قنبرة فقال له أيها الملك ان الغادر مأخوذ بغدره وانه ان اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل حتى انه يدرك الاعقاب

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل ويرجو ويترقب ويتساهل فيحرم مقصده ويرده عجزه عن مراده بيده وقد قيل فى المثل تزوج التوانى بنت الكسل فأولد الزوجان الفقر والحرمان فانظر باذا الركون والوقار والسكون نحن من اى هذه الفرق نكون وانت تعلم انا لانقدر على مقاومة العقاب ولا ان ندفع عن انفسنا ما ينزل بنا من عقاب فانه اذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن اذا تحركنا فى الهوا فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى وقد قيل فى المثل كما ترى اين الثريا من الثرى وقيل من تعلق بخصم هو أقوى منه فقد سعى فى هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على راسه بيده وكنت يا بدرى انشدتك من شعرى

ومن يتشبث فى العداوة كفه * باكبر منه فهو لا شك هالك

وكان مثله مثل النملة الخفيفه التى نبتت لها اجنحة ضعيفه فحركها دواعى الطيران فتتصور انها صارت كالنسور والعقبان فبمجرد ما ترتفع عن الثرى الى الهواء التقمها عصفور او خطفها اصغر الطيور ولهذا قيل

اذا ما أراد الله اهلاك نملة * اطال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن ما لنا اطلاع على مكامن الغيب فنزه نفسك عن هواجس الريب وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد ولا لنا مال ولا خيل ولا رجال ونحن اقل من ان يساعدنا زمان او يعيننا على العقاب اعوان فلم يبق الا الركون والاتكال على حركات السكون فما ندرى غدا ماذا يكون واعلم ان حركاتنا مع العقاب والجامع لنا معه من الاسباب متحدة فى الحقيقه وطريقتنا معه من جنس ماله من طريقه وهى الطيريه وكلنا فيها سويه وهو منها كاعجاز القرآن من الفصاحة فى الطرف الاعلى ونحن منها كاصوات الحيوان فى الطرف الادنى فالاولى بحالنا الاصطبار الى ان يصل لكسرنا من عالم الغيب انجبار كما قيل

مهلا أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفئها * آذنها الله بتطليق

(وقيل)

الامر يحدث بعده الامر * والعسر مقترن به اليسر
وحلاوة الصبيان من عسل * تلهى وان حلاوتى الصبر
والصبر يعقب بعده شكر * من نعمة تأتيك او أجر

فقال الذكر هذه الفكر من الصواب قريب وسهمها عند اولى البصائر والتجارب مصيب ولكن من يتكفل بوفاء العمر الغدار والايصال الى الاوطار ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار وانسيت انشادى فى الوادى يا زين النادى وجمال الحاضر والبادى

لئن بادرت فى تسليم روحى * اتانى من ورائى من يعوق
وان اسرعت نحو الوصل عذرا * فعمرى من وراظهرى يسوق

ثم قال البخدى والرأى السديد عندى والذى اعيده فيه وابدى ان نتوجه الى حضرة العقاب ونكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب ونطلب منه الامان من عوادى الدهر ونكبات الزمان ونستظل بجناح عاطفته وننتظم فى سلك جماعته وخدمته فانه ملك الطيور وبيده ازمة الجمهور وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخاليبه النواسر لكنه ملك عالى الهمه ومن شيم الملوك الشفقة والرحمه ولا تقتضى همته العاليه الا الشفقة الوافيه خصوصا على من يرتمى لديه ويلتجى اليه ولا تدعه شيمته الانسيه وهمته العالية الحميه وشمائله الشهمة الملوكيه ان يتعرض الينا بضرر او ان يطير الينا منه

واعقاب الاعقاب وان ابنك غدر بابنى فعجلت له العقوبة قال الملك لعمرى قد غدرنا بابنك فانتقمت منا فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وتر مطلوب فارجع الينا آمنا قال فنزه لست براجع اليك ابدا فان ذوى الرأى قد نهوا عن قرب الموتور فانه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته اياك الا وحشة منه وسوء ظن به فانك لا تجد للحقود الموتور امانا هو اوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه والاحتراس منه اولى وقد كان يقال ان العاقل يعد أبويه أصدقاء والاخوة رفقاء والازواج ألفاء والبنين ذكراء والبنات خصماء والاقارب غرماء ويعد نفسه فريدا وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من الحزن عبأ ثقيلا لا يحمله معى أحد وأنا ذاهب فعليك منى السلام قال له الملك انك لو لم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الامر كما ذكرت وأما اذ كنا نحن بدأناك فاذنبك وما الذى يمنعك من الثقة بنا هلم فارجع فانك آمن قال فنزه اعلم ان الاحقاد لها فى القلوب مواقع ممكنة موجعة فالالسن لا تصدق فى خبرها عن القلوب والقلب اعدل شهادة من

ثم قالت غرغره بعد الاستغراب فى الكركره العجب كل العجب من رأيك المتخب انك تخلط منه الغث بالسمين وتسوق فيه الوعان مع الهجين فتارة تصيب حدقة الغرض واخرى تصرف السهم حيث عرض فتصير كما قيل

تلونت حتى لست أدرى من الهوى * أريح جنوب أنت أم ريح شمال

هذه المصائب التى نشكوها والنوائب التى نقرأ سورها ونتلوها هل هى غير ما نقاسيه من العذاب ونعانيه من أليم العقاب فى لحظة من ملاقاة عسكر العقاب ثم انك أنت تحركت فى آرائك وسكنت وشرقت فى أفكارك وغربت وتباعدت وتقربت وارتفعت وحططت وامتنعت وسقطت وجلت وحمت وقعدت وقمت ثم أسفر رأيك السديد وفكرك الرشيد وأمرك السعيد عن أن تجرنا بسلاسل الحديد الى العذاب الشديد وتخلدنا فيه الدهر المديد ولا والله بل تريد ان نمشى بارجلنا الى الشبكه ونلقى بايدينا أنفسنا الى التهلكه وقد أشبهت فى هذه الحركه مالكا الحزين والسمكه فقال النجدى لابنة السعدى اريحى وغنى * شكوى الجريح الى العقبان والرخم * فقالت له أزل الغصه بقص هذه القصه (فقال) كان فى بعض المروج من قرى مروج نهر كثير الحيتان شديد الجريان وفى مكان منه مصون مأوى لمالك الحزين الماشون فكان يتصرف فى السمك تصرف المالك فيما ملك قضى فى ذلك عمره وزجى أوقاته فى طيب عيش ومسره الى ان أدركه المشيب ورحل عنه العمر القشيب وكساه خياط الدهر دلق ومن نعمره نكسه فى الخلق ورأى من الكبر أصناف العبر الى ان ضعفت قوته عن الاصطياد وجرى عليه من الآلام والانكاد ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد فصار يمر عليه برهة من الاوقات وهو عاجز عن تحصيل الاقوات فتوجه فى بعض الاحيان وقد علته كآبة الاحزان ووقف على النهر متفكرا فى تصرفات الدهر فمرت به سمكه لطيفة الحركه فرأته فى ذل الانكسار سابحا فى بحر الافتكار لا قدرة له ولا حركه ولا نهضة لاختطاف السمكه فلم يلتفت اليها ولا عول عليها وقد أوطأته الحوادث اقدام الهموم الكوارث وبدل ربيع شبابه بخريف الهرم وحرارة حربه ببرودة السلم فوقفت لديه وسلمت عليه وسألته عن موجب تفكره وسبب تحزنه وتحيره فقال تفكرت ما مضى من الزمان الناضر وما نقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر وقد تبدل وجوده بالعدم ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم وقد وهنت العظام واستولى على الجسد السقام وتزلزت أركان الاعضاء وتراكمت فنون الادواء واشتعل الشيب واتقد وحر الآلام وقد

عزمت على اخلاء جسمى روحه * من خرق شيب كل عنه الراقع

قالت اسكنيه باعمارة عمره * قالت فكيف وبيت جسمك واقع

ثم قال ولم افق من هذه السكره ولا وقعت فى هذه الفكره الا وسفينة العمر بالساحل قد أرست وأصيل شمس العيش على قلة الفناء أمست فما أمكننى الا التلافى بالتوبة والندم قبل حلول نوائب الاجل وزلة القدم والتطهر من جنابة المظالم بمياه الاستعبار والالتجاء الى جانب الحق بالالظاظ فى الاستغفار وغسل أوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب للرأس شامل

فاعلمى ان جامح هواى قلع ضرس الآمال والطمع وجارح متمناى نزع خوافى الشره والهلع وقد قدمت الى هذا المكان لا تحل من الاسماك والحيتان فانى طالما أغرت على عشائرهم

واولادهم

اللسان على القلب وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك ولا قلبك للسانى قال الملك ألم تعلم ان الضغائن والاحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد أحرص منه على تربيته قال فنزه ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس ينبغى لذى الرأى مع ذلك أن يظن ان الموتور الحقود ناس ما وتر به ولا مصروف عنه فكره فيه وذو الرأى يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم ان كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشى بالفيل الداجن قال الملك ان العاقل الكريم لا يترك الفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ وان هو خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون فى اوضع الدواب منزلة فقد علمت ان اللاعبين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذى قد الفهم ذلك فلا يدعوه الى مفارقتهم ولا يمنعه من الفته اياهم قال فنزه ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت فاخوفها واشدها ما كان فى انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدرك والطلب بالوتر مكرمة وفخرا وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد فى

وأولادهم وخضت فى دماء قلوبهم وأكبادهم وشتت شملهم وخوّفت جلهم وقلهم وارغبتهم وأرهبتهم واقلقتهم وفرقتهم وغربتهم وبالدماء شرقتهم فرأيت براءة الذمة فى الاولى اولى والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى احرى فلعل أحمال الذنوب تخف وسحائب الغفران تكف فلما سمعت السمكة هذه الخديعة ووعت ما فيها من حركة بديعة تشربتها اضلاعها ودعاها انخداعها الى ان قالت فما ترى ايها العبد الصالح ان أتعاطاه من المصالح فقال ابلغى السمك هذا الكلام بعد ابلاغ التحية والسلام وان يكون القوم من بعد اليوم آمنين من سطواتى سالمين من حملاتى ساكنين الى حركاتى بحيث تنجلى الظلماء ويعود بيننا الحرب سلما وينام السمك فى الماء قالت لابد من أخذ العهود على الوفاء بهذه العقود واقامة المصافحة على المصالحة ثم تأكيد الايمان بخالق الانس والجان ولكن كيف اصافحك وانا طعمتك وانى اتخلص من فيك اذا وضعت فيه لقمتك قال لها ارمى هذا العلف واربطى به حنكى لتأمنى التلف فأخذت قبضة من الحشيش وفتلت والى ربط فكه اقبلت فعندما مد منقاره الى الماء وقربت منه السمكة العمياء لم يفتر ان اقتلعها ثم ابتلعها (وانما اوردت) هذه اللطيفة باذا الحركات الظريفة لتعلم ان قربنا من العقاب التى بنا أنفسنا الى اليم العقاب واين عزب عنك نهاك حتى تسعى بنا الى عين الهلاك ونحن قوت العقاب وغذاؤه ولداء جوعه شفاؤه ودواؤه وهل يركن الى العقاب ويؤمن منه ضرب الرقاب وقد قيل

انفاسه كذب وحشو ضميره * دغل وقربته سقام الروح

وقد قيل أنهاك انهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال النجدى اسلى يا قرينة الخير واعلمى ان الريح وقت الربيع تكسو اكناف الاشجار أنواع الازهار ووجه الصحارى والقفار من أنوار الانوار ما يدهش البصائر ويروق الابصار وينعش الاجسام ويشفى الاسقام ويبرد الغليل ويبرئ العليل لاسيما وقت السحر ونسيم الصبا فى ضوء القمر يربى القلب والروح ويحيى الصب المجروح وكذلك المعرفات النشر واللواقح والمعطرات بطيب الروائح ودونك قول الحق فى كلمته ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وفى المصيف الحرور العسيف والسموم العصيف المذيب المذيف وفى الشتاء وأيام الخريف الصرصر الخفيف يصفر اللون ويغبر الكون ويعرى الاشجار ويسقط الثمار ويثير الغبار وربما كانت اعصارا فيه نار وتسقم الصحيح وتطير الهشيم فى الريح ومنها الاعجاز الموحشات والايام النحسات والقواصف والعواصف والحواصب والرواجف والصرصر والنكباء والزعزع والرخاء وقد قال فيها العزيز العليم فارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم ثم اعلمى يا ربت الحجال وفتنة الرجال ان النار تحرق من يقربها وتذهب ما يصحبها وتنشف الطراوة وتشوه الطلاوة وتلتقم ما تجده وتلتهمه وتزدرده وتسود بدخانها وتؤلم الاجساد بقربانها وتعفو الآثار وتهدم الديار مع انها تنضج الاطعمة وتصلح الاغذية وتهدى النور وتدفى المقرور وترشد الضلال فى القفار ورؤس الجبال قال من يقول للشئ كن فيكون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين وكذلك الماء يا ذات الثغر الالمى يذهب الظما ويجلب النما ويبرد الصدور ويطفئ الحرور وينبت الزروع ويدر الضروع ويحمل المراكب وما فيها من مركوب

القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد متطلعا الى العلل كما تبتغى النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شئ دون تلف الانفس مع انه رب واتر يطمع فى مراجعة الموتور بما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه ولكنى انا اضعف عن ان اقدر على شئ يذهب به ما فى نفسك ولو كانت نفسك منطوية لى على ما تقول ما كان ذلك عنى مغنيا ولا ازال فى خوف ووحشة وسوء ظن ما اصطحبنا فليس الرأى بينى وبينك الا الفراق وانا اقرأ عليك السلام قال الملك لقد علمت انه لا يستطيع احد لاحد ضرا ولا نفعا وانه لا شئ من الاشياء صغير ولا كبير يصيب احدا الا بقضاء وقدر معلوم وكما ان خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس الى الخلائق منه شئ كذلك فناء ما يفنى وهلك ما يهلك وليس لك فى الذى صنعت بابنى ذنب ولا لابنى فيما صنع بابنك ذنب انما كان ذلك كله قدرا مقدورا وكلانا له علة فلا نؤاخذ بما اتانا به القدر قال فنزة ان القدر لكما ذكرت لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقى المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع تصديقا بالقدر واخذا بالحزم

راكب قال القادر على كل شى وجعلنا من الماء كل شئ حى واذا طغت المياه والعياذ
بالله اغرقت المراكب وخطفت الراجل والراكب واقتلعت الاشجار واقتطعت الاحجار
واتلفت الزروع والثمار وان تراكمت الامطار قطعت سبل الاقطار وهدمت الديار وردمت
الآبار وسل عن ذلك ملابس الاسفار ومجالس الرتب من أهل الامصار واذا تكاثف
الرش غرقت مصر واذى أهلها العطش ونعوذ بالله من هجوم السيل فى ظلام الليل وكذلك
التراب يازين الاحباب ينبت الحصرم والعنب والثمر والحطب والشوك والرطب
ويشرع سنان الشوك المحدد وغصون السهم المسدد ويربى الورد والازهار والرياحين
والانوار والاقوات والثمار والرياض النضره والغياض الخضره ثم اذا ثار وهاج الغبار
خرج من تحت الحوافر فاعمى النواظر ففيه الحلو والمر والزوان والبر والناعم والخشن
والقبيح والحسن والارض مهاد وفراش وفيها أسباب المعاش وهذه المضرة والمنفعة
مركبة فى هذه العناصر الاربعة التى هى أصل الكائنات وسنخ ما نشاهده من المخلوقات
واذا كان ذلك كذلك وقاك الله شر المهالك وأوضح لك أوضح المسالك فاعلمى بالتحقيق
ياصاحبة الثغر العقيق ان هذا الملك الاعظم بل كل أولاد بنى آدم مركبون من الرضا
والغضب والحلم والصخب والرفع والحط والقبض والبسط والقهر واللطف والظرافة
والعنف والخشونة واللين والتحريك والتسكين والبخل والسخاء والشدة والرخاء والوفاء
والجفاء والكدورة والصفاء واعلمى يا نعم العون وقرينة الصون ان هذا الكون سروره
فى شروره مندمج وورده فى صدوره مندرج وصفاؤه مع كدره مزدوج وجفاؤه بوفائه
ممتزج فيمكن ان العقاب لكونه ملكا مالك الرقاب مع وجود هيبته القاهره وسطوته الباهره
وخلقه الشرس الصعب الشكس اذا رأى ضعفنا وذلنا وانكسارنا وقلنا وترامينا لديه وتعولنا
عليه يضمنا الى جناح عاطفته ويسبل علينا خوافى مرحمته ويعاملنا بالالطاف ويسمع
لنا بالاسعاف دون الاعساف ويعمل بموجب ما قيل

لكل كريم عادة يستعدها * وانت لكل المكرمات امام

والقادر على الكسر والجبر لاسيما اذا كان من ذوى النباهة والقدر لا يعامل ذوى الكسر
بالكسر لانا فى مقام الابناء وهو فى مقام الابوه والتقوى على الضعيف ضعف فى القوه وقالوا
المصغر لا يصغر ويجدة السهو لا تكرر قالت غرغره ذات التبصره هذا وان كان داخلا فى
حيز الامكان لكن أخاف ياذا الالطاف أنا بمجرد الوقوف بين يديه فى الصفوف لا نمهل
باداء الكلام ولا للثبات فى المقام بل نعامل بالتمزيق والتخريق وتتهر بعد فى الطريق
وتهوى بنا خواطف الطير فى مكان سحيق فيفوتنا هذا المطلب اذ قبل الطبع أغلب وهذا
اذا وصلنا اليه وتمثلنا بين يديه واما اذا اعترضنا دونه عارض وجرحنا من جوارح الطير معارض
ولا حول يحمينا ولا قوة تنجينا فينتف ريشنا كل باغ ويتجاذب لحمنا كل طاغ فيصير
مثلنا مثل النمس والزاغ فسأل اليعقوب تلك الرقوب كيف هذا المثل أخبرينى ياست
الحجل (قالت) كان فى بعض البساتين العاطره والرياض الناضره مأوى زاغ ظريف حسن
الشكل لطيف فى رأس شجرة عاليه أغصانها سامية وقطوفها دانيه فاتفق لنمس من
النموس فى وكره ضرر وبوس فانزعج عن وطنه واحتاج الى مفارقة سكنه فقاده الزمان
الى هذا المكان فراقه منظره وشاقه نوره وزهره وأعجبه ظله وثمره وأطربه بخريره نهره
فعزم على السكنى فيه وتوطن الى أن يتوطن فى نواحيه اذ رآه أحسن منزل واذا أعشبت

فانزل

والقوة وانا اعلم انك تكلمنى بغير
ما فى نفسك والامر بينى وبينك غير
صغير لان ابنك قتل ابنى وانا فقأت
عين ابنك وانت تريدان تشتفى
بقتلى وتختلنى عن نفسى والنفس
تأبى الموت وقد كان يقال الفاقة بلاء
والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق
الاحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء
وراس البلا يا كلها الموت وليس
احد باعلم بما فى نفس الموجع
الحزين ممن ذاق مثل ما به فانا بما
فى نفسى عالم بما فى نفسك للمثل
الذى عندى من ذلك ولا خير لى فى
صحبتك فانك ان تتذكر صنيعى
بابنك وان اتذكر صنيع ابنك بابنى
الا احدث ذلك لقلوبنا تغييرا قال
الملك لا خير فيمن لا يستطيع
الاعراض عما فى نفسه ويهمله
وينساه حتى لا يذكر منه شيأ ولا
يكون له فى نفسه موقع قال فنزة ان
الرجل الذى فى باطن قدمه قرحة
ان هو حرص على المشى لا بد انه لا يزال
يشتكى قرحته والرجل الارمد
العين اذا استقبل بها الريح تعرض
لان تزداد رمدا وكذلك الواتر اذا دنا
من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك
ولا ينبغى لصاحب الدنيا الا توقى
المهالك والمتالف وتقدير الامور وقلة
الاتكال على الحول والقوة وقلة
الاغترار بمن لا يؤمن فانه من اتكل
على قوته فحمله ذلك على ان يسلك
الطريق المخوف فقد سعى فى حتف

فانزل ووقع اختيار ذلك الطاغ على وكر فى أصل شجرة الزاغ فسوى له وكرا وحفره فى أصل تلك الشجره وألقى عصا التسيار واستقرت به هناك الدار فلما رأى الزاغ هذه الحال داخله الهم والاوجال وخشى ان يتدرج من أدناها ويتدحرج الى أعلاها وينشد الاصحاب فى هذا الباب

ولما مضى الشوق * الى نحو أبى طوق
تدحرجت والكنى * من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم ويذيقه العذاب الاليم فليس له خلاص من هذا الاقتناص الا مفارقة الوطن والانزعاج بالتحول عن السكن وكيف يفارق ذلك النعيم ويسمح بالبعد عن الوطن القديم وهو كما قيل

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه ثم اعتراه فى ذلك الوسواس وأخذ يضرب أخماسا لاسداس فى وجه الخلاص من هذا الباس فرأى المدافعة أولى والممانعة عن جوارحه لخاطره أجلى ثم افتكر فى كيفية المدافعة وسلوك طريق الممانعة فلم ير أوفق من المصادقة وتعاطى أسباب المخادعه ليقف بذلك أولا على حقيقة أمره ويعرف معيار خيره وشره ويصل الى مقدار قوته وضعفه ورصانة عقله وفهمه وسخفه ويسبر حالتى غضبه ورضاه ويدرك غور أحواله ومنتهاه ثم يبنى على ذلك أساس دفعه وهدم ما يبنيه من قلعته لقلعه فهبط الى النمس من الهواء وحفظ شيأ وغابت عنه أشياء وسلم عليه سلام المحب على الحبيب وجلس منه بمكان قريب وخاطبه خطاب ناصح لا مريب وابتهج بجواره واستأنس بقرب داره وذكر له انه كان وحيدا وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا وقد حصل له الانس بمجاورة النمس وانه صدق من قال فى هذا المقال

انفراد المرء خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ وما طغى بصر بصيرته عن مكايده وما زاغ ثم افتكر فى نفسه ونظر فى مرآة حدسه فرأى ان هذا الطير بخبث السيرة مشهور وبسوء السريرة مذكور لا أصله زكى ولا فرعه على ولا غائلته مأمونه ولا صحبته ميمونه ولا خير عنده ولا مير بل يخشى منه الضرر والضير وكأنه فيه قيل

وهو غراب البين فى شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقه ولا واسطة محبة ولا صداقه وأما العداوة فانها مستحكمة وكل منا للآخر مأكلة ومطعمة ولا أشك انه انما قصد طريقة سوء ومكيدة نكد فان أضعت فيه الفرصه أطلت الغصه ووقعت من الندامة فى قصة وحصه ولا يفيدنى اذ ذاك الندم أنى وقد فات المطلوب وزلت القدم * وأحزم الحزم سوء الظن بالناس * فالذى يقتضيه الحزم والرأى السديد والعزم القبض عليه الى ان يظهر ما لديه ثم وثب من مربضه وأنشب فى الزاغ مخاليب مقبضه وقبضه قبضة أعمى لا كالقابض على الما فلما رأى الزاغ هذا النكد وانه قد صار كالفريسة فى مخاليب الاسد ناداه يا كريم الخير ويا أيها الجار الحليم عن الضير أنا رغبت فى مصادقتك وجئتك محبا فى موافقتك ومرافقتك وأردت ازالة وحشتك ومؤانستك بابعاد دهشتك وحاشاك ان تخيب ظنى فيك وتعامل بالجفاء من يوافيك وأنشده

وحاشاك ان تمشى بوجهك معرضا * وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن

نفسه ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه ومن لم يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه فربما غص بها فمات ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر فى القدر الذى لا يدرى ما يأتيه منه ولا ما يصرفه عنه ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك والعاقل لا يثق باحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا وانا كثير المذاهب وارجو ان لا اذهب وجها الا اصبت فيه ما يغنينى فان خلالا خمسا من تزودهن كفينه فى كل وجه وآنسنه فى كل غربة وقربن له البعيد واكسبنه المعاش والاخوان اولهن كف الاذى والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الريب والرابعة كرم الخلق والخامسة النبل فى العمل واذا خاف الانسان على نفسه شيأ طابت نفسه عن المال والاهل والولد والوطن فانه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا وشر المال ما لا انفاق منه وشر الازواج التى لا تؤاتى بعلها وشر الولد العاصى العاق لوالديه وشر الاخوان الخاذل لاخيه عند النكبات والشدائد وشر الملوك الذى يخافه البرىء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته وشر البلاد بلاد

والكرام لا يعاملون الجلساء الا بالمؤانسة وحسن الوفاء والابقاء على خير وأبعد من الضمير وأنا قد صرت جليسك وجارك وأنيسك وقد قيل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى لقعقاع جليس

مع أنه لم يسبق منى سبب عداوة ولا ما يوجب هذه الفظاظة والقساوة وهذه أول نظرة فما موجب هذه البدرة وما سبب هذه النفرة قال النمس أيها الزاغ الكثير الرواغ والنحس باغ والنجس طاغ اسمك ناطق انك منافق وهو خبر صادق اذ هو فى الخارج للواقع مطابق ورؤيتك شاهدة انك تنقض المعاهدة وعين منظرك دل على مخبرك وقد قيل

والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أم من أعاديها

من أين بيننا صداقة ومتى كان بين النموس والزاغ علاقة وكيف تنعقد بيننا صحابة وأنى يتصل أسامودة أو قرابة بين لى كيفية هذا السبب ومن أين هذا الاخاء والنسب أما أنت فلى طعمة وأما أنا فلحمى لسدى غذائك لحمة يسوء فى ما يسرك وينفعنى ما يضرك

الله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لا تحبونا

أنا واقف على ما فى ضميرك وعالم بسوء فكرك وتدبيرك قد اطلعت منك على الهواجس كما اطلع ذلك الماشى على ما فى خاطر ذلك الفارس قال الزاغ بين لى بلا جدل كيف هو هذا المثل (قال) النمس ذكر رواة الاخبار ونقلة الآثار أنه ترافق فى بعض السباسب راجل وراكب وكان مع الراجل من البضائع رزمة وقد جعلها كارة وحزمها أوثق حزمة وقد أعياه حملها حتى أعجزه نقلها فقال للراكب أيها الرفيق الصاحب لو ساعدتنى ساعة بحمل هذه البضاعة لكنت أرحتنى ونفست عنى وشرحتنى

كذى الجد يحمل اثقاله * قوى العظام حمول الكلف

قال الفارس لا أكل فرسى ولا أتعب نفسى ونفسى فان مركوبى لم يقطع البارحة عليقة وأنا خائف ان لا يقطع بى طريقه واذا خفت تخلفى فى سيرى فأنى أتكلف حمل اثقال غيرى فبيناهما فى هذا الكلام اذ لاح أرنب فى بعض الآكام فأطلق العنان وراء الارنب وذهب وراءها كرأى الزنادقة كل مذهب فوجد فرسه قوية النهضة سريعة الركضة فرأى انه أضاع حزمه فى عدم أخذه الرزمة وما ضره لو أخذها وساق وذهب الى بعض الآفاق وأقام بها أوده وانتفع بها وولده وترك الماشى بلا شئ ثم رجع بهذه النية الضارة ليحمل عن الماشى الكارة وقال له اعطنى هذا الحمل المتعب لا ريحك من حمله فى هذا المذهب وابلع ريقك واقطع طريقك فقال له قد علمت بتلك النية وما اضمرت من بلية فاتركنى بحالى فلى حاجة بمالى ثم ان النمس كسر الزاغ وحصل له بأكله الفراغ (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم بأغل الرجال ان العقاب لا يؤمن ولا يقطع فيه بالظن الحسن ولا يركن الى خطفة بوارقه بمخاليب صواقعه وصواعقه ولا الى غوائله وبوائقه وهذا ان سلمت شقة حياتنا من تشقيق غواشيه وتخلص بردو جودنا من تمزيق حواشيه وان بينك وبين هذا المراد خرط القتاد والموانع التى هى دون سعاد فما الوصول الى ملك الطير قريب التناول فى السير ولا سهل المأخذ ولا سريع المنفذ وأين الحجل من العقاب ذاك فى نعائم النعيم وهذا فى عقاب العقاب فتدبر عاقبة هذا الامر وتأمل فى الفرق بين التمر والجمر والظاهر عندى وما أدى اليه فكرى وجهدى ان عاقبة هذه الامور ليس الا القطوع والقصور دون الوصول الى الملك فى القصور قال الذكر لقد كررت عليك مرارا واسندت الى سمعك انشاء واخبارا ان علو همة

هذا

لاخصب فيها ولا أمن وانه لا أمن لى عندك أيها الملك ولا طمأنينة لى فى جوارك ثم ودع الملك وطار فهذا مثل ذوى الاوتار الذين لا ينبغى لبعضهم ان يثق ببعض * انقضى باب ابن الملك والطائر

﴿باب الاسد والشعهر الناسك وهو ابن أوى﴾

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الملك الذى يراجع من اصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب (قال) الفيلسوف ان الملك لو لم يراجع من اصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لاضر ذلك بالامور ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ويخبر ما عنده من المنافع فان كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته فان الملك حقيق بالحرص على مراجعته فان الملك لا يستطاع ضبطه الامع ذوى الرأى وهم الوزراء والاعوان ولا ينتفع بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا مودة ولا نصيحة الا لذوى الرأى والعفاف واعمال السلطان كثيرة والذين يحتاج اليهم من العمال والاعوان كثيرون ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل فى ذلك مثل الاسد وابن آوى قال الملك وكيف كان ذلك (قال)

هذا الملك وفضله الخالى عن شرك وكرم نجاره وامن خادمه وجاره وفيض احسانه وبسط كرمه وامتنانه وانتشار صيت حشمته واشتهار رأفته ورحمته لايقتضى حرمان من قصده وام جنابه واعتمده ولجأ الى جناح عاطفته وتشبث بذيل ملاطفته وحاشاه ان يصم مصون همته بابتذال دناءه ويشوه جمال وفائه لمن ترفق له بنكتة جفاء تحجب رجاءه خصوصا اذا رأى منى خضوع العبوديه والقيام بمراسيم الخدمات الادبيه والمقام بمراكز مراضيه والوقوف عند كل مايحبه ويرضيه فانى بحمد الله تعالى اعرف مداخل الامور ومخارجها وعندى الاستعداد الكامل لصعود معارجها واعلم طرق المجاز الى حقائقها وسلوك دروبها وطرائقها فالاولى ان نقتصر عن المحاوره ونكتفى بهذه المساورة فى المشاوره ونتوكل على مقلب القلوب ونتوجه نحو هذا المطلوب بعزم شديد وحزم سديد فان تيسر لى ملاقاة حضرته والتمثل فى مراكز خدمته وحصلت لى مشاهدته واتفقت مخاطبته ومعاهدته انشأت خطبة تدفع الخطوب وتجمع القلوب وتؤلف بين المحب والمحبوب وارجو ان تكون نافعه لمصالح الدين والدنيا جامعه فان كلامى فى مقامى كما قيل فى المثل

فاو خوالكنه لايخل * واطنب لكنه لايمل

وآخر الامر سلمت غرغرة زمام انقياده اليه وعولت فى عمل المصالح عليه ثم قالت له عش واسلم وتيقن واعلم انك اذا قصدت خدمة الملوك واردت فى طريق مصاحبتهم السلوك فانك محتاج فى ذلك المنهاج الى نور وسراج يهديك الى صفات جميله وتلبس بخصائل نبيله تتحلى بجمالها وتتعلى بكمالها وتتجلى فى شمائل جلالها الاولى ان تقدم فى جميع مصادرك ومواردك مراد الملك على جميع مقاصدك الثانية ان تتلقى اموره بالتعظيم وتقيم اوامره بالاحترام والتفخيم الثالثة تحسن اقواله وتزين افعاله بوجه لايتطرق اليه تشويه ولا يحتاج فيه الى تنبيه الرابعة تجتهد فى صيانة عرضك عن الخنا واياك ان تقول فى حضرته انا فتقع فى العنا الخامسة ان تعد على الدوام ومرور الايام خدماتك الوافره وحقوقك المتكاثره عن حقوق نعمه قاصره السادسة اذا وقعت منك زله فلا تتعد بها جميع القله بل اطلب لتلك الهفوه فى الحال محوه واقصد مراحمه وعفوه فان الذنوب اذا تراكمت وتجمعت وتزاحمت اشبهت المزبلة المدمنه وفاحت روائحها المنتنه والانسان غير معصوم والآدمى بالخطا موسوم السابعة احفظ وجهك فى حضرته عن التقطيب وكلامك ان يفوح منه غير الطيب الثامنة اياك ومصادقة اعدائه ومعاداة اوليائه التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا مل الى التواضع واعظامه تصويبا العاشرة لاتدع عنه نصيحه وانصحه فى الخلوة لئلا يؤدى الى الفضيحه واذا قاملك فى امر ولو انه المشى على الجمر لا تطلب منه اجرا ولو تبد لذلك ذكرا فان الطمع يورث العقوق والمن يسود وجه الحقوق واعلم ان حضرة الملوك عظيمه ومجالسهم جسيمه تنزه عن الكذب والغيبة والنميمة والاقوال الوخيمه والافعال الذميمه واياك ان تتعدى القواعد الكسرويه وتتخطى القوانين السلطانيه فان اعظمها كان ان يعرف كل انسان تقصير نفسه فى خدمة مخدومه ويعترف له من احسانه بعمومه ويقيم واجب هيبة ملكه ومقام مرسومه قال النجدى اخبرينى يا دعدى وحظى وسعدى وابنة السعدى ومزينة القواعد بشئ من تلك القواعد (قالت) من القواعد الكسرويه الدائرة بين البريه ما وضعها بعض الملوك وحمل رعيته فيها على السلوك وكان مشهورا بالعدل والاحسان مذكورا باقامة البرهان متصفا بالصفات الحميده مكتنفا بالشمائل السعيده

الفيلسوف زعموا ان ابن آوى كان يسكن فى بعض الدحال وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير كما يغرن ولا يهريق دما ولا يأكل لحما فخاصمته تلك السباع وقلن لانرضى بسيرتك ولا رأيك الذى انت عليه من تزهدك مع ان تزهدك لايغنى عنك شيأ وانت لاتستطيع ان تكون الا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذى كفك عن الدماء وعن أكل اللحم قال ابن آوى ان صحبتى اياكن لاتؤثمنى اذا لم اوثم نفسى لان الآثام ليست من قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيئ يكون عمله فيه سيأ كان حينئذ من قتل الناسك فى محرابه لم يأثم ومن استحياه فى معركة القتال اثم وانى انما صحبتكن بنفسى ولم اصحبكن بقلبى واعمالى لانى اعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالى وثبت ابن آوى على حالته تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدا كان ملك تلك الناحيه فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والامانة فأرسل اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه ثم دعاه بعد أيام الى صحبته وقال له تعلم ان اعمالى كثير واعوانى جم

من الدين والعفه وعدم الطيش والخفه بعقل راجح الكفه والعلم الوافر والحلم العاطر
وذلك انه فى بعض الايام أمران يجتمع الخواص والعوام مابين أمير ووزير وكبير وصغير وغنى
وفقير وجليل وحقير وعالم وجاهل ومفضول وفاضل ومذكور وخامل وناظر وعامل
وحال وعاطل وحاكم وقاض وساخط وراض وجندى وتبع وأخرق وصنع ووضيع
وشريف ولطيف وكثيف وثقيل وخفيف وقريب وبعيد ومقبول وطريد وشقى وسعيد
وسوقة وتاجر وسفيه وفاجر ودان وقاص وطائع وعاص وصالح وطالح وضاحك وكالح
ومصيب ومخطى ومسرع ومبطى وصياد وملاح وسياح وسباح وبادى وفلاح ومسالك
وسالك ومملوك ومالك بحيث لايتخلف عن الحضور أحد ولايجزى فى التقاعد والد عن ولد
ثم مهد لهم فى روض أريض ومرج طويل عريض تصفق مياه أنهاره طربا وتتناغى باطيب
الالحان فصحاء أطياره الخطبا وتتراقص بزهر الوقت أغصان أشجاره ويلتذ بفواكه الجنان
جانى ثماره فهو كما قيل يلتذ جانيه بانعم مقطف * منه وساكنه باكرم معطف
والورق بين محلق فى جوه * طربا ومنحط عليه مرفرف
وأمر بفرش ذلك المكان بالفرش الحسان من الديباج والحرير وأطلق مجامر الند والعبير
وبين لكل مقاما معلوما ومجلسا مقسوما وأحل كلا منهم محله وأسبغ عليهم ذيل احسانه
وطله ثم أمر بأنواع الاطعمة المفتخره وأصناف الملاذ الطيبة العطره فاحضرت فى أوانى
الفضة والنضار ووضعت بين يدى أولئك الحضار بحيث عمت الجميع ووسعت الشريف
والوضيع وجلس الملك فى مجلس السلطنه واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنه وأخذ
كل مكانه ورتب أصحابه وأعوانه ثم أقام عليهم أرباب الديوان وأدخل جميعهم فى دفاتر
الحسبان وأمر منادا باسيدا يرفع بصوته الندا فى ذلك الجمع بحيث شمله من الجميع النظر
والسمع باأهل هذا المكان برز مرسوم السلطان ان كل من هو فى مرتبه من مرضاة أو
معتبه لايلاحظ من فوقه ولو انه من أمير أو سوقه بل يلاحظ حال من هو دونه فائزة كانت
منزلته أو مغبونه فان ذلك أجمع للقلوب وأدعى للشكر المطلوب وأجلب للرضا بحوادث
القضا فان من رأى نفسه فى مقام ونظر غيره فى أدنى من ذلك المقام استقام وكانت عنده
منزلته عليه وعد لنفسه على غيره مزيه فتوطنت نفسه على الرضا واستقبلت بالشكر وارد
القضا مثال ذلك الرئيس النازل فى الصدر اذا رأى من هو دونه فى القدر لم يشك فى ان محله
محل البدر وباقى الرؤساء كالنجوم فلا يأخذه لذلك وجوم وقد قال الحى القيوم فى دركلامه
المنظوم ومامنا الا له مقام معلوم وكذلك النائب بالنسبة الى الحاجب والدوادار
بالنسبة الى البزدار والخزندار بالنسبة الى جابى الدراهم والدينار والمهتار بالنظر الى
السائس والبرقدار وكذلك السائس بالنسبة الى الحارس وكاتب السر المرتفع بالنسبة
الى المدبر والموقع والزمام بالنظر الى سائر الخدام وأيضا القاضى مع الفقيه والفقيه مع التاجر
النبيه والتاجر مع السوقى السفيه والغنى والامير بالنسبة الى المأمور والفقير وعلى هذا
القياس أوضاع جميع الناس من أرباب الصنائع وجلاب البضائع وأهل المدن
والقرى وذوى البيع والشرا والوهد والذرى وأولى الوضاعة والشرف من أنواع
المكتسبات والحرف الى ان ينزلوا فى المراتب ويتدرجوا من اليفاع الى الحضيض فى
المناصب ويتعاونوا فى المناصب والمناقب ويصل قدرهم ونظرهم فى ذلك الى كل ذى فعل
ىء حالك كارباب العظائم وأصحاب الذنوب والجرائم فينظر المعتوب حاله بالنسبة الى

غفير وانا مع ذلك الى الاعوان
محتاج وقد بلغنى عنك عفاف
فازددت فيك رغبة وانا مولينك
من عملى جسيما ورافعك الى منزلة
شريفة وجاعلك من خاصتى قال ابن
آوى ان الملوك احقاء باختيار
الاعوان فيما يهتمون به من اعمالهم
وامورهم وهم احرى ان لايكرهوا
على ذلك احدا فان المكره
لايستطيع المبالغة فى العمل وانى
لعمل السلطان كاره وليس لى به
تجربة ولا بالسلطان رفق وانت ملك
السباع وعندك من اجناس
الوحوش عدد كثير فيهم أهل نبل
وقوة ولهم على العمل حرص
وعندهم به وبالسلطان رفق فان
استعملتهم أغنوا عنك واغتبطوا
لانفسهم بما أصابهم من ذلك قال
الاسد دع عنك هذا فانى غير معفيك
عن العمل قال ابن آوى انما
يستطيع خدمة السلطان رجلان
لست بواحد منهما اما فاجر مصانع
ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته
واما مغفل لايحسده أحد فمن أراد
ان يخدم السلطان بالصدق
والعفاف فلا يخلط ذلك بمصانعته
وحينئذ قل أن يسلم على ذلك لانه
يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد أما الصديق
فينافسه فى منزلته ويبغى عليه فيها
ويعاديه لاجلها وأما عدو السلطان
فيضطغن عليه لنصيحته لسلطانه

المضروب والمشتوم حاله بالقياس الى حال المكلوم والصحيح بالنسبة الى حال الجريح ويلاحظ مضروب العصى حال المسلوخ بالمقارع ومضروب المقارع أحوال مقطوع الاكارع وكذلك المقطوع بالنسبة الى مصلوب الجذع والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن والاعرج بالنسبة الى المقعد الزمن وكذلك العوران بالنظر الى مصاب العميان وليتأمل الناظر ماقاله فى ذلك الشاعر

سمعت أعمى مرة قائلا * ياقوم ماأصعب فقد البصر

أجابه أعور من خلفه * عندى من ذلك نصف الخبر

ولكن هذه القواعد مستمرة العوائد بين الصادر والوارد ليعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد فاستمرت هذه القوانين مستعمله غير منسية ولامهمله من زمان ذلك السلطان الى هذا الزمان وانظر أيها الفضيل الى معنى ماقيل فى هذا القبيل وهو

على كل حال ينبغى الشكر للفتى * فكم من شر وعن سرور تجلت

وكم نقمة عند القياس بغيرها * ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة

(وانما) أوردت هذه الامثال وأطلت النفس فى بيان هذه الاحوال لتأخذ منها حظك وتكررها فيما أودعته حفظك وتجرى بها ليلا ونهارا الفظك حتى تصلح لمنادمة الملك ولا يعلق بذيل مكانتك من الحساد مرتبك وترضى بأى مقام أقامك فيه وتعلم أنه أعلى مقام ترتضيه حيث هولك يرتضيه وتجعل مورد لسانك ومقعد جنانك فى طلبك رضاه ما كنت أنشدتك اياه من قديم الزمان وأنا عليه الآن وهو

وأعلى مقاماتى وأسنى وظائفى * وأحسن أسمائى الذى أنت ترضاه

فقال الذكر ماأحسن عقد هذه الدرر لقد أفصحت اذ نصحت وزنت بما بينت فجزاك الله خيرا وكفاك ضيرا فحقيق على ان اقتدى بآثارك وأهتدى بأنوارك فأأرجح ميزانك وأغزر حسنك واحسانك لقد جمعت بين فصاحة النقل ورجاحة العقل ومزجت روح الحصافه ببدن الظرافه وجلوت صورة النصيحة فى خلعت اللطافه ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب وقصدا حضرة ملك الطير العقاب فواصلا السير بالسرى واستبدلا السهر بالكرى ولم يزالا فى سير مجد وطلب مكد بين الادلاج والدلجه وقارن حتى وصلا الى جبل قارن وكان عند العقاب أحد المقربين من الحجاب يؤيؤ فى الجؤجؤ نقى اليؤيؤ أحسن منظرا من اللؤلؤ صورته مسعوده وسيرته محموده وهو بين أولئك الطير مشكور الاحوال مشهور الخير وفيه من المعرفة والدين والعقل الرصين والرأى المتين مايصلح أن يكون به مقتدى السلاطين وعنده من الوقوف على دقائق الامور مافاق به الجمهور وساد به على سائر الطيور وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر فترك النحدى بنت السعدى فى مكان وقصدا اليؤيؤ ليعرض عليه ماله من شان فوصل الى جنابه وأتى بيت مقصده من بابه حتى دخل عليه وقبل يديه وتمثل لديه فتوجه اليؤيؤ اليه وأشار بتقريبه منه وأزال دواعى الوحشة عنه وأقبل عليه بكليته وزاد فى اكرامه وتحيته وسأله عن محتده وجرثومه وماسبب تجشمه فى قدومه ومن أين حل ركابه وماقصده وطلابه فانشده بديها ولم يقل ايها مفصحا معلنا مستعينا مضمنا

لقد قص ريشى الدهر عن كل مطلب * والهمنى سعدى بأنك رائش

ففى عمرى مد كهجرك مفرط * وفى قصتى طول كصدك فاحش

واغنائه عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن بنى أصحابى عليك وحسد هم اياك مما يعرض فى نفسك فأنت معى وأنا اكفيك ذلك وابلغ بك من درجات الكرامة والاحسان على قدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك يريد الاحسان الى فليدعنى فى هذه البرية اعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشى من الماء والحشيش فانى قد علمت ان صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف فى ساعة واحدة مالا يصل الى غيره فى طول عمره وان قليلا من العيش فى أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش فى خوف ونصب قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيأ مما اراك تخاف منه ولست اجد بدا من الاستعانة بك فى امرى قال ابن آوى اما اذا ابى الملك الا ذلك فليجعل لى عهدا ان بغى على احد من اصحابه عنده ممن هو فوقى مخافة على منزلته او ممن هو دونى لينازعنى فى منزلتى فذكر عند الملك منهم ذكرا بلسانه او على لسان غيره مايريد به تحميل الملك على ان لا يعجل فى امرى وان يتثبت فيما يرفع اليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع مابدا له فاذا وثقت منه بذلك اعنته بنفسى فيما يحب وعملت له فيما اولانى بنصيحة واجتهاد

ثم قال اعلم أيها الرئيس المحتشم النفيس ان مولدي في جبل من جبال اذربيجان في مكان يضاهي الجنان ويباهي روضة رضوان انزه من عنصر الشباب وافكه من معاقرة الاتراب وارفه من منادمة الاحباب على رقيق الشراب نشأت فيه مع قرينة جميلة أمينة فقضيت فيه غض العمر وزجيت فيه بعض الدهر قانعا بما تيسر من الرزق فارغا عما في أيدي الخلق متمسكا بذيل العزلة أعد الانفراد نعمة جزلة مكررا درس ثلاثة تجم النفس القرينة الصالحة والجار المؤانس والكفاف من القوت ومما كنت أنشدت وفي مبدا أمري أرشدت

وحسب الفتى قوت وخل وزوجة * ليرتاح في الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرت ولكن كان مأوانا ومصيفنا ومشتانا محل الحوادث وممر العوائث والعوابث ومعبر المصائب الصيد ومورد المواطئ عمرو وزيد فكنا كلما ولد لنا مولود وتجدد لنا بالبهجة والابتهاج عهود حصل للعين قره وللروح مسره نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا ويحيي آثارنا عند حلولنا لحدنا فلم يكن أسرع من هجوم خاطف أو هبوب ريح فتكة عاصف يخطفه من بيننا ويجذبه من قلبنا وعيننا فان سلم من تلك المكايد وتخلص من سهم المصائب والمصايد حطمته عساكر الملك المنصوره وملأت الاقطار الجنود الموفوره فلا يخلو منها مكان قدم الاوقد غص بمواطئ تلك الامم فتذهب مناقرة العين وتدهك غلطا تحت الرجلين وهذا هو البلاء الطام والمصاب العام ولابد منه في كل عام فكأنه ايها النبيه النبيل في شأننا قد قيل

أيا ابن آدم لا يغررك عافية * عليك شاملة فالعمر ممدود
ما أنت الا كزرع عند خضرته * بكل شيء من الآفات مقصود
فان سلمت من الآفات أجمعها * فانت عند كمال الامر محصود

فضاق منا لهذا الطعن فلم أر اوفق من مفارقة السكن والمهاجرة من الوطن فعرضت على القرينة هذه الحال وأشرت عليها بالارتحال وقلت لها المرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فأبت وكمت وشاققت في ذلك ونبت فلا زلنا نتحاور ونتشاور ويرمي كل منا مهم رأيه اذ يساور حتى لانت أخلاقها الصعبه بعد ان ثلت ما في الجعبة ثم أعطت القوس باريها وسلمت الدار بانيها وأدركت من ملامح مقاصدي معانيها وسمحت بالانتقال من تلك البلاد وسلمت الى يد تدبيري زمام الانقياد فرحلنا من شقة بعيده وقاسينا شدة شديدة وقصدنا هذا الحرم اذ رأيناه مشتملا على اللطف والكرم وقطعنا شباك مصايد وخلصنا من اشراك كل صائد وفطمنا أنفسنا عن حبات الطمع وتجرعنا من كاسات الجزع وأقداح الفزع جرعا بعد جرع فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين وبشرنا مبشر الاقبال أنك لكل خير ضمين فحمدنا عند صباح الفلاح السرى وأنشدنا لسان السعد مبشرا

وجدت من الدنيا كريما نؤمه * لدفع ملم أو لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمه لكن تعارف أرواحنا له قدمه مع ان كرم ذاتك الجميله وما جبلت عليه من صفات نبيله يغني قاصد صدقاتك عن واسطة ووسيلة ووالله اني لواثق بان ظني بوفاء مكارمك صادق فاسأل احسانك يا ذا الخير ايصالي الى خدمة ملك الطير وان كانت رفعة مكانه في العيوق ودون الوصول اليه بيض الانوق لكن بواسطة الوسيله يحصل هذا الشرف والفضيله ولا زالت الرؤساء والاكابر يأخذون بيد الضعفاء والاصاغر ولرأيك العلو والشرف والسمو والعطف والحنو فاهتز البوم لهذا الكلام وارتاح وظهر

وحرصت على ان لا أجعل له على نفسي سبيلا قال الاسد لك ذلك على وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص به دون أصحابه وزاد في كرامته فلما رأى أصحاب الاسد ذلك غاظهم وساءهم فاجمعوا كيدهم واتفقوا كلهم على ان يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب لحما فعزل منه مقدارا وأمره بالاحتفاظ به وان يرفعه في أحصن موضع طعامه واحرزه ليعاد عليه فأخذوه من موضعه وحملوه الى بيت ابن آوى فخبؤه فيه ولا علم له به ثم حضروا يكذبونه ان حدث في ذلك حال فلما كان من الغد ودعا الاسد بغذائه فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجده وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا في المجلس ثم ان الملك سأل عن اللحم وشدد فيه وفي المسألة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال احدهم قول المخبر الناصح انه لابد لنا من ان نخبر الملك بما يضره وينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغني ان ابن آوى هو الذي ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا أراه يفعل هذا ولكن انظروا وافحصوا فان معرفة الخلائق شديد فقال الآخر لعمري ما تكاد السرائر أن تعرف واظنكم ان فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شيء يذكر من عيوبه

فى وجهه تباشير المسرة والارتياح وأنشد

قدمت بانواع المسرة والهنا * على خير منزول وأيمن طائر
فأهلا وسهلا ثم أهلا ومرحبا * وبشرى ويسرى بالعلا والبشائر

اعلم ان قدومك قدوم صدق ومرافقتك سبب الرفق ورؤيتك فتح باب الفتوح ورؤيتك غذاء القلب وراحة الروح أبشر بكل ماتؤمل وتختار فقد ذهب العثار وجاء الامن واليسار أصبت مرامك وزينت مقامك وآنست منزلك وأوتيت مأملك فطب خاطرك وبشر أهلك وعشائرك وأخبر غائبك وحاضرك ولقد قادك الرأى السديد والامر الرشيد والفال السعيد حتى أويت الى ركن شديد وملك كريم خلقه عظيم وفضله جسيم وجوده عميم ونظيره عديم رؤف برعيته رحيم لايخيب آمله ولايريب سائله ولايقطع واصله ولايمنع حاصله لقد أنبتت مساعيك أزهار الامن والامان وتفتحت لورودك فى رياض سعد الزمان نواظر نرجس النعمة وشقائق فضل النعمان فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع وقدر رفيع وبيان معانيه بديع عزيز المنال جامع اصفتى الجمال والجلال قد اختار العزلة فى رؤس الجبال فلذلك طبعه لايخلو من جساوه وقلبه من قساوه وان غذاءه من اللحوم ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم مخالبه كالاسل ويلجأ الى الله تعالى اذا انسر منقاره ونسل وحقيقة أمره ان كنت عنه تسل

همقر مر على اعدائه * وعلى الادنين حلو كالعسل

فاذا التجأ اليه فقير اوآوى اليه ضعيف أوكسير أوقصده محتاج أوسلك الى باب مرضاته منهاج فلايمكن ألطف منه ولاأشفق ولاأقرب من عطفه على مؤمليه ولاارفق فهو كما قيل بيض قطا يحضنه اجدل وسبب ذلك ان ضميره المنير خال من المكر طاهر من التزوير لايعرف ختلا ولاخديعه ولاخيانة ولاوضيعه ولاكذبا ولاقطيعه ولافى خاطره فساد ولاعنده سوء اعتقاد ولايعرف غير الحق ولايقول الا الصدق وذلك لبعده عن مخالطة الناس وعزلته عن كل ذى وسواس وخناس فلقد اتفق العالم أن صحبة بنى آدم سم قاتل وهم باتل فان دأبهم المكر والتلبيس والخداع والتدليس وحسبك قول شاعرهم فى كشف ضمائرهم وشرح حقيقة سرائرهم

كن من الناس جانبا * كى يظنوك راهبا قلب الناس كيف شئـ * ـت تجدهم عقاربا

ولقد أرشد من أنشد

بنو آدم ان رمت من خيرهم جنى * فاحلى الذى تجنيه من وصلهم صبر
مكارمهم مكر ورؤيتهم ريا * وودهم مؤذ وجبرهم كسر

فان كان فيهم صالح أفسدوه والى سبل الضلال أرشدوه والكلام فى هذا المقام لايبلغ التمام فيكتفى بالقليل عن الجليل وشمس النهار لايحتاج فى وجودها الى دليل فانهض الآن فقد آن التوجه الى خدمة السلطان فما كل زمان يحصل هذا الامكان فان الاجتماع به كل وقت مشكل فتوكل على الله يا أحسن متوكل فاذا دخلت عليه وتمثلت بين يديه فاعرف كيف تقف وانظر ياذا الكمال ماذا يناسب الحال ويقتضيه المقام من فعل وكلام فاسلك طريقته وراع مخارجه وحقيقته وادخل معه من ذلك الباب ومثلك لايدل على صواب فما أسرع اللطف وأقرب العنف من حركات الملوك والكبراء وابعد الرفق وأشرد الخرق من ملكات السلاطين والخلفاء وأقصى مدانيهم اذا غضبوا وأوحش مؤانسهم اذا صحبوا

وخيانته نحن أحق ان نصدقه قال الآخر ائن وجدناه هذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك قال الآخر أنتم أهل العدل والفضل لاأستطيع ان اكذبكم ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك الى بيته من يفتشه قال آخر ان كان الملك مفتشا منزله فليعجل فان عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم يزالوا فى هذا الكلام واشباهه حتى وقع فى نفس الاسد ذلك فأمر بابن آوى فحضر فقال له أين اللحم الذى أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته الى صاحب الطعام ليقربه الى الملك فدعا الاسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى فقال مادفع الى شيأ فأرسل الاسد أمينا الى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به الاسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن تكلم فى شئ من ذلك وكان يظهر انه من العدول الذين لايتكلمون فيما لايعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد ان اطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فانه ان عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولاذنب مذنب فأمر الاسد بابن آوى ان يخرج ويحتفظ به فقال بعض جلساء الملك انى لاعجب من رأى الملك ومعرفته بالامور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبثه ومخادعته وأعجب من هذا انى أراه سيصفح عنه بعد الذى ظهر منه

واقرب مباعدهم اذا عطفوا وأعجب منادد هم اذا لطفوا ويكفيك ياذا العقل المتين ماقيل في شأن الملوك والسلاطين

ان الملوك بلاء أينما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

وقال سيد الانام طرا لا تجاور ملكا أو بحرا فان رضوا رفعوك فوق الافلاك وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك وناهيك من تقلبات الملوك ياذا الارشاد في السلوك أطفأ الله غضبهم عنك قضية صدرت من تيمورلنك فسأل نجل الجمل الوزير الاجل بيان ذلك المثل الصادر من الاعرج الاشل (فقال) الدستور مما حكي عن تيمور من وقائع الامور وشدة عزمه وحزمه وثباته على مايقصده وجزمه وحلول نقمته بمن يعارضه ويعاكسه فيما يرسم به ويناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود وذلك في سنة ثمانمائه وصل بجيوشه الطاغيه الى قلعة شاهقه اقراط الدرارى بآذان مراميها عالقه والرجوم المارقه من النجوم الخارقه تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام في مهواه أحد سواطيرها وكيوان في مسراه خادم نواطيرها والشمس في استوائها غرة جبينها وقطرات السحاب في الانسكاب تترشح من قعر معينها وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها وأنوف أبدانها سرادق وكريات النجوم في القبة الخضراء لعيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات وبنادق وكان الثريا في اقتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فاني يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار فضلا عن ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار وفيها من الهنود طائفه ثابتة الجنان غير خائفه جهزت أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحرزه وثبتت هي في القلعة حافظة لها متحرزه مع انها شرذمة قليله وطائفة ذليله لا خير عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الضرر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا حواليها مبيت ولا مقيل بل هي مطلة على المقاتله مستمكنة على المقاتله فأبى تيمور أن يجاوزها دون ان يجاورها بالحصار ويناجزها واللبيب العاقل لا يترك وراءه لخصمه معاقل فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد ويصب كل من أهلها عليهم من أسباب المنايا ما يريد كما يريد وكان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا ان يصل الى غرضه منها ففي بعض أيام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحصروا وصار يحثهم على القتال ثم ركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أوحالهم أحوالهم فدعا رؤس الامراء وزعماء العساكر والكبراء وأخذ بعرق أديم عصمتهم بشفار شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخالب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في خيشومه وألهب فيه نار غضبه وشومه وقال يا لئام وأكلة الحرام تتقلبون في نعمائي وتتوانون عن أعدائي جعل الله نعمتي عليكم وبالا وألبسكم بكفرانها خيبة ونكالا يا نابذي الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومستوجبي النقم ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام اقدامي ألم تطيروا الى الآفاق بأجنحة احساني واكرامي ألم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صوالي أمام رحتم في منتزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتي بي ملكتم مشارق الارض ومغاربها واذبتم جامدها واجدتم ذائبها

فارسل الاسد بعضهم رسولا الى ابن آوى يلتمس منه العذر فرجع اليه الرسول برسالة كاذبة اخترعها فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى ان يقتل فعلمت أم الاسد انه قد عجل في أمره فأرسلت الى الذين أمروا بقتله ان يؤخروه ودخلت على ابنها فقالت يا بني بأي ذنب امرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالامر فقالت يا بني عجلت وانما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والاناءة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروأته ثم لم تزل مادحا له راضيا عنه وليس ينبغي للملك أن يستخونه بعد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنذ مجيئه الى الآن لم تطلع له على خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأي الملك أن يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق ان تنظر في حال ابن آوى وتعلم أنه لم يكن يتعرض للحم

ألم أك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجئتم من ورائيا
وباسط خيري فيكم بيمينيا * وقابض شري عنكم بشماليا

ولازال يهمهم ويغمغم ويهذرم ويبرطم وهم مطرقون لا يحيرون جوابا ولا يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد ان يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهمزبه على قمم أولئك الاسرى وهم ان يجعل رقابهم قرابه ويسقى من دمائهم غل فرنده وذبابه وهم على تلك الحال فى الخزى والاذلال باذلوا أنفسهم ناكسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا أو تمالك فأغمد عن تشريقهم حسامه ولم يلق لامره دبرة ولا قبلة امامه فخاف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده ممن فاق جنده شخص يدعى محمد قاوجين ذو مكان مكين ومقام أمين مقدم على كل الوزراء مبجل دون سائر الامراء وافر الطول مقبول القول مسعود الرأى ميمون الفصل مرغوب الفضل محبوب الشكل فتشفع الوزراء اليه وترامو افى حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه ورافقنا ولو بلحظه واعمل معنا بهذا المعنى وهو

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فأجابهم والتزم ان يرده عما تازم به وازم وراقب مجال المقال وراعى فرص المجال وشرعت أفكار تيمور تغور فى أمر القلعة وتفور وجعل يستضوى اضواءهم ويستورى آراءهم ولا يسع كلا منهم الا القبول لما يستصوبه رأيه ويقول ففى بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوجين وقد زل به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح آرائه وراياته حصن كل أمر عسير هب انا فتحنا هذه القلعه بعد ان أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعه هل يفى هذا بذا أم هل يوازن هذا النفع بهذا الاذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من البرقداريه قبيح المنظر الا انه فى هيئة ذريه يدعى هراملك ذا عرف سهك ووجه فى السواد سدك أوسخ من فى المطبخ وانتن من فى المسلخ لعاب الكلب طهور عند عرقه وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه فعند ما حضر لديه ووقع نظره عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هراملك فخلعت ثم البس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته ودعادواوين محمد ومباشريه وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت ونام وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف واقطاع وبساتين وضياع وخول واتباع وخيل وجمال واحمال وأثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ وامسى نهارو جود محمد قاوجين الزنخ وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور وهو كالنمور يمور اقسم بالله وآياته وذاته وصفاته ووحيه وكلماته وأرضه وسمواته وكل نبى ومعجزاته وولى وكراماته وبرأس نفسه وحياته لئن آكل محمد قاوجين أحدا أوشاربه أوماشاه أوصاحبه أو كلمه أو صافاه أوأوى اليه أو آواه أوراجعنى فى أمره أو شفع عندى فيه اوفاه بعذره لاجعلنه مثله ولاصيرنه مثله ثم طرده واخرجه وقد سلبه نعمته واحرجه فسار مسلوب النعم قد حلت به فى لحظة نوائب النقم فصحبوه بالوالق ورأى نعمته على أقل الخلق واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق ففلقت حبة قلبه اشد فلق ولم يزل على ذلك فى عيش مر وعمر حالك وحاشا ان تشبه قضيته قصة كعب بن مالك فكان يستحلى مرارة الموت ويستبطى اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف اشد عليه من الف ضربة بالسيف فلما هلك تيمور احياه

استودعتها اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له ان ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحداة اذا كان فى رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطيور والكلب اذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب وابن آوى منذ كان الى اليوم نافع وكان محتملا لكل ضرر فى جنب منفعة تصل اليك ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوى دونك سرا فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته فاخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسد بعد ان اطلع الملك على براءة ابن آوى فهو حقيق أن لا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرؤا على ما هو أعظم من ذلك ولكن يعاقبهم عليه لكيلا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغى للعاقل أن يراجع فى أمر الكفور للحسنى الجرىء على الغدر الزاهد فى الخير الذى لا يوقن بالآخرة ويبتغى انه يجزى بعمله وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والاولى لك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغى تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من

وردعليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه (وانما) اوردت هذه السيره يازكى السريره لتقيس على هذا المثل نظيره وتعرف اخلاق الملوك ومعاملاتهم الغنى والصعلوك وان نظرهم نضار واعراضهم بوار ودمار ومن اراد ان يطلع على سر القضاء والقدر فليراقب شفتى الملك اذانهى وامر وقال من احسن المقال

قرب الملوك يااخا القدر السمى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم

واعلم ياابا الفضائل ان هذا الملك له شمائل وصفات وفضائل يستدل بظاهرها على باطنها ويتوصل بظهور باديها على حركات كامنها فاياك ان تغفل عن مراقبتها وتهمل حال عاقبتها بل اجعل شواهدها نصب عينك لتقرب من حياتك وتبعد عن حينك منها اذارأيته رجع من الاصطياد ظافرا منه بالمراد وقد اقتنصه وحصله وملأ منه الحوصله وسكنت منه بواعث الشره التى هى منفخ لواعج الطيش والسفه ومنها اذارايته جالس فى مجلس السرور وبسط لجبهة الكرم جناح النشاط والحبور وضم عن مطامح الحرص القوادم والخوافى وطاب من رؤساء المملكة الانيس المصافى ومن ندماء الحضرة الجليس الصافى ومن مطربى الاطيار البلبل والهزار ومن رقص بدفوف الازهار وصفق من ذى عود وطار فاستمع لهذا وباسط ذاك وطفق جلساؤه مابين منصت وحاك فان هذه الاوقات لما فيها من علامات هى الانبساط وايام الفرح والنشاط فاعمل فيها امادالك واطنب مقالك وكرر جوابك وسؤالك فانك فى كعبة الامن فاستلمها وقد هبت رياحك فاغتنمها والعب بابطيك وصفق بجناحيك واهدر فى تقتقتك واسجع فى بقبقتك فان الوقت لك لاعليك والسعد الطالع ناظر اليك ومنها اذارأيته جالساصامتا اوالى الارض باهتا اومحمرة عيونه اومضطربا سكونه اوافعاله على غير استواء اواقواله دائرة مع الهواء فاياك والدخول عليه والمثول بين يديه فانه اذذاك يجعل ديار جسدك بلاقع ولوانك النسر الطائر فتصير فى مخالبه اتعس واقع وعلى كل حال فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال وان كان السكوت اصلح فاغلق باب الكلام قطعا ولاتفتح فكثيرا ماتخلص الساكت من البلاء وافلح وناهيك النصيح بقوله الفصيح وهو

وراقب مقام القول فى كل مجلس * خصوصا مقامات الملوك الاكابر

فكم من بليغ فوق ذروة منبر * رمته افاعى النطق تحت المقابر

قال المفلح النعدى للمرشد المجدى جزى الله مولانا عن صدقاته اوفر صلاته وواصله بعوائد اكرامه فى عشيته وغداته فما أشمل احسانه وحسناته واسعد حركاته وسكناته واوفر شفقته على قاصدى عتباته طالب انت دليله كيف لايفتح الى الخير سبيله ويرجع الى حصول المقام مبيته ومقيله ثم ان اليؤيؤ الشفوق تركهم وطار الى العيوق ثم رجع على الفور ووجهه يبرق كالنور فدعا اليعقوب وتوجه وهو معه مصحوب واخذا فى السير الى خدمة ملك الطير وفرعا فى جبل يسامى فى المثل قبة الفلك اومركز الملك يستمد السحاب من ماء واديه وتسجع سماك السماء فى بحر ناديه يعرق جبين الوهم من صعود عقباته ويقصر صاعد الفكر فى سلم الهواء عن ان يترقى الى ادنى درجاته ويستريح راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته فهو كما قيل

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله * اذا هى فى كبد السماء استقرت

فلازالا يسيران وفى الجو يطيران اليؤيؤ امام قائد الزمام والحجل وراءه ينشد هذا الكلام

لكل امام اسوة يقتدى به * وأنت لاهل المكرمات امام

الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهم المؤونه واما من ينبغى تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع والتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها وقد عرفت ابن آوى وجربته وانت حقيق بمواصلته فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال انى معتذر اليك وراذك الى منزلتك فقال ابن آوى ان شر الاخلاء من التمس منفعة نفسه بضر اخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه اوكان يريد ان يرضيه بغير الحق لاجل اتباع هواه وكثيرا مايقع ذلك بين الاخلاء وقد كان من الملك الى ماعلم فلا يغاظن على نفسه مااخبره به انى به غير واثق وانه لاينبغى لى ان اصحبه فان الملوك لاينبغى لهم ان يصحبوا من عاقبوه اشد العقاب ولاينبغى لهم أن يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا للكرامة فى حالة ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له انى قد بلوت طباعك واخلاقك وجربت اماناتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من عمل حيل التحميل عليك وانى منزلك من نفسى منزلة الاخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد عدنا الى الثقة بك فعد الى الثقة بنا فانه كائن لنا ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن آوى الى ولاية ماكان يلى

فوصلا

فوصلا من تلك المدارج الى أعلى المعارج وانتقلا فى تلك المسالك عن دركات المهالك وانتهيا الى أوج رأيا مملكة النيرات جارية فى حضيضه ودرر الدرارى راكدة فى قعر مغيضه يشتمل على مروج ورياض ومراع وغياض وبحار وحياض تنادى خيراتها سكان الربع المسكون فى انصبابها عليهم وفى السماء رزقكم وما توعدون رياض تلونت ومروج بازاهيرها تحسنت وأرض قال لها صانع القدرة اذ تمكنت تكونى كأخلاق الكرام فتكونت وأخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت فوجدا دار سلطنة العقاب بعد مقاساة عقاب العقاب كما قيل

مكانا فيه سلطان الطيور * تصدر بالسرور على السرير
اطاف به صنوف الطير طرا * عكوفا بالحضور وبالحبور
لكل فى مباشرة مقام * يقوم به جليل أو حقير

قد اكتنفته الميمنة والميسره واحدقت به المقدمة والمؤخره كل واقف فى مقامه شاهينه مع كركيه وبازيه مع حمامه فالانيس صاحب الظرف والكيس حامل القبز كالاوزان يترنم فى مقابلة الايوان ويمدح ملك الاطيار والامراء والحضار والكبراء والنظار وينشدهم جليل الاوصاف ورقيق الاشعار فمما أنشده الاوزان من مناقب السلطان ووجه الخطاب الى العقاب قوله

مقامك أعلى ان يقوم بوصفه * بيان بليغ أو لسان فصيح
اجلتك عنقا مغرب فاختفت فما * تلوح لطرف فى البلاد طموح

والنسر الطائر المقدم على العساكر قد أظله بالجناح ولبس عليه فى طلبة سيادة الطير جناح رافع اللواء صاف فى جو السماء رئيس الدير حامل القبة والطير كما قيل

ونسر تفر الطير من قرب ظله * وفى ظله للسعد مأوى ومنزل

والسنقر فى ثوبه الفهرى وخلقه وخلقه النمرى أمير سلاح الجوارح ورأس عساكر السوانح والبوارح كما قيل

هو السنقر العالى بهمته التى * تعلت على أيدى الملوك بهايده

والشاهين الدوادار عليه لمصالح المملكة المدار قد تصدى لقضاء الحوائج لكل داخل وخارج ينظر فى الولاية والعزل ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل فيقضى المآرب ويوصل المطالب الى الطالب كما قيل

طويل العنق رحب الصدر ضخم * له فى آل قسطنطين ضبط
تغشى من سواد العين ثوبا * عليه من دم الاحشاء نقط

والكركى الراطن بالتركى يتجلى فى ثوبه المسكى كاتب الاسرار وصاحب الاخبار لسان المملكه ومحور الفلكه مستخدم السيف والقلم وفى الفضائل والفواضل نار على علم كما قيل

وكركى يحيد الصقر عنه * لهيبة بطشه وشديد بأسه

والتم المشهور ناظر الجيش المنصور صدر الديوان وقاضى الجند والاعوان كما قيل

وتم تم دست الطير منه * كقاض زان أرباب الكتاب
عليه من المهابة ثوب مجد * كوجه الطائعين لذى الحساب

والطاوس كأزهى عروس فى أفخر ملبوس مقدم على الخواص كالناظر الخاص ناشر مروحة الارتياح يتجلى بجمال هيئته الفائق على الوجوه الملاح كما قيل

ثوبه قد حار فيه * كل صباغ عليم

وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الايام الا تقربا من السلطان انقضى باب الاسد وابن آوى

{باب ايلاذ وبلاذ وايراخت}

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى الاشياء التى يجب على الملك ان يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه أبالحلم ام بالمروءة ام بالشجاعة ام بالجود قال بيدبا ان احق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الامور وملاكها واجود ما كان فى الملوك كالذى زعموا من انه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى ايلاذ وكان متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى فى منامه ثمانية احلام افزعته فاستيقظ مرعوبا فدعا بالبراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا باجمعهم لقد رأى الملك عجبا فان امهلتنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك قد امهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا فى منزل احدهم وائتمروا بينهم وقالوا قد وجدتم علما واشيا تدركون به ثأركم وتنتقمون به من عدوكم وقد علمتم انه قتل منا بالامس اثنى عشر ألفا وها هو قد اطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلموا نغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على ان يفعل الذى نريد ونأمره فنقول ادفع الينا احباءك ومن يكرم عليك حتى

ولسان الحسن نادى * صبغة الله الحكيم
فيروق العين منه * فوق أوصاف الكليم

والبازى الامير الكبير صاحب الرأى والتدبير أمير الميمنه قد رتب صفه وزينه كما قيل

وباز أشهب عيناه جمر * يضىء وفى جناحيه النجاح

والصقر الشهم السابق فى الطيران الوهم أمير الميسره قد فاق بشهامته عسكره كما قيل

وصقران يلح فى القفرظبى * اتيح له من الجو اقتصابا
اقام بخلب عن شهم سهم * ونشر عن قوى الناب نابا

والباشق الجاووش ورأس نوبة العساكر والجيوش كما قيل

انظر الى الباشق فى صيده * ينقض كالسهم من الراشق
يقفو حماما مثل معشوقة * اتبعها الحب حشا العاشق

والببغاء تجلى فى الحلة الخضراء وتنثر من الخاتم الياقوت درر الثناء وتخبر بعجائب الهند وتسرد غرائب السند كما قيل

تسمت درة لكن كساها * حكيم الصنع ثوبا من زبرجد
ومن لها بمنقار عقيق * وخاط شعارها من عين عسجد

والهدهد لابس التاج ينهى الى موقع الدراج اخبار المساره والاحوال الساره كما قيل

وهدهد لابس ثوب البها * فعم اذ خص بصدق النبا
اغرب اذ شرق فى حسنه * ففاق أهل التاج حتى سبا

والحمام مقدم البريديه يتردد فى مواقف العبوديه والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب يدرسون العلم والآداب والبلبل والهزار ومطوقات الاطيار وساجعات الاسحار مسبحات الواحد القهار يتناشدون الاشعار ويرددون نغمات الاوتار ومطربات رنات الاوطار وضروب ضروب الموسيقاه من جنك المنقار والشحرور والزرزور وذوات الهديل من الطيور حتى جناح الزنبور تغرد فتخجل العود والطنبور وزواج الطير تبشر بالفرح والخير وأنواع الجوارح فى الخافقات والطير فى الجو صافات كل يفدى الملك ويقدم جسده وروحه ويسبح من آتاه الملك كل قد علم صلاته وتسبيحه فتقدم اللؤلؤ الى الحضره والملك فى أبهى نضره وقبل مواطئ سلطانه ووقف من مقام خدمته فى مكانه وقال شخص عارف بطرائق السلوك يليق لخدمة الملوك واقف بالباب يروم تقبيل الاعتاب يطلب لذلك الدستور والانعام باذن الحضور ليشمله النظر الشريف ويحظى بحظ وريق وريف هل يرجع كالمصروف عن خدمته أو يدخل كالدولة والاقبال فعطف بالقبول وأذن له بالدخول وسمح بالمثول فتوجه اللؤلؤ على عجل الى الجحل فدخل وهو من الحياء متأثر وفى ذيل الدهشة والهيبة متعثر وعليه غلالة سابوريه وخلعة نيسابوريه مشتملا بشملة كافوريه كأنه شيخ الصوفيه فلما وقع نظره على العقاب قوى جأشه ورفع الحجاب وحل عقدة لسانه من الكنة الخطاب ثم قبل الارض ووقف وانشد بديها وما توقف

ولو ان فغفورا وكسرى وتبعا * رأوك لخروا بين ايديك سجدا
وما أن وفوا حقا عليهم وانما * على قدر ما فى الوسع مدا الفتى يدا

فابتدر اللؤلؤ بلفظ يخجل اللؤلؤ وقال للعجل يريد ازالة الدهشة والخجل وطيب المقام ببسط الكلام ايها الغريب الاريب والاديب النجيب رأيناك روحا مشخصا وعقلا مشخصا

تقتلهم فانا قد نظرنا فى كتبنا فلم نر ان يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمى لك فان قال الملك ومن تريدون ان تقتلوا سموهم لى قلنا نريد الملكة ايراخت ام جوير المحمودة اكرم نسائك عليك ونريد جوير احب بنيك اليك وافضلهم عندك ونريد ابن أخيك الكريم وايلاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كمال الكاتب صاحب سرك وسيفك الذى لا يوجد مثله والفيل الابيض الذى لا تلحقه الخيل والفرس الذى هو مركبك فى القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ونريد البختى السريع القوى ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالامور لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول له انما ينبغى لك أيها الملك ان تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم فى حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معاشر البراهمة من الآفاق الاربعة نجول حولك فنرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهى فيدفع الله بذلك البلاء الذى نتخوفه عليك فان صبرت ايها الملك وطابت نفسك عن احبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من احببت وان أنت لم تفعل تخوفنا عليك

صحبتك مرغوبه ومنادمتك مطلوبه لقد حللت محل الامن والامانى وعقدة السعد والتهانى فدع دهشتك وذر وحشتك وافصح بكلامك عن كمالك وعن مقامك بمقالك فعباراتك عقيلة العقل وواسطة عقود النقل فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك أو وصية ترشد أهل السلوك يبين العدل بنورها طرائقه ويزين العقل بمجازها حقائقه وتستقيم بها الامور ويستفيد منها الجمهور أو نوع رفع مظالمه أو حط مأثمه أو كشف بلوى أو بث شكوى أو حاجة فى نفسك وما قاسيته فى يومك وامسك أو لطيفة تشرح بها الصدور وتبسط بايرادها الحضور فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها ونثر دررها على بادى الحاضرين وحاضرها فان المحل قابل وعنق الاصغاء الى اطواق لطائفك مائل ومجال الحلم لذلك واسع ومجال الكرم داسع وفاعل الصنيعة صانع وكف اللطف معط لامانع فقال الجمل بعد ان زال الخجل وحال الوجل وجال الزجل من غير ريث ولا عجل الحمد لله الذى آمن جراحنا واحيا بعد التلف أرواحنا قد كنا فى بيداء الحيرة والهلاك وظلماء الضر والخوف فى انهماك ومرت علينا سنون ونحن فى الخسار والغبون ونار الاشتياق تضطرم وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية فى الفؤاد تزدحم اذ قد انتشر جناح عدلها ونجاح ظلها وسماح وابلها وطلها وكرر كل لسان محامد فضلها واشتهر لكل حيوان مآثر نبلها فهى أمان كل مخوف وملجأ كل ملهوف لكن كانت العوادى تقرع تلك الدواعى وغواشى الحوادث تعترض دون المساعى تارة باكتناف المخاوف وطورا باحتفاف الخواطف وحينا بضعف المبانى وآونة بعدم المعاون والمعانى والآن يا ملك الزمان بحمد الله المنان ازحنا المهالك والمهاوى واسترحنا من ضرب المسالك والمساوى اذ قد طرنا بجناح النجاح من جنح الجناح وصرنا الى محل السماح والرباح فزالت العلل وانسد الخلل وحللنا فى عقوة منيفة وسدة شريفة فامنا شرك المكايد وشر المصايد وتوسدنا مهاد الدعه واستظللنا جناح الامن والسعه وانه قد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان وقيل الملك العادل والامام الفاضل كالأب الشفيق والوالد الرفيق يعامل بالسويه ويحفظ الرعيه ويحرسها من برد الماء وحر النار كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار وقلت

نزلنا فى ذرى ملك كريم * برانا مثل أولاد الكرام
اضل نوائب الايام عنا * فلم ترنا ولا فى الاحتلام
ولا مطر السماء يصيب منا * كأن مقامنا فوق الغمام

فقال الملك أهلا وسهلا وناقة ورحلا طب قلبا ونفسا واهنأ معنى وحسا لقد حللت بساحة الاستراحة وباحة للامن مباحه وقاحة ليس لصائد بها وقاحه ولا لجارحة جارح بها جراحه وقد خلصت من جوامر الكواسر ومناسر النواسر ونزلت بوادى الخير ونادى ملك الطير فاكرمت صدر منزلك ونلت غاية أملك فاذهب بسلام وأت بعيالك من خادم وغلام واهل وثقل وفرس وجمل واثاث وقماش ومعاش ورياش وتخير مكانا تختار وجارا حسن الجوار فقال أيها الملك السعيد انا شخص فريد غريب فقير لا أبريق لى ولا حصير وقلت

انا لولا الحيا وخوف العار * لم أكن فى الانام الاعارى
من رآنى فقد رآنى وبيتى * ودثارى ومركبى وشعارى

غير ان لى قرينة مثلى فقيرة مسكينه صابرة على السراء والضراء قضينا معا ماضى الصباح والمساء لم يترك عضل الحوادث لنا دارا ولا يد العوابث عقالا ولا عقارا ولا مخالب العوائث

ان يغصب ملكك او تهلك فان هو اطاعنا فيما نأمره قتلناه اى قتله شئنا فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا به رجعوا اليه فى اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا فى كتبنا فى تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأى فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح الكرامة ولسنا نقدر ان نعلمك بما رأينا الا ان تخلو بنا فاخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوه بالذى ائتمروا به فقال لهم الموت خير لى من الحياة ان أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسى وانا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكا وان الموت عندى وفراق الاحبا سواء قال له البرهميون ان أنت لم تغضب اخبرناك فاذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذى لك فيه الرجاء العظيم على ثقة ويقين وقر عينا بملكك فى وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم ولا تدع الامر العظيم وتأخذ بالضعف فتهلك نفسك ايثارا لمن تحب واعلم أيها الملك ان الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب من احب من الاحباب الا ليتمتع بهم فى حياته وانما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وانك لم تنل ملكك الا بالمشقة والعناء الكثير فى الشهور والسنين وليس ينبغى ان ترفضه ويهون عليك فاستمع كلامنا فانظر

جارا ولا جوارا ولاناب الكوارات ولدا ولاقرارا والويل كل الويل لمن كان مستقره فى طوارق الليل ومن حوادث الدهر على سبيل السيل وقد طال الكلام فى كيت وكيت وقضايا ذيت وذيت الى ان لم يبق فى البيت سوى البيت ولما بلغ سيل العرم الربى وحزام الهم الطبى وما حال من يرى أفلاذ كبده تتقطع ويشاهد كل وقت قرة عينه بمخاليب الجوارح تتبضع ولا يد للمدافعة تمتد ولا نهضة للممانعة تشتد فينشد

كفى حزنا أنى ارى من احبه * رهين الردى يرنو الى بطرفه
أود بأنى لو يفدى ومهجتى * ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضر أيوب وتضاعف حزن يعقوب تركنا تلك الديار بالاضطرار وعلى أبوابك الشريفه وقع الاختيار فرصدنا للتحويل أيمن الساعات واخترنا للرحيل أحسن الاوقات ثم صممنا العزيمه ونادانا هاتف السعد اسرع ان دى جذيمه فقطعنا المهامه والقفار وسرينا الليل والنهار فكم رغنا عن أبى الحصين ولقينا ما لاقى الحسين بكربلاء من الكرب والبلاء وكم لجأنا من بنى زغار الى كهف واجم وغار واحترزنا من قنافذ وافعوان ذى سم نافذ وفررنا من حبائل اشراك وحدنا عن اوهاق شباك واخترنا الجوع وعدم الهجوع على الحب المبذور لاصطياد الطيور كل ذلك فى المسالك والسعد قائدنا والفلاح رائدنا واليمن دليلنا وظلال أمنك ظليلنا وفى تهانى سعدك مبيتنا وكنف فضلك مقيلنا حتى حللنا بدار الامان ونزلنا بحرم مولانا السلطان فنادانا فضل خالق الورى لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى ألقيا عصا التسيار وانزلا عند خير جار فتركت القرينه فى منزلة حصينه وكل بلاد امينه واممت مقابلك الشريف وجنابك المنيف مقاما عظيما وجنابا كريما ومجلسا عاليا وبابا ساميا فتوخيت ثم نوديت

هذا هو الملك الذى من بابه * يعطى المخوف امانه لزمانه
عم الورى احسانه فكانما * أرزاقهم كتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه وقبل الارض بين يدى سلطانه وتوجه فائزا بامنيته حتى وصل الى خليلته فاخبرها بما جرى بتخيير المشترى وكيف رأى اليؤيؤ والملك وصورة ما فعل به وسلك وكيف تلقى مقدمه واكرمه الملك بما اكرمه وقرر كيف كان خطابه وعلى اى صورة حسناء رد جوابه فسر صدرها وانشرح وطارت بهذا الامر من الفرح ثم توجها الى حضرة السلطان وحصل لهما من الانعام والاحسان ما انسيا به الاوطان وسلكا بنفس مطمئنه فى خدمة الملك مع الجماعة وأهل السنه وخوطب اليعقوب من الملك اسكن أنت وزوجك الجنه فلما استقرت بهما الدار وتبدل انكسارهما بالانجبار افيض عليهما من الصدقات والادرارات والنفقات ما لم يخطر ببالهما ولا دار على خيالهما وحصل لهما الامن والامان والسلامة والاطمئنان وانشرحت خواطرهما وابتهجت بالسكون سرائرهما واستمر اليعقوب ملازم الخدمه وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمه وسمعت كلمته وتزايدت حشمته ولم يزل صبيح الطلعه نجيح السعى والنجعه وضىء المنظر مقضى الوطر يرتع على بساط النشاط ويطير فى رياض الامن والانبساط مؤديا شرائط الخدمة على الوجه الاحسن قائما بواجب العبودية مهما امكن الى ان تميز على سائر الخدم وتقدم على السابقين فى الخدمة وثبات القدم ناشرا ألوية النصيحة ناثرا الاثنية الصريحه منادما باللطائف الصحيحه والنوادر المليحه بالعبارات الفصيحه والاشارات الرجيحه حافظا زمام الاحتشام مراعيا مقامات الكلام

لنفسك مناها ودع ما سواها فانه لا خطر له فلما رأى الملك ان البرهميين قد اغلظوا له فى القول واستجروا عليه فى الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى حجرته نخر على وجهه يبكى ويتقلب كما تتقلب السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول فى نفسه ما أدرى اى الامرين أعظم فى نفسى الهلكة أم قتل احبائى ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكى بباق على الى الابد ولست بالمصيب سؤلى فى ملكى وانى لزاهد فى الحياة اذ لم أر ايراخت وكيف اقدر على القيام بملكى اذ هلك وزيرى ايلاذ وكيف اضبط أمرى اذا هلك فيلى الابيض وفرسى الجواد وكيف أدعى ملكا وقد قتلت من اشار البراهمة بقتله وما اصنع بالدنيا بعدهم ثم ان الحديث فشا فى الارض بحزن الملك وهمه فلما رأى ايلاذ ما نال الملك من الهم والحزن فكر بحكمته ونظر وقال ما ينبغى لى ان استقبل الملك فاسأله عن هذا الامر الذى قد ناله من غير ان يدعونى ثم انطلق الى ايراخت فقال انى منذ خدمت الملك الى الآن لم يعمل عملا الا بمشورتى ورأيى ولم أره يكتم عنى امرا الا أعلم ما هو ولا أراه يظهر منه شيأ وانى رأيته خاليا مع جماعة البرهميين منذ ليال وقد احتجب عنا فيها وانا خائف ان يكون قد اطلعهم على شئ من اسراره فلست آمنهم ان يشيروا عليه بما يضره

على مر الايام وكر الشهور والاعوام * ثم ختم الكلام فى هذا المقام باعظم ختام وهو حمد الله الملك العلام وشكره المستدعى لمزيد الانعام والصلاة على سيد الانام وآله واصحابه السادة الكرام عليه وعليهم أفضل التحية والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿الباب العاشر فى معاملة الخادم والاحباب والاعداء والاصحاب وبه تمت أبواب الكتاب﴾

قال الشيخ أبو المحاسن الراوى من الادب الاحاسن فلما أبان الحكيم عن هذا الفضل الجسيم وكشف نقاب البيان عن مخدرات هذا التبيان فتلألأ من وراء سجف ألفاظه وجوه معانيه الحسان عظم فى أعين الاعاظم وكبر لدى الاعراب والاعاجم ورفعه اخوه وعظمه ذووه فأضاء مناره وعلا مقداره وملأ الآفاق انواره ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختياره ثم استزاده من فيض هذا اليعبوب واستسقاه من حوض هذا الشؤبوب واستطعمه من اخبار العقاب واليعقوب ان كان ثم بقيه تجلوا القلوب الصديه فامتثل الاشاره وحسن العباره وقال ثم ان ابا الحجاج دعا القبيح ابا الدجاج واختص به دون اصحابه وقال له اعلم يا جليس الخير وأنيس الطير ورئيس الدير أنى تحملت من اليؤيؤ المنة العظيمه والجميلة الجسيمه حيث أرشدك الى بابى ونظمك فى سلك أصحابى ولا جرم انه قام بما يجب عليه وعرف مقدار احسانى وميلى اليه وانه لاوثق اعوانى واصدق خلانى وصاحب قديم ومخلص عديم النظير نديم وصديق كافى وناصح مصافى وانى لاتيمن بطلعته وأتبرك بمشاهدته واستنجح بارائه وأستصبح فى المهمات المظلمة بلامع ضيائه ولقد حصل منك على عضد معاضد وساعد مساعد وكهف وذخر وسند وظهر فاياك ان تترك ذيل مودته أو ترغب عن صحبته ومحبته وان تقتصر باذا الوقوف فى صداقته على الوقوف فافضل المحبه وأكمل الموده ما تزايد على مر الدهور وترادف على كر العصور وثبت أصله وغزرت فروعه وفاض من سويداء القلب على مجارى الجوارح ينبوعه بحيث يقع الاتحاد ويمتزج بالصفاء الوداد فقد قيل لا تصح المحبة بين اثنين حتى يصيرا كالعينين حيثما نظرت احداهما شزرا مالت معها تابعة الاخرى بل يصيرا كالنفس الواحده لا كل واحد على حده ولا كما تقول الملاحده بل يكمل لكل واحد بالآخر الهناء او يحصل له بوجوده السناء واذا خاطبه قال يا أنا ولا تعمل يا أكمل كما قيل

ملأت حشاشتى شوقا وحبا * فان تروم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عنده الفتوح وباب الفضل والزيادة مفتوح وكرم الله لا يضاهى وفضله كعلمه لا يتناهى وانظر يا فضيل وذا العلم العريض الطويل الى ما قيل وهو

أيها السائل عن قصتنا * أنا من أهوى ومن أهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا * من رآنا لم يفرق بيننا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال للناس بنا
فاذا أبصرته ابصرتنى * واذا أبصرتنى ابصرتنا

والطف من هذا وأرصن ما قاله القائل واحسن وهو

انا والمحبوب كنا فى القدم * نقطة واحدة من غير مين
فبرانا الله اذ أظهرنا * مهجة واحدة فى بدنين

ويدخل عليه منه السوء فقومى وادخلى عليه فاسأليه عن أمره وشأنه وأخبرينى بما هو عليه واعلمينى فانى لست اقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد زينوا له أمرا وحملوه على خطة قبيحة وقد علمت ان من خلق الملك انه اذا غضب لا يسأل أحدا وسواء عنده صغير الامور وكبيرها فقالت ايراخت انه كان بينى وبين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه فى هذه الحال فقال لها الا لا تحملى عليه الحقد فى مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك وقد سمعته كثيرا يقول ما اشتد غمى ودخلت على ايراخت الا سرى ذلك عنى فقومى اليه واصفحى عنه وكلميه بما تعلمين انه تطيب به نفسه ويذهب الذى يجده واعلمينى بما يكون جوابه فانه لنا ولاهل المملكة اعظم الراحة فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت ما الذى بك أيها الملك المحمود وما الذى سمعت من البراهمة فانى أراك محزونا فاعلمنى ما بك فقد ينبغى لنا ان نحزن معك ونواسيك بانفسنا فقال الملك ايها المرأة لا تسأليني عن أمرى فتزيدينى غما وحزنا فانه أمر لا ينبغى ان تسأليني عنه قالت أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا انما احد الناس عقلا من اذا نزلت

فاذا ما الجسم أمسى فانيا * تلتقينا واحدا من غير بين

ولقد ذكرك عندى بأنواع الفضل وبوفور التجارب والعقل وهذا يدل على نصحه وقوة دينه وصدقه فى المحبة وحسن يقينه ولم يذكر غير الواقع ولا جازف فيما أنهاه الى المسامع بل قال قليلا من كثير وقطرة من غدير ولم يخبر بذلك غير خبير فانى اعرفك كما عرف ووقفت على فضائلك كما وقف ثم انت عندى فوق ما وصف فاريد منك نصائح بالخير لوائح تتضمن فوائد وعوائد وفرائد تكون لنهم الحكمة موائد ولشهم الحكام قوائد ولنحور ألباب المعقول وأرباب المنقول قلائد واضبط أساس الملك والدين قواعد وعقائد فتلقى مثاله بالامتثال وقبل الارض فى مقام العبودية وقام وقال لحظ العلوم الشريفة والآراء العالية المنيفة أن صانع العالم تعالى وتعاظم بنى أمور المبدا والمعاد وما بينهما من معاش مستفاد على دليلين عظيمين جليلين أحدهما العقل الذى هو مناط التكليف وثانيهما قواعد الشرع الشريف فان اردت ان تكون سعيد الدارين فاستمسك باذيال هذين الدليلين أما العقل فهو الدليل القاطع على وجود الصانع وهو مستقل بالقطع غير محتاج الى السمع وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته ثم ورد بذلك الشرع فتأكدت فى وجود الصانع دلالة العقل بالسمع وأما وحدانية الصانع فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع وقد تطافرا بالاستباق اليه وتظاهرا فى الدلالة عليه بقول الكافر يوم المصير لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدا والمعاش وبالسمع فقط مبحث المعاد عاش لان أمور المعاد من الشرع تستفاد والعقل فى ذلك تابع سامع لاوامر الشرع طائع والمسموع فى ذلك دليل قاطع وعلى كل تقدير أيها الملك الكبير فاجعل العقل وزيرا تجده لك فى ظلمات المشكلات سراجا منيرا واتخذ النقل هاديا ونصيرا يكن بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وعامل الرعية بالعدل يعاملك الله بالفضل واعلم ان الدنيا فى معرض الزوال وانه لابد عنها من الانتقال وان الله سبحانه وتعالى وجل سلطانه جلالا اقتضت حكمته وجرت بين عباده سنته أن يكون الانسان على خلاف ما فطره الرحمن فانه خلقه للعبادة وركب فيه عناده وأقامه للعمل وجبله على الكسل فامره بالصلاة وهو كسلان وبالصوم وهو شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الانتقال وبالرضا وركز فيه الغضب وبالتسليم والصبر وخمره بالضجر والصخب وبالتواضع ووضع فيه التيه وبالتخلق باخلاق خالقه وفيه ما فيه وحكم عليه بالموت وقد تحقق انه ليس له منه فوت وهو يكره عن الدنيا التحويل وأقل اقسامه انه يحب العمر الطويل وعلى هذا قد تعود أن يفعل فى المكان المتزود أفعال المقيم المؤبد والدائم المخلد ويبنى بناء من لا ينتقل وعن قليل يتركه ويرتحل لاسيما من تعلق بالدنيا قلبه وتشبث بالمال والولد والجاه والتحكم حبه وقد أخبر العزيز الوهاب فى أصدق كتاب وأوثق خطاب فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فالنفس مائلة الى الاقامة راغبة فى دوام السلامة تحب طول العمر فى الزمان وان احوجت الثمانون السمع الى ترجمان وقد قيل

وأحسن ما كان الفتى فى زمانه * مع السعد والجاه العظيم معمرا

وأشهى ما سمع الحاكم وألذ ما تلقاه من قول الناظم قوله

به النازلة كان لنفسه أشد ضبطا وأكثرهم استماعا من اهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة ولا تدخلن عليك شيأ من الهم والحزن فانهما لا يردان شيأ مقضيا الا انهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو وقال لها الملك لا تسأليني عن شئ فقد شققت على والذى تسأليني عنه لا خير فيه لان عاقبته هلاكى وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتى ومن هو عديل نفسى وذلك ان البراهمة زعموا انه لابد من قتلك وقتل كثير من اهل مودتى ولا خير فى العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا الا أعتراه الحزن فلما سمعت ذلك ايراخت جزعت ومنعها عقلها ان تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لا تجزع فنحن لك الفداء ولك فى سواى ومثلى من الجوارى ما تقر به عينك ولكنى اطلب منك أيها الملك حاجة يحملنى على طلبها حبى لك وايثارى اياك وهى نصيحتى لك قال الملك وما هى قالت اطلب منك أن لا تثق بعدها باحد من البراهمة ولا تشاورهم فى أمر حتى تتثبت فى أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك مرارا فان القتل أمر عظيم ولست تقدر على ان تحيى من قتلت وقد قيل فى الحديث اذا لقيت جوهرا لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه وانت ايها الملك لا تعرف اعداءك واعلم ان البراهمة

فلازالت بين الورى حاكما * بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغني يا ملك الزمان ان الملك العادل انوشروان كان بنى اساس ملكه على العدل وعامل رعيته بالاحسان والفضل ويكفيه من الفضائل وحسن الشمائل قول سيد الاواخر والاوائل ولدت في زمن الملك العادل وقال الرحمن في محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقد قيل في الاقاويل لا ملك الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعمارة ولا عمارة الا بالعدل فلا ملك الا بالعدل ومن اقوى الصفات العدليه عمارة بلاد الرعيه وبذل الجهد في العماره ليكثر الربح وتقل الخساره فاذا عمرت البلاد وترم الطريف والتلاد حصلت الاموال وكثرت الرجال وانتظمت الاحوال فقد بلغني يا ملك الزمان ان الملك انوشروان كان ما وافى سيرانه بين جنده واعوانه فرأى شيخا كانه قوس قطان نثر على رأسه قزع أقطان وهو في بعض البساتين يغرس نصب تين فتعجب من انحناء قامته وبياض هامته مع شدة حرصه وتعبه على نصب غرسه ونصبه فقال له يا ذا التجارب ومن هو من شرك الفناء هارب الام ترتع في ميادين الامل وقد تطوقت باوهاق الاجل تبنى واركان جسدك واهيه وتغرس وقوائم بدنك كاعجاز نخل خاويه وربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد أدركه شتاء العدم ومحت نسيم طراوتك عواصف الذبول ومحت قوى عبالتك قواصف النحول وقد آن ان تغرس للآخره فانك قد صرت عظاما ناخره فقال يا ملك الزمان وعادل الاوان قد تسلمناها عامره فلا نسلمها غامره قد غرسوا وأكلنا ونغرس ويأكلون وفي الحقيقة كلنا زارعون وغارسون

لقد غرسوا حتى أكلنا واننا * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب أنوشروان وفور عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعني أحسنت وهي كلمة تحسين ولفظة اعجاب وتزيين وكانت علامة للاحسان اذا تلفظ بها السلطان يعطى المقول في حقه أربعة آلاف درهم لرفقه فأعطوا الشيخ الهم أربعة آلاف درهم فقال أيها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان وان غراسي لحسن طاعته أثمر من ساعته فقال زه أعطوه أربعة آلاف اخرى ورفعوا منزلته قدرا فقال وأعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مرة وأنا غراسي يثمر مرتين فقال زه فاعطوه القدر المعلوم وزادوه في التكريم والتعظيم والتفخيم وقال له أنوشروان ان أمهلك الزمان حتى تأتيني بباكوره ذا البستان فانا أقطعك خراجه واقضي مالك من حاجه فامهله الدهر وطال به العمر وادرك ما نصبه ولم يخيب الله تعبه فحمل الى الملك الباكوره ووفى له الملك نذوره (وانما أوردت) هذا المثل ليعلم مولانا الملك الاجل ان الدنيا وان كانت ظلا زائلا وحائطا مائلا فهي مزرعة للآخره وان الآخرة هي الدار الفاخره وان الله تعالى وجل جلالا ولاك هذه المزرعه وعلق باوامرك العليه ما بها من مضرة ومنفعه وحكمك في البلاد وملكك رقاب العباد فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعه أو تسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعه فانك مسؤول منها ومسؤول عنها وان مصالح عساكرك بها منوطه وأحوال ملكك بالعساكر مربوطه فكلما تعمرت الضياع والقرى ترفهت الاجناد والامرا واستراحت الرعيه واستمرت مناظم الملك مرعيه وتوفرت الخزائن واطمأن الظاعن والساكن وقلت المظالم وكفت أكف الظالم وملاك هذا كله العدل والاستوا ومجانبة الاغراض الفاسدة والهوى وهذا الذي يقتضيه مقامك ويتم به مرامك

لا يحبونك وقد قتلت منهم بالامس اثني عشر ألفا ولا تظن ان هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمري ما كنت جديرا ان تخبرهم برؤياك ولا ان تطلعهم عليها وانما قالوا لك ما قالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون احباءك ووزيرك فيبلغون قصدهم منك فأظنك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بك وغلبوك على ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كبار يون الحكيم فهو عالم فطن فأخبره عما رأيت في رؤياك واسأله عن وجهها وتأويلها فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم فأمر بفرسه فأسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطأطأ الرأس بين يديه فقال له الحكيم ما بالك أيها الملك ومالي أراك متغير اللون فقال له الملك اني رأيت في المنام ثمانية أحلام فقصصتها على البراهمة وأنا خائف ان يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي واخشى ان يغصب مني ملكي او ان اغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت اقصص رؤياك علي فلما قص عليه الملك رؤياه قال لا يحزنك أيها الملك هذا الامر ولا تخف منه اما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على اذنابهما فانه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من

فان الملك انما هو ملك بالاجناد فلا بدله من عمارة البلاد والنظر فى مصالح العباد لينتظم بنظره مصالح العالمين ويستقيم أمر العالم الى الحين الذى قدره أحكم الحاكمين فان سنة الله جرت على هذا السنن ومارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن ولهذا قال سيد سكان الخيف انا نبى السيف والجهاد فرض عين على الملوك لا على الفقير والصعلوك فالملوك فى نوع من السياده تقتضى من المال ازدياده ليقيموا من الاسلام عماده ويثقفوا من الشرع مراده ويقصدوا الكفر وعناده ويبيدوا أهله وأولاده وينهبوا طرافه وتلاده ويوطئوا سنابك الايمان بلاده وواجب على كل حاكم ان يبذل فى ذلك اجتهاده ويجعل الجهاد الى الآخرة زاده وعتاده ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده الى يوم يلقى معاده فيجازيه الله الحسنى وزياده هذه طريقة الملوك ومن تبعهم فى الاقتداء والسلوك واياك ايها الملك العظيم وصاحب الملك الجسيم أخذ المال من غير حله ووضعه فى غير محله ولو كان موضع الخير وقصد به نفع الغير فانه لا يفى ذلك بذا ولا يقوم نفعه بما فيه من أذى فذلك كانشاء المغارس وبنيان المدارس وتنوير المساجد وتعمير المعابد وسد الثغور وعمارة القبور واقامة القناطر والجسور وعمل مصالح الجمهور واطعام الطعام وكفالة الايتام والحج الى بيت الله الحرام واعطاء السائل واغناء الارامل وصرف النفقات واخراج الزكوات والصدقات ومثله الويل كما قيل

بنى مسجدا لله من غير حله * فصار بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

قال من لم يخف عليه اخفاؤها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ثم اخبر بخبر ما يصدر عنكم فقال ولكن يناله التقوى منكم فان طلب من هذا أجر فهو خسران وكفر لانه فى صورة الاستهزاء وهل يطلب بقبيح الحرام حسن الجزاء بل الواجب فى هذا على كل من آذى رد المظالم وخلاص ذمة الظالم ورجع الحقوق الى أهلها وايصالها الى محلها أما يرضى ظالم غوى وتحمل الحرام هوى ان يتخلص سواء بسوا وشر الناس يا ذا الباس من اتبع قضية اياس فسأل العقاب عن بيان هذا الخطاب (فقال) كان فى الشام شخص من اللئام تصدى لفصل الاحكام ومشى من الظلم فى ظلام وشرع فى أخذ الاموال على سبيل التعدى والوبال فكان اذا أخذ من أحد ألفا ادخر لنفسه من ذلك نصفا وتصدق بالخمسمائة الاخرى على أولى الضر والضرا كل واحد درهما وعد ذلك مغنما وقال هذه فائده علينا بالربح عائده الحسنات خمسمائة والسيئة واحده وواحده علينا وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء الينا ثم قال ذلك الجاحد ولا تعجز الخمسمائة عن الواحد * هذا وان كان والعياذ بالله صرف ذلك الحرام فى الفسق والملاه ونيل الاغراض الفاسدة واقامة الجاه فهو أشد فى النكال واعظم فى الوزر والوبال وهذا المقام يطول فيه الكلام وأقل ما فى الباب ان الحلال حساب والحرام عقاب وقد سمعت يا جليل القدر ما نطق به السيد الصدر الذى أخجل نور طلعته الشمس والبدر سيد الانام ومصباح الظلام وحبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام يوما لاصحابه السادة الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم وجمعنا فى مستقر رحمته واياهم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت

الدر والياقوت الاحمر قيمتهما اربعة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك * واما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان بين يديك * واما الحية التى رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صغير من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله * واما الدم الذى رأيت كأنه خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة ارجوان يضىء فى الظلمة * واما ما رأيت من غسلك جسمك بالماء فانه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك * واما ما رأيت من انك على جبل ابيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل ابيض لا تلحقه الخيل * واما ما رأيت على راسك شبيه ابالنار فانه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك باكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت واما الطير الذى رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عمن تحبه فهذا تفسير رؤياك أيها الملك * وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعا فيقومون بين يديك فلما سمع الملك ذلك سجد لكبار يون

حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلاه والصوم والزكاه واقعة فى محلها ومصارفها فى حلها فانها لا تفيد الظالم الا فى وفاء المظالم وأما اذا كانت من الحرام ومنشأ غرامها من مياه الآثام فهى وبال على وبال وثبور فوق نكال ووهن على كسر ونقصان فوق خسر وقال أيضا أفاض الله عليه سحائب صلواته فيضا لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فاستعذ بالله يا مولى الطاير ومولى الخير من نار هذا الشرر أن تتفرق طاعتك شذر مذر وأعيذك يا سلطان الصافات وما اكتسبته من الطاعات والخيرات أن ينقل الى ديوان غيرك أو يفوز بخيرك سوى طيرك اللهم الا أن يكون باذا الوقار والسكون على وجه ما قال من أحسن المقال

ويكتسب الطاعات ذخرا لعلمها * يجود بها يوم القيام على العاصى

أو على وجه ما قيل وأحسن به من وجه جميل

يجود بما ضن الجواد بمثله * من الوفر بل لو أمكنته شمائله
لعاد على المرضى بصحة جسمه * وجاد على الموتى بعمر يطاوله
ومن على النوكى بوافر عقله * وقسم فى الحمقى من الرأى كامله
وثقل ميزان المخف باجره * لدى الوزن لما آد بالوزر كاهله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم والخطب الجسيم تورع عن الحلال الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون قال سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام اللهم ارزق آل محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية أمانه ومن تقلد ذلك فقد أوجب على نفسه ضمانه فليجتنب خيانته ولا يشن بها أمانته قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ومصداقه قول رب العالمين وملك الملوك والسلاطين وهو أصدق القائلين انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان امانه ان هذا الملك الذى بيدك هو من حملة الامانه التى أشفق السموات والارض والجبال وأبين أن يحملنها خوفا من النكال والوبال وخشية ان لا يفين بحقوق حملها أو يضعنها فى غير محلها فيعاقبن أو بالعتاب يخاطبن فتعففن عن الرغبة فى الثواب خوفا من العتاب والعقاب وعملن بموجب ما قيل

هجرتك لا لقلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت أن المنية فى الورود
تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهى تنظر من بعيد
تصد بوجه ذى البغضاء عنه * وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم لما قدره وقضاه العلى الاعظم فى سابق القدم ولما فيها من أحكام وحكم وان الصادق المصدوق أخبر فيما روى عنه أبو ذر قال قلت يا رسول الله ألا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانه وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فمن جملتها الصلاه والصوم والزكاه والوضوء والاغتسال ومراقبة ذى الجلال فى السر والاعلان بقدر الطاقة

ورجع الى منزله فلما كان بعد سبعة ايام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت واذن للاشراف وجاءته الهدايا كما اخبره كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياى على البراهمة فأمرونى بما امرونى به ولولا ان الله تعالى تداركنى برحمته لكنت قد هلكت واهلكت وكذلك لا ينبغى لكل احد ان يسمع الامن الاخلاء ذوى العقول وان ايراخت اشارت بالخير فقبلته ورايت به النجاح فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت ثم قال لا بلاذ خذ الاكليل والثياب واحملها واتبعنى بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ايراخت وحورقناه اكرم نسائه بين يديه فقال لابلاذ ضع الكسوة والاكليل بين يدى ايراخت لتأخذ ايها شاءت فوضعت الهدايا بين يدى ايراخت فأخذت منها الاكليل واخذت حورقناه كسوة من اخير الثياب واحسنها وكان من عادة الملك ان يكون ليلة عند ايراخت وليلة عند حورقناه وكان من سنة الملك ان تهيئ له المرأة التى يكون عندها فى ليلتها ارزا بحلاوة فتطعمه اياه فأتى الملك ايراخت فى نوبتها وقد صنعت له ارزا فدخلت عليه بالصحفة والاكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ايراخت فلبست تلك الكسوة ومرت بين يدى الملك

والامكان وعلى هذا جميع الطاعات وأنواع العبادات هى فى رقاب العباد امانات ومن أعظمها وأهمها وأحكمها الامرة والحكومه والتصدى لفصل الخصومه والسلطنة العليه وأمور الملك البهيه والقيام بأمور الرعيه فيجب على السادة الحكام ومالكى ازمة الانام ان يراقبوا الله تعالى فى كيفية أدائها ويطالبوا أنفسهم على ممر الانفاس بالقيام بوفائها ويراعوا أوامر سلطان السلاطين فى أمور عبيده المستضعفين خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين فاذا عاملوا عباد الله بالعدل عاملهم الله عز وجل بالفضل قال الله المنان فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال السيد الكامل والسند الفاضل أشرف الاواخر والاوائل صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصائل سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله امام عادل بدأ فى هذا الفصل من ذكر الصفات بالعدل والعدل يا ذا الوجه المنير الوسط والوسط هو الخير قال من أمره فهو وسطا وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء أى للانبياء تشهدون لهم على أممهم لعدالة فيكم ويكون الرسول عليكم شهيدا أى يزكيكم أى وكما جعلنا فيكم امام القبلتين حائز الفضيلتين جعلناكم حائزين خصلتين بالغين مرتبتين وهما كونكم عدولا شهداء على الناس للانبياء مقبولى الشهادة فى الاداء وكون الرسول معدلكم وبتزكيته على الامم مفضلكم وقال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى كثير بن مرة رضى الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر وعن ابى هريرة رضى الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل من عبادة العابد فى اهله مائة سنة او خمسين سنة وقال قيس بن سعد ستين سنة واعلم ايها الملك الاعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى فى الارض به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يؤخذ للضعيف من القوى ويعبد الله على الصراط السوى ويتميز الحق من الباطل والحالى من العاطل وهو من صفات الذات واعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلالا له ان يفعل فى ملكه ما يشاء فيؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد وجميعهم بعض ملكه نافذ فيهم سهم أمر مالكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لاسيما اذا كان مولاه كريما وفى افعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وان افعاله جارية بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر ويقابل نعمه بالشكر ويطمئن خاطره وتسكن الى مولاه سرائره فلا يستقبح موجودا ولا يستحسن مفقودا ولا يستثقل حكما ولا يرى فى الكون ظلما بل يستقبل الاحكام بالرضا ويستسلم لموارد القضا ويقابل العوارض بما قاله ابن الفارض

وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى

واعدل المخلوقات وأوسط الكائنات الانبياء عليهم السلام فانهم اعدل الخلق مزاجا وطبيعه وأقوم الناس منهاجا وشريعه وأوسط البشر أفعالا واقسطهم أعمالا واقوالا وانما يعترض على اقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق

منصرف

ونال الشباب تضىء عليها سامع نور وجهها كما تضىء الشمس فلما رآها الملك اعجبته ثم التفت الى ايراخت فقال انك جاهلة حين اخذت الاكليل وتركت الكسوة التى ليس فى خزائننا مثلها فلما سمعت ايراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها اياها هى وذم رأيها اخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الارز على وجهه فقام الملك من مكانه ودعا بايلاذ فقال له الا ترى وانا ملك العالم كيف حقرتنى هذه الجاهلة وفعلت بى ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا اقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الراى من الملكات التى ليس لها عديل فى النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت اعمالا صالحة ورجاؤنا فيها عظيم ولست آمنه ان يقول لم تؤخر قتلها حتى تراجعنى فلست قاتلها حتى انظر رأى الملك فيها ثانية فان رايته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت ايراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس بذلك يدا وان رأيته فرحا مستريحا صوبا رايه فى الذى فعله وامر به فقتلها لا يفوت ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من امنائه وامره

منصرف ومن عين بصيرته عمياء عن مراقبة التحقيق كالاعمى الذى خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعثر فى شوك أو حجر أو يصدمه حيوان أو شجر فيقول نحواه ـذا عن الطريق فانه يحصل به للمارة تعويق ويعيب على واضعه وانما العيب فى طبائعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذوالخويصره لسيد الرسل البرره لما قسم الغنيمه قسمة مستقيمه اعدل فأجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه أى ذا الخويصره الذى أعمى الله بصره خاب وخسر ولاقى اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله تعالى بالعدل ونشر هذا النقل وأقر عينيكم بقوله وأمرت لاعدل بينكم قال الاسد الغالب على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له أحسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وقيل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل فصل قضية فى فصل أحسن من سلوك طريقة العدل ولهذا بقى اسم انوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم ينصب الميزان مع انه كان مجوسيا يعبد النيران والسنة التى اخترعها بالسلسلة التى وضعها باقية فى ممالك الصين معمول بها الى آخرين وقيل انه كان شديد الوداد للاصطياد وكان يعشق البازى والزرق والصقر والباشق والبيدق فسأل يوما من البازدار لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار قال لانها تظلم الطيور والظالم عمره قصير فتنبه بهذه الكلمه واتعظ وكف يده عن الظلم واحتفظ ثم أسس قواعد العدل فانتشر ذكره الى يوم الفصل ويكفيه من الفضائل قول السيد الكامل ولدت فى زمن الملك العادل وروى ان بعض الملوك العادلين والحكام الفاضلين استولى عليه الكبر ووقر فى اذنه وقر وكان قبل الصمم فى العدل والكرم كما قيل

وأنه مظلوم وغنة سائل * على اذنه أحلى من الشهد فى الفم

فحزن لفقد سمعه وتأسف وتحرق وتلهف وتأرق وبكى وتأوه واشتكى وقال ما تلهف من عدم سماع الحديث الاعلى فقدى صوت المستغيث ولا كنت اتلذذ من متكلم الا بالاصغاء الى خطاب المتظلم ثم قال والئن حرمت ذلك من طريق الاخبار فلا توصلن اليه من طريق الابصار ثم امر باشهار النداء فى الاطراف والارجاء انه من كانت له ظلامه فلتظهر له علامه وهى ان يلبس ثوبا احمر ويقف فوق ذلك التل الاخضر لنعرف علامته ونكشف ظلامته وقيل ان السلطان السعيد نور الدين الشهيد لما أمر ببناء دار العدل وعزم أن يقيم فيها الحكومات الفصل ادرك الامير الكبير صاحب الرأى المنير اسد الدين شيركوه ما يعتمده السلطان ويرجوه وما يحمله على ذلك ويدعوه وعلم ان ذلك الاسد لا يسامح عنده احد وانه لا يراعى فى الحق اميرا ولا كبيرا ولا صغيرا فانه مع الحق وبالحق قائم لا تأخذه فى الله لومة لائم فجمع مباشرى ديوانه واكد ما قاله لهم وأعوانه لئن شكا منهم أحد أو بلغه عن أحد من حاشيته ظلم أو نكد ليذيقنه أشد العذاب ولينزلن به انكى عقاب وقال ما برز هذا الامر العزيز الغالى وبناء هذا المقعد العام العالى الالاجلى ولاجل امثالى فاوسعهم الاطلاب الخصوم واسترضاء العادل والمظلوم (وروى) ان احد الصدور غصبه بعض عمال المنصور واخذ منه كفرا من الكفور فتوجه الى الخليفه وضرب له امثالا طريفه وقال أصلح الله أمير المؤمنين وأقام به شعائر الدين ونصر به المظلومين على الظالمين أأذكر ظلامتى اولا ام اضرب امام

يخدمها وحواسها حتى ينظر ما يكون من امرها وامر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيها الملك انى قد أمضيت أمرك فى ايراخت فلم يلبث الملك ان سكن عنه الغضب وذكر جمال ايراخت وحسنها واشتد أسفه عليها وجعل يعزى نفسه عنها ويتجلد وهو مع ذلك يستحيى ان يسأل ايلاذ أحقا امضى امره فيها أم لا ورجاء لما عرف من عقل ايلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليه ايلاذ بفضل عقله فعلم الذى به فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس فى الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان احب الملك حدثته بحديث يسليه قال حدثنى (قال) ايلاذ زعموا ان حمامتين ذكرا وانثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا فى الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيأ فاذا جاء الشتاء ولم يكن فى الصحارى شئ رجعنا الى ما فى عشنا فأكلناه فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه فى عشهما فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا فقال لها أليس كنا أجمعنا رأينا على ان لا نأكل منه شيأ فلم أكلته فجعلت تحلف انها ما أكلت منه شيأ وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت فلما

حاجتي مثلا فقال دع الجدل واضرب المثل فقال الملك الله العدل واقام بك قواعد
الفضل ان الطفل اذا نابه ما يكرهه اوقرعه خطاب يهيبه فر الى امه واجهش اليها من همه
فأوى الى حضنها واندس تحت بطنها لانه لا يعرف سواها فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها
ولا يظن ان غيرها يدفع عن نفسه ضيرها فاذا عرف أباه بث اليه شكواه واستدفع به ما عراه
لانه قد وقر في وهمه ان اباه اقوى من امه وان غيره من الناس لا يقدر على دفع الباس فيلجأ
اليه فيترامى في دفع شدائده عليه ولا يقبل عذره ان ترك نصره اوقصر في مبتغاه او تهاون
في متمناه ولهذا قال بدر الحي ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شي فاذا
اشتد واستوى واصابه من أحد جوى تقدم الى الوالي لان مقامه عالي وهو أقوى من أبيه
فيستكشف به ما وقع فيه فاذا صار رجلا وأصابه من أحد نكد وبلا استنجد بنائب السلطان
فوجد له أحسن معوان فأشكاه ورفع بلواه وكفاه اذ دعاه من عداه ما دهاه وردعه عما
عراه فانه اقوى من الوالي واقدر على دفع الظلامة من كل منهمك غالي وهو السلطان الحاضر
والعامل والناظر على البادي والحاضر فاذا ظلمه الوالي والعامل ونقصه حقه ذو الحكم الكامل
تعلق باذيال عدل السلطان واستكشف براحم نصرته ما دهاه من عدوان اذ قد تحقق
ورأى وصدق انه اقوى من الكل والى مرسومه مرجع الجل والقل ولا يد فوق يده
وانه قد انتهى حد بث رفعته لملوسنده وبلغ في التسلط ونفوذ الامر الى اقصى امده اذ هو
ظل الله في ارضه وخليفته في اقامة نفله واحياء فرضه وقابض ازمة المخلوقين ومنصف
المظلومين من الظالمين فاذا لم ينصفه السلطان مع القدرة الكاملة والامكان توجه بشكواه
الى سلطان السلاطين وطلب رفع ظلامته من رب العالمين لعلمه انه الحكم الذي لا يجور
والحكيم الذي بيده مقاليد الامور والحاكم الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وانه
أقوى من السلطان ولا يحتاج في الشكوى الى بينة ولا يمان ولا الى دليل ولا الى برهان وقد
نزلت بي حادثه للقلب كارثه وبالفكر عائثه وللسر عائثه وهي ان العامل الفلاني
ظلمني وأخذ مكاني فأنا اشكوه اليك وقد ترامیت عليك وعرضت قصتي بين يديك لانك
نعم السند وليس فوقك أحد ولا في الحكام الامن هو لك بمنزلة الغلام وما بعدك الا الله
مولى لا يخيب من رجاه ويجيب المضطر اذا دعاه فان وعيت قصتي وكشفت غصتي والا
رفعتها الى الله وقطعت النظر عما سواه وهذا أوان الموسم واعمال المقسم وأنا متوجه الى حرمه
ومترام على باب احسانه وكرمه فلما وعى المنصور خطابه أرسل من سحاب جفنه عبابه
وقال حبا وكرامه يا ذا الزعامه بل انصفك وبالفضل اسعفك واضعف كرامتك واكشف
ظلامتك واوصلك حقك واعطيك مستحقك وأمر فكتب الى واليه يضع من معاليه
ويأمره برد أراضيه وطلب مراضيه والتفال من ظلم أياديه واكرام محله وناديه * وروي ان
موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم في بعض مناجاته وسؤاله حاجاته سأل الله من فضله
ان يريه نكتة من عدله فأمره ان يتوجه الى مكان ويختفي فيه عن العيان فامتثل ما به
أمر واختفى في ذلك المكان على شط نهر فما كان باسرع من قدوم انسان الى ذلك المكان
فبمجرد ما وصل اليه نزع من ملبوسه ما عليه وكان معه كيس فيه مال نفيس فاودعه
ثيابه ورام في الماء انسيابه فدخل في ذلك النهر وغلغل فيه الى ان غاب عن النظر فاقبل فارس
فوجد ثيابا بلا حارس فنزل عن الدابه وفتش ثيابه وأخذ كيس الذهب وركب فرسه
وذهب وأسرع في الذهاب الى ان زال شخصه وغاب ثم أقبل شخص ذو شيب وعلى

جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى
الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى
الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب
حمامته وقال ما ينفعني الحب والعيش
بعدك اذا طلبتك فلم اجدك ولم أقدر
عليك واذا فكرت في أمرك وعلمت
أني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك
ما فات ثم استمر على حزنه فلم يطعم
طعاما ولا شرابا حتى مات الى جانبها
والعاقل لا يعجل في العذاب
والعقوبة ولا سيما من يخاف
الندامة كما ندم الحمام الذكر وقد
سمعت أيضا ان رجلا دخل الجبل
وعلى رأسه كارة من العدس فوضع
الكارة عن ظهره ليستريح فنزل
قرد من شجرة فأخذ مل‌ء كفه من
العدس وصعد الى الشجرة فسقطت
من يده حبة فنزل في طلبها فلم يجدها
وانتثر ما كان في يده من العدس
أجمع وأنت أيضا أيها الملك عندك
ستة عشر ألف امرأة تدع أن
تلهو بهن وتطلب التي لا تجد فلما
سمع الملك ذلك خشي أن تكون
ايراخت قد هلكت فقال لا يلاذ
لم لا تأنيت وتثبت بل أسرعت عند
سماع كلمة واحدة فتعلقت بها وفعلت
ما أمرتك به من ساعتك قال ايلاذ
ان الذي قوله واحد لا يختلف هو
الله الذي لا تبديل لكلماته ولا
اختلاف لقوله قال الملك لقد أفسدت
أمري وشددت حزني بقتل ايراخت
قال ايلاذ اثنان ينبغي لهما ان يحزنا
الذي يعمل الاثم في كل يوم والذي
لا يعمل خيرا قط لان فرحهما في

ظهره حزمة حطب فانتهى الى الما وقد برح به الظما وأمضه التعب وأخذ منه النصب فطرح عن ظهره الحطب وقصد الراحه وقد ظهر الذى كان فى السياحه فوجد عند ثيابه شخصا من اترابه فاستأنس به وتأوه لمكتسبه وما يقاسيه من تعبه ثم اشتمل ملبوسه وتفقد كيسه فما وجده فعض يده فسأل الحطاب عما كان فى الثياب وطلب منه الكيس بالتعبيس فقال ما رأيته ولا حويته فقال هل كان معك احد فقال لا والواحد الاحد قال فهل كان هنا سواك قال لا والذى سواك قال يا أخى انا وضعت الهميان بيدى فى هذا المكان ولم يطل على ذلك زمان ولا حضر سواك حيوان ولا طمث عذراء هذا الموضع انس ولا جان فلا أشك انك أخذته ولنفسك اقتلذته فأقسم بعالم الخفيات وكاشف البليات المطلع على الضمائر والنيات انه ما رأى له هميانا ولا يعرف لذلك مكانا فقال لو شهد لك الكون والمكان ونطق ببراءتك جوامد الزمان وزكاهم الكرام الكاتبون لما شككت انهم كاذبون لان انكار المحسوس مكابره والمثابرة على الباطل للحق مدابره ولكن خذ لك منه الثلث والثلث كثير واردد على الثلثين وان ابيت فاجعله بيني وبينك نصفين فما زاد ذلك على اليمين وما شك هذا انه عين فقال اردد على مالى والا قتلتك فلا لك ولا لى فقال ما رأيت مالك فافعل ما بدا لك فشرع فى تفتيشه وبالغ فى فحصه وتنبيشه فلم يهتد الى شى سوى الضلال والغى وأخذه الحنق واشتد به الارق وثارت نفسه الابيه واتقدت نورته الغضبيه فضربه بحديد فقتله وجدله بالاهلاك فخذله ثم تركه وذهب ولم يحظ من الذهب بغير اللهب كل هذه الاحوال وموسى عليه السلام يشاهد ما فيها من أفعال وأقوال ثم ناجى فقال يا ذا الجلال أنت عالم بحقائق الامور وسواء عندك البطون والظهور سألتك فضلك ان تريني عدلك فأريتني هذا المغرم وأنت اعلى واعلم وفى ظاهر ما أمرتني وبكرامته غمرتني من الشريعة المطهره ونص التوراة المحرره ان هذا الحكم جور وظلم فأطلعنى على الحقيقه وبين لى سلوك هذه الطريقه فقال الله تعالى وجل جلاله يا موسى المقتول قتل أبا القاتل والقاتل سرق الكيس من أبي الفارس الحاتل ففى الحقيقة الفارس النبيه وصل الى ماله المخلف عن ابيه والقاتل انما استوفى قوده ممن قتل والده وهذه الامور انما تتضح يوم النشور يوم تبلى السرائر وتنكشف الضمائر وينادى يوم التناد لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد ونظير هذه القصه ما ذكره الله تعالى وقصه فى روض كلامه النضر عن موسى والخضر عليهما السلام والتحية والاكرام اذ ركب السفينة وخرق خرقا مؤديا الى الغرق وقتل النفس الزاكيه وأقام بغير اجر اركان الجدار الواهيه وبعض ذلك مخالف لظاهر الشريعه تنفر عنه النفس السليمة والطبيعه ولكنه موافق للحكمة الالهيه ومقتضيات العقل الحقيه الذى لا يطلع عليه الا عالم الاسرار الخفيه ولهذا قال جل واحدا أحدا وتعالى فردا صمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ثم استثنى من هذا المقول الا من ارتضى من رسول وانما الشريعة الزاهره وردت بما تقتضى من الحكم الظاهره فتعبدنا الله فى الشرائع بظاهر ما يثبت فى الوقائع (قيل) من أيقن بحقيقة أربعة كان من ضيق أربعة فى سعه وامن ودعه من أيقن ان الصانع الضار النافع لم يخطئ ولم يغلط أمن من العيب والشطط ومن أيقن ان الخلاق ومقسم الارزاق لم يحف فى خلقه ولم يمل فى رزقه أمن من الحسد واستراح من النكد ومن أيقن بوقوع المقدور وانه لا ينجيه منه محذور أمن من الغم ولم يتسلط عليه الهم كما قيل

ماقد قضى يا نفس فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

الدنيا ونعيمها ما قليل وندامتهما اذا يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع احصاؤها قال الملك لئن رأيت ايراخت حية لا أحزن على شئ أبدا قال ايلاذ اثنان لا ينبغى لهما أن يحزنا المجتهد فى البر كل يوم والذى لم يأثم قط قال الملك ما أنا بناظر الى ايراخت أكثر مما نظرت قال ايلاذ اثنان لا ينظران الاعمى والذى لا عقل له وكما ان الاعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد كذلك الذى لا عقل له لا يعرف الحسن من القبح ولا المحسن من المسيء قال الملك لو رأيت ايراخت لاشتد فرحى قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم فكما ان البصير يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد فكذلك العالم يبصر البر والاثم ويعرف عمل الآخرة ويتبين له نجاته ويهتدى الى صراط مستقيم قال الملك ينبغى لنا ان نتباعد منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر ونلزم الاتقاء قال ايلاذ اثنان ينبغى ان يتباعد منهما الذى يقول لا بر ولا اثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شئ على مما أنا فيه والذى لا يكاد يصرف بصره عن المحرم ولا اذنه عن استماع السوء ولا فرجه عن نساء غيره ولا قلبه عما تهم به نفسه من الاثم والحرص قال الملك صارت يدى من ايراخت صفراء قال ايلاذ ثلاثة أشياء أصفار النهر الذى ليس فيه ماء والارض التى

ومن عرف أصله أمن من الكبر نصله وكتب فى قضيه الى اعدل خلفاء بنى أميه من عامله
بحمص انه هدم الدمص وعدم النمص وانر بضها ارابض ومرعى رياضها بارض وانها
محتاجة الى عمارة وزراعه وحراسة ومناعه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز هذا الجواب
المفيد الوجيز وهو حصنها بالعدل ونق طرقها من الجدل يثبت البنا وينبت الكلا
والسلام وقيل أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة
كمشكاة بلا مصباح وغنى بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا أدب كطابخ بلا حطب
وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقاض جائر كملح على جرح وقيل العالم بستان سياجه الشريعة
والشريعة سياجة يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلها المال
والمال رزق تجمعه الرعية والرعية أحوار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم
وليعلم ان الملة الاحمديه والشريعة المحمديه هى أعدل الملل وأقوم النحل مثلا النصارى
لا يتحامون الحائض أيام أقرائها ولا فرق بين الحائض وغيرها من نسائها واليهود يجتنبونها
فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقربونها رأسا و يعدونها رجسا وركسا فسلكت الشريعة
المحمدية فى ذلك أعدل الطرق وأفضل المسالك فتعاشر كالاطهار وحرم قربان ما تحت الازار
وفى بعض الملل على الذى قتل القود والقصاص وليس فى الدية خلاص وفى بعض الدية
لا غير وما للقصاص فيها سبيل ودين الاسلام المرفوع كل فيه مشروع والعدل فى الاعتقاد يا ملك
البلاد ترك التخليط وسلوك ما بين الافرط والتفريط والقول بالتقديس والتنزيه واثبات
الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه واقتباس النور من جرين وسلوك أمر بين امرين والعدول
عن المذهب البغيض وهو مذهب الجبر والتفويض والعدل فى الفقهيات يا معشوق
المخدرات والخذاريات الذى قام عليه النص دليلا ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا فمن العدل الوضوء المعتاد ثلاث مرات ومن نقص أو زاد فقد تعدى وظلم
كذا قال النبى المكرم صلى الله عليه وسلم أى تعدى ان أسرف وظلم ان أجحف والعدل فى
الصلاة أن تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه وهى أداؤها فى افضل الاوقات مؤداة مع
الجماعات فى الصف الاول على الوجه الاكمل عن يمين الامام من الافتتاح الى الاختتام مع
تعديل الاركان بل التعديل فرض عند بعض الاعيان لا نقرا كنقر الطير ولا تطويلا
يضر بالغير والعدل فى الزكاة ان لا يتيمموا الخبيث منه ينفقون ولا يجعلوا لله ما يكرهون
ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ولا يكلف جابى المال ان يعطى كرائم الاموال والعدل
فى الصوم يا سيد القوم ان لا يتناول فوق الغذاء المعتاد ولا يصل بالوصال الى درجة
الاجهاد ويعجل الفطور ويؤخر السحور والعدل فى الحج ان لا يمارى فى الانفاق ولا يضارر
الرفاق بالشقاق كما يفعله ابناء الزمان فان ذلك خسران والازدياد من ذلك نقصان ولقد اعلك
باقر ما قاله عمر لخادمه يرفا وذا لا يخفى كم بلغت نفقتنا مقدارا قال ثمانية عشر دينارا
يا أمير المؤمنين قال ويلك اجحفنا ببيت مال المسلمين واياك والاشر وقاك الله كل شر فقد
بلغك قيمة راحلة سيد البشر ليدل ذلك على ترك البطر والاشر ولا يقصر فى نفقته بحيث يصير
كلا على رفقته وكذلك فى كل الانفاق يا ملك الآفاق قال من عز كلاما وجل مقالا
ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والعدل فى النكاح
يا حبيب الصباح لمن عليه يقوى فهو أقرب للتقوى وهو يا أبا حسان واجب عند التوقان
سنة عند القدرة عليه مستحب عند استواء طرفيه مكروه عند العجز عنه وهذا بحث قد فرغ

ليس فيها ملك والمرأة التى ليس لها
بعل قال الملك اذنك يا املاذ لتلتقى
بالجواب قال املاذ لانه يلقون
بالجواب الملك الذى يعطى ويقسم
من خزائنه والمرأة المهداة الى من
تهوى من ذوى الحسب والرجل
العالم الموفق للخير ثم ان املاذ لما
رأى الملك اشتد به الامر قال أيها
الملك ان ايراخت بالحياة فلما سمع
الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا املاذ
انما منعنى من الغضب ما أعرف من
نصيحتك وصدق حديثك وكنت
أرجو لمعرفتى بعلمك ان لا تكون
قد قتلت ايراخت فانها وان كانت
أتت عظيما وأغلظت فى القول فلم
تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها
فعلت ذلك للغيرة وقد كان ينبغى لى
أن أعرض عن ذلك واحتمله
ولكنك يا املاذ أردت ان تختبرنى
وتتركنى فى شك من أمرها وقد
اتخذت عندى أفضل الايدى وأنا
لك شاكر فانطلق فائتنى بها فخرج
من عند الملك فأتى ايراخت وأمرها
ان تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها
الى الملك فلما دخلت سجدت له ثم
قامت بين يديه وقالت أحمد الله
تعالى ثم أحمد الملك الذى احسن
الى قد اذنبت الذنب العظيم الذى
لم اكن للبقاء اهلا بعده فوسعه
حلمه وكرم طبعه ورأفته ثم احمد
املاذ الذى أخر امرى وانجانى من
الهلكة لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه
وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده
وقال الملك لايلاذ ما أعظم يدك

منه وقس ياذا المكرمات على هذا سائر العبادات وجميع العادات وعقود المعاملات ولا تتعدا الحدود في الحدود فان ذلك مردود وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهره وجرت قد يما شرائع الانبياء البرره وكذلك مقادير الملة المحمديه عليه افضل صلاة وازكى تحيه محررة على القواعد العدليه وفيها من الحكم الالهيه ما يعجز عن ادراكها القوى العقليه قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر ياذا النهى والامر ان العدل هو قوام كل فضيله كما ان الصبر هو اساس كل خصلة جميله وان أردت بسط هذا البيان فدونك القول والتبيان في تفسير القرآن المنزل على اشرف انسان ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقد اشبع التقرير ودقق التحرير في روضه النضير فارس ميدانه الامام الخطير فخر الدين الرازى في تفسيره الكبير والعدل يجرى في الصفات كما يمشى في الذوات ومرتبته في العلو ان يكون بين التقصير والغلو كالكرم الذى يكون بين الاسراف والتبذير والشح والتقتير والتواضع الذى بين الضعة والتكبر وبين التصعر والتصغر والشجاعة التى بين التهور والخفه والجبن الطائش الكفه والقناعة التى بين الحرص والطمع والنذالة والهلع وبين العجب والتصلف والاحتشام والتقشف والاخلاص الذى بين الشرك والهوى وبين الاعجاب والريا والعفة التى بين التهافت على المشتبهات والترفع عن تناول المباحات والطيبات والحزم الذى بين سوء الظن والوهم والوسواس وبين اذاعة السر والاستخفاف وعدم المبالاة بالناس والحلم الذى بين الغضب بلا سبب وبين التغاضى عن الاثام عند موجب الانتقام والشفقة ولين الجانب للاقارب والاجانب الذى بين القسوة والاستكبار وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار وحفظ الحقوق الذى بين التكلف والعقوق يراعى فيها الحدود ولا يخرج فيها عن الحد المعهود فالخروج عنها يسمى عنادا وقساوة والتقصير فيها يدعى ركاكة ورخاوة مثلا من يستحق العفو لا يضرب ومن يستاهل الضرب لا يقطع ولا ينكب ومن استوجب القطع لا يقتل ومن وجب عليه حد لا يهمل وتجرى أمور الشرع الشريف على ما ورد به الامر المنيف فما ثم أحد أكرم من الله ولا أرحم ولا أعلم بامور مخلوقاته ولا أحكم قال السميع البصير الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وروى ان الامام المسدد جعفر بن محمد دخل على الرشيد وهو في أمر شديد قد استولى عليه الغضب واستخفه الطيش والصخب فقال يا أمير المؤمنين ان كان غضبك لرب العالمين فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه وقد حد لكل شئ حدا من نعمه وبأسه فلا تتعد حدوده فانه قد ملكك عبيده فتذكر من وقوفهم بين يديك واقتدارك عليهم اذا تمثلوا قياما لديك قدومك يوم القيامة عليه ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه ومن انتقامك منهم سؤاله اياك عنهم فسكن من غضبه واقتدى بادبه وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث خير الامور أوسطها ولهذا قيل في الاقاويل ينبغى للانسان الراجح العقل في الميزان ان يحصل من كل علم مقدار ما يحتاج اليه ويعول في مشكلاته عليه مثلا من علم الادب ما ينال به عند أربابه الرتب كاللغة والنحو والصرف ولو انه أدنى حرف ليقوم بذلك لسانه ومن علم المعانى ما يبدع به بيانه ومن العروض والقوافى المقدار الوافى والمعيار الكافى ومن الطب ما يعرف به مزاجه ويصلح به علاجه ويقوم به اعوجاجه ومن علم التفسير

عندى وعند ايراخت وعند العامة اذ قد احييتها بعد ما امرت بقتلها فأنت الذى وهبتها الى اليوم فانى لم ازل واثقا بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندى كرامة وتعظيما وانت محكم في ملكى تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك اليك ووثقت بك قال ايلاذ ادام الله لك أيها الملك الملك والسرور فاست بمحمود على ذلك فانما أنا عبدك لكن حاجتى ان لا يعجل الملك في الامر الجسيم الذى يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ولاسيما في مثل هذه المرأة الناصحة المشفقة التى لا يوجد في الارض مثلها فقال الملك بحق قلت يا ايلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا فضلا عن مثل هذا الامر العظيم الذى سلمت منه الا بعد المؤامرة والنظر والتردد الى ذوى العقول ومشاورة اهل المودة والراى ثم احسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من اولئك البراهمة الذين اشاروا بقتل احبابه فأطلق فيهم السيف وقرت عين الملك وعيون عظماء اهل مملكته وحمدوا الله وأثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته لان بعلمه خلاص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة * انقضى باب ايلاذ وبلاذ وايراخت

{باب اللبوة والاسوار والشعهر}

(قال) دبشليم الملك لبيدبا

والقرآن ما يقتدر به على بيان كلام الرحمن ومن علم السنة والحديث ما يميز به الطيب من الخبيث ويضبط به اقسامه وصحته وسقامه والانساب والرجال وما لهم من صفات وأحوال ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال ويندرج فيه علم التاريخ العالى الشماريخ ومن علم الكلام ما يصحح به دينه ويقيم به اعتقاده ويقينه ومن علم الاصول وما اشتمل عليه من معقول ومنقول ما يقدر به على استنباط الاحكام ومعرفة أدلة الحلال والحرام ومن علم الفروع ما يحكم به أصناف العبادات وأنواع العادات وطرائق العقود واقامة الحدود ومن علم مكارم الاخلاق ما يصيد به قلوب الرفاق ويكتسب به الذكر الجميل والثناء الجليل ومن الحرف ما يحصل به القوت الحلال ولا يصير على الناس كلا ذا املال وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ومن علم الركوب والرمى والسباحه والخط ولعب الرمح والسباحه وعلم الفرائض والحساب وطرائق المبايعات والكتاب ما يقدر به على الدخول اليه اذا تكلموا فيه بين يديه بحيث يكون له فيه مشاركة والمام ولا يكون بين الخواص كالعوام وكل ما ذكر فسلوكه عدل والتلبس به كمال وفضل ورأس مال الجميع التقوى فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى قال الله تعالى ولكن يناله التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل بل الكامل الفاضل لا يستنكف عن نوع من العلوم ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم قال معلم الخير ومحذر الشر تعلموا حتى السحر وقال

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وكل صافى السريره وذى بصيرة منيره يتوجه الى التعلم والاستفاده ويجعل مراده مراده أى علم كان خصوصا اذا كان من الشرف بمكان قال بعض الوزراء لابنه يا بنى تعلم العلم والادب ولا تسأم فيهما من الطلب فلولا العلم والادب لكان أبوك فى السوق حمالا وللنوق جمالا فبالعلم والادب ركبنا أعناق الملوك واحوج الناس يا ذا الافضال الى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك ومن تبعهم فى السلوك فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون والسابقون بجلائل النعم لا المسبوقون وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون وبالسؤال عنهم موثوقون فهم المتحملون لاعباء العدل المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل قال من يقول للشئ كن فيكون قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم أقدر على التحصيل من غيرهم والزمان والمكان تابعان لسيرهم والخاص والعام يتمنى قربهم ويسلك فى التوصل الى جنابهم دربهم ويبذل فى ذلك ما وصلت اليه يداه ويجعل تحصيل ما يرومونه غاية متمناه فيبذل جهده فى ايصالهم اليه ويكد قلبه وقالبه فى اطلاعهم عليه قال الشاعر

ولم أر فى عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بنى اكتسبوا العلم والفضل وادخروا الحلم والعدل فان احتجتم الى ذلك كان مالا وان استغنيتم عنه كان جمالا وقال بعض الحكماء العلم ملك ذو أعضاء رأسه التواضع ودماغه المعرفة ولسانه الصدق وقلبه حسن النية ويداه الرحمة ورجلاه مثابرة العلماء وسلطانه العدل ومملكته القناعة وسيفه الرضا وقوسه المساءلة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته النجدة وحكمه الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الرأى ومأواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته اجتناب الذنوب والحاصل يا ملك الطير ويا مالك عنان الخير ان قوام العالم ونظام بنى آدم سيف الملوك

والسلاطين

الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن من يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره قال الفيلسوف انه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوؤهم الا اهل الجهالة والسفه وسوء النظر فى العواقب من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم فى ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول وان سلم بعضهم من ضرر بعض بمنية عرضت له قبل ان ينزل به وبال ما صنع فان من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المصائب وحقيق أن لا يسلم من المعاطب وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن ان يغشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره فى العاقبة فنظير ذلك حديث اللبوة والاسوار والشعهر قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت فى غيضة ولها شبلان وأنها خرجت فى طلب الصيد وخلفتهما فى كهفهما فمر بهما أسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من الامر الفظيع اضطربت ظهرا لبطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها شعهر فلما

والسلاطين وقلم العلماء الاساطين فهما حدث من شر محاه سيف الملوك ومهما وجد من خير أثبته قلم علماء الارشاد والسلوك وفي الحقيقه ياشيخ الطريقه العالم عبارة عن هؤلاء وبصلاحهم تصلح الاشياء وفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا اذهم لزوال الفساد وطهارة العباد وعمارة البلاد بمنزلة الصابون للاوضار والاستغفار للاوزار فاذا فسد هؤلاء فما لفسادهم دواء كما قيل

الذنب صابون الاستغفار يغسله * كالثوب ينظف بالصابون ان وسخا
فذا الذى يغسل الصابون من دنس * اذا رأيناه صار الذنب والوسخا

وناهيك يا ملك العقبان ما فسد من الزمان وجرى من الدماء من طوفان وانمحى من أمهات البلدان عند استيلاء الكافر جنكزخان فسأل العقاب عن كيفية هذا المصاب والعقاب ومن هو جنكزخان الذى أفسد وخان وما أصله وفصله وكيف كان قطعه ووصله حتى نفذ فى كبد العالم بالفساد نصله فقال هذا رجل من بقايا التتار الساكنين من بلاد الشرق فى قفار وهم من بقايا يأجوج ومأجوج عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج فكانوا قبل جنكزخان مبددين فى صحارى لا يتفق منهم اثنان مسيرة أماكنهم ومدى مساكنهم شرقا بغرب نحو من ثمانية أشهر وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدى ولا يقصر حدها من الشرق حدود ممالك الخطا وأقصاها خان بالق وهى مدينة عظمى ووراءها شرقا يامن برقى ينتهى الحد بعد السير الجد الى بلدة عظيمه ولايتها جسيمه تدعى خيسار وأهلها كفار وهى مبدأ مملكة الصين يا ذا المجد الرصين ومن الشمال نواحى قرقير وسلنكاى ومن الجنوب بلاد تدعى تنكيت وتبت وتيت هذه يا ذا النسك هى التى يتولد من غزالها المسك ومن الغرب وهى جهة قبلة تلك البلاد اذا صلى المسلمون منهم والعباد حدود بلاد أويغور وما والى تلك الكفور من بلاد تركستان يا ذا الاحسان ويسير المجد منها اذا انفصل عنها كذا وكذا شهر حتى يصل من جهة غربها الى ما وراء النهر ثم هؤلاء التتار كانوا فى تلك القفار بين هذه الحدود الاربعه فى منبعة وأى مضيعه يتوالدون فى ذلك البر ويتمارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائمة فى البر والبحر لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم وهم فيما بينهم قبائل وشعوب واصناف وضروب وخلائق وأمم لا يعرفون الاسلام والسلم بل كل أمة تلعن أختها وتنهب تحتها وتأكل رختها وكل طائفة تعد غارتها وتقصد جارتها وكل من قوى على غيره كسره اما قتله واما أسره لم تزل المكافحة بينهم قائمه والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دائمه وعيون الرشد والاهتداء عنهم نائمه وضوارى الظلم والاعتداء فى مسارح سوارح اسلامهم سائمه يعدون النهب غنيمه والفسق والفجور والنميمة أجمل صنعة وأكرم شيمه يأكلون الكلاب والفار وما وجدوه من صيد القفار والميتة والدم والهوام لا يعرفون الحلال منها والحرام ويلبسون جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها كما كان مشركو العرب فى الجاهليه قبل اشراق شمس الملة المحمديه لا زرع لهم ولا ثمر سوى نوع من الشجر يشبه شجر الخلاف هو ثمرهم فى الشتاء والاصطياف اسمه قسوق وهم على ما هم عليه من الفسوق يعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها وتخاطبهم الجن ويرصدونها وفيهم كهنة يعتقدونها وسحرة ومكرة وسواجع وزجرة يجبى خراجهم الى ملك الخطا وهم على أشد كفر وخطا قد تركب الكفر فى

سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذى تصنعين وما نزل بك فأخبرينى به قالت اللبوة شبلاى مر بهما أسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء قال لها الشعهر لا تضجى وانصفى من نفسك واعلمى ان هذا الاسوار لم يأت اليك شيأ الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين الى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك فاصبرى على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك فانه قد قيل كما تدين تدان ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره فى الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره قالت اللبوة بين لى ما تقول وافصح لى عن اشارته قال الشعهر كم أتى لك من العمر قالت اللبوة مائة سنة قال الشعهر ما كان قوتك قالت اللبوة لحم الوحش قال الشعهر من كان يطعمك اياه قالت اللبوة كنت أصيد الوحش وآكله قال الشعهر أرأيت الوحوش التى كنت تأكلين أما كان لها آباء وامهات قالت بلى قال الشعهر فما بالى لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والامهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك أما انه لم ينزل بك ما نزل الا لسوء نظرك فى العواقب وقلة تفكرك فيها وجهالتك بما يرجع عليك من ضرها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الشعهر عرفت ان ذلك مما

احشائهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأعلى من فيهم من أكابرهم وذويهم علامة رياسته وانفراده بسياسته وانه فيهم ذو بأس شديد ورأى سديد ومال مديد كون ركابه من حديد وباقى أعيانهم وذوى مكانتهم وامكانهم ان كانوا ذوى جد فركابهم قضيب ملوى أوقد وعندهم أفخر ملبوس جلود الكلاب والنموس والذئاب والتيوس وقس على هذا جميع تجملاتهم ومفاخر آلاتهم فهم من قديم الزمان وبعد الحدثان من حين بنى ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين الى آخر وقت كانوا فى قلة ومقت وضيق حال وسوء بال لادنيا ترخيه ولا آخرة ترضيه حتى نبغ منهم هذا اللعين الطاغية تموجين الذى تسمى بجنكزخان وساعده قضاء الديان فأمده الزمان واعطاه المكان لامر يريده الرحمن وقضاء قدره على عبيده فى سالف الازمان فطم العالم بالفساد فأهلك العباد والبلاد وأخلى الديار والدار وعم غالب بلاد الاسلام بالشنار والبوار فصلى الله على سيد بنى عدنان بل أشرف جنس الانسان الذى قال يخرج فى آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كانهم قزع الطريق يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتبعه منهم النساء والرجال اتباع اليهود والكفرة المسيح الدجال امم لا يحصرها حساب ولا يحصيها ديوان ولا كتاب وما يعلم جنود ربك الا هو فارشدوا الى طرق الضلال بعد ما تاهوا وصار كل من أولئك الطغام الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام وكل كلاب خادم كلاب الصيود يجرى سيفه الكال الكدود من اشراف الملوك وملوك الاشراف وفى اعضاد الاسود وفى رقاب النمور والفهود وكل ماضغ شيح وقيصوم وعلج من أولئك العلوج وعلجوم متفكه فى أنواع المستلذات من المشروب والمطعوم وكل صعلوك مملوك من تركى متروك أو خدام مملوك يتحكم فى رقاب أكابر الملوك ويستعبدون احرار أولادهم ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم فى بلادهم

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

ومن لا يعرف البطائن المرويه ولم يسمع بالرقاع الكرباسيه يستوطئ الاستبرق والديباج وينقلب على تخوت الصندل والساج ويترقى الى سرر الابنوس والعاج ويعامل التجار والمضاربين فى البر والبحار بألوف الالوف من الدرهم والدينار فيجىء اليهم نفائس المضارب من المشارق والمغارب ومكامن المعادن وذخائر الخزائن كل ذلك بواسطة ذلك الطاغيه واستيلاء الفئة الباغيه وكان من أمر هذا المصاب الذى بدل حلاوة العيش بمرارة الصاب وخلد فى الدهر قواعد البلايا والاوصاب ان الله القاهر فوق عباده الذى لا يسئل عما يفعل من مراده بل له المراد فى عباده وبلاده المتصرف فى ملكه تصرف المالك فى ملكه لما أراد ابتذال المصون وعموم الفساد فى عالم الكون واستئصال غالب أهل الارض واذاقة بعض عباده بأس بعض واظهار آثار غضبه على صفحات الشهود وابراز اسرار قهره على وجنات الوجود وطمس سطور صدور علماء العالم على لوح الورود باشان نار السخط ذات الوقود ونقص أرض العلم من اطرافها واخلاء ربوع المحاسن من آلافها اينع هذا التمساح من أفواج أمواج هذه البحار ونبع هذا التنين المبين من أوعار تلك القفار واغوار أوغاد هاتيك التتار فكان ممتازا على أقرانه بوفور عقله وحسن بيانه ذا فكر مصيب ورأى صائب وحزم مجيب وعزم ثاقب وهمة تبارى الافلاك وثبات يجارى السماك كسر بصدماته الاكاسره وقص بسطواته القياصره وقرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابره وقهر بحملاته

جنت على نفسها وان عملها كان جورا وظلما فتركت الصيد وانصرفت عن اكل اللحم الى اكل الثمار والنسك والعبادة فلما رأى ذلك ورشان كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قال لها قد كنت أظن ان الشجر عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه علمت ان الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وانما أتت قلة الثمر من جهتك فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشه منها ما أسرع هلاككم اذا دخل عليهم فى أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا لاكلها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت اكل الثمار واقبلت على اكل الحشيش والعبادة (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس كاللبوة التى انصرفت لما اصيبت فى شبليها عن اكل اللحم ثم عن اكل الثمار بقول الورشان واقبلت على النسك والعبادة والناس احق بحسن النظر فى ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان فى ذلك العدل وفى العدل رضا الله تعالى ورضا الناس * انقضى باب اللبوة والاسوار والشهر

قهارمة خواقين القياصره وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا عجريا لا يحسب ولا ينسب لا طالع الاخبار ولا اقتفى فى سياسة الممالك الآثار بل فرع ما فرعه من القواعد من صحيفة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة هواجس ضميره فأسس قواعد لو ادركه اسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء أثره وشيد مبانى لو بلغت نمروذ وشداد البنيا قصور قصورهما وقصارهما على أركان خبره وحبره ورتب تجهيز السرايا والجنود وربط عقود الجيوش والبنود بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمه ويتقاعد عن حل رموزها معزم الفطنه وغالب ما يتعاناه ويستعمله ويتعاطاه جيوش الاتراك فى بسيط الارض من ابرام طرائق عساكرهم والنقض انما هو من قوانين ما رتبه وأفانين ما هذبه وركبه وله فى ترتيب حراب الحروب وما فى فن الضرب والضراب من ضروب وطرائق الاصطياد مخترعات دقائق لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد أحكم بها الموافق ونصر المصادق وكبت المعادى وكسر الاعادى واستطال مع كثرة مخالفيه عليهم وأنفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم وصال فيهم حسبما أراد وجال واتسع له فى التضييق على الاسلام والمسلمين المجال فكل من عامله بالمجامله وتلقاه بالعبوديه وحسن المعامله أبقى على نفسه وأهله وماله وحصنهم من أليم خيله ورجاله ومن قابله بالمقاتله وقاتله بالمقابله وتلا فى صف قتاله سورة المجادله محا سطور كونه من لوح الوجود واوطأ سنابك خيله منه الجباه والخدود فخرب ديارهم ومسح آثارهم مع شركه واسلامهم وتبدد عساكره ونظامهم ومع ان أكثر الملوك والسلاطين وحكام الممالك الاسلاميه من الامراء والاساطين لعدم اكتراثهم بالاتراك والتتر وشدة ما هم فيه من النخوة والبطر ولاعتمادهم على حصونهم الحصينه وتعويلهم على معاقلهم المكينه ولكثرة العدد والعدد ومساعدة المدد والمدد ولوفور العمائر ببلادهم وخراب بلاده وبسطة استعدادهم وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمكافحه ولا ردوا جواب خطاباته الا باللعن والمكالحه والسب والمقابحه ولا قابلوه الا بالمرامحه والمراوسة والمناطحه فقتلهم وأبادهم واستصفى طارفهم وتلادهم وتوطن ديارهم وبلادهم وأبادهم عن آخرهم وأطفأ قبائل عشائرهم فدلا كابرهم أسمطة الرزايا ووضع فى أفواه أصاغرهم أثدية المنايا واضافهم فى ولائم الدمار وأطافهم على نجائب الانكسار فى ملابس البوار فاستأصل شأفتهم بالكليه وحكم فيهم صوائل المنيه فلم يبق من مائة ألف انسان مثلا مائة انسان وذلك أيضا اما على سبيل التغافل أو على سبيل النسيان وسيذكر على سبيل الاجمال ما يدل على تفصيل ماله من أحوال وشواهد ما فرعه من أهوال واستمر ذلك فى ذريته وان كانوا رجعوا عن ملته وأصل هذه الاصله التى أضحت بخلقان اللعن أكسى من بصله قبيلة من تلك التتار الساكنين فى تلك القفار تسمى قنات ظلمة عتات غير أمناء ولا ثقات منها آباؤه وأجداده وفيها أقاربه وأحفاده واخوته وأولاده فنشأ كما ذكر بطلا باسلا وشجاعا كاملا سهام أفكاره فى عمره مصيبه ورهام آرائه فى مكره خصيبه ثم اتصل بعد ما أخى وخان بملك الخطا يسمى بأونك خان وأظهر من أنواع الفراسه والفروسة والكياسه ما فاق به اناسه وفات من العقل قياسه فقربه الملك وأدناه والهماته اصطفاه ولا زال يترقى عنده الى ان ملك جنده وصار عضده وزنده ودستور ممالكه ومسلك مسالكه وحاكم أمرائه وناظم أمور وزرائه وناظر جهور كبرائه وعين أعوانه وعون أعيانه وأعز من اخوته وأولاده وأبر من حفدته وتلاده وكثفت حواشيه وعظمت غواشيه وملأت السهل والوعر فواشيه ومواشيه

(باب الناسك والضيف)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الذى يدع صنعته الذى يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال الفيلسوف زعموا انه كان بأرض الكرج ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف ما احلى هذا التمر واطيبه فليس هو فى بلادى التى اسكنها وليته كان فيها ثم قال ارى ان تساعدنى على ان آخذ منه ما اغرسه فى ارضنا فانى لست عارفا بثمار ارضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك ليس لك فى ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق ارضكم مع ان بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجتك مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد حليما من طلب ما لا يجد وانك سعيد الجد اذا قنعت بالذى تجد وتزهد فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانيه فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه فتكلف ان يتعلمه وعالج فى ذلك نفسه اياما فقال الناسك لضيفه ما اخلقك ان تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانيه فى مثل ما وقع فيه الغراب قال الضيف وكيف

فثقل على الوزراء وصعب على الامراء اذ مدار الملك صار عليه ومرجع الامير والمأمور اليه فحسده أولاد الخان واخوته واجداده واسرته وأعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد وتعاطوا افساد صورته وتواطؤا على اخماد سيرته فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته ويمزقون أديم عرضه عند الخان ويشقون ستر عصمته بمخاليب البهتان ويراقبون للكلام أوقات القبول ويواظبون فى السعاية عليه بدلائل المعقول حتى أوغروا صدر الملك عليه وأخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساءة اليه ولم يقدر على مواجهته لوفور جماعته وكثرة حاشيته فان أوتاده كانت ثابته وغراس هيبته كالارزة نابته وفروع دوحة عصباته قد أحاطت بالملك من كل جهاته حتى قيل ان ذلك الثقيل كان له من القرابات وذوى الارحام والعصبات والاولاد والاحفاد ما جاوز فى التعداد عشرة آلاف نسمه كل له حرمة وكلمه فأضمر له السلطان البيات وانتخب لذلك من عسكره أولى الثبات والاثبات الثقات ولم يختلف عليه فى ذلك اثنان لانه كان قد استحكم فيهم منه الشنآن وعلموا ان سهم مكرهم نفذ وحسام فكرهم فى قطعه فلذ ورأوا من الرأى أرصنه ان يراقبوا الحتفه مكمنه فتواعدوا على ليلة معينه يدهمون فيها مأمنه وكان عند الخان صبيان محرمان لا يؤبه اليهما ولا يعول فى الامور عليهما يدعى أحدهما كلك والآخر باده فانسلا من بين أولئك القاده وسلكا طريقا غير العاده واتيا توجين الطاغية اللعين فى خفيه ونبهاه عليه وأخبراه وبصراه وأنذراه وحذراه بما الآ عليه الملك مع عسكره المنهمك وقالا أيها العفريت قد طبخت لك قدر التبييت فتنبه من النوم وارقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم فانه قد مرج مارج الفتنة فأمرج وعن وهاد غفلتك أعرج ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وباعاه من السر ما جرى بتخمير المشترى وقصا عليه القصص فخاطر بحياته من القنص وظن نجاته من القنص فشكر لهما فضلهما واستكتمهما قولهما ثم تثبت فى أمره واخفاه عن زيده وعمره وجمع تلك الليله رجله وخيله ولم يبد تلك الحال لاحد من الرجال بل أخلى بيوته ولازم سكوته وقصد أحد الجوانب بما معه من راجل وراكب وأقام فى كمين ينظر أيصدق الواشى أم يمين فما مضى هزيع من الليل الا وقد هبطت الخيل فوجدوا البيوت خاليه والاطلال خاويه فتحقق صدق الناقل وانه ناصح عاقل فعمل مصلحته وأخذ حذره وأسلحته وتقرر وقوع الكيد فتقدم امامهم واستعد فقصدوه وبالاذى رصدوه ولا زالوا يتبعونه حتى التقوا بمكان يسمى بالجونه وهو عين ماء فى حدود بلاد الخطا فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقصد كل منهم الآخر بالطعن والضرب فأعاده الله ونصره فكسر الخان وعسكره وفر بمن معه من فئه وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائه وغنم توجين من الاموال والمواشى والاثقال وذخائر الخزائن ونفائس البحار والمعادن ما فات الحد والحصر خارجا عن سعادة النصر وهرب الخان وتهدمت منه الاركان فجمع جنكزخان عسكره وضبط اسماء من حضره ومن كان شاهد القتال ومواقف الحرب والجدال من النساء والصبيان والرجال ومن خادم ومخدوم وخادم ومخصوم ومأمور وأمير وكبير وصغير حتى السائس والجمال والطباخ والبغال والطفل والرضيع والنذل والوضيع ومن شهد تلك الغاره أو كان فى تلك الداره ولو حاضر اللتفرج مع النظاره واستبشر بوجودهم وتيمن بورودهم فأثبتهم فى الديوان بأسماء آبائهم وجدودهم وفرق عليهم ذلك الفىء ولم يرفع الى خزائنه منه شىء بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر على الحاضرين معه من العساكر وضبط اسماءهم

كان ذلك قال الناسك زعموا ان غرابا رأى حجلا تدرج وتمشى فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد ان يعود الى مشيته التى كان عليها فاذا هو قد اختلط وتخلع فى مشيته وصار أقبح الطير مشيا * وانما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من انك تركت لسانك الذى طبعت عليه واقبلت على لسان العبرانيه وهو لا يشاكلك وأخاف ان لا تدركه وتنسى لسانك وترجع الى اهلك وأنت أشرهم لسانا فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه واجداده من قبل * انقضى باب الناسك والضيف

(باب السائح والصائغ)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه (قال) الفيلسوف أيها الملك ان طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله فى الدنيا مما يمشى على أربع أو على رجلين أو يطير بجناحين شىء هو أفضل من الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد يكون فى بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمه وأشكر للمعروف وأقوم به وحينئذ يجب على ذوى العقل من الملوك وغيرهم ان يضعوا معروفهم

في الدفاتر وفرق ذلك العرض العريض الطويل على قدر الحقير منهم والجليل ووعدهم بكل جميل وأما الغلامان اللذان أخبراه وعلى ما كان أضمره الخان أظهراه وكانا سبب حياته وخلاصه من الموت ونجاته فانه جعلهما ترخان فصار الهم مقاصده كانهما شرخان والترخان عبارة عن المعافى المطلق يستوفي حقوقه ولا يقوم بما عليه من حق لا يؤاخذ بقصاص ان قتل وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل مقضى المآرب موصول المطالب لا يكلف بخدمة ومباشره ولا بحضور ومعاشره مهما طلب أعطى ويعد مصيبا ولو يخطى وأعلى مراتبه في مراعاة جانبه انه يدخل على السلطان من غير استئذان وهو نائم مع سراريه ونسائه وجواريه فيذكر ماله من مآرب فتقضى ومن شفاعة فتقبل وتمضى ويعطى بذلك مناشير وتواقيع وتقارير تبلغ التاسع من أولاده وتشمل أحكامها جميع اسباطه واحفاده ولما انتصر وحصل أمنه واستقر وتعاظم أمره واشتهر وعظم صيته وانتشر قرر كل من حضر تلك الوقعه فيما يليق به من منصب ورفعه فأقبلت القبائل اليه وانهالت الرؤس والوجوه عليه ورجع الخان واستعد وأعد ما وصلت اليه يده من عدد واستعان عليه بالمدد والعدد ثم تلاقيا كرتين وتصاولا مرتين انكسر الخان في الأولى وقبض عليه بعد انكسرة في الاخرى فقتله واباده واستملك بلاده واستولى على عساكره واستحوذ على ذخائره وعشائره وهربت أولاد الخان ولجأت الى أطراف تركستان ثم راسل سلطان الخطا والصين بكلام رصين يدل على عقل حصين واسم ذلك السلطان التون خان وطلب المهادنة والموافقه والمصافاة والمصادقه فلم يلتفت الى كلامه فضلا عن اعزازه واكرامه اتكالا على حسبه واستنادا الى نشبه ونسبه واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه فان ممالك جنكزخان بالنسبة الى ولايات الخاقان لاش واقل من لاش وعساكره وقبائله بالنظر الى أهل الصين أوشاب أوباش فرجع قصاد جنكزخان بالخيبه وذكروا ما رأوا الملك الصين من عظمه وهيبه فلم يلتفت اليه ثم قصد التوجه عليه بعدد كالرمال ومدد كالجبال وواقعه فكسره وناقفه فحصره وقبض عليه واباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصره في سنة احدى وستمائة من الهجره فاستقل من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك وانقاد له المملوك والمالك أخذ في ترتيب الامور وتهذيب الجمهور وطير أجنحة مراسمه الى اطراف ممالكه واكناف أقاليمه فرفع جميع ما هم عليه من النهب والغارات والتحزبات وطلب الثارات فهدم قواعد الظلم والتعدي في ممالكه فلم ير آمن من ولايته ولا آمن من مسالكه وهي ممالك المغل والخطا والى الصين شرقا وولايات المغل والجتا وبلاد الترك والى حدود أترار ما وراء النهر غربا فجرى بعد النهب والاسار في ممالك المغل والتتار والبغي والعدوان العدل والامان والسلامة والاطمئنان وبعد السرقة والخيانه الوفاء والامانه وأمر بوضع البرد والمنارات والعلائم والاشارات وعمرت المفاوز والمناهل وسكنت الصحارى والمداهل وعرفت طرق المهامه والمجاهل وائتلفت تلك الطوائف والامم وانتشر صيت عدلها في العرب والعجم واخترع كما ذكر انواع سياسات وقرر للملكة قواعد بنيان واساسات ألف بها بين تلك الطوائف فلم ير بينهم مخالف ولا غير موالف على سعة ممالكهم واختلاف مسالكهم وتعدد دياناتهم وتفاوت كيل اخلاقهم وميزانهم فانهم كانوا ما بين مسلمين ومشركين ومجوس وارباب ناقوس ويهود ومن لا يدين لمعبود وصباه

مواضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا يصطنعون أحدا الا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغي ان يختصوا بذلك قريبا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة ولا ان يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ عارفا بحق ما اصطنع اليه مؤديا لشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالخير صدوقا عارفا مؤثر الجيد الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان للمعروف موضعا ولتقريبه واصطناعه اهلا فان الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذا عرف ذلك كله حق معرفته اقدم على مداواته فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفي أحدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا في ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع الضعيف الذي لم يجرب شكره ولم يعرف حاله في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم وقد يأخذ ابن عرس فيدخله في كمه ويخرجه من

وغواه وعباد الشمس والنجوم ومن يسجد لها اوان الرجوم وكل منهم يتعصب لمذهبه
ويبغض من مذهب صاحبه فلم يتعرض لاحد فى دينه ولا وقف له فى طريق اعتقاده ويقينه
واما هو فلم يتقيد بدين لا كافر مع الكافرين ولا ملحد مع الملحدين ولا يتعصب لملة من الملل
ولا يميل لنحلة من النحل بل يعظم علماء كل طائفه ويحترم زهاد كل ملة على دينها كافه
ويعد تلك الخصلة قربه حيث يعظم كل دين وحزبه وكل من اختار من أولاده واسباطه
واحفاده وامرائه ورعيته واجناده دينا من الاديان لا يعترض عليه أى دين كان فبعضهم
كان مسلما حنيفيا وبعض كان يهوديا وبعض نصرانيا وبعض مجوسيا الى غير ذلك من
الالحاد والزندقة وعدم الاعتقاد وحيث لم يتعرضوا الى دنياه ولا نازعوه ملكه الذى
تولاه لم يشاققهم فى دينهم ولو يوافقهم فى يقينهم واخترع هو بنفسه فى الملك قواعد جعل
عليها المقارب والمباعد ثم لما لم يكن له كتاب ولا خط ولا لاولئك الحروف فلم يعرفون به قط
أمر اذكياء قبيلته وعقلاء مملكته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا له
قلم المغل واشتغلوا به اهم شغل ونسبوه الى قبيلته ليدلوا به على فضيلته فقالوا قوتاتقو
يعنى قلم قتات وهى قبيلة ذلك القتات فوضعوا مفرداته ورتبوها ثم جعلوها وركبوها وهى
اربعة عشر حرفا ظاهرة بينهم لا تخفى وهذه صورة مفرداتها

....

فأمر أولاده واحفاده وجماعته واجناده ومهرة الرجال والاذكياء والاطفال أن يتعلموا
هذا الخط وينشروه ويتداولوه ويشهروه فانتشر بينهم حتى ملأ رأسهم وعينهم فرسموا
به المراسيم والمناشير ورصعوا بجواهره جباه المساطير ووضعوا الرسومات الديوانيه
والتوقيعات السلطانيه وابتدع لهم تواريخ وحساب كل ذلك بهذا الكتاب ثم لما تقرر أمره
وانتشر فى الآفاق ذكره مهد قواعد اسسها ونصب فى دوحة ملكه أصول خلاف غرسها
ووضع على ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس طرقا وقوانين ودرب فى أمور
الحكومات أساليب وقوانين جعل لكل حكومة حكما وفوق لكل حادثة سهما وفرع
لكل حسنة مثوبه ولكل سيئة عقوبه وقرر لكل معصية حدا ولكل بنيان مخالفة هدا
ولكل فرع أصلا ولكل مهم من الوقائع فصلا وبين كيفية الصيد والحرب وسلك فى
كل ذلك الطريق والدرب وألقى دروس ذلك على أولاده وحفدته وجيوشه ورعيته بحيث
انهم حفظوها ورعوها وفى سير سيرهم هرجا ومرجا وعوها فمن أحكامها المظلمه وفروعها
المعتمه صلب السارق وخنق الزانى وان شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثانى ثم فصل حد
السارق بهذيان فارق فقال فى السرقة من جركاه أو بيت شعر رواه بوجوب الصلب
ويقطع اليدان كان بالنقب ثم كلا السارقين يؤخذ ما لهما من مال وعين ويسترق ما لهما
من أولاد وينتقل الى السلطنة ما لهما من طريف وتلاد ومنها حقية دعوى من سبق سواء
كذب أو صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح
الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم اياها فوجا بعد فوج فان تزوجها أحد منهم كان أحق بها
ولا تخرج عنهم والا زوجوها بمن شاؤا وأخذوا مهرها وباؤا ومنها عدم العده وعدم
انحصار الزوجات فى عده ومنها الاخذ بقول الجوارى والصبيان وعما يتقوله على الرجال
العبيد والنسوان ومنها امتثال أمر السلطان على الفور من غير توان ومنها لزوم ما لا يلزم
من العطايا وايجاب ما يتبرع به الانسان من التحملات والهدايا حتى لو أعطى شخص

شخصا

الآخر كالذى يحمل الطائر على يده
فاذا صاد شيأ انتفع به واطعمه منه
وقد قيل لا ينبغى لذى العقل أن
يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس
ولا من البهائم ولكنه جدير بأن
يبلوهم ويكون ما يصنع اليهم على
قدر ما يرى منهم وقد مضى فى ذلك
مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك
وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف
زعموا ان جماعة احتفروا ركية فوقع
فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر
ومر بهم رجل سائح فأشرف على
الركية فبصر بالرجل والحية والببر
والقرد ففكر فى نفسه وقال لست
أعمل لآخرتى عملا أفضل من ان
أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء
الاعداء فأخذ حبلا وادلاه الى البئر
فتعلق به القرد لخفته فخرج ثم دلاه
ثانية فالتفت به الحية فخرجت
ثم دلاه الثالثة فتعلق به الببر فاخرجه
فشكرن له صنيعه وقلن له لا تخرج
هذا الرجل من الركية فانه ليس
شئ أقل من شكر الانسان ثم هذا
الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلى
فى جبل قريب من مدينة يقال لها
نوادرخت فقال له الببر أنا أيضا فى
أجمة الى جانب تلك المدينة قالت
الحية أنا أيضا فى سور تلك المدينة
فان انت مررت بنا يوما من الدهر
واحتجت الينا فصوت علينا
حتى نأتيك فنجزيك بما
اسديت الينا من المعروف فلم
يلتفت السائح الى ما ذكروا له
من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل

شخصا من ماله هدية أوشقصا فان ذلك يلزمه وفى كل عام يغرمه ومنها الجثو بين يدى الحاكم على الركب وقت التحاكم ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البرى بجريرة مرتكب الاوزار وذلك لادنى مناسبه من معرفة أومصاحبه فضلا عن أكبر أصحابه اوشديد قرابه ومنها ان لا يتقدم الوضيع على الشريف ولوكان ذا مال عريض وجاه كثيف ومنها العمل بما يقتضيه العقل والكف عما لايدركه ولو ورد به النقل ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم عن الظالم ونحو هذه الخرافات الباطله والهذيانات العاطله ومن امحذها وأومحها واأخسفها انه لو أخذ أحد ابله عن قواعدهم ذو غفله من ثوب أحدهم قمله فان دفعها الى صاحبها خلص من تبعة عواقبها وغرامة مطالبها فان شاء قصعها وان أراد وضعها وربما اختار عودها الى مكانها فرجعها وان قتلها أورماها والى صاحبها ما أداها فان صاحبها يخاصمه والى حاكم التتار يحاكمه ويدعى عليه بين يديه بان هذا الانسان عمد الى حيوان ربيته بين سحرى ونحرى وغذيته بدم صدرى وظهرى فقتله قصدا واضاعه عمدا من غير سبب تقدم اليه ولا ايذاء اجترأ به عليه فينسبه الى الاجترام ويأخذ ديتها منه بالاغترام وقس على هذا اليسير أنواعا من الكثير ومن نتن هذه البعرة على خرافة البعير ومن هذه القواعد أمر الاقارب والاباعد بما يستصوبه العقل ويستنتجه النقل من سلوك طريق الفتوه ومعاملة الخلق بالمروه والكرم والاحسان والمداراة مع كل انسان والكف عن الظلم والغارات اللهم الافى طلب الثارات ثم وضع طرق المكاتبات والمراسلات والمشافهات والمخاطبات فكان فى المكاتبات طريقة رسمه ان لايزيد على وضع اسمه مثل ان يقول فى أول الكتاب وبراعة استهلال الخطاب عند ابتداء المقال بعد عدة أوصال جنكزخان كلامى ثم يكتب تحته من نصف السطر الثانى الى فلان ليفعل كذا ولا يتعلل بان واذا ثم يذكر محط المقصود بطريق معهود بين العبارات من غير مجازات واستعارات ويختم بذكر الزمان واسم المنزل والمكان واذا استدعى أحدا الى الطاعه وملوك السنة اسوة الجماعه فانه يتجنب التهويل والتهديد ويتحامى عن التشريد والتشديد ويرغب بالوعد ويترك الوعيد ثم يقول ان سمعتم وأطعتم فزتم وغنمتم وان أبيتم وعاديتم فاين أمر ذلك الينا ولا ادرك علمه علينا يرى فيكم الخالق القديم رايه فان فى تقديره وتدبيره كفايه فهذه القاعدة باقيه فى تلك الفئة الباغيه مستمرة على الدوام والى هذه الايام جاريه على هذا النمط يكتبون اسم الخان والخاقان فقط وكذلك الامراء والوزراء والمباشرون والكبراء يكتبون فى أول الكتاب فلان لا كنية ولا جناب وهكذا الى الاكابر من الادانى يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان لا الفلانى ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونه وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونه وقرر عليها الامور الديوانيه والاحكام السلطانيه أمر بها فكتبت وبهذا الخط رتبت ورسمت فى طوامير وافت فى شقق الحرير وزمكت بالذهب ورصعت بالجواهر كما فعل مانى النقاش الكافر واضع مذهب المجوس ومصوره على صفحات الطروس ومبرز المعقول بطريق المحسوس ليكون أقرب الى تفهيم النفوس فى كتابه المسمى بزندواستا ثم أمر باحترامها وتوقيرها والمحافظة على ضبطها وتحريرها والعمل بها والاقتداء بما فيها وتعلق أهل ملته بقوادمها وخوافيها ثم رفعت الى خزائنه وهى عندهم أعز من الكبريت الاحمر فى معادنه واسمها بالمغلى التوره وتفسيرها الملة المأثوره فاذا جلس منهم سلطان على سرير وذلك بما للرؤساء من اتفاق وتدبير وعادتهم فى ذلك انهم اذا

فأخرج الصائغ وسجد له وقال له لقد أوليتنى معروفا فان أتيت يوما من الدهر بمدينة نوادرخت فاسأل عن منزلى فأنا رجل صائغ لعلى أكافئك بما صنعت الى من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر اليه وقال ان القرود لا يملكون شيأ ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته ثم ان السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله النمر فخر له ساجدا وقال له انك قد أوليتنى معروفا فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق النمر فدخل فى بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير ان يعلم السائح من أين هو فقال فى نفسه هذه البهائم قد أولتنى هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت الى الصائغ فانه ان كان معسرا لا يملك شيأ فسيبيع هذا الحلى فيستوفى ثمنه فيعطينى بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه فانطلق السائح وأتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وادخله الى بيته فلما بصر بالحلى معه عرفه وكان هو الذى صاغه لابنة الملك فقال للسائح اطمئن حتى آتيك بطعام فلست ارضى لك ما فى البيت ثم خرج وهو يقول

رفعوا عليهم سلطانا وأرادوا ان ينوا الدار المملكة خانا اجتمع الامراء من الاطراف واستدعوا أركان الثغور والاكناف واشتوروا فيما بينهم مدة أيام واستمروا فى ذلك ما بين نقض وابرام وربما أقاموا فى ذلك الجمع العام حولا جميعا أو ضعف عام ويسمون تلك الجمعة قورلتاى وهى مستمرة الحكم فى المغل والجفتاى وسبب ذلك تدافع الامره والفرار من ثقل السلطنة الحلوة المره كما كان الصحابة الكرام يتدافعون الفتاوى خوف الآثام فاذا وقع الاتفاق بين الرفاق وامراء الجند ورؤساء الآفاق على واحد من اولاد الخان وأن يكون عليهم الملك والسلطان وتصوب الرأى عليه وتسدد وضعوه على لبد اسود ثم رفعه من الارض الى السرير أربعة أنفس كل أمير كبير كل حامل بطرف رافع فى زعمه راية الشرف والخان يصيح بلسان فصيح يا رؤساء ويا أمراء ويا ملوك ويا زعماء أنا ما أقدر ان أتسلطن عليكم ولا طاقة لى ان أتحكم لديكم ولا قوة لى بهذا الحمل الثقيل والدخول تحت هذا الامر العريض الطويل فيقولون بلى يا مولانا الخان تقدر أن تقوم بحمل أعباء هذا الشان فيتكرر الخطاب ويتعدد الجواب حتى يجلسوه على السرير ويبتهج بذلك الكبير والصغير والمأمور والامير ثم يأتون بالتورة الجنكزخانيه الملعونة الشيطانيه محملة معظمه محترمة مكرمه فينهضون اعظاما لها ويتبركون بمسهم اذيالها فينشرونها ويشهرونها ثم ينصتون فيقرؤنها ثم يبايعون الخان على اقامتها وان يراعى احكامها حق رعايتها ويبايعهم على امتثال احكامها واجراء نقضها وابرامها فيجيب كل منهم الامر على ذلك وان يقيم شعائرها الملوك والمالك ثم يضربون له الجنوك ثلاث مرار ثم يتوجهون الى الشمس فى وجه النهار ويضربون لها الجنوك ويسجد لها من فيهم من مالك ومملوك ولا يفعلون هذا الفعل الشنيع الا فى أيام الربيع فاذا تعاقدوا وتبايعوا وتعاهدوا وتتابعوا رفعوا تلك الكفريات واحضروا الآلات الخمريات فادار الخان عليهم الكاسات واستعملوا الاقداح والطاسات وفتح الخزائن وأظهر المكامن ونثر النثار من الدرهم والدينار وخلع الخلع والتشاريف وأعاد فى دروس النفائس ابحاث التصريف واستمروا على ذلك أياما والانعامات تدر عليهم خاصا وعاما ثم يأذن لهم فيتفرقون ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون وهذه الطريقة مستعمله والى آخر وقت غير مهملة فى جميع ممالك الشرق من الخط والدشت والصين والمغل والجتا وفى ولايات الجفتاى والروم قد اعتادوا غالب هذه القواعد والرسوم فقدموها على القواعد الاسلاميه والشرائع الاحمدية المحمديه اللهم ألهمنا الصواب ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام هو أنه لما استقر أمره وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره وطابت بلاده وأمنت وخمدت حركات الظلم وسكنت توجه من بلاد ما وراء النهر فئه فى سنة ثلاث عشرة وستمائه فيهم ثلاثة أنفار من اعيان التجار أحدهم يدعى أحمد الخجندى والآخر عبد الله ابن الامير حسن الجندى والثالث أحمد بلجيخ ومعهم من أنواع المتاجر ونفائس الاقمشة والذخائر ما يصلح للملوك أولى المفاخر فوصلوا الى بلاده الجارى فيها مياه كفره وعناده وانتهوا الى قوقات والمسيل وهما محل سريره الذليل فاكرم نزلهم ورفع محلهم وأنزلهم فى قباب بيض وأفاض عليهم الكرم العريض وكان شعار المسلمين فى تلك البلاد ان ينزلوهم فى قباب بيض من لبد وكانوا يقربون المسلمين ويحترمونهم دون الناس أجمعين ثم ان جنكزخان دعا أحد اولئك الاعيان واستعرض قماشه وسأومه

بعد

قد اصبت فرصتى أريد ان انطلق الى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتى عنده فانطلق الى باب الملك فأرسل اليه ان الذى قتل ابنتك وأخذ حليها عندى فأرسل الملك وأتى بالسائح فلما نظر الحلى معه لم يمهله وأمر به ان يعذب ويطاف به فى المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكى ويقول بأعلى صوته لو أنى أطعت القرد والحيه والببر فيما أمرتنى به وأخبرتنى من قلة شكر الانسان لم يصر أمرى الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال فى خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيأ ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فاخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له وقالت له انك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذى قد عاقبتموه ظلما وانطلقت الحية الى السائح فدخلت اليه السجن وقالت له هذا الذى كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تطعنى واتته بورق ينفع من سمها وقالت له اذا جاؤا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فانه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك

بعدما قربه وأكرمه فطلب منه أضعاف ثمنه وسامه ما يقضى بغبنه وغبنه فارد جوابه ولا أعتبر خطابه ثم طلب رفيقه واستعرض بضائعهما عليه ثم ساومهما الثمن فقالا يا ملك الزمن ان صلح هذا القماش فخذه منا به بلاش فليكن ثمنه رضاك وهديه فى مقابلة ملتقاك وتقدمه منا اليك بل خدمة لخادم أدخلنا عليك فاعجبه هذا الحوار وقال بل أنتم تجار انما جئتم لتربحوا وتكسبوا وعلينا وتنجحوا وأنتم ضيوفنا فالاولى ان يشملكم معروفنا ولكن أنا أقول قولا وادفع اليكم نولا فان رأيتم فيه فائده وعاد عليكم منه عائده قبلتموه والا فالرأى فيما رأيتموه ثم ذكر لهما مبلغا ارضاهما وبلغ به منتهى مناهما بحيث ربح درهمهما ثلاثة واربعة وتضاعفت لهما مع قرب الملك المنفعه فقالا رضينا بما رسمت وانعمت به وقسمت فقال لرفيقهما الاول ان رضيت بمثل ما رضى به صاحبك فتحول والا فخذ متاعك وتحول وشأنك وقماشك ونحسن مع ذلك رياشك فقال رضيت بما رضى به وتلطف فى خطابه وجوابه فأمر فى الحال واحضر المال ووزن الثمن وزادوهم من والبسهم الخلع وافضل فى المصطنع وامر ببضائعهم فرفعت وفى خزائنه وضعت ثم امر خواص بطانته ان يدخلوا هؤلاء التجار الى خزائنه فلما دخلوا اليها ووقع نظرهم عليها رأوا من نفائس الاموال والذخائر واصناف الاقمشة والحرائر وانواع الجواهر الملوكيه واجناس الامتعة الكسرويه واعلاق ملوك الصين ومتحفات الملوك والسلاطين ما بهرت نواظرهم وادهش ابصارهم وبصائرهم فنزهوا فى محاسنها ابصارهم واودعوا محاسن مخيلاتها افكارهم ثم اتوا بهم اليه وادخلوهم عليه فقال ماذا رأيتم فى الخزائن من نفائس البحار والمعادن فقالوا اما لا يصلح الا فى خزائنك ولا ينتزع الا من فرق ملوك المشارق والمغارب الامن مكامن معاقلك فقال ما بايعنا كم فارغبنا كم ولا اكرمنا كم اذ صحبنا كم بناء على انا عادمون ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون وانما فعلنا ذلك الاحسان وجبرنا منكم النقصان لعدة معان احدها انكم اضيافنا وقد شملكم كرمنا وانصافنا ثانيها ان فضلنا الفضل يقتضى اكرام النزيل ثالثها انكم مسلمون والمسلمون عندنا مكرمون رابعها اردنا اشتهار امننا وان تذكر فى الاقطار طريقة زمننا خامسها انه اذا سمع بمعاملتنا التجار يقصدون بلادنا من الامصار وسائر الآفاق والاقطار فتعمر المسالك والدروب ويربح الطالب والمطلوب سادسها وهو اعلاها وأحسنها وأقواها أنكم اماتيتونا وافدين وانا لا نخيب رجاء القاصدين ثم سرحهم شاكرين ولما سمعوا ورأوا ذاكرين ثم اقتضت الآراء فامر الامراء واكابر بلاده ورؤساء اجناده ان يجهز كل منهم الى الجهات الغربيه والولايات الاسلاميه من جهته أحدا من المسلمين ببضائع من أمتعة الخطا والصين فى صفة التجار ليتعاملوا فى هذه الديار وتنفتح المسالك على السالك وتنقل اليهم بضائع هذه الممالك وتكثر المعاملات وتتحد الممالك والولايات فامتثلوا مراسمه وعدوها غنيمه وجهز كل منهم من جهته من وثق بامانته واعتمد على كفايته واعطاه من النقود والاجناس ما يصير به من رؤساء الناس واجتمعوا قافله وركبوا السابله نحو أربعمائة وخمسين نفرا كلهم مسلمون كبرا وكتب لهم مراسيم وجائزات باكرام نزلهم فى الدروب والمجازات ومعاملتهم بالتكرامات وان تهيأ لهم ولدوابهم الاقامات ذهابا وايابا حضورا وغيابا ثم أرسل معهم الى السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد بن انوشتكين وانوشتكين هذا هو أتابك الملوك السلجوقية والسلطان قطب الدين هو الفائق من تلك الذريه رسالة عاطره

نجح وان شاء الله تعالى وان ابن الملك اخبر الملك أنه سمع قائلا يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذى حبس ظلما فدعا الملك بالسائح وأمره ان يرقى ولده فقال لا احسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى فسقاه فبرئ الغلام ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره فشكره الملك واعطاه عطية حسنة وامر بالصائغ ان يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح * ثم قال الفيلسوف للملك ففى صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها اياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر وادب فى وضع المعروف والاحسان عند اهل الوفاء والكرم قربوا أو بعدوا لما فى ذلك من صواب الراى وجلب الخير وصرف المكروه * انقضى باب السائح والصائغ

{ باب ابن الملك واصحابه }

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورايه وتثبته فى الامور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير والرجل الحكيم العاقل

تسهيل خاطره وتسهيل من مهائب كرمه مواطره وحسن الجوار ومراعاة جانب الجار وسلوك
ما تنتظم به الامور وتطمئن به الصدور ويحصل به الامن للصادر والوارد والرفاهية للقائم
والقاعد وتنعقد به اسباب المحبة من الطرفين واطناب المودة بين الجانبين وفتح باب
المراسلات وكشف حجاب المعاملات وان كانت الاديان مختلفه فلتسكن القلوب مؤتلفه
وشمول نظر الصدقات السلطانيه وعواطف مراحمها الملوكيه على القصاد الوافدين على أبواب
مكارمها المستمطرين سحائب صدقاتها وديمها بحيث تسني مطالبهم وتهني ما ربهم او كما قال
وصدر منه السؤال هذا واما اخبار السلطان قطب الدين فانه كان من اكبر الملوك والسلاطين
تملك عراقي العرب والعجم وما في ممالك خراسان من امم واستولى على غالب الممالك بالقهر
والى اقصى ولايات ما وراء النهر وجعل جرجانية خوارزم مأواه وتلقب لذلك خوارزمشاه
ورفع ما بين مملكه وبين ممالك جنكزخان من التتار المسمين بقراجقتاي وعباد الاوثان
واسترقهم قهرا وقسرا واستعبدهم جبرا وكسرا واستولد من تلك الطائفة المعتدين ولده السلطان
جلال الدين فبواسطة انه صار له منهم ولد صاروا اقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد فكانوا
شعوبا وقبائل يخرج منهم سبعون ألف مقاتل ومنهم أيضا كانت امه واخواله وخيله ورجاله
الى أن خانوه وبذلوه وما صانوه واستدفع بهم طارق البلاء فكانوه (غريبه نادرة عجيبه) كان
هؤلاء التتار متاخمين بلاد اترار وهي حد ممالك السلطان وهي سد عظيم بين المسلمين وبين
جنكزخان فغزاهم السلطان وأبادهم واستعبد كماذكر اجنادهم فارتفع السد من البين
وانهدم الفاصل بين الجانبين واتصلت المملكتان كالحجبين أعني مملكة السلطان
ومملكة جنكزخان فسرت السرائر وابتهجت الضمائر ودقت في ممالك السلطان قطب
الدين البشائر وزينت الولايات بأنواع الذخائر وكان في نيسابور من أكابر الصدور
شخصان من العلماء فاجتمعا واقاما العزاء فسئلا عن موجب هذا البكاء وانما الناس في
فتوح وهناء فقالا أنتم تعدون هذا الثلم فتحا وتتصورون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ
الخروج وتسليط العلوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام
والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين وستعلمون نبأه بعد حين
وأنشدا فارشدا

وعلمت ان فراقكم لابد أن * يجري له دمعي دما وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد واستولى على أهل البقاع والوهاد وباد ملوك العجم
وتفرد بسياسة تلك الامم وتخت ملكه مملكة خوارزم وقد صمم العزم بجزم وحمل الناس
على نزع الخلافة من آل عباس ووضعها في آل علي وقد توجه الى العراق بهذا القصد
الجلي فوصل الى حدود العراق وهو مجد على هذا الاتفاق فوصل أوائك التجار الى
اترار من صوب جنكزخان وبها من جهة السلطان نائب يدعى قايرخان فلما وصلوا
الى البلد أخبر بهم النائب الرصد فحبسهم عنده في مكان وأرسل يستأمر فيهم السلطان
وبشع العباره وشنع السفاره وذكر انهم جواسيس تستروا بالتجاره وان معهم من
الاموال ما يوازي الرمال ويوازن الجبال مصراع

* وما آفة الاخبار الا رواتها *

فأمره بقتلهم وأخذ ما معهم وسلبهم ففي الحال أبادهم وسلبهم طارفهم وتلادهم وأرسل المال
الى السلطان وأوصله حسبما رسم به الى الديوان فطرحوه على تجار بخارى وسمرقند كما
يطرح على مساكين دمشق القند واستخلصوا ثمنه بالظلم وزادوا عليهم فيه الغرم وكان سبب
ذلك أن تاجرا عند قايرخان أراد أن لا يكون عند السلطان تاجر سواه فتبعه قايرخان لما اغواه

قد نصيب البلاء والضر (قال) بيدبا
كما ان الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا
يسمع الا بأذنيه كذلك العمل انما
هو بالحلم والعقل والتثبت غير ان
القضاء والقدر يغلب على ذلك
ومثل ذلك مثل ابن الملك واصحابه
قال الملك وكيف كان ذلك (قال)
الفيلسوف زعموا ان اربعة نفر
اصطحبوا في طريق واحدة احدهم
ابن ملك والثاني ابن تاجر والثالث
ابن شريف ذو جمال والرابع ابن
أكار وكانوا جميعا محتاجين وقد
اصابهم ضر وجهد شديد في موضع
غربة لا يملكون الا ما عليهم من
الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا
في امرهم وكان كل انسان منهم
راجعا الى طباعه وما كان يأتيه
منه الخير قال ابن الملك ان امر الدنيا
كله بالقضاء والقدر والذي قدر على
الانسان يأتيه على كل حال والصبر
للقضاء والقدر وانتظارهما افضل
الامور وقال ابن التاجر العقل
افضل من كل شيء وقال ابن
الشريف الجمال افضل مما
ذكرتم قال ابن الاكار ليس في
الدنيا افضل من الاجتهاد في
العمل فلما قربوا من مدينة يقال
لها مطرون جلسوا في ناحية منها
يتشاورون فقالوا لابن الاكار
انطلق فاكتسب لنا باجتهادك

فتعددت

فتعددت الاسباب وانفتح للشر أبواب وقالوا شر أهر ذا ناب فلم يفلت منهم سوى رجل واحد أنجاه الله من العدو والحاسد فاختفى واتصل الى بلاده وأخبرهم بوقوع الامر وفساده فغضب جنكزخان وتحرك منه باعث العدوان ثم تثبت فى أمره وتلبث فى فكره وأرسل الى السلطان رساله فيها تهديد وبساله وكان السلطان خوارزمشاه لما أبدى هذا الخطأ وانهاه طير مراسيمه الى اطراف الممالك يأمرهم بالمحافظة على دربندات المسالك ويحرض ولاة الامور وأصحاب الادراك فى المضايق والثغور والطلائع والارصاد على منع القصاد وكف من يخرج من تركستان الى صوب ممالك جنكزخان ثم أرسل من جهته جواسيس يختبر أحوال ذلك الابليس وينظر أموره وأوضاعه ومقدار عسكره وأمرهم فى الطاعة وما قصده أن يفعل ليستعد له بحسب ما يعلم منه ويعمل فتوجهت جواسيس السلطان وطال فى غيبتهم الزمان وقطعوا الجبال والقفار وسلكوا المفاوز والاوعار حتى وصلوا الى بلاده وفحصوا عن أمره واستعداده وخبروا أمر جنده وعتاده وأوضاع عسكره وتعداده فرجعوا بعد مدة مديدة وزمان وأخبروا بما حققوه السلطان وان عدد عساكره يفوت الاحصاء ويخرج عن دائرة الاستقصاء وأنهم أطوع البرية للملك وأثبت جنانا من الاسد المنهمك وأصبر جندا على القتال كأن أمر الهزيمة عندهم محال وانهم اذا وثبوا أو حاربوا أو سالموا أو لاسبوا أو رابضوا أو ضاربوا خابطوا ثم خاطبوا بقوله

ونحن اناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وانهم لا يحتاجون فى الاسفار ولا عند مقاحمة الاخطار الى كثير مؤنه ولا كبير معونه بل كل منهم ينهض باحتياجه واحتياج مركوبه الى الجامه واسراجه ويستبد بعمل سلاحه وجميع ما يستعين به سفرا وحضرا فى صلحه وصلاحه ونطاحه وكفاحه وكذلك ملبوسه وزاده وسائر أهبته وعتاده فندم خوارزمشاه على ما قدمت يداه من قتل أصحابه وفتح سد الشر وبابه وأنى يجدى الندم وقد زلت القدم وتبدل الوجود بالعدم وغرق فى بحر الهموم وهمى عليه غمام الغموم فشاور لما لقى الشهاب الخيوقى وهو فقيه فاضل ونبيه كامل عالم أجل كبير المحل له عنده محل خطير لا يخالفه فيما يشير فان رأيه سديد وقوله وفعله رشيد فقال له يا امام قد تحرك على الاسلام عدو الد الخصام بعساكر كالرمال ذوى صدمات كالجبال فما ترى فيما طرا فقال فى عساكرك كثره وأنت ذو قوة ووفره وزفر اقدامك له زفره فكاتب الاطراف واجمع عساكر الاكناف وادع أهل بيضة الاسلام الى هذا النفير فانه عام فاذا وفدوا عليك وتمثلوا بين يديك توجه بهم الى نهر سيحون واجعل ساحله من تلك الجنود مشحون واملأ بهم تلك المهامه والقفار وحصن ممالكك الى حدود انزار فان أقبل العدو المخذول لم يصل الا وهو من الكلال محلول فانه يأتى من بلاد بعيده بجنود عديده وقد أثر فيه النصب واخذ منه التعب والوصب فنلاقيه على سيحون وهم كالون ونحن مستريحون فجمع بعد ذلك امراءه ووزراءه وزعماءه وعرض عليهم ما جاءهم وطلب منهم آراءهم فلم يرتضوا رأى الشهاب لامر يريده مسبب الاسباب وقالوا بل نتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق ويتورطوا فى بلادنا بالعوائق فتزداد مشقتهم وتطول فى المسير شقتهم لا سيما وهم بارضنا جاهلون وعن مداخلها ومخارجها ذاهلون فاذا حصلوا فى قبضتنا كان امكن أن ضمتنا فنضيق عليهم واسع رحابها وأهل مكة أخبر بشعابها وذهل أوائك الجمع عما رآه الفقهاء وهوان الدفع أولى من الرفع وبينما هم فى المشاورة والمراودة ورد قاصد جنكزخان برسالة

طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الاكار وسأل عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام اربعة نفر فعرفوه أنه ليس فى تلك المدينة شئ أعز من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ فانطلق ابن الاكار فاحتطب طنا من الحطب وأتى به المدينة وباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا فلما كان بالغد قالوا ينبغى للذى قال انه ليس شئ أعز من الجمال أن تكون نوبته فانطلق ابن الشريف لما أتى المدينة ففكر فى نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلنى المدينة ثم استحى أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فحمله النوم فنام فمرت به امرأة رجل من عظماء المدينة وبصرت به فأعجبها حسنه فأرسلت خادمتها وأمرتها أن تأتيها به فانطلقت الجارية الى الغلام وأمرته أن يتبعها الى مولاتها فظل نهاره عندها فى أرغد عيش ولما كان عند المساء اجازته بخمسمائة درهم فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوى خمسمائة درهم واتى

المنا كده وفيها من التشنيع والتقريع والتهديد والتبشيع العجب العجاب ومايشيب الغراب فمن جملة تشنيعاته ومضمون تهويلاته مامعناه في فحواه كيف تجرأتم على اصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي وهل ورد في دينكم اوجاز في اعتقادكم ويقينكم ان تريقوا دم الابرياء أو تستحلوا أموال الاتقياء اوتعادوا من لا عاداكم وتكدروا عيش من صادقكم وصافاكم اتحركوا الفتن النائمة اوتنهضوا الشرور الجاثمة أوما جاءكم عن نبيكم سيدكم وعليكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم أوما اخبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونبأكم محدثوكم أتركوا الترك ماتركوكم وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ماذقتم طعم شهده أوصابه ولا بلوتم شدائد أوصافه واوصابه الاوان الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف واستدركوا ماسلف قبل ان ينهض داعي الانتقام ويتحرك من الفتن حامي الاضطرام ويقوم سوق الفتن ويظهر من الشر ماباطن ويموج بحر البلاء ويروج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم امر معلوم ولابدان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر امرار ربوبيته وآثار عدله في بريته فان به الحول والقوه ومنه النصرة مرجوه فلترون من جزاء افعالكم العجب وليسنسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب وكان اللعين جنكزخان قد مشى على تركستان وأخذ منها عنوة كاشغر وبلاساغون وصارتا في حوز ذلك الملعون وكانتا في يد كوجلك خان بن اونك خان المار ذكره في أول القصه لما قتله جنكزخان وقصه هرب ولده كوجلك خان المغبون واستقر في كاشغر وبلاساغون الى ان مشت العساكر عليه وأخذت تلك الاماكن من يديه فلما وصل هذا الخطاب الى ذلك الاسد الوثاب أمر بمقدم القصاد ورئيس أولئك الوراد فضربت رقبته ومن بقي فحلقت لحيته وسخمت بالسواد حليته ثم رد الجواب بأبشع خطاب ومن فحواه وبارد ماحواه اني سائر اليك وهاجم عليك بجنود الاسلام واسود الآكام وكل بطل ضرغام ولو بلغت مطالع الشمس فعلك في قعر الرمس وجاعلك كذاهب أمس فتيقن ذلك واعلم أنك لامحالة هالك ورد قصاده على عقبهم وقصد التوجه في ذنبهم فتجهز وسار بعسكر جرار الى صوب التتار وأوصل السير وسابق الطير وأراد ان يسبق الخبر ويكبس التتر ويريهم عين الملة قبل الاثر فالوى من العراق وسار وساق فقطع ممالك خراسان وولايات ماوراء النهر وتركستان وهجم بذلك البحر الزخار في تلك المهامه والقفار فوصل الى حشم في بيوت وهم آمنون في سكون وسكوت ليس فيهم غير نساء وصبيان ومواش وبعران رجالهم غائبه وامورهم بواسطة الامن سائبه وكانت رجالهم توجهت لاخذ الثار من بعض التتار بواسطة عدوان وقع بينهم وبين كوجلك خان فقاتلوهم وكسروهم ونهبوا أموالهم وهصروهم ففي غيبتهم وصل السلطان الى بيوتهم وفي امنهم وسكوتهم وليس فيهم الا الحريم والاطفال والمواشي والاثقال لايؤبه اليهم ولايعول عليهم فاستولى عليهم ونهبهم وسلبهم عيشهم وسلبهم وأمر العساكر فنهبوهم واسروهم وفرقوهم وكسروهم وهم الجم الغفير والعدد الكثير والمال الغزير ورجع السلطان من فوره وابتدأ في حوره بعد كوره وتصور انه اغنى واقنى وانه اضحك وليا وعدوا أبكى فما هو الا وضع على القرح كيه وداس ذنب الحيه ثم رجع التتار ورأوا ماحل باهلهم من بوار وانهم أخرجوا من ديارهم واولادهم ونكبوا في طريفهم وتلادهم وان نساءهم اسرت وصفقتهم خسرت فماوفت نصرتهم

بكسرهم

بالدراهم الى أصحابه فلما اصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق انت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيأ فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون ان يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشترى منهم شيأ حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا مع انا محتاجون اليه وسيرخص فخالف الطريق وجاء الى اصحاب المركب فابتاع منهم مافيها بمائة الف دينار نسيئة واظهر انه يريدان ينقل متاعه الى مدينة اخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا ان يذهب ذلك المتاع من ايديهم فاربحوه على ما اشتراه مائة الف درهم واحال عليهم اصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه الى اصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد ثمنه مائة الف درهم فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق انت واكتسب لنا بقضائك وقدرك فانطلق ابن الملك حتى اتى الى باب المدينة فجلس على متكئ في باب المدينة واتفق ان ملك تلك

بكسرتهم ولاقامت فرحتهم بحسرتهم التهبوا واضطربوا واصطلموا واصطدموا واخذتهم الحميه وعصبتهم العصبيه وتنادوا باللغارات وطلب الثارات وتناخى منهم حماة الحقايق وكماة المضايق وتتبعوا في الحال آثار الرجال من غير اهمال ولا امهال وسلكوا الآثار لاخذ الثار وأكبوا كالبرق الخاطف وزعقوا كالرعد القاصف واندفعوا كالريح العاصف واندفقوا كالسهم الناقف ودهموا كالليل المدرك وهجموا كالسيل المهلك فادركوا عساكره بشرور ثائره ومراجل صدور بالضغائن فائرة فلم يشعروا الا والعدو المضرم غشيهم كالقضاء المبرم فألوت عساكره وقابلت واستعدت وقاتلت والتفت الرجال بالرجال وضاقت ميادين المجال واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الآجال وتهللت ثنايا المنايا لبكاء السيوف وتبسمت ثغور الرزايا بالفتوح الحتوف واستمرت ديم السهام من غمام القتام على رياض الصدور تهمى ولوامع بروق السيوف على قمم تلك الصفوف بعد الوابل الوسمى بالصواعق ترمى ثم انتقلوا من معاشقة المراشقه الى مراشفة المعانقه ومن مكالمة المضاربه الى ملاكمة الملاعبه ومن مخادعة المقارعه الى مسارعة المصارعه وامتدت بهم الحال فى هذا القتال والجدال ثلاثة أيام مع الليال لايسأمون الطعن والضرب ولا يملون مباشرة الحراب والحرب الى ان جرى من الدماء طوفان وكاد يظهر سر كل من عليها فان كل ذلك وكاتب البيض والسمر يستوفى من اقلام الخط فى صحائف الصفائح مستوردات العمر ولم يسمع بمثل هذا القتال ولا بنظير هذا الضراب والنضال فى سالف الازمنة والاعصر الخوال وما امكن تولى احدى الطائفتين ولا نكوص جهة من الجهتين أما طائفة المسلمين فلحمية الدين ولو ولوا الادبار لما ابقت التتار لبعد الديار وصعوبة القفار منهم نافخ نار واما الكفار فللغيرة على ذوات الاستار واستخلاص الاطفال والصغار من قيد الذل والصغار ورق الاسار فصارت الخضراء غبراء والغبراء حمراء والصحرا بحرا والقتلى تلا والجرحى طرحى ولم يثبطهم عن استيفاء القتال غير انحلال الاعضاء والكلال فانفصلوا وما انفصلوا وانقطعوا بعد ما اتصلوا وحلوا بعد ما كلوا وتراجع كل عن صاحبه بعد ذوبان قلبه وقالبه واستفراغ جهده بما وصلت اليه غاية كده ثم استوفى ناظر القضاء ما أورده عامل الفناء من سهم المنون الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون من ارواح الشهداء الابرار وانفس الاشقياء الكفار الوارد من تلك المعركه الساكن من حركات هاتيك التهلكه فكان من المسلمين عشرون الفا ومن الكفار كذا وكذا ضعفا غير انه لم يمكن حصرهم ولم يعرف قدرهم فلما كانت الليلة الرابعه وهى الليلة الفارقة القاطعه أوقد كل من الفريقين فى منزله النار واكثر من المشاعل فى المنازل والآثار وتركها وسار فوصل السلطان من بلاد تركستان وقطع سيحون نهر خجند ووصل الى بخارى وسمرقند وشرع فى تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وقد سكن الهم فؤاده ونهب القلق والارق رقاده وعلم المسلمون انه خار وانه لاطاقة لهم بالتتار فخافوا حلول البوار ونزول الدمار وتيقنوا خراب الديار لان السلطان عاجز ولابد من قدوم بلاء ناجز وقالوا اذا كان هذا الخور من شرذمة قليلة من التتر فى طرف من أطراف بلاده لا فيهم احد معتبر من أجناده ولا رئيس يشار اليه من أولاده ولا ذرى ولا علم بما جرى فكيف اذا دهم بطامته الكبرى واحشاد جيوشه العظمى فترك خوارزمشاه ببخارى عشرين ألف مقاتل وفى سمرقند خمسين ألف مناضل وقرر معهم انه يجمع الجنود ويستجيش ابطال المسلمين ويعود وتوجه بثبات عزم واضاعة حزم الى مقر مملكه خوارزم ثم انتقل الى خراسان وخيم بضواحى بلخ فى مكان

الناحيه مات ولم يخلف ولدا ولا احدا ذا قرابة فرواعليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون فأنكروا حاله وشتمه البواب وقال له من انت يا كلب وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه فلما دفنوا الملك ورجعوا بصر به البواب فغضب وقال له الم انهك عن الجلوس فى هذا الموضع وأخذه فحبسه فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم وكل منهم يتطاول بنظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب انى رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا فكلمته فلم يجبنى فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا فادخلته السجن مخافة ان يكون عينا فبعثت أشراف أهل المدينة الى الغلام فجاؤا به وسألوه عن حاله وما اقدمه الى مدينتهم فقال انا ابن ملك فوران وانه لما مات والدى غلبنى أخى على الملك فهربت من يده حذرا

وأقام رخى البال كان الشئ ما كان ثم لازال يضمحل ويذوب ويحل به ما يحل له من نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن فى اطراف طبرستان فى سنة سبع عشرة وستمائة وكانت ولايته فى العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة قاهره ودولة باهره وجولة أرقدت الملوك بالساهره فاضلا فقيها عالما نبيها اضمحل بادنى حركة ملكه وغرق فى بحر الفناء بعد الطغيان فلكه وركن الى الخطا فوقع فيه وخانته عساكره ومخالوه ووده الخل منه وفيه وكان فى خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ومن أجناس الاقمشة والامتعة والاسلحة ما لا يحصيه الا الواحد القهار وكان فيها ألف حمل من القماش الاطلس واضعاف ذلك من نفيس النفائس وانفس ومن الخيل المسومة عشرون الف جنيبه ومن المماليك الملوك عشرة آلاف كل له فى دار الملك ربع خصيب واوفر حظ ونصيب فما افاد ذلك ذره بل نبشوا بعد موته قبره وقطعوا راسه وفجعوا به ناسه فسبحان من لا يزول سلطانه وعز وعلا من لا يذل شانه

فما كف ذو كف له رائد الردى * ولا مال بالاموال عنه حمامه
ولا ملك كلا ولا ملك حمى * حمى ملكه لما عراه انهدامه

وبسط المقول فيه شرح يطول (وأما) أمر الطاغيه صاحب الفئة الباغيه جنكزخان لما وصل قصاده من عند السلطان بعد الفناء والشده لحاهم محلوقة ووجوههم مسوده وقد قتل رئيسهم وخلا من نقد مرادهم كيسهم ذهب حفاظه والتهب شواظه وطمت بحار كفره وتلاطمت وتزعزعت اطواد شركه وتصادمت وبينا هو يرغى ويزبد ويقوم من غضبه ويقعد اذ جاءه الخبر الثالث وهو شر الحوادث اذ فيه خبر من قتل من الكفار وانتقل من دار الخسار الى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فاعمل فى قلبه نصله وكان اولا قد زاد على قرحه قرح مثله ثم كان خبر هذا القرح ملحا مذرورا على جرح فقامت قيامته وتعوجت بالحزن قامته وودلو أحرق الكون بانفاسه وهدم أساس المكان بفاس باسه ثم تروى وافتكر وتهوى من جره هذا الشرر ثم قصد مذهب الاعتزال وانزوى عن جماعته فى مكان خال ودخل الى مكان خراب وعفر وجهه فى التراب وتضرع الى الله الحليم وقال ياخالق ياقديم أنا أردت أن أعمر بلادك وانعش عبادك فظلمهم يااله عبدك خوارزمشاه وتعدى على وكرر الاساءة الى فانتصر لى منه وانتقم فانك جبر من كسر وعون من ظلم واستمر على هذه الحال ثلاثة أيام وليال لا يأكل ولا يشرب ولا يفتر عن التضرع والطلب يمرغ رأسه ووجهه فى الثرى ويقصد فيما يرومه رب الورى وقد قيل

تضرع جنكزخان لله ساعة * وأخلص فيما رامه وهو مشرك
فما خاب فيما رامه من فساده * ومازال يعشوفى الانام ويسفك
فما بال من لله طول حياته * يوحد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة أنام فيها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركى التتار وعساكر الكفار بالبحار الطاميه والامطار الهاميه وجبال النيران الحاميه فى شهور سنة خمس عشرة وستمائه ومشوا على ممالك الاسلام وساروا على بسيط العالم سير الغمام وارادوا اطفاء نور الاعيان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد آمنة مطمئنة ساكنة مستكنه وليس لها مانع ولا ممانع ولا لهم عنها دافع ولا مدافع ولا بها حام ولا محام ولا سام ولا مسام فأخنوا على جندها وقراها وولاتها وما والاها رابع صفر

على نفسى حتى انتهيت الى هذه الغاية فلما ذكر الغلام ماذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم واثنوا على أبيه خيرا ثم ان الاشراف اختارو الغلام ان يملكوه عليهم ورضوا به وكان لاهل المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكا حملوه على فيل ابيض وطافوا به حول المدينة فلما فعلوا به ذلك مر بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فأمر ان يكتب ان الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل فى الدنيا من خير وشر انما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل وقد ازددت فى ذلك اعتبارا بما ساق الله الى من الكرامة والخير ثم انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وارسل الى اصحابه الذين كان معهم فاحضرهم فاشرك صاحب العقل مع الوزراء وضم صاحب الاجتهاد الى اصحاب الزرع وامر لصاحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كى لا يفتتن النساء ثم جمع علماء أرضه وذوى الرأى منهم وقال لهم أما أصحابى فقد تيقنوا ان الذى رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو

عام ستة عشر وأظهروا فيها علامات الحشر فادهشوا وهلها وسبكوا أهلها ودكوا جبالها وملؤا الجبال القتلى سهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام فاراح بها رجله وخيله وأحاط بها ثبوره وويله واستمروا فيها ست عشرة ليله ثم تنقلوا عن جند الى ولايات اندكان وفنا كث وخجند فأخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا ثم الى بلدة مرغينان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى أطراف تركستان ومنها سيرام وتاش كند وباقى البلدان ثم الى نسف واترار وسغناق وما من أمهات البلاد فى تلك الآفاق

فمشوا على سهل البلاد ووعرها * مشى الجراد على القصير الاخضر

فكانهم موسى على شعر مشت * أو منجل فوق الحصيد الاصفر

أو شعلة نار الهوا فتعلقت * فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من أطاعهم وقصد اتباعهم صار من جلدتهم ودخل فى عدتهم ومن عصى او توقف أو خالف أو تخلف سقوه كاس الدمار وأحلوه وقومه دار البوار واسروا حريمه وأولاده ونهبوا طارفه وتلاده ثم ان تلك الدواهى المصميه فى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمية وصلوا الى بخارى بلدة فضلها الابخارى قبة الايمان وكرسى ملوك بنى سامان مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزهاد ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد والمدققين من النبهاء الانجاد وفيها من الاكابر والاشراف واوساط الاماثل والاطراف الجم الغفير والطم الكثير فلما رأى العساكر السلطانيه والجيوش الخوارزمشاهيه الذين كان أرصدهم السلطان لحفظ البلدة من طوارق الحدثان وهم عشرون ألفا أن البلاء زحف اليهم زحفا وان كسرتهم منهم لاتخفى وان سيل الويل حطم وموج بحر الدواهى التطم ومن لم يدرك من الغرق ارتطم شمروا الذيل وخرجوا تحت الليل وقصدوا جيحان والعبور الى خراسان ومقدمهم من أمراء السلطان كورخان وسونج خان وحميد النورى وكوجلى خان فبينماهم على نهر جيحون قاصدين العبور صادفتهم طلائع جنكزخان الكفور فوضعوا السلاح فيهم ومحوهم عن بكرة ابيهم فما أبقوا منهم عينا ولا اثرا ولا سمع لهم احد خبرا فوهى امر البلد اذ لم يبق لهم مدد فطلبوا الامان وارسلوا لذلك القاضى بدر الدين بن قاضيخان فأجابهم الى ذلك واناب فاطمأنوا وفتحوا الابواب فدخلوا المدينة يرفلون وهم من كل حدب ينسلون فعصى بقية العسكر فى القلعه وتصوروا ان يكون لهم منه منعه ففى الحال امر الرجال بطم الخندق بكل ما وجدوا من اوق فأتوا بنفائس الاقمشه والذخائر المدهشه والكتب والربعات والمصاحف الشريفة والختمات وطرحوها فى الخندق ومشى العسكر عليها وتسلق ونقبوا النقوب وانفذوا الثقوب وكان قد نادى بالامان للقاصى والدان فعجزت القلعه وذهب ما بها من منعه وكان فيها فئه نحو من اربعمائه فباشروا الحرب دوما نحوا ثنى عشر يوما فأخذوا عنوة بالانقاب وفتح لهم من كل جهة باب فقتلوا من بها عن آخرهم واستولوا على باطنهم وظاهرهم ثم مدوا ايديهم الى المخدرات وفجروا ظاهرا بالمستترات وجعل الناس ينظرون ويبكون وهم يفتكون وينكون لا يستطيعون دفعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا فاجتمع من ائمة الدين ومن اعلام العلماء المهتدين ومن لم يرض بعمل المفسدين جماعة غاروا وثاروا وفاروا وانضموا الى العلامة القاضى صدر الدين قاضيخان واولاده السادة القادة الاعيان والحاكم الشهيد الامام العالم السعيد والامام ركن الدين امام زاده واختاروا الموت على الشهاده فحملوا على القشة

بقضاء الله وقدره وانما احب ان تعلموا ذلك وتستيقنوه فان الذى منحنى الله وهيأه لى انما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد وما كنت ارجو اذا طردنى اخى ان يصيبنى ما يعيشنى من القوت فضلا عن ان اصيب هذه المنزلة وما كنت أومل ان اكون بها الانى قد رأيت فى هذه الارض من هو افضل منى حسنا وجمالا واشد اجتهادا وافضل رايا فساقنى القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله وكان فى ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائما وقال انك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة وان الذى بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت والذى ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت اهلا له لما قسم الله تعالى لك من العقل والراى وان اسعد الناس فى الدنيا والآخرة من رزقه الله رايا وعقلا وقد احسن الله الينا اذ وفقك لنا عند موت ملكنا واكرمنا بك ثم قام شيخ آخر

الطاغيه والطائفة الكافرة الباغيه وقاتلوا حتى قتلوا والى جوار الله مقبلين انتقلوا فاستشهدوا عن آخرهم ولحق اصاغرهم باكابرهم ودخل جنكزخان الى المدينه وطاف بها على هيئة وسكينه حتى انتهى الى باب الجامع مكان نزه وموضع رائع ومحل شريف ومعبد واسع ولم يكن لذلك البلد الكبير والجم الغفير والجمع الكثير والمصر الواسع من الجوامع سوى جامع واحد يجمع الصادر والوارد ويسع ماشاء الله من الامم وهذا على مذهب الامام الاعظم وهكذا كل امصار الحنفيه فى الممالك الشرقيه والممالك الهنديه وغالب البلاد التركيه فقال جنكزخان هذا بيت السلطان فقالوا بل بيت الرحمن ومأوى عبادة العباد والعلماء والزهاد وذوى الطاعة والاجتهاد فقال ان أولى ما أقمنا أفراحنا فى بيت من خلق أرواحنا ورزق اشباحنا ثم الوى اليه واقبل عليه ونزل عن عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم دعا بامرائه وكبراء جنده وزعمائه واستدعى الخمور والطبول والزمور وهش الى الكفار وعظمهم وبش فرحا واحترمهم فسجد له منهم الملوك وضربواله الجنوك وعرفوا حقه ورعوا ورفعوا بالثناء صوتهم ودعوا فاذن لهم بالجلوس وان تدار عليهم الكؤس فجلس كل فى مكانه بين اضرابه واخوانه وقام بعض فى مقامه فى موقف حده واحتشامه فتصدر فى مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة الفجار ورؤس المشركين من المغل والتتار واستبدلت محافل العلم والتدريس بمحافل الشرك والتنجيس ثم احضروا العلماء والاشراف والكبراء وسادات الانام ورؤساء الخواص والعوام وأنزلوا بهم الثبور والويل واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل وصارت الناس حيارى سكارى وماهم بسكارى وأخذتهم بهته اذ أتاهم العذاب بغتة ولم يكن بين رحيل السلطان وبين هجوم هذا الطوفان غير خمسة أشهر وأيام ساروا فيها سير الغمام وهجموا على العالم هجوم الظلام وكأن الناس كانوا نياما ورأوا فى منامهم أحلاما فلم يوقظهم من هذا الرقاد سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسد عليهم طريق الخلاص وخاتم المدد فى شدة الاقتناص وتنادوا ولات حين مناص ا فارقهم العسكر وهم فى حال المضطر وكان من جملة أولئك الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين على ابن حسن الزيدى وهو المقدم والمقتدى والمسلك الى طريق الهدى وأعلى سادات ماوراء النهر ولد وحسة ساداتها بنزل الشهر والزهر قد قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استنظروه مراكبهم وأنشبوا فيه مخاليبهم وهو واقف بباب الجامع فى هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام البحر الطام علم العلماء الاعلام أفضل علماء عصره وأنبل فقهاء دهره الشيخ ركن الدين ابن الامام بوأهما الله تعالى دار السلام وهو فى مثل حاله متسربل بسربال نكاله فقال ايها الامام المفضال ماهذه الاحوال ثم أنشد معنى هذا المقال أرى حالة ذنت لسانى فليس لى * طريق الى انى أفوه بلفظة

أعض لها كفى وامعك مقلتى * أفى النوم هذا أم أراه بيقظة

فأجاب الامام ماهذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ما أراده واستمروا يشربون الخمور على أصوات الزمور ويضربون الطبول ويتراقصون رقص التتار والمغول ثم صعد المنبر ابن جنكزخان الاكبر واسمه توشى خان وتكلم بكفر وكفران ثم غنى ورقص ودعا لابيه ونكص ثم صعد بعده أبوه وتكلم بكلام سمعوه ودعا بالخمر وشرب ثم غنى وطرب ثم قال أيها الرجال ان خيلنا هى رأس المال وقد رعيتم الوهد والبقاع وحلقتم شعور

سابح فحمد الله عز وجل واثنى عليه وقال انى كنت اخدم وانا غلام قبل ان اكون سائحا رجلا من اشراف الناس فلما بدالى رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان اعطانى من اجرتى دينارين فأردت أن اتصدق باحدهما واستبقى الآخر فأتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين زوج هدهد فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت ان يبيعنيهما بدينار واحد فأبى فقلت فى نفسى اشترى احدهما واترك الآخر ثم فكرت وقلت لعلهما ان يكونا زوجين ذكرا وانثى فافرق بينهما فادركتنى لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين واشفقت ان ارسلتهما فى أرض عامرة ان يصادا ولا يستطيعا ان يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن عليهما الافات فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن الناس والعمار فأرسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا فى أعلاها شكرا الى وسمعت احدهما

الكلامن قم البقاع وقد شبعتم فلاتنسوا الجياع الافأشبعوا خيلكم ولا تحرموها نيلكم وحيث رعيتم الخضيم فابقوالها القضيم وامتثلوا أمر سلطانكم تحظوا منه بامانكم فنهضوا قياما وامتثلوا مرسومه مراما وتهارجوا كالحمير وابتدروا طلب القمح والشعير ثم طغى وتكبر وبغى وتجبر ونزل عن المنبر فلم يكن باسرع من اتيانهم بالحبوب والقضيم المطلوب وادخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا لها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب وأوعية الربعات وصبوا فيها الشعير واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فتبددت الكتب المنيفه والمصاحف الشريفه والربعات المعظمه والختمات المكرمه تحت السنابك والحوافر ومواطئ أقدام كل كافر وصارت أبحر القاذورات والخمور على تلك النفائس والذخائر تمور ثم انه خرج من البلد وأمران لا يترك فى البلد أحد بل يخرجون الى المصلى وولى حفظهم من كفر وتولى ومن تأخر قتلوه وبتكوه وبتلوه فخرجوا كالجراد وانتشروا على الوهاد واجتمعوا فى المصلى ثم على المنبر تعلى وخطب خطبة تركيه كافرية مشركيه منها أنكم ركبتم عظائم واتيتم ما ثم وجرائم فتقدم ربكم اليكم أن سلطنى عليكم وهذه الاوزار انما جناها منكم الكبار فلاجل هذا عم البلاء وذهب بجريمة الكبراء الاصاغر والضعفاء ثم ضبط أسماء التجار واستخلص ماعندهم من درهم ودينار وقال هذا ثمن مالى من نقد واعيان الذى كان منكم وه السلطان فلما استخلص الاموال أمر بقتل الرجال وأسر النساء والاطفال والنهب العام لسائر الاغنام ومن أخذ شيأ فهوله لا يقطع أحد سبله ثم أمر بهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فهما قال فعلوه وكل مارسم به امتثلوه فسووا بالبلد الارض واستوفوا أعمارأهلها بالفرض والقرض فلم يبق منهم ديار ولم ينج من تلك الثمار العظيمة نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعه رجل باقعه فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشأن كيف كان فقال لهم بذلك اللسان ماصورته

آمدند وكندند وسوختند * وكشتندو بردندورفتند

يعنى جاؤا وهدموا وأحرقوا وأرهقوا ونهبوا وذهبوا فقيل لم يوجد فى الفارسى فى هذا المعنى أحسن من هذه الالفاظ ولا أرصن ولا أوجزولا امتن ثم أمر الجند بالتوجه الى سمرقند فتوجهوا بالاثقال من الاموال والاسرى من النساء والاطفال مشاة حفاه اذلاء عراه فلم يتوقف كل اعتمى اعقف وكافر اغلف فى ضرب رقبة من اعيا أوتوقف فوصلوا اليها واخنوا عليها وفيها من العساكر الاكفا مائة ألف وعشرون ألفا سبعون من أهل البلد وخمسون من المرصدين للمدد فتجهز عسكر البلد للقا وخرجوا من البلد للملتقى فكمن لهم التتار من اليمين واليسار فى روابى وتلال تسمى بالاحصار فناوشهم من عساكر الكفار شرذمه ثم ولت امامهم منهزمه فركب البلديون أعقابهم وداسوا أذنابهم الى ان ابعدوا عن البلد وانقطع عن البلديين المدد خرج الكمين من خلفهم لقطع رجل مددهم وكفهم ورجع عليهم الفارون وأحاط بهم العادون وتلاحق بهم عساكر لا أول لهم ولا آخر فلم يفلت منهم واحد ولا صدر عن حياض تلك الحطمة وارد فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهيه مانزل بالجنود البلديه من داهية ورزيه لم يسعهم الا الترامى عليهم والانحياز اليهم فداروا ودار واواللايب من دارى فوقوا بذلك أنفسهم وأهليهم نارا فلم يركنوا اليهم ولا اعتمدوا عليهم فرأوا مصلحتهم فى سلبهم أسلحتهم فطلبوا منهم عدتهم ثم فرقوا

يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذى كنا فيه وامتنقذنا ونجانا من الهلكة وانا لخليقان ان نكافئه بفعله وان فى اصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير فلا ندله عليها فيأخذها فقلت لهما كيف تدلانى على كنز لم تره العيون وانتما لا تبصران الشبكة فقالا ان القضاء اذا نزل صرف العيون عن موضع الشئ وغشى البصر وانما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت واستخرجت البرنية وهى مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذى علمكما مارأى وانتما تطيران

عدتهم كما فعل تيمور الغدار فى بلاد الروم بالتتار عند كسر ذلك الخوان فى سنة خمس وثمانمائة بايزيد بن عثمان فلم يبق لاهل البلد معين ولا مدد فاستسلموا للقضا وجروا طوعا وكرها فى ميادين الرضا فأحل بهم بوارا وأنزل دمارا ففعل بسمرقند وأهلها ما فعل ببخارى ودور أسوارها بدلالة آثارها من الفراسخ اثنا عشر لا يمترى فى ذلك اثنان من البشر فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما يبرى السيف القلم ثم قوى العزم وسدد الحزم وجهز طائفة من العساكر الى خوارزم مع ولديه أحدهما المدعو بجغتاى والآخر المسمى باوكتاى وهى تحت خوارزمشاه وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله معدن الافاضل ومقطن الاماثل محط رحال أهل التحقيق ومقصد رجال الفحول ذوى التدقيق ولوفور ما بها من الرؤس لم ينفرد برياستها رئيس ولكثرة ما بها من الناس لم يتعين لسياستهم راس فاتفق أكابرها لضبط أمور المسلمين على تقديم شخص يدعى خمارتكين فبعد حروب يطول شرحها ويهول برحها ويجب قرحها ويستصعب طرحها أخذوها عنوة بعد ما قاسوا جهدوه فاستصفوا أرباب الحرف ومن تعلق من صنعة بطرف فكانوا نحوا من مائة ألف بيت أو يزيدون ان عددتهم وعديت ثم ميزوا النساء والاطفال وكانوا كعدد الحصا والرمال ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل فكفى الحقير منهم والجليل ثم فصلوا بالحسام المفصال مدارع ذوات ما بقى من الرجال ثم أرادوا حصر من قتل واقامة عدد من بتك وبتل فكان حصة كل فتاك قتال على ان عددهم أكثر من القطر والرمال أربعة وعشرين مقتولا ثم فعلوا بالبلد كعادتهم الاولى فهدموا أسوارها ومحوا آثارها وأجروا من بحار الدماء انهارها فانمحى العلم والعلماء واندحى الفضل والفضلاء واستشهد الرؤساء والكبراء وناهيك بالقطب الولى الشيخ نجم الدين الكبرى وتوجه جنكزخان من سمرقند قاصد السلطان ومر من أطوار عسكره بكل أخشب حتى أناخ على ترمذ ونخشب فامتنعتا عليه ولمناعتهما لم تلتفتا اليه وكانتا كثيرتى العدد والعدد غزيرتى المدد من مدد وهما من امهات البلاد مملوأتان من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد فأهلك ناسهما وسقاهما من خمر التشريب كاسهما فلم يبق لهما فيأ ولم تغن العدد والعدد عنهما من الله شيأ (ومن) غريب ما وقع من البدع انه أمر باهل ترمذ ان يقتلوا عن آخرهم مع أهلهم وعشائرهم ولا يبقى فيها على احد وارصد على ذلك الرصد فاتفق ان امرأة من المخدرات تخجل الشموس النيرات قبضوا عليها وتقدموا باراقة دمها اليها فتشفعت فما أفاد وتضرعت فما زاد الا العناد فلما أسلمت وتلوها للجبين وعلمت انه جاءها الحق المبين قالت لا وائل الكفار لا تقتلونى باحضار وأنا أفتدى نفسى منكم بعقود من اللؤلؤ كبار فانهوا القضية اليه وعرضوا ما قالته عليه فقال اتركوها ثم بما قالت طالبوها لننظر أصدقت أم اختلقت فأطلقوها وتقاضى اللؤلؤ أقلقوها فقالت لم أفه بزور ولا دليتكم بغرور وانما اللؤلؤ كان عندى وحين استخلصتم مالى كان فى يدى خفت منكم فابتلعته وتم الفعل صنعته فأمهلونى حتى أتبرز ويخرج منى ذلك المحرز فانهوا كلامها اليه وعرضوا أمرها عليه فقال أبقروا بطنها وانظروا قطنها فان وجدتم شيأ فهوا لكم وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم فشقوا بطنها البطين واستخرجوا منه الدر الثمين فلما رأوا صدقها وحققوا نطقها أمرهم بشق بطون جميع القتلى وتفتيش ما طرحوه من جبال الاشلا فلم تنج رؤس الروس من المثلة بعد القتل ولا بطون الصدور من ظهور التنكيل اثر البتل ثم أمر بهدم الحصون بعد ابتذال المال والعرض

فى السماء وأخبرتمانى بما تحت الارض فقالا لى أيها العاقل أما تعلم ان القدر غالب على كل شئ لا يستطيع أحد أن يتجاوزه وأنا أخبر الملك بذلك الذى رأيته فان أمر الملك أتيته بالمال فأودعته فى خزائنه فقال الملك ذلك لك وموفر عليك * انتهى باب ابن الملك وأصحابه

(باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين)

وهو باب من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه (قال) الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن الرجل الذى يرى الرأى لغيره

الحصون فخربت الديار ولم يبق فيها ديار ثم عبر من جيحون الى خراسان وجعل نصب عينيه ممالك السلطان وتوجه الى بلخ وهى احدى معاقل الاسلام وفيها من امم الانام مالا يدرك ضبطه سابق الاقلام بل يخرج عن حصر الاوهام ولا يحصيه الا الملك العلام وكان السلطان قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحى طبرستان فوصل بتلك الجبار الطاغيه فى ثمان عشرة وستمائه فخرج اليه الاعيان وطلبوا منه الامان فاجاب سؤالهم بما يصلح حالهم ثم انثنى من السلطان جلال الدين ابن المرحوم قطب الدين فلم يركن اليهم ولا عول عليهم فامر باراقة الدماء وهدم البناء واحاطتهم بدائرة الفناء فأفنوهم عن آخرهم وساروا بالحضيض بقاع عمائرهم ثم أرسل ولده تولى خان الى محاصرة طالقان فعصت عليه ولم تسلم قيادها اليه فاستمرت فى الحصار مده وأذاقها الباس البأس والشده الى ان أخذوها وأبادوا خلقها ودكوها ثم ان جنكزخان الكافر الخوان معدن الكفر والطغيان لما استوبل هواء خراسان فأوى الى بلاده وترك تولى خان من أولاده وولاه خراسان وهو محاصر طالقان وأقام فى ممالك ايران من كفار امرائه أميران أحدهما يدعى سنتاى وهو من قبيلة الجفتاى والآخر يدعى يما وهو من الكفار اللؤما وترك معهما من الكفار الاراذل والتتار الاسافل ثلاثين الف مقاتل فوصلا الى رواه ووضعا السيف فى الائمة الهداه وابتدآ فى القتل والنهب والفتك والسلب والقهر والاسر والقسر والكسر ثم اخذا فى الائتلاف طريق الائتلاف وذهب كل منهما للاختلاف فى الفساد على مخلاف فصالا وجالا واوسعا فى الدمار والبوار مجالا وخاضا فى دماء المسلمين واجتهدا فى اهلاك الاسلام والدين وخلا لهما الجو فباضا وصفرا وكان السلطان قطب الدين قد اخلى الدنيا من الملوك والكبرا فلم يثبت لهما مقابل فضلا عن مخاتل او مقاتل فاهلكا الدين وابادا وتصرفا فى نصرة الشرك على الاسلام كيفما ارادا فاستخلصا جوين وطوس واعدما بهما من نفائس ونفوس وجام وخبوشان واسفراين ومازندران وآمل وقومس وتلك البلدان فحوا من كتب كتائبها اسطارها واطفؤا منارها واظهروا من صفة الجلال والقهر آثارها واجروا من الفتن كالدماء بحارها واضرموا من الشرور نارها كل ذلك قتلا ونهبا وسبيا وسلبا وهدما واحراقا وصدما وازهاقا وردما واغراقا ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين فى قلاع آمل آمنين فقصدوها وحاصروها ورصدوها فقبل ناصروها فاستولوا عليها ووصلوا كما ارادوا اليها فبقروا وفتكوا وبروا وبتكوا وسبوا وسبكوا وسفوا وسفكوا وكووا وشووا وغووا ولووا وعووا ومارعووا ثم انهم صادفوا العكس الزمان وانقلاب الدهر على السلطان وسوء التدبير وشؤم الحظ المبير وهم فى بعض المسير من غير مخبر ولا معلم فى سدفة ليل مظلم حريم السلطان خوارزمشاه لامور قدرها الله مع والدته وجواريه وبناته وسراريه وكان لشدة ما نابهم من الزمان قد ضاق عليهم المكان وتغير بل تنكر لهم الكون وفل عنهم النصير وقل العون وخافوا الابتذال بعد الصون فتركوا ما هم فيه من مكان وقصدوا البعد عن خراسان فتوجهوا الى اطراف اصفهان ومعهم من نفائس الاموال والجواهر وانواع المفاخر والذخائر ومصونات الخزائن ومكنونات المعادن ما لا يعلمه الا مانحه ومن الكنوز ما ينوء بالعصبة مفاتحه وما لم يجتمع لسلطان قط ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط فتباغتوا مواجهه وتواجهوا مباغته وتباهتوا مشافهه وتشافهوا مباهته فوقعن فى شبكة الصيد واحاطت بهن دائرة الكيد وتورطن فيما فررن منه وتربطن باوهاق

ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف ان مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهم (قال) الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش الى رأس تلك النخلة فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحوقها فاذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فاذا افقست وادرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما ينهض فراخها فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها ان

مانفرن عنه وناداهن لسان الحظ وهاتف الطالع الفظ

واذا اراد الله انفاذ القضا * وظهور قهر بالمصائب نازلا
جعل الدواء لذاك داء ممرضا * وفوائد الترياق سما قاتلا
والكون خصما والمكان مناقضا * والعيش موتا والصديق مقاتلا

فلم يشعرن الا وقد وقعن من نيران الفتن فى تنور وتورطن من بحار المحن فى دردور وتهممت الى بكائهن ثنايا البلايا وتكالمت على جباههن مصائبهن عقود الرزايا فظفرت حامية الكفر بذلك المغنم البارد ولم يصدر من حلقة صيد شارد ولا وارد فحازوا تلك المسترات ونزل الى حضيض قنصهم من سماء المناعة الشموس النيرات فهتكوا استارهن وخربوا ديارهن وضبطوا اشعارهن ودثارهن واحرزوا ما معهن من كنوز المعادن ونفائس المكامن وذخائر الخزائن ثم اضافوهن الى زبانية غلاظ واحتفظوا بهن أشد احتفاظ وساقوهن الى بلاد التتار مهتكات الاستار عاريات حافيات حاسرات ماشيات وأمروهن أن يجتمعن كل ليله عندما ينشر الظلام ذيله فى كل منزله وصباح كل مرحله ويقمن على أنفسهن العزا وينحن بما تقدم ويبكين بما جرى ويعددن على خوارزمشاه ويذكرن ما قدره الله عليه وقضاه ويذكرن ما كن فيه من النعم وما صرن اليه من الهوان والنقم وليدمن على هذه الطريقه حتى يقطعن من سفرهن طريقه ويصلن بجنكزخان على ذلك الامتهان والذل والهوان فيرى فيهن رايه من نكال ونكاية ورحمة وعنايه فامتثلن ما أمروهن به فكن يفنين النيام ويبكين المتنبه واستمررن على هذه الحال فى الخزى والاذلال والمشقة والابتذال بعد ذلك الصون والدلال يصدعن بنحيبهن الجبال ويتفطرن بالنظر اليهن أكباد الصخور والتلال ثم ارتولى لما أخذ طاقان وأهلك أعداها سيف الطغيان ولم يدع فيها من يتنفس وهدم الى الارض بنيانها المؤسس توجه الى جانب من بلاد العجم وأهلك ما شاء الله تعالى من خلائق وأمم فصار فى أحد الجوانب يعيث وكل من سنتاى الخبيث وبما الكافر الغثيث فى جاقب بعيد المسلمين ولا مغيث فدكوا قزوين وهمذان وصكوا اران وبيلقان وأغاروا على ممالك أذربيجان وبلغهم ان السلطان جلال الدين له فى مصاص جماعة مجتمعين متقدمهم السلاحدار بكتكين وفيهم من الاعيان كوجبوغاخان فتوجه اليهم عا فبدد شمل أولئك الزعما وأبادهم وفرقهم وشتتهم ومزقهم ثم أغاروا على غالب عراق العجم فأوسقوا القفار بالضرم وأوسعوا البحار بامطار الدم وملؤا الوجود بالعدم ثم قصدوا أردبيل وجعلوا أهلها ما بين أسير وقتيل وكانوا فى أول المرور قد صالحوا أهل نيسابور وانتقلوا الى مرو منها وراودوا أهلها عنها فأغلقوا أبوابهم وأقلقوا جوابهم فخطوا عليها ودخلوا اليها وحكموا فى أهلها السيوف وكان شهر الصيام ففطروهم على كاسات الحتوف ونقل الى جوار الله تعالى منهم المئين والالوف وضبطوا من أمكن ضبطه من القتلى واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا فكان ألف ألف نسمه وثلثمائة ألف وثلاثين الفا مكرمه وكل هذه الفتنة والفتره فى سنة ثمان عشره عامت الدنيا فى الدماء عوما وكانت مدة نحو تسعين يوما ثم توجهوا الى شروان وأفاضوا من بحار الدماء الطوفان ودخلوا من الباب الحديد واتصلوا من الدست بذلك الشيطان المريد فتيقظ الناس من الفكره وأفاقوا مما كانوا فيه من السكره وتصوروا انها هبابة صيف انقضت أو نسمة أزمنة هبت باردة أو مضت ولكن احتاطوا واستعدوا وتحفظوا

واستعدوا

يرقى اليها فتلقى اليه فراخها فبينما هى ذات يوم قد ادرك لها فرخان اذا اقبل مالك الحزين فوقع على النخلة فلما راى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين يا حمامة مالى اراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يا مالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما كان لى فرخان جاءنى يهددنى ويصيح فى اصل النخلة فأفرق منه فاطرح اليه فرخى قال لها مالك الحزين اذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولى له لا القى اليك فرخى فارق الى وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك واكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى فلما علمها مالك الحزين

واستعدوا وحصنوا الحصون والمعاقل وجمعوا الجنود والجحافل فلم يكن باسرع من ايابهم وتعاطى ما كانوا عليه من دابهم والشروع فى اعمال حوابهم بحرابهم وأخذهم فى ضروب ضربهم وضرابهم واستقر تولى فى ممالك العجم وهو أبو هلاكو الكافر الاغتم فوصلوا الى شيراز وقد استعدت للحصار واستعدت للمناوشة والنقار فأخذوها عنوة وزحفا وقتلوا منها مما أمكن ضبطه سبعين ألفا ثم توجهوا الى طوس فازهقوا مابها من نفوس ثم الى سائر القلاع بالحضيض واليفاع فاستولوا على الكل قهرا وأخذوه عنوة وقسرا وسعوا فى احلال البؤس وازهاق النفوس ثم الى موقان ولم يبقوا بها أحدا كائنا من كان وعم القتل المبير كل صغير وكبير ثم حل اولئك البور بلدة نيسابور فكانت بعد ما كانت صالحت وتحصنت بعد أن اذعنت واعتمدت على عددها واستندت الى عددها وبرجالها استعانت بعد ان كانت قد دانت ولانت واستكانت وكان فيها من آلات الحرب ورجال الطعن والضرب ما لا يحصى ولا يبلغه الاستقصا فكان فيها من المجانق المرسلات الصواعق على اسوار الحصار ثلثمائة منجنيق اصغرها كالغضبان فى المقدار خارجا عن المكاحل والمدافع المهلكات بالصواعق الصواقع ومن رماة القوس القصير المنفذ حكمه قاضى التقدير ثلاثة آلاف بطل كل ارمى من بنى ثعل وأما عدد الضارب والنابل والقاتل والمقاتل والرامح والناطح والصارع والنازع والحاذف والجارف والخاطف والقاطف والناهب والسالب فالضابطون فيه تاهوا وما يعلم جنود ربك الا هو فوجه التتار الهمة اليها واخنوا كالقضاء المبرم عليها وحمى الوطيس وخاطر بنفسه كل خسيس وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس فقتل من أهل العدوان طغاجار خان زوج ابنة جنكز خان وكان من عتاة الكفار المعتبرين بين التتار فحنق العدو لذلك وسدوا المسالك وسمع بذلك تولى الكافر المغولى وكان فى بعض الجوانب مشغولا بالدواهى والمصائب ففار دم قلبه وتأججت نيران كربه وتأسف لفقد ختنه وثار غبار احنه فتوجه من فوره بحنقه وجوره ونزل على نيسابور وحل بالبوار على أولئك البور وزحف بالعساكر وتقدم بالطعن والضرب كل كافر فلم تمض غلوة حتى أخذوها عنوة ودخلها من كفر من التتر يوم السبت خامس عشر صفر سنة تسع عشرة وستمائة من الهجرة وأعطى تولى لاخته ذلك عوضا عن زوجها الهالك وقال لها تسلى عن ذلك المفقود بهذا الموجود وتحكمى فى أهل البلد بما ترتضيه من سرور ونكد وتصرفى فى الاموال والارواح فهما تريه فهو لك مباح فأمرت أن لا يبقى على ذى روح وان تجرى السيول من الدم المسفوح فأطلقوا فى ميادين الحتوف أعنة صوارم السيوف فخدت جباه الجياد وجادت بجود الجد على أجياد الاجواد وصارت كألسن الشعراء النقاد تهيم من النظم والنثر فى كل واد فمحوا عن لوح الوجود بلسان شواظ السيف ذات الوقود سطور ذوات ذلك السواد الاعظم وكتاب كتائب تلك الخلائق والامم وزادوا فى الاشتطاط حتى قتلوا الكلاب والقطاط ثم أمرت أن تجمع رؤس أولئك الجمهور وعيز رؤس الاناث من الذكور فميزوا رؤس الرجال عن قمم ربات الحجال وطرحوا كل كاشيه فى ناحيه فصارت الرؤس كرواسى الجبال وتلك الدور والقصور كالاعصر الخوال ولم يخلص من قطع الارؤس سوى أربعة أنفس كانوا من ذوى الحرف فعذبتهم المهارة من سفح بحر الفناء الى الطرف ثم ركبت تلك البسوس ووقفت على تلال الرؤس فلم تنطفئ نارها ولا برد اوارها وزعمت أنها لم تستوف ثارها وأن دود ترابها من علق

هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فأقبل الثعلب فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل إذ أجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين فقال لها الثعلب اخبريني من علمك هذا قالت علمني مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى اتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا فقال له الثعلب يا مالك الحزين اذا اتتك الريح عن يمينك اين تجعل راسك قال عن شمالي قال فاذا اتتك عن شمالك اين تجعل راسك قال اجعله عن يميني او خلفي قال فاذا اتتك الريح من كل مكان وكل ناحية اين تجعله قال اجعله تحت جناحي قال وكيف

تلك الامم ماتكفت وغيظة غيظها بزوائر السيوف ماتشفت واستغاثت بالرجال وصاحت بلسان الحال وأنشدت

وهب ان النساء سلمن سيفا * فصلن وجان كالفحل الغيور
فزلزلن الجبال فطرن خوفا * ويضاهين السحاب على الطيور
وصار لسفكهن البر بحرا * أيغنيهن ذاك عن الايور

فأمرت بهدم البلد واحراق مافيها من آلات وعدد فدكوها دكا وأعدموها سبكا وسفكا وتصرفت أيدى النوائب فيها فتكا وبتكا ثم ان تولى لوى العنان وقصد هراة من خراسان فأخذها بالامان ولم ينج من ذلك الطوفان سوى تلك الكوره واستمرت تحت أوامرهم مقهوره وأمهات بلاد خراسان ومقر سرير السلطان كانت أربعة أمصار كل ذات اعتبار جليلة المقدار نيسابور وقد صارت بور وبلخ وقد كسيت من البوار ثوب سلخ ومروا لرود وقد انمحت من الوجود ولم يفز بالنجاه الابلدة هراه وسائر الامصار شملها البوار ولبست من خلع الدثور الدثار وكل منها مصر جامع وبرها بحر واسع وبحرها كصدر البرمداه شاسع وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فأكثر من ان تحصر أوتضبط بحساب دفتر فأبيد ذلك كله وأبير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى أدنى مده وأوهى رقده وما ذكر ذرة من طور وقطرة من بحور فسبحان من لايسئل عما يفعل ثم ان جنكزخان الهامة الهاميه والفتنة الطامة الطاميه لما علق به المرض وحصل له فى خراسان العرض رجع الى بلاده واستمر مرضه فى ازدياده ولم يزل على ذلك حتى أورد سبيل المهالك وتسلم روحه الخبيثة مالك وحين أيس من الحياه وقنط من رحمة الله جمع المعتمد عليه من أولاده المشاركين له فى عتوه وفساده وهم جغتاى وأوكتاى وأولبغ نوين وجوجاى وكاكان وأورجان وأوصاهم بوصايا وطرائق فى سياسة الرعايا حافظوا عليها وتناهضوا اليها فثبت لهم من ملكهم أساسا لم ينهدم وأقام بنيانا الى يومنا لم ينخرم وعروش قواعد اركانها لم تنثلم مع كثرة عددهم ووفرة مددهم وشكاستهم وشراستهم وشماستهم وتعاستهم وغلاظتهم وفظاظتهم واختلاف أديانهم واتساع بلدانهم وهلك الطاغية جنكزخان وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران واستقر فى لعنة الله وعقابه وأليم زجوه وعذابه فى رابع شهر رمضان الشامل بالفضل والاحسان والبركة النامية الهاميه سنة أربع وعشرين وستمية فى مرة ملكه المشوم وأعظم امصاره ايميل وقوقان وقراقروم واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن تغير على ممالك الاسلام وتبير شعائر شرائع خير الانام وتثير غبار الافساد والمفسدين فى وجوه سنة سيد المرسلين وتحصر جنود الاسلام وتقص جيوش العلماء الاعلام وتنقص اطراف الارض وتنقض أركان الدين بعضها على بعض وناهيك يامولانا السلطان بفتن هلاكو تولى بن جنكزخان وبعده أبغا ابن هلاكو الذى تجبر وطغى وتكبر وبغى وبعده ابنه ارغون وبعده ابنه قازان المفتون واستمرت بحار الفتن منهم تؤثر عنهم وتمرجها تمور الى ان نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط المباح بالبسل وحل بالعالم الباس وفسدت أحوال الناس وانما ذلك كله بفساد الراس ومن جملة فتنهم وطعنهم فى ظعنهم جالوا فى معركه وصالوا فى دست بركه فقتلوا فى مثل حرب البسوس وقطعوا فى ناحية من الروس جملة أراد واضبط عددها بعد ان أبانوها عن جسدها فلم يقدروا ان يحصروها فرسم لتلك البغاة سلطانها أن يقطع من الرؤس آذانها يقطعون من كل رأس أذنا ولتكن

الاذان

تستطيع ان تجعله تحت جناحك ماأراه يتهيأ لك قال بلى قال فأرنى كيف تصنع فلعمرى يامعشر الطير لقد فضلكم الله علينا انكن تدرين فى ساعة واحدة مثل ماندرى فى سنة وتبلغن مالانبلغ وتدخلن رؤسكن تحت اجنحتكن من البرد والريح فهنيأ لكن فأرنى كيف تصنع فأدخل الطائر راسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دق قلبه ثم قال ياعدو نفسه ترى الراى للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك ثم قتله واكله

الآذان اليمنى فجدعوا آذان بعض الرؤس وشكوها وفى خيوط سلكوها ثم فى قلائد ربطوها وبعد ذلك ضبطوها فكانت نحو مائتى ألف اذن مجدودة وسبعين ألف اذن معدودة (وانما) ذكرت يا ملك الطير امثال ما جرى من الشر والخير وجلوت عن مرآة ضميرك المنير صورة ما مر فى الزمان المبير وما فعله من ملكه زمام الاقتدار وامهله سلطان السلاطين الذى يخلق ما يشاء ويختار وصرفه فى بلاده وعباده وبين له طريق صلاحه وفساده وأخبركم أيها الملوك والحكام بأموركم فى دنياكم وجلا صور أحوالكم على أعين أبصاركم وبين مزاياكم فى مراياكم فقال وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم فانظر ما فى هذه السير من الحكم والعبر لتعلم ان الدنيا محل الغير ومحك العقول والفكر والحال بها هدف لسهام القضاء والقدر مبتلى بكل خير وشر ونقع وضر غافل عن مواقع الحذر آمن وهو على شرف الخطر مقيم وقد جد به السفر مناقش بما مضى من أنفاسه مما حلا ومر ومحاسب على ذرات ما اكتسبه مطالب بالفتيل والقطمير مما ارتكبه فلما وصل الجمل فى الكلام الى هذا المقام قبل العقاب بين عينيه وزاد قربه لديه وأفاض خلع الانعام عليه وقال صدق عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم ونطق بالحق من قال لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فاهل التحقيق وذوو النظر الدقيق راقبوا المعانى ولم ينظروا الى القوالب والمبانى فان سليمان عليه السلام وهو ملك الجن والانام والوحش والطير والماء والهوام ونبى مرسل وملك ذو فضل وسلطان الفصل بالعدل استفاد النصائح من نمله وجمع هدهده مع ملكة سبا شمله ويوجد فى الاسقاط ما لا يوجد فى الاسفاط ولقد ينطق بالفوائد من هو كافر وجاحد فيؤخذ من أقواله ولا يقتدى بأفعاله وقد قيل ان الحسن البصرى رحمة الله عليه دخل مسجده وصلى بين يديه صبى فرآه لا يتم سجوده ولا يرضى بصلاته معبوده فدعاه وخاطبه وانكر عليه وعاتبه وقال له تم سجودك ترض معبودك فقال يا شيخ المتقين هذه سجدات شخص من المؤمنين لو سجد احداها ابليس لآدم لما كان من الملعونين ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين ولم يصر من أهل العناد المطرودين * ورأى يوما صبيا ومعه سراج وهو سالك فى منهاج فسأله عن ناره وما فيها من أنواره من أين أخذها وكيف اقتلذها فلم يجاوبه الا باطفاء السراج وسؤاله أين ذهب ذلك النور الوهاج قل لى أين ذهبت تلك الانوار أقل لك من أين جاءت تلك النار * ثم ان العقاب ولى الجمل ما تحت يده من رقاب وقدمه على سائر الخدم وصنوف الطير وأجناسه من الامم وجعله الدستور الاعظم والوزير المقدم المكرم وفى هذا المقام امسك الحكيم حسيب عن الكلام وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام بالدعاء والثناء والصلاة والسلام (قال) الشيخ أبو المحاسن المخجل بادبه امرأ القيس وأبا فراس فلما انتهى الحكيم فى مقترحه وما قصده من بيان محاسنه وملحه الى هذا المحل وفصل من فضله ما أجمل من جمل نهض الوزير وقبل قدميه واعترف له بالفضل المنعم به عليه وانه مالك أزمة الانشاء وملك الكلام يصرفه كيف شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكأنه شيخ المعقول وأستاذ المنقول فمن أنوار الفاظه تنير العقول ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول وأما اخوه الملك فطار بسروره عن سريره واتخذه فى مهام أموره مقام أميره ثم أدت آراء فكرته أن يستعمل اخاه لكشف كربته ويمشى فى السعى بينه وبين اخوته لرتق ما انفتق وسد ما خرقه سيل الحسد فانبثق فامتثل أمره العالى ونهض بأمر الله المتعالى وأنفق من جواهر

(فلما) انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف ايها الملك عشت الف سنة وملكت الاقاليم السبعة واعطيت من كل شئ سببا مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وزكا منك العقل والقول والنية فلا يوجد فى رأيك نقص ولا فى قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عندما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك فى هذا الكتاب شمل بيان الامور وشرحت لك جواب

أفكاره فى سوق المناصحة الرخيص والغالى ورصع ما استخرجه من يواقيت تلك من عباراته بما يستعبد عقود اللآلى وتعاطى أسباب الاصلاح وساعده لحسن النيه وخلوص الطويه السعد والنجاح

وهذب فى الفضل مارتبه * ورتب بالفضل ماهذبه
واعجب ذا اللب ماشاده * فأثنى عليه بما اعجبه
واغرب فى السبق اشراقه * فلله ذا السعد مااغربه
فاشذ بالصدق عن نصحه * ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافره واطفأ بزلال الفاظه العذبة شواظ تلك النائره وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثائره فاطمأنت القلوب وطهرت من غش التشاحن الجيوب واتصل بالمحب المحبوب وحصل الامن والامان ومساعدة الزمان ومعاضدة الاخوان ومصافاة الخلان وطيب العيش والمكان وافضل من هذا جميعه شفقة السلطان والاستقامة على الاسلام والايمان ونسأل الله تعالى اتمام نعمه واسبال ذيل احسانه وكرمه واللطف فى القضا والعفو عما مضى والمعاملة باحسانه الجزيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار من الاختان والاصهار والمهاجرين والانصار وسلم تسليما يطيب الاعطار ويمسك باذيال عرفه خياشيم الازهار فى الاسحار مادامت الاعصار ودارت الادوار وترادف الليل والنهار وحشرنا فى زمرتهم مع المصطفين الاخيار انه كريم ستار حليم غفار ﴿قال مؤلفه رحمه الله تعالى﴾ نمقه مؤلفه وافقه مصنفه فقير عفو الله تعالى من غير تردد ولا تفكر ولا تعمق فى تدبر مع توزع البال احمد بن محمد بن عرب شاه الحنفى سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه تفصيلا واجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا فى أواخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثمانمائة احسن الله خاتمتها وعاقبتها وجعل آخرها خيرا من أولها بمنه وكرمه آمين

﴿يقول مصححه الراجى غفر المساوى السيد حماد الفيومى الحماوى﴾

نحمدك يامن ألهمت من اصطفيت ان يعرب عما اصبته فى غرر الكائنات من آيات توحيدك ونشكرك اعربت العجماوات بما فيها من بدائع حكمتك عن خفايا حقائق قيوميتك وتمجيدك ونصلى ونسلم على سيدنا محمد صفوتك المنتقى لابداع اسرار الوجود وعلى آله واصحابه أفضل الخلفاء فى بث كل خلق محمود ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب المسمى بفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للامام العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفى رحمه الله واكرم مثواه ولعمر الله انه لكتاب لم ينسج ناسج على منواله ولم ينظم مصنف فى القديم والحديث كعقود امثاله وقد وشيت حواشيه بطراز كتاب كليله ودمنه اذ هو القدوة فى هذا الشأن فنظمهما معا تتم المنه وقد ضرب مؤلفاهما فيهما من الامثال المزرى صوغها بعقود الجمان واسفرا فيهما بصادق الفراسة عما ترجم به لسان حال جنس الحيوان فلذا تسابقت جياد العنايه فى الاعتناء بتهذيب طبعهما والمبالغة فى اتقان تصحيحهما وتحسين وضعهما على ذمة الهمام الافخم الشيخ أحمد اللبنى أدام الله نعمته عليه ونظر بعين عنايته اليه وذلك بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركز ادارتها فى مصر خان أبى طاقيه وفاح مسك الختام ولاح بدر التمام فى أواخر شهر الله رجب الحرام من عام ألف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة سيد الانام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعظم وشرف وكرم

ما سألتنى عنه منها فابلغتك فى ذلك غاية نصحى واجتهدت فيه برأيى ونظرى ومبلغ فطنتى التماسا لقضاء حقك وحسن النية منك باعمال الفكرة والعقل فيما كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع انه ليس الآمر بالخير باسعد من المطيع له فيه ولا الناصح باولى بالنصيحة من المنصوح ولا المعلم للخير باسعد من متعلمه منه فافهم ذلك ايها الملك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

+
PJ
7760
F129
F17
1884

LIBRARY
ANNEX
2